تفسير القرآن

للإمام العلامة شيخ الإسلام حجة أهل السنة والجماعة

أبي المظفر السمعاني

منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي الشافعي السلفي

(٤٢٦ - ٤٨٩)

المجلد الخامس

من غافر إلى التحريم

تحقيق

أبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم

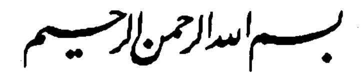
دار الوطن

الرياض - شارع المعذر - ص.ب: ٣٣١٠

☎ ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس: ٤٧٦٤٦٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرآن



الطبعة الأولى
١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

دار الوطن للنشر - الرياض

هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس : ٤٧٦٤٦٥٩ - ص.ب : ٣٣١٠ الرمز البريدي : ١١٤٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ

تفسير سورة المؤمن

ويقال: سورة الطول، وهى مكية

وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال: إذا وقعت فى آل حميم وقعت فى روضات أتأنق فيهن، وتسمى الحواميم ديابيج القرآن. وفى بعض الأخبار: «أن مثل الحواميم فى القرآن مثل الحبرات فى الثياب»(١).

وفى بعض الأخبار أيضا أن النبى ﷺ قال: «من قام بالحواميم فى ليلة غفر الله له».

قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ قال ابن عباس: قسم أقسم الله به. وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن. وعن بعضهم: الحاء من (الحليم)(٢)، والميم من الملك. وعن سعيد بن جبير قال: «الر» و«حم» و«نون والقلم» بمجموعها هو اسم الرحمن. ويقال: «حم» معناه: حم ما هو كائن أى: قضى ما هو كائن. وقرأ عيسى بن عمر: «حم» على نصب الميم على معنى اتل حميم.

قال الأشتر النخعى شعراً:

يُذَكِّرنى حميمَ والرمحُ شاجرٌ فهلاً تلا حميمَ قبل التقدُّمِ

وقال الشاعر فى حم بمعنى قضى:

فحم يومى فسُرَّ قوم كأن ليس للشامتين يوم

وقوله: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ أى: المنيع فى ملكه، العليم بخلقه.

قوله تعالى: ﴿غافر الذنب﴾ أى: ساتر الذنب.

(١) عزاه القرطبى فى تفسيره (١٥/ ٢٨٨) للثعلبى.

(٢) فى «ك»: الحكيم.

الْعقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ

وقوله: ﴿وقابل التوب﴾ أى: التوبة.

وقوله: ﴿شديد العقاب﴾ أى: شديد العقاب للكفار.

وقوله: ﴿ذى الطول﴾ أى: القدرة. وقيل: السعة والغنى. ويقال: هو التفضل. وقال بعضهم: غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله. وروى حماد عن ثابت قال ثابت: كنت فى فسطاط مصعب بن الزبير أقرأ هذه الآية: ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول﴾ فمر شيخ على بغلةٍ شهباء، فقال لى: قل يا غافر الذنب اغفر لى، ويا قابل التوب اقبل توبتى، ويا شديد العقاب [اعف][1] عنى، ويا ذا الطول طل علىَّ بخير، ثم لم أر الشيخ بعد.

وقوله: ﴿لا إله إلا هو إليه المصير﴾ أى: المرجع.

قوله تعالى: ﴿ما يجادل فى آيات الله﴾ أى: فى دفع آيات الله بالتكذيب.

وقوله: ﴿إلا الذين كفروا﴾ أى: جحدوا.

وقوله: ﴿فلا يغررك تقلبهم فى البلاد﴾ أى: تقلبهم سالمين فى البلاد. قال ابن جريج: لا يغررك تجارتهم من مكة إلى الشام، ومن الشام إلى اليمن. وفى بعض التفاسير: أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا متوجعين: نحن فقراء، والكفار مياسير ذو أموال، فأنزل الله تعالى هذه الآية. فعلى هذا معنى قوله: ﴿لا يغررك تقلبهم فى البلاد﴾ أى: لا يغررك يسارتهم وسعتهم.

قوله: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم﴾ وهم الذين تحدثوا على الأنبياء.

وقوله: ﴿وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه﴾ أى: ليقتلوه. ويقال: ليأسروه.

---

(١) من «ك» وفى «الأصل»: اعطف.

وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ

والعرب تسمى الأسير أخيذاً، قال الأزهرى: ليأخذوه فيتمكنوا من قتله.

وقوله: ﴿وجادلوا بالباطل﴾ أى: بالجدال الباطل ليدحضوا به الحق. والجدال: هو فتل الخصم عما هو عليه بحق أو باطل، وأما المناظرة لا تكون إلا بين محقين، أو بين مُحِق ومُبْطِل، والجدال قد يكون بين المبطلين.

وقوله: ﴿فأخذتهم﴾ أى: أخذتهم بالعقوبة.

وقوله: ﴿فكيف كان عقاب﴾ قال قتادة: شديد والله.

قوله تعالى: ﴿وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا﴾ أى: وجب حكم ربك على الذين كفروا أنهم ﴿أصحاب النار﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله﴾ ذكر النقاش: أن حملة العرش الكروبيون، وهم سادة الملائكة. وفى بعض التفاسير: أن أقدامهم فى تخوم الأرضين، والأرضون والسموات إلى حجزهم، وهم يقولون: سبحان ذى العز والجبروت، سبحان ذى الملك والملكوت، سبحان الحى الذى لا يموت، سبوح قدوس رب الملائكة والروح.

وقوله: ﴿ومن حوله﴾ أى: حول العرش.

وقوله: ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما﴾ أى: وسع [علمك][1] ووسعت رحمتك كل شىء.

وقوله: ﴿فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك﴾ أى: دينك وطاعتك.

---

(١) من «ك»، وفى «الأصل»: عملك، وهو خطأ.

عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ

وقوله: ﴿وقهم عذاب الجحيم﴾ معناه: وادفع عنهم عذاب الجحيم، والجحيم معظم النار. وعن بعض السلف: أنصح الخلق للمؤمنين هم الملائكة، وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين.

قوله تعالى: ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم﴾ بينا أن جنة عدن هى بطنان الجنة. ويقال: مصر الجنة.

وقوله: ﴿ومن صلح من آبائهم﴾ أى: ومن وحد من آبائهم، ويقال: ومن عمل صالحاً من آبائهم.

وقوله: ﴿وأزواجهم وذرياتهم﴾ أى: وأهليهم وأولادهم، قال سعيد بن جبير: يدخل المؤمن الجنة فيقول: أين أبى؟ أين أمى؟ أين زوجتى؟ فيقال: إنهم لم يعملوا مثل عملك، فيقول: إنى عملت لنفسى ولهم، فيدخلهم الله الجنة ويجمعهم إليه.

وعن بعض السلف أنه قال: إن المؤمن يحب أن يجمع شمله، ويضم إليه أهله، فيجمع الله شمله، ويضم إليه أهله فى الآخرة.

وقوله: ﴿وقهم السيئات﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿ومن تق السيئات يومئذٍ﴾ أى: ومن تق السيئات يومئذ أى: العقوبات، ويقال: جزاء السيئات.

وقوله: ﴿فقد رحمته﴾ أى: أنعمت عليه.

وقوله: ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾ يعنى: النجاة العظيمة.

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ينادون﴾ فى التفسير: أن الكافر تعرض إليه أعما السيئة فيمقت نفسه أشد المقت، فيناديهم الله تعالى: ﴿لمقت الله أكبر من مقتكم

أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ

أنفسكم ﴾ أى: مقت الله إياكم فى الدنيا أعظم من مقتكم اليوم أنفسكم بما ظهر لكم من أعمالكم السيئة. وقد حكى معنى هذا عن ابن عباس. وقال بعضهم: لمقت الله إياكم فى الدنيا أكبر من مقت بعضكم بعضًا، وذلك حين يتبرأ بعضهم من بعض.

قوله: ﴿ إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون ﴾ يعنى: إن مقت الله إياكم كان لأن الله دعاكم إلى الإيمان فكفرتم.

قوله تعالى: ﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ الإماتة الأولى: هو أنهم كانوا نطفًا فى أصلاب الآباء[1] موتى، ثم أحياهم بالخلق وإدخال الروح، ثم يميتهم الموت المعلوم الذى لابد من ذوقه، ثم يحييهم يوم القيامة. هذا قول مجاهد وقتادة وجماعة.

والقول الثانى فى الآية: أن الإحياء الأول حين أخرجهم من صلب آدم وأخذ عليهم الميثاق، ثم أماتهم بالرد إلى الأصلاب، ثم أحياهم بالإخراج ثانيا، ثم يميتهم الموت المعروف. فإن قيل: فأين الحياة فى الآخرة؟ قلنا: المراد على هذا القول حياتان وموتتان فى الدنيا سوى الحياة فى الآخرة.

والقول الثالث: أن الإماتة الأولى هو الموت المعروف، والإحياء الأول هو الإحياء فى القبر للمساءلة، والإماتة الثانية هى الإماتة بعد الإحياء فى القبر، والإحياء الثانية هى الإحياء للبعث، هكذا ذكره السدى.

وقوله: ﴿ فاعترفنا بذنوبنا ﴾ أى: بخطايانا.

وقوله: ﴿ فهل إلى خروج من سبيل ﴾ أى: فهل إلى خروج عن النار من سبيل.

قوله تعالى: ﴿ ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم ﴾ معناه: أن تخليدكم فى النار

---

(١) فى «ك»: الرجال.

وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن

ومكثكم فيها كان بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم.

﴿وإن يشرك به تؤمنوا﴾ أى: يشرك بالله تؤمنوا، أى: تصدقوا بالشرك.

وقوله: ﴿فالحكم لله العلى الكبير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿هو الذى يريكم آياته﴾ أى: عبره ودلائله.

وقوله: ﴿وينزل لكم من السماء رزقا﴾ أى: المطر؛ لأنه سبب الأرزاق.

وقوله: ﴿وما يتذكر إلا من ينيب﴾ أى: وما يتعظ إلا من يرجع إلى الله فى جميع أموره.

قوله تعالى: ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين﴾ أى: مخلصين له التوحيد. ومعناه: وحدوا الله ولا تشركوا به شيئًا.

وقوله: ﴿ولو كره الكافرون﴾ أى: سخط الكافرون، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾(١) وقد بينا هذا من قبل.

قوله تعالى: ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ قال ابن عباس برواية عطاء: رافع السموات، سماء فوق سماء. وعن بعضهم: رافع درجات الأنبياء والأولياء. وقال بعضهم: رفيع الدرجات أى: عظيم الصفات، وهو راجع إلى الله تعالى، قاله مقاتل. قال: الله فوق كل شىء، وليس فوقه شىء.

وقوله: ﴿ذو العرش﴾ أى: له العرش خلقا وملكًا.

وقوله: ﴿يلقى الروح من أمره﴾ قال مجاهد: هو الوحى، وسمى روحًا؛ لأنه يحيا به الخلق. وقال قتادة: هو النبوة. وقيل: هو جبريل يرسله على من يشاء من أنبيائه،

---

(١) التوبة: ٣٣، الصف: ٩.

يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ

وروح الإنسان ما يحيا به الإنسان.

وقوله: ﴿من أمره﴾ أى: بأمره.

وقوله: ﴿على من يشاء من عباده﴾ من النبيين والرسل.

وقوله: ﴿لينذر يوم التلاق﴾ المعروف بالياء، وقرئ بالتاء.

بالياء أى: لينذر الله، وقيل: لينذر الوحى. وأما بالتاء فالمراد به الرسول ﷺ.

وقوله: ﴿يوم التلاق﴾ قال قتادة: يلتقى فيه أهل السماء وأهل الأرض، الأولون والآخرون. وعن بعضهم: يلتقى فيه الخلق والخالق. وقال ميمون بن مهران: يلتقى فيه الظالم والمظلوم. وعن ابن عباس: يلتقى فيه آدم وآخر ولد من أولاده.

وقوله: ﴿يوم هم بارزون﴾ أى: بادون ظاهرون لا يتسترون بشىء من جبل وغيره.

قوله تعالى: ﴿لا يخفى على الله منهم شىء﴾ أى: من أعمالهم.

وقوله: ﴿لمن الملك اليوم﴾ قال ابن عباس: يقول الله تعالى هذا حين تفنى الخلائق، ولا يكون أحد يجيبه، فيجيب نفسه [بنفسه](١) ويقول: لله الواحد القهار. وعلى هذا عامة المفسرين. وقد ثبت برواية ابن عمر وغيره أن النبى ﷺ قال: «يقبض الله السموات والأرض بيمينه، ثم يهزهن ويقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض»(٢)؟

وفى الآية قول آخر: وهو أن الله تعالى يبعث الخلائق ويحشرهم، ثم يقول لهم: لمن الملك اليوم؟ فيجيبون: لله [الواحد](١) القهار.

وقيل: إنهم لا يقدرون على الجواب هيبة، فيجيب الله تعالى نفسه. والقول الأول

(١) من «ك».

(٢) متفق عليه، وقد تقدم فى تفسير سورة الزمر.

الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ

هو المشهور.

قوله تعالى: ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ أى: المحسن بإحسانه، والمسىء بإساءته.

قوله: ﴿لا ظلم اليوم﴾ أى: أنه تعالى يفعل ما يفعل بالعدل لا بالظلم.

وقوله: ﴿إن الله سريع الحساب﴾ فى التفسير: أن الله تعالى يحاسبهم فى مقدار نصف يوم من أيام الدنيا. وعن الضحاك: ما بين صلاتين. وقيل: بقدر شربة ماء.

وقد ثبت أن النبى ﷺ [قال][1]: «أول ما يقضى الله تعالى بين الخلق فى الدماء»[2].

وفى بعض الآثار: أن الله تعالى يقول يوم القيامة: «أنا الملك الديان، لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وعليه مظلمة لأحد إلا وأقتصه منه»[3].

قوله تعالى: ﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾ أى: يوم القيامة. وسميت آزفة لقربها، كأنها قريبة عند الله تعالى، وإن كان الناس يستبعدونها. وقيل: هى قريبة لأنها كائنة لا محالة، وكل كائن قريب.

وقوله: ﴿إذ القلوب لدى الحناجر﴾ وعن عكرمة أنه قال: تضيق للناس أرض القيامة، حتى لا يكون لأحد إلا موضع قدمه، ثم تضيق لهم أيضًا حتى يوضع القدم على القدم، ثم يبكون حتى تنفد دموعهم، ثم يبكون الدم حتى ينفد، ثم تشخص قلوبهم إلى حناجرهم، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى

(١) زيادة ليست فى «الأصل ولا ك».

(٢) تقدم تخريجه فى تفسير سورة الزمر.

(٣) رواه البخارى فى الأدب المفرد (٢٨٦-٢٨٧)، وأحمد (٣/ ٤٩٥)، والحاكم (٢/ ٤٣٧-٤٣٨) وصححه، والخرائطى فى مساوئ الأخلاق (٢٢٢ رقم ٦٣٤)، والطبرانى فى الكبير (١٣/ ١٣٢ - ١٣٣/ رقم٣٣١)، وفى مسند الشاميين (١/ ١٠٤-١٠٥رقم١٥٦)، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٩٩-١٠٠)، وتمام الرازى فى فوائده (١/ ٣٦٤-٣٦٥ رقم ٩٢٨) عن عبد الله بن أنيس مرفوعا به.

كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ

الحناجر [كاظمين] (١) ﴾ قال قتادة: ترتفع القلوب من الصدور إلى الحلوق، وتلتصق بها من الخوف والفزع، فلا هى ترجع إلى أماكنها، ولا هى تخرج.

وقوله: ﴿ كاظمين ﴾ الكاظم هو الممسك على قلبه بما فيه. وقيل: مغمومين مكروبين. ويقال: باكين. ومن هذا كظم الغيظ إذا أمسكه (وصبر) (٢) عليه.

وقوله: ﴿ وما للظالمين من حميم ولا شفيع ﴾ الحميم: القريب. والشفيع: الذى يدعو فيجاب. وعن الحسن البصرى أنه قال: استكثروا من أصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعة عند الله تعالى.

وقوله: ﴿ يطاع ﴾ أى: يجاب.

وقوله: ﴿ يعلم خائنة الأعين ﴾ أى: خيانة الأعين. وخيانة الأعين مسارعة النظر إلى ما لا يحل.

قال ابن عباس: هو الرجل يكون بين الرجال، فتمر بهم امرأة فينظر إليها، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره. قال السدى: خائنة الأعين هو الرص (٣) بالعين.

وقوله: ﴿ وما تخفى الصدور ﴾ هو شهوة القلب، وقيل: هو أنه لو قدر عليها هل يزنى أو لا؟

وعن السدى قال: هو وسوسة القلب. وعن بعضهم قال (خيانة العين) (٤) أن يقول: رأيت ولم ير، وخيانة القلب هو أن يقول: علمت ولم يعلم.

وقوله: ﴿ والله يقضى بالحق ﴾ أى: بالعدل.

وقوله: ﴿ والذين يدعون من دونه ﴾ أى: الأصنام وما أشبهها.

---

(١) من «ك».

(٢) فى «ك»: صار.

(٣) فى «ك»: البص.

(٤) فى «الأصل، وك»: فى خيانة العين، والأليق ما أثبتناه.

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا

وقوله: ﴿لا يقضون بشيء﴾ أى: لا يحكمون بشيء؛ لأنه ليس بأيديهم شيء.

وقوله: ﴿إن الله هو السميع البصير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً فى الأرض﴾ الآثار فى الأرض: هو الأبنية والمساكن وسائر العمارات.

وقوله: ﴿فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾ أى: لم يكن لهم من يمنعهم من الله.

وقوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ أى: بالدلالات والمعجزات.

وقوله: ﴿فكفروا فأخذهم الله إنه قوى شديد العقاب﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين﴾ أى: بالمعجزات البينة والحجة الظاهرة.

وقوله: ﴿إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب﴾ أى: كثير الكذب. وعن الضحاك قال: لم يكن هامان من بنى إسرائيل، ولا من القبط، وكان من غير الفريقين. وقد طعن بعضهم فقال: إن هامان رجل معروف (بين)[1] الفرس، ولم يكن صاحب فرعون. وليس هذا بشيء؛ لأنه يجوز أن يكون فى الفرس رجل يسمى هامان، وكان

---

(١) فى «ك»: من.

اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي

صاحب فرعون هو هامان، فكل ما فى القرآن حق وصدق .

قوله تعالى : ﴿ فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه ﴾ فى القصة : أن فرعون كان رفع القتل عن أولاد بنى إسرائيل؛ فلما جاء موسى إليه رسولا أعاد القتل عليهم .

وقوله : ﴿ واستحيوا نساءهم ﴾ قد بينا .

وقوله : ﴿ وما كيد الكافرين إلا فى ضلال ﴾ أى : فى هلاك، وإنما جعل كيدهم هلاكًا؛ لأنه يؤدى إلى هلاكهم .

قوله تعالى : ﴿ وقال فرعون ذرونى أقتل موسى ﴾ فإن قال قائل : وَمَنْ الذى كان يمنع فرعون من قتل موسى حتى يقول ذرونى أقتل موسى؟ والجواب من وجهين : أحدهما أن معناه : ذرونى أقتل موسى أى : أشيروا علىَّ بقتل موسى، كأنه طلب المشورة منهم أيقتله أو لا يقتله؟

والثانى : كان فى جملة قومه من يحذره من قتل موسى خوفًا من هلاك فرعون، فقال على هذا : ذرونى، لا تمنعونى واتركونى أقتله .

وقوله : ﴿ وليدع ربه ﴾ أى : وليدع ربه لينصره . قال هذا على طريق الاستبعاد .

وقوله : ﴿ إنى أخاف أن يبدل دينكم ﴾ أى : يبدل دينكم الذى أنتم عليه بغيره .

وقوله : ﴿ أو أن يظهر فى الأرض الفساد ﴾ هذا بأربعة وجوه[1] « أن يُظْهِرا »، و« أن يُظْهِر » بغير ألف، « أو أن يَظْهَرا » مع الألف ونصب الياء، « وأن يَظْهَر » بغير الألف ونصب الياء، ومعنى يُظهِر أى : يُظهِر موسى الفساد، ومعنى يَظهَر بفتح الياء أى : يَظهَر الفساد كأنه جعل الفعل للفساد بعينه . وقال بعضهم : معنى الفساد هاهنا : أن

---

(١) النشر (٢ / ٣٦٥) .

﴿الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم﴾

موسى إذا ظهر يقتل أبناءكم، ويستحى نساءكم كما فعلتم أنتم بهم، فهو إظهار موسى الفساد فى الأرض.

قوله تعالى ﴿وقال موسى إنى عذت بربى وربكم﴾ قال أهل التفسير: لما سمع موسى كلام فرعون استعاذ بالله والتجأ إليه، وقال: إنى عذت بربى وربكم.

وقوله: ﴿من كل متكبر﴾ أى: من كل متعظم ﴿لا يؤمن بيوم الحساب﴾ ويوم الحساب: يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾ قال الكلبى: هو كان من ولى العهد لفرعون، وكان يكون له من بعده، ويقال: كان ابن عم فرعون. وعن بعضهم: كان من بنى إسرائيل، وعلى هذا القول فى الآية تقديم وتأخير، فمعناه: وقال رجل يكتم إيمانه من آل فرعون. وأما اسمه قال بعضهم: اسمه حزبيل، وفى معانى الزجاج: أن اسمه سمعان، وقيل: حبيب. وفى التفسير: أنه لم يؤمن من القبط إلا ثلاثة نفر: امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، والذى جاء فقال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك.

وقوله: ﴿أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله﴾ أى: لأن قال ربى الله.

وقوله: ﴿وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾ أى: بالدلالات الواضحات.

وقوله: ﴿وإن يك كاذبًا فعليه كذبه﴾ أى: وبال كذبه.

وقوله: ﴿وإن يك صادقًا يصبكم بعض الذى يعدكم﴾ هذه آية مشكلة؛ لأنه قال: ﴿بعض الذى يعدكم﴾ وكل ما وعده الرسل وموسى حق. والجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: أن معنى قوله: ﴿يصبكم بعض الذى يعدكم﴾ أى: كل الذى يعدكم،

بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا

فيكون البعض بمعنى الكل، قاله أبو عبيدة، وأنشد:

أو يرتبطْ بعضَ النفوسِ حِمَامُها

أى: كل النفوس

وأنشد غيره:

قد يدرك المتــأنى بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزَّلَلُ

وقوله: بعض حاجته أى: كل حاجته.

والوجه الثانى: أنه قال: ﴿بعض الذى يعدكم﴾ على طريق الاستظهار، كأنه قال: أقل ما فى تكذيبكم إن كان صادقاً أن يصبكم بعض الذى يعدكم. وفى ذلك البعض هلاككم. وزعم أهل النحو أن هذا أحسن من الأول؛ لأن البعض بمعنى الكل لا يعرف فى اللغة.

والوجه الثالث: أن قوله: ﴿يصبكم بعض الذى يعدكم﴾ أى: عذاب الدنيا، وقد كان وعدهم عذاب الدنيا والآخرة.

والوجه الرابع: أن قوله: ﴿يصبكم بعض الذى يعدكم﴾ أى: من العقاب، وقد كان وعد العقاب إن أنكروا، والثواب إن صدقوا، والعقاب بعض الوعيد.

وقوله: ﴿إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب﴾ أى: مشرك كذاب.

قوله تعالى: ﴿يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض﴾ أى: عالين غالبين.

وقوله: ﴿فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا﴾ أى: من يمنع منا عذاب الله إن جاءنا.

وقوله: ﴿قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى﴾ يعنى: ما أرشدكم إلا إلى ما أنا عليه،

أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ

وما رأيت لكم من الحق.

وقوله: ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ أى: طريق الرشد والهدى. وعن معاذ بن جبل أنه قرأ: «إلا سبيل الرشَّاد» بتشديد الشين أى: سبيل الله، والرشَّاد هو الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وقال الذى آمن يا قوم إنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب﴾ الأحزاب: الأمم الخالية مثل: قوم نوح، وعاد، وثمود، ومعنى يوم الأحزاب أى: يوم عذابهم.

وقوله: ﴿مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود﴾ الدأب فى اللغة بمعنى العادة، ومعنى قوله: ﴿مثل دأب قوم نوح﴾ أى: مثل حال قوم نوح وعاد وثمود. ويقال: كذب هؤلاء وتعودوا التكذيب مثل عادة أولئك فى التكذيب.

وقوله ﴿وما الله يريد ظلما للعباد﴾ معناه: أنه لا يعذب أحداً حتى يقيم الحجة عليه.

قوله تعالى: ﴿ويا قوم إنى أخاف عليكم يوم التناد﴾ يعنى: يوم التنادى. وفى معنى التنادى وجوه: أحدها: أنه تنادى كل أمة بكتابها وإمامها، قاله قتادة.

والثانى أن معناه: تنادى أهل الجنة أهل النار، وأهل النار أهل الجنة، وذلك مذكور فى سورة الأعراف، وهو قوله تعالى: ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا﴾ الآية[1]، وقوله: ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة...﴾[2] الآية.

---

(١) الأعراف: ٤٤.

(٢) الأعراف: ٥٠.

يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن

والثالث: أن معنى الآية مناداتهم بالويل والثبور ودعاؤهم على أنفسهم: واهلاكاه، واويلاه، وغير ذلك. وقرئ في الشاذ: «يوم التنادّ» بتشديد الدال، من نَدَّ يَندُّ إذا هرب، وحكى هذه القراءة عن الضحاك، وهو معنى قوله تعالى: ﴿أين المفر﴾(١) وعن بعضهم: يظهر عنق من النار فيفر الناس، فيحيط بهم ذلك العنق، حينئذ يعلمون أن لا مفر لهم.

وقوله: ﴿يوم تولون مدبرين﴾ في الحديث أن للناس جولة يوم القيامة، فيتبعهم الملائكة ويردونهم. وقيل: إنهم إذا سمعوا زفير النار فروا، فهو معنى قوله تعالى: ﴿يوم تولون مدبرين﴾ وفي الآية قول آخر: أن معنى قوله: ﴿يوم تولون مدبرين﴾ هو انطلاقهم إلى النار بسوق الملائكة.

وقوله: ﴿ما لكم من الله من عاصم﴾ أي: مانع، وقيل: ناصر.

وقوله: ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات﴾ هو يوسف بن يعقوب نبي الله. وعن بعضهم: أن الله تعالى أرسل إليهم - يعني: إلى القبط - نبيا من الجن يسمى يوسف، وهذا قول ضعيف، والصحيح هو الأول؛ لأنه أطلق ذكر يوسف، فينصرف إلى يوسف المعروف مثل إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم. وفي القصة: أن الله تعالى بعث يوسف بن يعقوب إليهم رسولا فدعاهم إلى الله تعالى، ومكث فيهم عشرين سنة بعد وفاة يعقوب عليه السلام.

وقوله: ﴿بالبينات﴾ أي: بالدلالات الواضحات.

وقوله: ﴿فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا﴾ وقرأ أُبي وابن مسعود: «ألن يبعث الله من بعده رسولا» بزيادة الألف.

---

(١) القيامة: ١٠.

يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي

وقوله: ﴿كذلك يضل الله من هومسرف مرتاب﴾ أى: مسرف على نفسه بالكفر والظلم، والمرتاب هو الشاك.

قوله تعالى: ﴿الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم﴾ فمعنى المجادلة هو المجادلة بالتكذيب، ومعنى السلطان هو الحجة.

وقوله: ﴿كبر مقتا﴾ أى: كبر جدالهم مقتًا، وفى التفسير: أنه يمقتهم الله تعالى، ويمقتهم الملائكة والأنبياء، ويمقتهم المؤمنون، وهو معنى قوله: ﴿عند الله وعند الذين آمنوا﴾.

وقوله: ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ فالقراءة الأولى على الإضافة، والطبع على القلب هو الختم عليه حتى لا يدخله الحق.

وأما القراءة الثانية فهى على وصف القلب بالتكبر، يقال: قلب متكبر أى: صاحبه متكبر، وقرأ ابن مسعود: «على قلب كل متكبر جبار».

قوله تعالى: ﴿وقال فرعون يا هامان﴾ قال الحسن البصرى: كان هامان صاحب شرط فرعون، فكان من همدان، أورده أبو الحسن بن فارس فى تفسيره.

وقوله: ﴿ابن لى صرحًا﴾ أى: قصرًا عاليًا، ويقال: إن أول من طبخ اللبن حتى صار آجرًا هو هامان، فعله لفرعون. وفى تفسير النقاش: أن هامان استعمل خمسين ألف إنسان فى البناء سوى من يطبخ الآجر، ومن يعمل فى الخشب وغيره.

ويقال: إنه عمل فى بناء الصرح سبع سنين، وكان فرعون يصعد عليه راكبًا، ثم إن الله تعالى بعث ريحًا عاصفًا فجعله ثلاث قطع، فألقى قطعة فى البحر، وقطعة بالهند، وقطعة ببلاد المغرب.

(١) فى «الأصل، وك»: فقراءة، والمثبت: نسب للسياق.

أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا

وقوله: ﴿لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات﴾ والأسباب هى الأبواب هاهنا. ويقال معناه: الأسباب التى تؤدينى إلى السماء، وتبلغنى إليها. فإن قيل: كيف يتصور هذا فى عقل عاقل أن يقصد صعود السماء، وذلك مستحيل بهذه الحيلة؟

والجواب: أن الجهل فى العالم كثير، وليس هذا بأبدع من ادعائه الربوبية، وهو يعرف حال نفسه ويشاهدها.

وقوله: ﴿فأطلع إلى إله موسى﴾ أى: أنظر إلى إله موسى.

وقوله: ﴿وإنى لأظنه كاذبًا﴾ فى دعواه أن له إلهًا.

وقوله: ﴿وكذلك زين لفرعون سوء عمله﴾ أى: قبيح عمله.

وقوله: ﴿وَصُدَّ عن السبيل﴾ وقرئ: «وصَدَّ» بنصب الصاد، فقوله بالرفع أى: صُدَّ فرعونُ عن السبيل. وبالنصب أى: وصَدَّ فرعونُ الناسَ عن سبيل الله.

وقوله: ﴿وما كيد فرعون إلا فى تباب﴾ أى: وما حيلة فرعون ومكره إلا فى هلاك وخسران، وقال ذلك لأنه أدى إليه.

قوله تعالى: ﴿وقال الذى آمن يا قوم اتبعونى أهدكم سبيل الرشاد﴾ أى: سبيل الرشد.

وقوله: ﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع﴾ أى: سريع فناؤه، والتمتع به قليل.

وقوله: ﴿وإن الآخرة هى دار القرار﴾ أى: المستقر.

قوله تعالى: ﴿من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾ أى: بغير انقطاع،

مّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾

ويقال: بغير حساب أى: لا يحسب عليهم قدر مكثهم فى الجنة واستمتاعهم، فيقول: مكثهم كذا، وأكلهم كذا، وفعلهم كذا. وقيل: بغير حساب أى: يزيد فى مدة بقائهم فى الجنة على مدة أعمالهم إلى ما لا يتناهى من المدة.

قوله تعالى: ﴿ويا قوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار﴾ العزيز هو المنتقم من أعدائه، والغفار هو الساتر لذنوب عباده.

قوله تعالى: ﴿لا جرم﴾ قد بينا معناه فيما سبق، وعن المفضل الضبى الكوفى أنه قال: لا جرم أى: لابد.

وقوله: ﴿أنما تدعوننى إليه ليس له دعوة﴾ أى: استجابة دعوة فى الدنيا. ويقال: إيصال نفع فى الدنيا ولا فى الآخرة. ويقال: جواب قوله: ﴿فى الدنيا ولا فى الآخرة﴾.

وقوله: ﴿وأن مردنا إلى الله﴾ أى: مرجعنا إلى الله.

وقوله: ﴿وأن المسرفين هم أصحاب النار﴾ أى: المشركين.

قوله تعالى: ﴿فستذكرون ما أقول لكم﴾ يعنى: حين تعاينون العذاب.

وقوله: ﴿وأفوض أمرى إلى الله﴾ أى: أسلم أمرى إلى الله، وقال يحيى بن سلام: أى: أتوكل على الله.

وقوله: ﴿إن الله بصير بالعباد﴾ ظاهر المعنى.

﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۝٤٥ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا

قوله تعالى: ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾ اختلف القول فى نجاته، منهم من قال: نجا حين نجا موسى وبنو إسرائيل، وذلك عند مجاوزة البحر. وفى القصة: أنه كان قدام موسى حين توجهوا إلى البحر، فقال: إلى أين يا نبى الله؟

قال : أمامك.

فقال: إنما أمامى البحر.

فقال: والله ما كذبتُ وما كذبتَ.

والقول الثانى: أن مؤمن آل فرعون لما قال هذه الأقوال، ونصح هذه النصيحة طلبه فرعون ليقتله فهرب، فبعث فى طلبه جماعة، فوجدوه فى جبل يصلى وحواليه السباع يحرسونه ففزعوا ورجعوا.

وقوله: ﴿وحاق بآل فرعون﴾ أى: نزل بآل فرعون، ﴿سوء العذاب﴾أى: العذاب السىء.

قوله تعالى: ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا﴾ أكثر المفسرين أن هذا فى القبر. ومن المعروف عن ابن مسعود أنه قال: أرواح آل فرعون فى حواصل طير سود يردون النار غدوا وعشيا. وقد ثبت برواية مالك، عن نافع، عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى، إن كان من أهل الجنة فالجنة، وإن كان من أهل النار النار، ويقال: هذا مقعدك يوم القيامة»(١). قال رضى الله عنه: أخبرنا بذلك المكى بن عبد الرزاق الكشميهنى، أخبرنا أبو الهيثم جدى، أخبرنا الفربرى، أخبرنا البخارى، أخبرنا إسماعيل بن أبى أويس، عن مالك... الحديث.

وفى الآية قول آخر: وهو أنه العرض على النار يوم القيامة.

---

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٣/ ٢٨٦ رقم ١٣٧٩، وطرفاه: ٣٢٤٠، ٦٥١٥)، ومسلم (١٧/ ٢٩٢ - ٢٩٣ رقم ٢٨٦٦).

غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ

قال الفراء: وفى الآية تقديم وتأخير، وكأنه قال: ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، النار يعرضون عليها غدوا وعشيا، وهذا قول فاسد، والصحيح هو الأول.

وقوله: ﴿ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ قرئ: «ادْخُلُوا آل فرعون أشد العذاب» على الأمر لآل فرعون بالدخول.

وقرى: ﴿أَدْخِلُوا آل فرعون أشد العذاب﴾ على الأمر لخزنة النار.

والدليل على أن الصحيح هو القول الأول أنه قال: ﴿يعرضون عليها غدوا وعشيا﴾ إذا كان يوم القيامة، فهو الإدخال حقيقة لا العرض، وإنما العرض فى القبر على ما ورد فى الحديث. وفى بعض التفاسير: أن الكافر يحيا فى القبر كل غدوة وعشية حتى ينظر إلى مقعده من النار، ثم يميته الله تعالى ثانيا، فيكون نظره إلى مقعده من النار أشد عليه من موته، وهو قول شاذ.

وأما آل فرعون فهو فرعون وقومه، وقيل: فرعون نفسه.

قال الشاعر:

فلا تبك ميتاً[1] بعد ميتٍ أحبة … على وعباس وآل أبى بكر

معناه: وأبى بكر نفسه. وروى عن عبد الله بن أبى أوفى أنه قال: أتيت رسول الله ﷺ بصدقة بعثها أبى إليه، فقال: «اللهم صل على آل أبى أوفى»[2]. أى: أبى أوفى نفسه.

قوله تعالى: ﴿وإذ يتحاجون فى النار﴾ أى: يتخاصمون فى النار.

وقوله: ﴿فيقول الضعفاء للذين استكبروا﴾ أى: الأتباع قالوا للقادة.

---

(١) فى «ك»: عينا.

(٢) تقدم فى تفسير سورة التوبة.

﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾

وقوله: ﴿إنا كنا لكم تبعا﴾ أى: أتباعًا.

وقوله: ﴿فهل أنتم مغنون عنا نصيبًا من النار﴾ أى: هل تتحملون عنا بعض عذاب النار؟

قوله تعالى: ﴿قال الذين استكبروا إنا كل فيها﴾ أى: القادة والأتباع جميعًا.

وقوله: ﴿إن الله قد حكم بين العباد﴾ أى: فصل بين العباد فأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين فى النار لخزنة جهنم﴾ فى القصة: أنهم يقولون ذلك بعد أن دعوا الله تعالى ألف عام، ولم يروا إجابة.

وقوله: ﴿ادعوا ربكم يخفف عنا يومًا من العذاب﴾ أى: يومًا واحداً من أيام الدنيا.

قوله تعالى: ﴿قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال﴾ أى: فى هلاك وبطلان، ومعناه: أن دعاءهم غير مستجاب.

قوله تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا﴾ قال أبو العالية: بإيضاح الحجة. وقال غيره: بالانتقام من أعدائهم. وعن السدى قال: الأنبياء قد تولى الله نصرتهم، وإن قتلوا فى الدنيا، فإن الله يبعث من بعدهم من ينتقم لهم من أعدائهم.

وقوله: ﴿والذين آمنوا فى الحياة الدنيا﴾ أى: وينصر الذين آمنوا فى الحياة الدنيا.

وقوله: ﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾ يعنى: يوم القيامة.

والأشهاد جمع شاهد، كالأصحاب جمع صاحب. ويقال: شهيد وأشهاد مثل:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي

شريف وأشراف.

قوله تعالى: ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾ أى: اعتذارهم؛ لأنه لا عذر لهم ﴿ولهم اللعنة﴾ أى: عليهم اللعنة ﴿ولهم سوء الدار﴾ أى: الدار السيئة، وهى النار.

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾ أى: النبوة.

وقوله: ﴿وأورثنا بنى إسرائيل الكتاب﴾ أى: التوراة.

وقوله: ﴿هدى وذكرى لأولى الألباب﴾ ظاهر المعنى.

قوله: تعالى: ﴿فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك﴾ تمسك من جوَّزَ الصغائر على الأنبياء بهذه الآية، فأمرهم بالاستغفار عن الصغائر. ومن لم يجوز الصغائر على الأنبياء [قال](١): إنه أمر بالاستغفار تعبداً؛ لينال بذلك رضا الله تعالى، ويقتدى به من يأتى بعده.

وقوله: ﴿وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار﴾ أى: صل شاكرًا لربك بالعشى والإبكار، والعشى من وقت زوال الشمس إلى الغروب، والإبكار ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

قوله تعالى: ﴿إن الذين يجادلون فى آيات الله﴾ أى: فى دفع آيات الله بالتكذيب.

وقوله: ﴿بغير سلطان أتاهم﴾ أى: أتاهم بغير حجة.

(٢) فى «الأصل»: قيل.

آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

وقوله: ﴿إن فى صدورهم إلا كبر﴾ أى: ما فى صدورهم إلا كبر. والكبر الذى فى صدورهم هو الاستكبار عن الإقرار بالتوحيد. ويقال: طلب الغلبة والعلو على محمد ﷺ.

وقوله: ﴿ما هم ببالغيه﴾ أى: ما هم ببالغى إرادتهم، وكان مرادهم أن يهلك محمد ويهلك أصحابه، ويندرس أثره ويصيروا حكاية. ويقال: كان مرادهم أن يغلبوا محمداً ويعلوا أمرهم أمره. وفى الآية قول ثالث، قاله ابن جريج وغيره.

(وهذا أن)[1] الآية نزلت فى اليهود فكانوا يقولون: يخرج منا فى آخر الزمان من يغلب على جميع الأرض، ويكون البحر إلى ركبتيه، والسحاب على رأسه، ويقتل ويُحْيى، ومعه جبل من جنة، وجبل من نار. قالوا: - يعنى أهل العلم - وهو الدجال الذى ذكر الرسول ﷺ، فلما قالوا هذا أنزل الله تعالى هذه الآية.

ومعنى قوله: ﴿ما هم ببالغيه﴾ على هذا القول أن الغلبة لا تكون للدجال على المسلمين، بل تكون للمسلمين على الدجال، فإن عيسى - عليه السلام - ينزل ويقتل الدجال نصرة للمسلمين.

وقوله: ﴿فاستعذ بالله﴾ أى: من شرك الدجال على هذا القول.

وقوله: ﴿إنه هو السميع البصير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾ أى: رفع السموات بغير عمد، وإجراء الكواكب والشمس والقمر فى مجاريها، وبسط الأرض، ونصب الجبال أهول فى قلوب الناس من خلق الآدميين. ويقال: لخلق السموات والأرض أكبر من قتل الدجال واحداً وإحيائه، فالناس هاهنا: هو الدجال على هذا القول.

وقوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أى: لا يعلمون حقيقة الأمور.

---

(١) كذا، ولعله: «وهو أن».

لا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي

قوله تعالى: ﴿وما يستوى الأعمى والبصير﴾ إلى قوله: ﴿قليلا ما تتذكرون﴾ بالتاء، وقرئ بالياء، والمعنى قريب بعضه من بعض.

قوله تعالى: ﴿إن الساعة لآتية لا ريب فيها﴾ أى: لا شك فيها.

وقوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ أى: لا يصدقون.

قوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعونى أستجب لكم﴾ قد ثبت برواية نعمان بن بشير أن النبى ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة. وقرأ هذه الآية»[١].

وعن ثابت قال: قلت لأنس: الدعاء نصف العبادة، قال: هو كل العبادة.

وقوله: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتى﴾ أى: عن دعائى، ويقال: عن توحيدى.

وقوله: ﴿سيدخلون جهنم داخرين﴾ أى: صاغرين.

وعن كعب الأحبار قال: أعطيت هذه الأمة (ثلاثًا)[٢] لم يُعْطَ أحد من الأمم: قال الله تعالى لكل نبى من الأنبياء السالفة: أنت شاهد على أمتك، وقال لهذه الأمة: أنتم شهداء على الأمم، وقال الله تعالى لكل نبى: ما عليك فى الدين من حرج، وقال لهذه الأمة: ﴿وما جعل عليكم فى الدين من حرج﴾[٣] وقال لكل نبى: ادع أستجب لك، وقال لهذه الأمة ﴿ادعونى أستجب لكم﴾.

---

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد (٢١٠)، وأبو داود (٢/٧٦-٧٧ رقم ١٤٧٩)، والترمذى (٥/٣٤٩ رقم ٣٢٤٧) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦/٤٥٠ رقم ١١٤٦٤)، وابن ماجه (٢/١٢٥٨ رقم ٣٨٢٨)، وأحمد (٤/٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦)، والطيالسى (١٠٨ رقم ٨٠١)، وابن أبى شيبة (١٠/٢٠٠)، وابن جرير (٢٤/٧٨)، وابن حبان (٣/١٧٢ رقم ٨٩٠)، والحاكم (١/٤٩٠ - ٤٩١) وصححه، وأبو نعيم فى الحلية (٨/١٢٠).

(٢) فى «ك»: ثلاثة.

(٣) الحج: ٧٨.

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ

قوله تعالى: ﴿ الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ﴾ أى: لتسترخوا[١] فيه من الأعمال، وقيل: لتناموا.

وقوله: ﴿ والنهار مبصراً ﴾ أى: مبصراً فيه، ومعناه: أن الناس يُبْصرون فيه الأشياء.

وقوله: ﴿ إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿ كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون ﴾ أى: يصرف عن الحق من كان مشركًا بالله جاحداً لآياته.

قوله تعالى: ﴿ الله الذى جعل لكم الأرض قراراً ﴾ أى: تستقرون فيها، ﴿ والسماء بناءً ﴾ أى: بناءة فوقكم.

وقوله: ﴿ وصوركم فأحسن صوركم ﴾ فى التفسير: أنه لا يأكل بيده [شىء][٢] سوى الآدميين، ولا صورة على هذه الصورة أحسن من الآدميين.

وقوله: ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ أى: مما تستلذوها مما هو حلال لكم.

وقوله: ﴿ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ﴾ ومعناه: تعالى وتعظم رب العالمين عما يقول الكفار.

---

(١) فى «ك»: لتستريحوا.

(٢) فى «الأصل، وك»: شيئا، وهو خطأ.

لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ

قوله تعالى: ﴿ هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين ﴾ والدعاء على الإخلاص ألا يدعوا معه سواه.

وقوله: ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ روى عن ابن سيرين أنه قال: من السنة أن يقول العبد لا إله إلا الله، ثم يقول عقيبه: الحمد لله رب العالمين.

قوله تعالى: ﴿ قل إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى ﴾ أى: الحجج الواضحة.

وقوله: ﴿ وأمرت أن أسلم لرب العالمين ﴾ أى: أستسلم وأنقاد لحكمه.

قوله تعالى: ﴿ هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ﴾ أى: أطفالا، واحداً بمعنى الجمع، ويقال: طفلا طفلا.

وقوله: ﴿ ثم لتبلغوا أشدكم ﴾ قد بينا معنى الأشد.

وقوله: ﴿ ثم لتكونوا شيوخًا ومنكم من يتوفى من قبل ﴾ أى: من قبل أن صار شيخًا.

وقوله: ﴿ ولتبلغوا أجلا مسمى ﴾ أى: ما قدر لكم من الحياة.

وقوله: ﴿ ولعلكم تعقلون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ هو الذى يحيى ويميت فإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ أى: تكوينه الأشياء يكون بمرة واحدة، لا بمرة بعد مرة.

﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ

وقوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يجادلون فى آيات الله﴾ أى: يجادلون فى دفع آياتنا بالتكذيب.

وقوله: ﴿أنى يصرفون﴾ أى: كيف يصرفون عن الحق.

قوله تعالى: ﴿الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون﴾ وعيد وتهديد.

قوله تعالى: ﴿إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسلُ﴾ وقرئ: «والسلاسلَ» بنصب اللام، فمن قرأ بالرفع، فمعناه: الأغلال فى أعناقهم والسلاسل، ومن قرأ بالنصب، فمعناه: ويسحبون السلاسل.

وقوله: ﴿يسحبون فى الحميم﴾ أى: يجرون فى الحميم.

وقوله: ﴿ثم فى النار يسجرون﴾ أى: يوقدون فى النار كما توقد التنانير بالخشب.

قوله تعالى: ﴿ثم قيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله قالوا ضلوا عنا﴾ يعنى: أين هم لينصروكم؟ فيقولون: قد فاتوا وذهبوا عنا.

• وقوله: ﴿بل لم نكن ندعو من قبل شيئا﴾ أى: لم نكن ندعو من قبل شيئاً يدفع عنَّا ضُرا، أو يجلب إلينا نفعًا.

وقوله: ﴿كذلك يضل الله الكافرين﴾ أى: عن الحق.

قوله تعالى: ﴿ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق﴾ هذا دليل على أنه

﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن

قد يكون فرح بحق.

وقوله: ﴿ وبما كنتم تمرحون ﴾ الفرح: السرور. والمرح: البطر والأشر. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى يبغض البذخين الفرحين المرحين، ويحب كل قلب حزين، ويبغض الحبر السمين، ويبغض أهل بيت اللحمين»[1] أى: الذين يكثرون أكل اللحم، ويقال: الذين يأكلون لحوم الناس بالغيبة. والخبر غريب.

وقوله: ﴿ فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ فاصبر إن وعد الله حق ﴾ إلى آخر الآية. ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ قال السدى: بعث الله تعالى ثمانية آلاف نبيا: أربعة آلاف من بنى إسرائيل، وأربعة آلاف من غير بنى إسرائيل. وفى بعض التفاسير: أن جميع من ذكرهم الله تعالى [فى][2] القرآن من الأنبياء خمسة وعشرون نبيا، أولهم آدم، وآخرهم محمد ﷺ، ذكر ثمانية عشر منهم فى سورة الأنعام، والباقين فى غيرها. وعن علي - رضى الله عنه - أن الله تعالى بعث نبيا حبشيا لم يذكر اسمه فى القرآن. وأما الذى فى أفواه الناس أن الله تعالى بعث مائة وأربعة وعشرين ألف نبى.

---

(١) ذكره القرطبى فى تفسيره (١٥ / ٣٣٣) عن خالد عن ثور عن معاذ مرفوعا به، وعزاه للماوردى فى تفسيره.
وللحديث شواهد: فعن أبى الدرداء مرفوعا: «إن الله يحب كل قلب حزين» رواه ابن أبى الدنيا فى الهم والحزن (رقم٢)، وابن عدى فى الكامل (٢ / ٣٩)، والطبرانى فى مسند الشاميين (٢ / ٣٥١ رقم ١٤٨٠)، والحاكم (٤ /٣١٥) وصححه، وتعقبه الذهبى بقوله: مع ضعف أبى بكر منقطع، وأبو نعيم فى الحلية (٦ / ٩٠)، والقضاعى فى مسند الشهاب (٢ / ١٤٩-١٥٠ رقم ١٠٧٥)، ورواه البزار بإسناد آخر عن أبى الدرداء (٢ /٤٦٨ رقم ٢٢٣٠ مختصر الزوائد)، وانظر السلسلة الضعيفة (٤٨٣)، وباقى شواهده فى المقاصد (٢٠٧ - ٢٠٨ رقم ٢٤٥).

(٢) فى الأصل: «من» وما أثبتناه من «ك».

يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

وهو مروى عن ابن عباس برواية ضعيفة.

وقوله: ﴿وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله﴾ هذا جواب للكفار، سألوا النبى ﷺ معجزة بعينه، وقالوا: افعل كذا وكذا، فرد الله عليهم ذلك بقوله: ﴿وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله﴾.

وقوله: ﴿فإذا جاء أمر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون﴾ أى: هلك عند ذلك المبطلون.

وقوله: ﴿أمر الله﴾ أراد به القيامة.

قوله تعالى: ﴿الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون﴾ قال أهل التفسير: الأنعام هى الإبل والبقر والغنم فى اللغة، إلا أنها الإبل خاصة فى هذه الآية.

وقوله: ﴿ولكم فيها منافع﴾ يعنى: سوى الركوب والأكل من الرسل والنسل والوبر وغير ذلك.

وقوله: ﴿ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم﴾ قال قتادة: الانتقال من بلد إلى بلد. قال مجاهد: أى حاجة كانت.

وقوله: ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ ظاهر المعنى، والفلك: السفينة.

قوله تعالى: ﴿ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون﴾ يعنى: مع ظهورها ووضوحها.

قوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً فى الأرض﴾ قال مجاهد: قوله: ﴿وآثاراً فى

كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ

الأرض ﴾ معناه : المشى فيها بأرجلهم . ويقال : الآثار فى الأرض هى العروش والزروع والأبنية .

وقوله :﴿ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ أى : لم يدفع عنهم كسبهم شيئًا حين ينزل العذاب بهم .

قوله تعالى : ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ﴾ فإن قيل : كيف يستقيم هذا، ولم يكن عندهم [علم](١) أصلا؟

قلنا : قد كان فى ظنهم أنهم علماء، فسمى ما عندهم علما على ظنهم، وكان الذى ظنوه أن لا بعث ولا جنة ولا نار ولا حياة بعد الموت .

والقول الثانى فى الآية : أن قوله :﴿ فرحوا ﴾ يرجع إلى الرسل، ومعنى الآية : فرح الرسل بما عندهم من العلم بهلاك أعدائهم .

ويقال : فرحوا بما عندهم من العلم أى : رضوا بما عندهم من العلم، ولم يطلبوا العلم الذى أنزله الله على الأنبياء وقنعوا بما عندهم، وهو كان جهلاً على الحقيقة .
وقوله : ﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ أى : نزل بهم وبال ما كانوا به يستهزئون .

قوله تعالى : ﴿ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده ﴾ قد ذكرنا معنى البأس .

وقوله : ﴿ وكفرنا بما كنا به مشركين ﴾ وهكذا جميع الكافرين، يؤمنون عند البأس، ولا ينفعهم ذلك .

---

(١) فى «ك» : علمًا، وهو خطأ .

﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

وقوله: ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ وقد استثنى منهم قوم يونس فى سورة يونس، وقد ذكرنا.

وقوله: ﴿سنة الله التى قد خلت فى عباده﴾ أى: مضت فى عباده، ومعنى السنة: هو إيمانهم وعدم النفع فى إيمانهم.

وقوله: ﴿وخسر هنالك الكافرون﴾ أى: هلك هنالك الكافرون.

فإن قيل: كيف قال ﴿هنالك﴾ وهذا يقتضى ألا يكونوا فى الحال خاسرين؟

والجواب : أن الزجاج قال: كل كافر خاسر، إلا أنه إذا رأى العذاب تبين له الخسران. فبهذا المعنى قال: ﴿هنالك﴾ والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ

تفسير سورة حم السجدة

وهى مكية

قوله سبحانه وتعالى: ﴿حم﴾ قد ذكرنا معناه.

وقوله: ﴿تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ منهم من قال: فى الآية تقديم وتأخير كأنه: تنزيل كتاب من الرحمن الرحيم فصلت آياته. وقال بعضهم: فى الآية مضمر محذوف، والمحذوف هو القرآن، وكأنه قال: تنزيل القرآن من الرحمن الرحيم. قال الزجاج: قوله: ﴿تنزيل﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿كتاب﴾ خبره.

وقوله: ﴿فصلت آياته﴾ قال مجاهد: فسرت، وقال الحسن البصرى: فصلت بالوعد والوعيد، والثواب والعقاب. ويقال: فصلت بالحلال والحرام.

وقوله: ﴿قرآنا عربيا﴾ أى: بلسان العرب.

وقوله: ﴿لقوم يعلمون﴾ أى: يتدبرون ما فيه عن علم.

قوله: ﴿بشيرا ونذيرا﴾ معناه: قرآنا بشيرا ونذيرا. فالقرآن بشير للمؤمنين، نذير للكافرين.

وقوله: ﴿فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون﴾ أى: لا يستمعون إلى القرآن.

وقوله تعالى: ﴿وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه﴾ أى: فى أغطية. قال مجاهد: كالجعبة للنبل.

وقوله: ﴿وفى آذاننا وقر﴾ أى: صمم.

وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ

وقوله: ﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ أى: حاجز. وقال بعضهم: (تفرق فى النحلة حاجز فى الطريقة)(١). وروى بعضهم: أن أبا جهل استغشى بثوب ثم قال: يا محمد، بيننا وبينك حجاب. استهزاء، ومعنى الآية: أنهم لما لم يستمعوا إلى القرآن استماع من يقبله كأن قلوبهم فى أغطية، وفى آذانهم وقر وصمم، وبينه وبينهم حجاب.

وقوله: ﴿فاعمل إننا عاملون﴾ معناه: [فاعمل](٢) بما [تعلم](٣) من دينك إننا عاملون بما نعلم من ديننا، قاله الفراء. وقال بعضهم: فاعمل فى هلاكنا فإنا نعمل فى هلاكك. وقال بعضهم: فاعمل لمعبودك فإنا نعمل لمعبودنا.

قوله: ﴿إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه﴾ أى: توجهوا إليه بالطاعة والعبادة.

وقوله: ﴿واستغفروه﴾ أى: من الشرك الذى أنتم عليه.

وقوله: ﴿وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة﴾ أى: لا يرون الزكاة واجبة عليهم كما يراه المسلمون. ويقال: معنى الإيتاء هو على ظاهره، والكافر يعاقب فى الآخرة بترك إيتاء الزكاة؛ لأنهم مخاطبون بالشرائع. ذكره جماعة من أهل العلم. وقال بعضهم: لا يؤتون الزكاة أى: لا يفعلون ما يصيرون به أزكياء. وقال بعضهم: لا يؤتون الزكاة أى: لا يقولون لا إله إلا الله، قاله ابن عباس فى رواية عطاء، فعلى هذا معناه: لا يطهرون أنفسهم من الشرك بقبول التوحيد. وعن قتادة قال: الزكاة فطرة الإسلام؛ فمن قبلها نجا، ومن ردها هلك. وأما القول الذى قلناه إنها الزكاة بعينها،

---

(١) كذا!.

(٢) من «ك»، وفى «الأصل»: فاعلم.

(٣) فى الأصل، وك»: تعمل، والمثبت يقتضيه السياق.

الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي

قاله الحسن البصرى وجماعة.

وقوله: ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾ أى: غير مقطوع، ويقال معناه: غير ممنون عليهم.

قوله تعالى: ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين﴾ قال ابن عباس: يوم الأحد ويوم الاثنين. فإن قال قائل: ما الحكمة فى خلقها فى يومين، وقد كان قادرا على خلقها فى ساعة وأقل من ذلك؟ قلنا: خلق فى يومين ليرشد خلقه إلى الإناة فى الأفعال؛ وليكون أبعد من توهم اتفاق أو فعل طبع، ولأنه لا سؤال عليه فى خلقه فكيفما شاء خلق.

وقوله: ﴿وتجعلون له أندادا﴾ أى: أشباها وأمثالا وشركاء. قال حسان بن ثابت:

أتهجوه ولست له بند ... فشركما لخيركما الفداء

قال أهل المعانى: قوله ﴿وتجعلون له أندادا﴾ أى: تطيعون غيره فى معاصيه. وقال بعضهم: من ذلك أن يقول الرجل: لولا كلبة فلان لدخل اللصوص دارى، ولولا إرشاد فلان لهلكت، وما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿ذلك رب العالمين﴾ أى: الذى فعل ذلك الفعل هو رب العالمين.

قوله تعالى: ﴿وجعل فيها رواسى﴾ أى: جبالا رواسى، وسماها رواسى لثبوتها. وفى القصة: أن الله تعالى لما خلق الأرض جعلت تميد ولا تستقر، فخلق الله الجبال عليها فاستقرت، فهو معنى قوله: ﴿وجعل فيها رواسى من فوقها﴾.

وقوله: ﴿وبارك فيها﴾ أى: أكثر فيها البركة. والبركة: المنافع، ومن بركاتها

أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ

الأشجار التى تنبت بغير غرس، والحبوب التى تنبت بغير بذر، وكل ما لم يعمله بنو آدم. وفى بعض الآثار: أن الله تعالى جمع فى (الخبز)[1] بركات السماء والأرض.

وقوله: ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ فى التفسير أن معناه: الحنطة لقوم، والشعير لقوم، والذرة لقوم، والتمر لقوم، والسمك لقوم، واللحم لقوم. ويقال: المصرى لمصر، والسابرى لسابر، والعربى للعرب، وكل طعام فى موضعه.

وقوله: ﴿فى أربعة أيام﴾ أى: (فى تمام أربعة أيام)[2]. فإن قال قائل: قد قال هاهنا خلق الأرض فى يومين فذكر أنه بدأ بخلق الأرض وقال فى موضع آخر: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ فكيف وجه الجمع بين الآيتين؟ والجواب: أن معنى قوله: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ أى: مع ذلك، وهذا ضعيف فى اللغة، والأصح أن معنى قوله: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ أى: بسطها، وكان الله تعالى خلق الأرض قبل السموات فى يومين، وخلق الأرزاق والأقوات فيها، وأجرى الأنهار، وأظهر الأشجار، وخلق البحار فى يومين آخرين، فذلك تمام أربعة أيام، ولم يكن بسط الأرض وجعلها بحيث يسكن فيها، فلما خلق السموات بسط الأرض وجعلها بحيث يسكنها الناس.

وقوله: ﴿سواء للسائلين﴾ أى: عدلا للسائلين، ومعناه: من سألك عن هذا فأجبه بهذا، فإنه الحق والعدل.

قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهى دخان﴾ أى: قصد إلى خلق السماء وهى دخان، وفى القصة أن الله تعالى خلق أول ما خلق ماء يضطرب، فأزبد الماء زبدا، وارتفع من الزبد دخان، فخلق الأرض من الزبد، وخلق السماء من الدخان.

وقوله: ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها﴾ قال بعضهم: معنى قوله:

---

(١) فى «ك»: الخيرات.

(٢) فى «ك»: فى أيام أربعة.

اثْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي

﴿ ائتيا ﴾ أى: كونا كما قدرتكما طوعا أو كرها، وعلى هذا يكون هذا القول قبل الخلق، والقول الثانى - هو قول الأكثرين - أن هذا القول من الله تعالى بعد أن خلقهما، فعلى هذا معنى قوله: ﴿ ائتيا طوعا أو كرها ﴾ أى: أعطيا الطاعة فيما خلقتكما له جبرا واختيارا.

وقوله: ﴿ قالتا أتينا طائعين ﴾ منهم من قال: هذا كله على طريق المجاز، وليس على طريق الحقيقة، وكأن الله تعالى لما أجرى أمرهما على مراده وتقديره جعل ذلك بمنزلة قول منه وإجابة منهما بالطواعية، والعرب قد تذكر القول فى مثل هذا الموضع، قال الشاعر:

امتلأ الحوضُ وقال قَطْنى   مهلا رويدا قد ملأتُ بطنى

وقال بعضهم: إن القول والإجابة على طريق الحقيقة، وركب فى السموات والأرض ما عقلا به خطابه وأجاباه بالطواعية، وهذا هو الأولى. وعن ابن السماك فى موعظة: سل الأرض: من غرس أشجارك؟ وأجرى أنهارك؟ وأخرج ثمارك؟ فإن لم تجبك اختيارا أجابتك اعتبارا. فإن قيل: كيف قال: ﴿ طائعين ﴾ وكان من حق اللغة أن يقول: طائعات؟ قلنا: إنما قال: ﴿ طائعين ﴾ لأنه لما جعلها بمنزلة من يعقل فى الخطاب معها وجوابها - ذكر الكلام على نعت العقلاء.

قوله تعالى: ﴿ فقضاهن سبع سموات ﴾ أى: خلقهن سبع سموات ﴿ فى يومين ﴾ وهو يوم الخميس و[يوم](1) الجمعة. وفى بعض الآثار: «أن الله تعالى خلق الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق الأقوات والأشجار يوم الأربعاء، وخلق السموات يوم الخميس، وخلق فيها البروج والكواكب والشمس والقمر يوم الجمعة، وخلق آدم فى آخر ساعة من يوم الجمعة على عجل»(2)، وقد حكيت اللفظة

---

(١) من «ك».

(٢) كذا أورده المصنف بمعناه كعادته فى كثير من الأحاديث، وهو حديث أبى هريرة مرفوعًا «إن الله خلق التربة يوم السبت... الحديث». رواه مسلم (١٧/١٩٤-١٩٥ رقم ٢٧٨٩)، والنسائى فى الكبرى (٦/٢٩٣ رقم ١١٠١٠ ورقم ١١٣٩٢)، وابن معين فى تاريخه (٣/٥٢ رقم ٢١٠)، وأحمد (٢/٣٢٧)، وابن خزيمة (٣/١١٧ رقم ١٧٣١)، وأبو يعلى (١٠/٥١٣ - ٥١٤ رقم ٦١٣٢)، والدولابى فى الكنى (١/١٧٥)، =

كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾

الأخيرة عن ابن عباس.

وقوله: ﴿ وأوحى فى كل سماء أمرها ﴾ أى: قدر فى كل سماء أمرها، ويقال: خلق فى كل سماء ما أراد أن يخلق فيها، وذلك من سكانها وغير ذلك.

وقوله: ﴿ وزينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ أى: بالكواكب.

وقوله: ﴿ وحفظا ﴾ أى: حفظنا السماء بالكواكب من الشيطان.

وقوله: ﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ ظاهر المعنى، ويذكر تفسير هذه الآية من وجه آخر على ما نقل فى التفاسير.

فقوله تعالى: ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين ﴾ هو يوم الأحد والاثنين، والاثنان هو العدد العدل؛ لأنه أكثر من الواحد الذى ليس دونه شيء، ولم يبلغ الثلاث الذى هو جمع. وقيل: هو خلق فى يومين، ليكون اعتبارا للملائكة فى النظر إلى خلقه أكثر، فيكون أدل على وحدانيته.

وقوله: ﴿ وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿ وجعل فيها رواسى من فوقها ﴾ روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال: خلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق السماء والأشجار والبحار والأنهار يوم الأربعاء.

وقوله: ﴿ وبارك فيها ﴾ أى: أكثر فيها الخير.

وقوله: ﴿ وقدر فيها أقواتها ﴾ فى التفسير: أنه جعل فى كل بلد ما ليس فى غيره، ليتعايش الناس ويتجروا فيها نقلا من بلد إلى بلد. ويقال: هو اليمانى باليمن،

= وابن حبان فى صحيحه (١٤ / ٣٠ رقم ٦١٦١)، وأبو الشيخ فى العظمة (٢٩٠ رقم ٨٧٧)، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٤٨٦-٤٨٨)، والخطيب فى تاريخه (٥ / ١٨٨-١٨٩)، وعلقه البخارى فى تاريخه (١ / ٤١٣) وقال: قال بعضهم عن أبى هريرة عن كعب، وهو الأصح. وانظر إعلال ابن المدينى للحديث فى الأسماء والصفات للبيهقى.

والقوهى بقوهستان، والسابرى بسابور، والقراطيس بمصر، والمروى بمرو، والبغدادى ببغداد، والهروى بهراة. وعن مجاهد قال: قوله: ﴿قدر فيها أقواتها﴾ هو المطر.

وقوله: ﴿فى أربعة أيام﴾ أى: فى تمام أربعة أيام، فإن قيل: قد ذكر يومين فى الآية الأولى، وأربعة فى هذه الآية، ويومين من بعد، فيكون قد خلق الله السموات والأرض فى ثمانية أيام؟ قلنا: لا، بل خلقها فى ستة أيام.

وقوله: ﴿فى أربعة أيام﴾ أى: فى تمام أربعة أيام مع اليومين الأولين، وهذا كالرجل يقول: ذهبت من البصرة إلى بغداد فى عشرة أيام، وذهبت من بغداد إلى الكوفة فى خمسة عشر يوما أى: فى تمام خمسة عشر يوما مع العدد الأول، هذا كلام العرب، ومن طعن فيه فلم يعرف كلام العرب.

وقوله: ﴿سواء للسائلين﴾ قد بينا أحد المعنيين، والمعنى الآخر: وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام للسائلين أى: المحتاجين إلى القوت.

وقوله: ﴿سواء﴾ ينصرف إلى الأيام أى: مستويات تامات. وقيل: (ذوات)[1] سواء. وقد قرئ بالخفض: «سواء للسائلين». ويقال: استوى سواء على القراءة الأولى.

قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهى دخان﴾ فى التفسير: أن الدخان كان من تنفس الماء، ويقال: إنه خلق سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات، وقد ذكرنا من قبل.

وقوله: ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها﴾ قال بعضهم: هو على طريق المجاز مثل: قول الشاعر:

وقالت له العينان سمعا وطاعة ... وحــــذرتا كــــالدر لمـــا تثقب

وتقول العرب: قال الحائط فمال

وقوله: ﴿ائتيا طوعا أو كرها﴾ أى: أجيبا طوعا وإلا ألجأتكما إلى الإجابة كرها،

---

(١) فى «ك»: ذات.

وإنما ذكروا هذا المعنى؛ لأن الأمر لا يرد إلا بالفعل طوعا. وذكر بعضهم: أن الله تعالى خلق فى السموات تمييزا وعقلا، فخاطبهما وأجابا على الحقيقة، وقد ذكرنا. وأورد بعضهم: أن الخطاب لمن فى السموات والأرض. وفى تفسير النقاش: أن الموضع الذى أجاب من الأرض هو الأردن، وفيه أيضا: أن الله تعالى خلق سبعة عشر نوعا من الأرض، هذا الذى تراه أصغر الكل، وأسكن تلك الأرضين قوما ليسوا بإنس ولا جن ولا ملائكة، والله أعلم.

وقوله: ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ ولم يقل: طائعتين، قالوا: لأن المراد هو السموات بمن فيها، والأرض بمن فيها. ويقال: لأن السموات سبع والأرضون سبع، وهذا مروى عن الحسن البصرى فى الأرض فقال: طائعين لأجل هذا العدد.

وقوله تعالى: ﴿فقضاهن سبع سموات فى يومين﴾ أى: خلقهن. وفى التفسير: أن الله تعالى خلق السموات يوم الخميس، وخلق الشمس والقمر والكواكب والملائكة وآدم يوم الجمعة، وسميت الجمعة جمعة؛ لأنه اجتمع فيها الخلق. وفى بعض التفاسير: أن الله تعالى خلق آدم فى آخر ساعة من ساعات الجمعة، وتركه أربعين سنة ينظر إليه ويثنى على نفسه، ويقول: ﴿تبارك الله رب العالمين﴾[1] وفى بعض التفاسير أيضا: أن الله تعالى لما خلق الأرض قال لها: أخرجى أشجارك وأنهارك وثمارك فأخرجت، ولما خلق الله السماء قال لها: أخرجى شمسك وقمرك ونجومك فأخرجت.

وقوله: ﴿وأوحى فى كل سماء أمرها﴾ أى: ما يصلحها، ويقال: جعل فيها سكانها من الملائكة.

وقوله: ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿وحفظا﴾ أى: وحفظناها حفظا من الشياطين بالشهب والنجوم.

وقوله: ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ أى: تقدير القوى على ما يريد خلقه، العليم بخلقه وما يصلحهم.

(١) الأعراف: ٥٤.

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لأَنزَلَ مَلائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿فإن أعرضوا﴾ أى: أعرضوا عن الإيمان بما أنزلت عليك.

وقوله: ﴿فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ الصاعقة نار تنزل من السماء إلى الأرض، وهى فى هذا الموضع كل عقوبة مهلكة.

وقوله: ﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم﴾ أى: إلى الآباء ﴿ومن خلفهم﴾ أى: الأبناء الذين كانوا خلف الآباء، ويجوز أن يرجع قوله: ﴿ومن خلفهم﴾ إلى خلف الرسل الأولين.

وقوله: ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾ ظاهر.

وقوله: ﴿قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون﴾ أى: جاحدون.

قوله تعالى ﴿فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة﴾ وفى القصة: أنه كان من قوتهم أن الرجل منهم كان يضرب رجله على الصخرة الصماء فتغوص فيها رجله إلى ركبته، ومن قوتهم أنهم سدوا الفج الذى كان يخرج منه الريح بصدورهم، حتى قويت الريح وأهلكتهم واحدا بعد واحد.

وقوله: ﴿أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون﴾ أى: ينكرون.

قوله تعالى ﴿فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا﴾ قال مجاهد: شديدة السموم. وقال قتادة: شديدة البرد من الصِّر – وهو البرد – ويمكن الجمع بين القولين؛ لأنه قيل: إنها كانت ريحا باردة تحرق كما يحرق السموم، ويقال: صرصرا أى: ذات صيحة، ومنه سمى نهر الصرصر، وهو نهر يأخذ من الفرات.

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا

وقوله: ﴿فى أيام نحسات﴾ وقرئ: «نَحْسَات» بجزم الحاء أى: مشئومات، وكانت هذه الأيام مشائيم عليهم؛ لأنهم عذبوا فيها.

وقوله: ﴿لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا﴾ أى: عذابا يخزيهم وينكل بهم.

وقوله: ﴿ولعذاب الآخرة أخزى﴾ أى: أشد إخزاءً ﴿وهم لاينصرون﴾ أى: لايمنعون من عذابنا.

قوله تعالى: ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ حكى عن على بن أبى طالب – رضى الله عنه – أنه قال: هديناهم أى: دَلَلْنَاهم على الهدى. وقال مجاهد: بينا لهم طريق الهدى. وقيل: طريق الخير والشر. وفى بعض التفاسير: هديناهم أى: دعوناهم.

وقوله: ﴿فاستحبوا العمى على الهدى﴾ أى: آثروا طريق الضلال على طريق الرشد.

وقوله: ﴿فأخذتهم صاعقة العذاب الهون﴾ فصاعقة العذاب: نار نزلت من السماء إلى الأرض فتصيب من يستحق العذاب.

وقوله: ﴿الهون﴾ أى: ذى الهون، والهون والهوان بمعنى واحد، وهو عذاب يهينهم ويهلكهم.

وقوله: ﴿بما كانوا يكسبون﴾ ظاهر المعنى.

وقوله تعالى: ﴿ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ أى: يتقون الشرك.

قوله تعالى: ﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون﴾ أى: يحتبس أولهم على آخرهم.

مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا

قوله تعالى: ﴿حتى إذا ماجاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾ أكثر المفسرين أن الجلود هاهنا هى الفروج، وفى بعض الأخبار: «أن الله تعالى يحشر العباد مقدمين بالفدام، فأول ماينطق من جوارح الإنسان فخذه وكفه»[١] وقيل: إن قوله: ﴿وجلودهم﴾ هى الجلود المعروفة. وفى الخبر المعروف برواية أنس «أن النبى ﷺ ضحك مرة، فسئل: ممَّ ضحكت؟ فقال: عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة فيقول: أى رب، أليس وعدتنى أن لا تظلمنى؟ فيقول: نعم. فيقول العبد: فإنى لا أجيز اليوم شاهداً علىَّ إلا منى، فحينئذ يختم الله على فمه وتنطق جوارحه بما فعله، فيقول العبد: بُعْدا لَكُنَّ وسحقًا، فعنكن كنت أناضل»[١].

قوله تعالى: ﴿وقالوا لجلودهم لما شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء﴾ أى: كل شىء ينطق.

وقوله تعالى: ﴿وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون﴾ أى: تردون.

قوله تعالى: ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولاجلودكم﴾ فى الأخبار المعروفة عن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال: كنت مستترًا تحت ستر الكعبة، فجاء قرشيان وثقفى، أو ثقفيان وقرشى، قليلٌ فقهُ قُلُوبِهِم، كثيرٌ شحمُ بطونهم، فقال بعضهم لبعض: أسمع الله مانقول؟ فقال أحدهم: يسمع إذا جهرنا، ولايسمع إذا أخفينا، فأنزل الله تعالى: ﴿وما كنتم تستترون﴾ أى: تستخفون.

وقوله: ﴿أن يشهد﴾ معناه: من أن يشهد عليكم سمعكم ولاأبصاركم ولاجلودكم.

---

(١) تقدم تخريجه.

جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾

وقوله: ﴿ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيراً مما تعملون﴾ هو قول من قال: إن الله يسمع إذا جهرنا، ولايسمع إذا أخفينا.

قوله تعالى: ﴿وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم﴾ هو ماقلناه.

وقوله: ﴿أرداكم﴾ أى: أهلككم. وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: «...أنا عند ظن عبدى، وأنا معه حين يذكرنى...»(١).

وفى بعض الأحاديث: «أن الله تعالى يأمر بعبد من عبيده إلى النار، فيقول: أى رب، ماكان هذا ظنى بك. فيقول: وما كان ظنك بى؟ فيقول العبد: كان ظنى أن تغفر لى وتدخلنى الجنة، فيغفر الله له»(٢).

وفى بعض التفاسير: أن العبد إذا ظن الخير فعل الخير، وإذا ظن الشر فعل الشر.

وقوله: ﴿فأصبحتم من الخاسرين﴾ أى: الهالكين.

قوله تعالى: ﴿فإن يصبروا فالنار مثوى لهم﴾ المثوى: المنزل.

وقوله: ﴿وإن يستعتبوا فماهم من المعتبين﴾ الاستعتاب طلب الإعتاب، والإعتاب أن يعود الإنسان إلى مايحبه بعد أن فعل مايكرهه. تقول العرب: أستعتب فلانا فأعتبنى، بمعنى ماقلنا.

وقوله: ﴿فماهم من المعتبين﴾ أى: لايرجع بهم إلى ماكانوا يحبون. وقيل: إن مايحبون هو أن يعيدهم إلى الدنيا فيعبدوا الله ويطيعوه.

وأما قوله: ﴿فإن يصبروا﴾ معناه: فإن يصبروا أو لا يصبروا. ومعناه: لاينفعهم

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه مسلم (٣/٦٥ رقم ١٩٢)، وأحمد (٣/٢٢١)، وابن أبى الدنيا فى حسن الظن (٨١ رقم ٧١)، وابن أبى عاصم (٢/٤١١ رقم ٨٥٣)، وابن حبان (٢/٤٠ رقم ٦٣٢) وأبو نعيم فى الحلية (٢/٣١٥، ٢/٢٥٣)، وابن منده فى الإيمان (٢/٨٣٠ رقم ٨٦٠) جميعهم عن أنس مرفوعا بنحوه. وفى الباب عن أبى هريرة.

وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا

صبر ولا جزع.

قوله تعالى: ﴿وقيضنا لهم﴾ أى: صيرنا لهم، ويقال: سبَّبْنا لهم.

وقوله: ﴿قرناء﴾ أى: الشياطين.

وقوله: ﴿فزينوا لهم﴾ أى: الشياطين زينوا لهم.

﴿مابين أيديهم﴾ أى: زينوا لهم أن لابعث ولاجنة ولانار.

وقوله: ﴿وماخلفهم﴾ أى: زينوا لهم لذات الدنيا، وزينوا لهم جمع المال وإمساكه وترك إنفاقه فى سبيل الخير.

وقوله: ﴿وحق عليهم القول﴾ أى: وجب عليهم القول ﴿فى أمم﴾ أى: مع أمم.

وقوله: ﴿قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾ أى: هالكين، فكل من هلك فقد خسر نفسه.

وقوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾ اللغو كل كلام لاوجه له ولامعنى تحته. وقيل: كل مالا يُعبأ به فهو لغو. ويقال: اللغو هاهنا هو الصفير والتصفيق اللذان كان يفعلهما المشركون عند سماع القرآن، وذلك المكاء والتصدية. وقد ذكرنا من قبل. وقرئ فى الشاذ: «والغُوا فيه» بضم الغين، وهو فى معنى الأول. وقيل معناه: استعلوا عند سماع القرآن باللغو، وهو الضجيج والصياح لكيلا تسمعوا.

وقوله: ﴿لعلكم تغلبون﴾ أى: تغلبون محمداً ﷺ.

قوله تعالى: ﴿فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديداً ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون﴾ أى: جزاء أعمالهم السيئة.

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا

قوله تعالى: ﴿ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد﴾ أى: دار الخلود.

قوله تعالى: ﴿جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ أى: ينكرون.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس﴾ قال أهل التفسير: الذى من الجن هو إبليس، والذى من الإنس قابيل الذى قتل هابيل، وهما أول من سن المعصية من الجن والإنس، وهذا هو القول المشهور، وهو محكى عن على - رضى الله عنه - ذكره الأزهرى بإسناده. وفى الآية قول آخر: وهو أن المراد كل داع إلى الضلالة من الجن والإنس. وفى بعض الآثار: أنه مامن أحد من الجن يعمل شرا إلا ويلعن إبليس عند موته، ومامن أحد من الإنس يعمل شرا إلا ويلعن ابن آدم عند موته، وهو قابيل. ويقال: يلعنهما كل عامل بالشر؛ لأنهما اللذان سنا الشر والمعاصى.

وقوله: ﴿نجعلهما تحت أقدامنا﴾ أى: نجعلهما تحت أقدامنا فى النار، وهو الدرك الأسفل. وقالوا ذلك حقداً عليهم وانتقاماً منهم.

وقوله: ﴿ليكونا من الأسفلين﴾ أى: أسفل منا فى النار وأشد منا فى العذاب.

وأما قوله: ﴿ربنا أرنا﴾ قيل معناه: أعطنا، وقيل معنى قوله: ﴿أرنا﴾ أى: دلنا عليهما، وهو الأولى. وعن السدى قال: ما من كافر يدخل النار إلا وهو يلعن إبليس؛ لأنه أول من سن الكفر، ومامن عاص يدخل النار إلا ويلعن قابيل؛ لأنه أول من سن المعصية.

قوله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ روى عن أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - أنه قال: استقاموا أى: لم يشركوا بالله شيئًا، وعن عمر - رضى الله عنه - قال: لم يروغوا روغان الثعالب. ومن المعروف أن الاستقامة [هى] طاعة الله، وأداء فرائضه، واتباع سنة نبيه محمد ﷺ.

اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ

روى ثابت عن أنس: «أن النبى ﷺ قرأ قوله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ ثم قال: قد قال قوم ولم يستقيموا عليه، فمن قال ومات عليه فقد استقام»[١].

وعن سفيان بن عبد الله الثقفى أنه قال: «قلت يارسول الله، قل لى فى الإسلام قولا أثبت عليه، فقال له: قل ربى الله ثم استقم. فقلت له: يارسول الله، ما أخوف ماتخاف علىّ؟ قال: هذا وأشار إلى لسانه»[٢].

ومن المعروف أيضا أن النبى ﷺ قال: «استقيموا ولن تحصوا، ولايحافظ على العصر إلا مؤمن»[٢].

وقوله: ﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ أى: عند الموت، ويقال: عند البعث. فى التفسير: أنه إذا بعث العبد تلقاه الملكان اللذان كانا يحفظانه ويكتبان عليه، ويقولان له: لاتخف ولاتحزن وأبشر بالجنة التى كنت توعد، ولايهولك الذى تراه، فإنما أريد به غيرك. وعن أبى العالية الرياحى قال: يبشر المؤمن فى [ثلاثة][٣] مواطن: عند دخول القبر، وعند البعث، وعند دخوله الجنة.

وقوله: ﴿ألا تخافوا﴾ أى: لاتخافوا مابين أيديكم.

وقوله: ﴿ولا تحزنوا﴾ على ما خلفتم من أهل وولد وضيعة.

وقوله: ﴿وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون﴾ أى: توعدون فى كتب الله وعلى ألسنة رسله.

---

(١) رواه الترمذى (٥/ ٣٥١ رقم ٣٢٥٠) وقال: حسن غريب، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٤٥٢ رقم ١١٤٧٠)، وأبو يعلى (٦/ ٢١٣ رقم ٣٤٩٥)، وابن جرير (٢٤/ ٧٣)، وابن أبى عاصم فى السنة (١/ ١٥ رقم ٢٠)، وابن عدى فى الكامل (٣/ ٤٥٠)، وابن أبى حاتم، كما فى تفسير ابن كثير (٤/ ٩٨)، جميعهم عن أنس مرفوعا به. وزاد السيوطى فى الدر (٥/ ٣٩٩): البزار، وابن مردويه.

(٢) تقدم تخريجه فى تفسير سورة هود.

(٣) فى «الأصل، وك»: ثلاث، وهو خطأ.

تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا

قوله: ﴿نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة﴾ ومعنى الولاية: هو الحفظ والنصرة والمعونة.

وقوله: ﴿فى الحياة الدنيا﴾ أى: عند الموت.

﴿وفى الآخرة﴾ أى: بعد البعث.

وقوله: ﴿ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم﴾ أى: تلذه أنفسكم. ويقال: مايخطر على قلوبكم.

وقوله: ﴿ولكم فيها ماتدعون﴾ أى: تتمنون، تقول العرب: ادع علىَّ ما شئت أى: تمن علىَّ ماشئت.

ويقال: «ولكم فيها ماتدعون» أى: ما ادعيت أنه لك فهو لك.

وقوله: ﴿نزلا من غفور رحيم﴾ أى: عطاء من غفور رحيم. ومنه نُزُلُ الضيف. أى: عطاؤه. ويقال: منّاً.

﴿من غفور رحيم﴾ والغفور الساتر، والرحيم العطوف.

قوله تعالى: ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا﴾ قال ابن عباس: من دعا إلى الله هو الرسول ﷺ. وحكى عن ابن عباس أنه قال: «دعا إلى الله» عام فى كل من يدعو إلى الله. وعن مجاهد أنه قال: الآية فى المؤذنين. وحكى هذا القول عن عائشة - رضى الله عنها - وقد ضعف بعضهم هذا القول؛ لأن السورة مكية، والأذان كان بعد الهجرة إلى المدينة.

وقوله: ﴿وعمل صالحًا﴾ أى: عمل بينه وبين ربه. ويقال: عمل صالحًا بأداء الفرائض، وقيل: عمل صالحًا بإخلاص الدعوة والعمل.

وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾

وقوله: ﴿وقال إننى من المسلمين﴾ أى: أَقَرَّ بالإسلام وثَبَتَ عليه. ويقال: من المستسلمين لحكم الله. ومن المعروف عن عائشة – رضى الله عنها – أن المراد من قوله: ﴿وعمل صالحًا﴾ هو ركعتان بين الأذان والإقامة. وهذا على القول الذى قلنا: إنه ورد فى المؤذنين.

قوله تعالى: ﴿ولاتستوى الحسنة ولا السيئة﴾ معناه: ولاتستوى الحسنة والسيئة و«لا» صلة.

وأما الحسنة والسيئة ففيهما أقوال:

أحدها: أنهما التوحيد والشرك، والآخر: أنهما العفو والانتصار، والثالث: أنهما المداراة والغلظة. والرابع: أنهما الصبر والجزع. والخامس: أنهما الحلم عند الغضب والسفه.

وقوله: ﴿ادفع بالتى هى أحسن﴾ أى: ادفع السيئة بالخلة التى هى أحسن، والخلة هى أحسن الحلم عند الغضب، والعفو عند القدرة، والصبر عند البلاء، وما أشبه ذلك.

وفى الآية قول آخر: أن معنى قوله: ﴿ادفع بالتى هى أحسن﴾ أى: بالسلام، قاله مجاهد. ومعناه: أنه يسلم على من يؤذيه، ولايقابله بالأذى، وعن ابن عباس: أن معنى قوله تعالى: ﴿ادفع بالتى هى أحسن﴾ هو أنه إذا أذاك إنسان وشتمك ونسبك إلى القبيح تقول له: إن كنت صادقًا فغفر الله لى، وإن كنت كاذبًا فغفر الله لك.

وقوله: ﴿فإذا الذى بينك وبينه عداوة﴾ هذا فى الحلم عند الغضب، والعفو عند القدرة.

وقوله: ﴿كأنه ولى حميم﴾ أى: صديق قريب، فالولى هو الصديق، والحميم هو القريب.

وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ

قوله تعالى ﴿ ومايلقاها إلا الذين صبروا ﴾ أى: وما يؤتى هذه الخصلة، وهى دفع السيئة بالحسنة إلا الذين صبروا أى: صبروا على أوامر الله.

وقوله ﴿ ومايلقاها إلا ذو خط عظيم ﴾ أى: ذو نصيب وافر من الدين. ويقال: ومايلقاها أى: ومايؤتى الجنة إلا ذو حظ عظيم أى: نصيب وافر. وقيل: ذو جد عظيم، والجد هو البخت.

قوله تعالى ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ ﴾ أى: غضب. وفى بعض الأخبار: أن الغضب جمرة فى الإنسان يوقد فيها الشيطان. ويقال: نزغ أى: (وسوسة)[1].

وقوله ﴿ فاستعذ بالله ﴾ أى: اعتصم بالله. وقد روينا أن النبى ﷺ كان يقول: «أعوذ بالله من الشيطان من همزة ونفثه ونفخه»[2].

وقوله: ﴿ إنه هو السميع العليم ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ﴾ فالآية فى الليل والنهار فى زيادتها ونقصانها، والآية فى الشمس والقمر فى دورانهما على حساب معلوم.

وقوله: ﴿ لاتسجدوا للشمس ولا للقمر ﴾ قال عكرمة: الشمس مثل الدنيا وثلثها، والقمر مثل الدنيا مرة واحدة. وعن بعضهم قال: الشمس طولها ثمانون فرسخًا، وعرضها ستون فرسخًا، والله أعلم.

وقوله: ﴿ واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ أى: توحدون.

قوله تعالى: ﴿ فإن استكبروا ﴾ أى: تكبروا.

---

(١) فى «ك»: وسوسته.

(٢) تقدم تخريجه.

إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي

وقوله: ﴿ فالذين عند ربك ﴾ أى: الملائكة.

﴿ يسبحون له بالليل والنهار وهم لايسأمون ﴾ أى: لايملون. وعن كعب الأحبار أنه قال: التسبيح للملائكة كالنَّفَس والطرف لبنى آدم، فكما لايلحق الآدمى تعب فى الطرف والنفس، فكذلك لايلحقهم التعب بالتسبيح.

قوله تعالى: ﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة ﴾ أى: هامدة متهشمة ميتة ليس عليها شىء.

وقوله: ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت ﴾ أى: تحركت للنبات.

وقوله: ﴿ وربت ﴾ أى: ارتفع النبات. والقول الثانى: أن هذا على التقديم والتأخير، ومعناه: ربت واهتزت، أى: ربت الأرض بخروج النبات منها، واهتزت أى: تحركت.

وقوله: ﴿ إن الذى أحياها ﴾ أى: أحيا الأرض الميتة ﴿ لمحى الموتى ﴾ أى: فى القيامة.

وقوله: ﴿ إنه على كل شىء قدير ﴾ أى: قادر.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين يلحدون فى آياتنا ﴾ أى: يميلون إلى الجحد و[التكذيب][1] فى آياتنا. وكل من مال من الحق إلى الباطل، ومن التوحيد إلى الشرك فهو ملحد.

وقوله: ﴿ لايخفون علينا ﴾ أى: لايخفى كفرهم علينا.

قوله: ﴿ أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى[2] آمنا يوم القيامة ﴾ فيه أقوال: أحدها: أن الذى يلقى فى النار هو أبو جهل، والذى يأتى آمنا هو عمار، قاله عكرمة وغيره.

(١) فى الأصل: التذكيب، وما أثبتناه من «ك».

(٢) فى «الأصل»: يأتيه، وهو سبق قلم.

آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ

والقول الثانى : أن من يلقى فى النار هو أبو جهل، ومن يأتى آمنا هو حمزة بن عبد المطلب .

والقول الثالث : أن من يلقى فى النار هو كل كافر، والذى يأتى آمنا هو الرسول ﷺ . ويقال : كل مؤمن قد أمن من الخلود فى النار . ويقال : من يلقى فى النار هم الذين يبغضون آل النبى ﷺ ، ومن يأتى آمنًا هم الذين يحبونهم، وقيل : هذا فى الصحابة . والله أعلم .

وقوله : ﴿ اعملوا ماشئتم ﴾ هذا على طريق التهديد والوعيد . ومعناه : اعملوا ماشئتم فستقدمون عليه .

وقوله : ﴿ إنه بما تعملون بصير ﴾ ظاهر المعنى .

قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم ﴾ أى : بالقرآن، وفيه حذف، والمحذوف، سيجازون على ذلك .

وقوله : ﴿ وإنه لكتاب عزيز ﴾ أى : كريم على الله . ويقال : كتاب أعزه الله .

وقوله : ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ فيه قولان : أحدهما : لايأتيه التكذيب من الكتب المتقدمة، ولا يأتيه من بعده كتاب ينسخه ويرفعه، والقول الثانى : أن الباطل هو إبليس عليه اللعنة، ومعناه : أنه لايأتيه بزيادة ولانقصان أى : لاسلطان له عليه بواحدة منهما .

وقوله : ﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾ أى : حكيم فى فعله، محمود فى قوله .

قوله تعالى : ﴿ مايقال لك إلا ماقد قيل للرسل من قبلك ﴾ هذا على طريق التعزية والتسلية للنبى ﷺ ، فإن الكفار كانوا يقولون : إنه كافر وساحر وشاعر ومجنون، فقال

لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ

تعالى معزيًا ومسليًا له: ﴿ مايقال لك إلا ماقد قيل للرسل من قبلك ﴾ أى: لست بأول من قيل له هذا، فقد نسب الأنبياء من قبلك إلى هذه الأشياء. وقد تم الكلام على هذا ثم قال: ﴿ وإن ربك لذو مغفرة ﴾ أى: لذنوب العباد، لمن أراد أن يغفر له.

وقوله: ﴿ وذو عقاب أليم ﴾ أى: لمن أراد أن لايغفر له.

وفى قوله: ﴿ لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ قول آخر: وهو أن معناه: لايأتيه الباطل قبل تمام نزوله فهو من بين يديه.

قوله: ﴿ من بين يديه ﴾ أى: قبل النزول، فإن الرسل بشرت بالقرآن، فلا يأتيه ما يدحضه ويبطله ﴿ ولامن خلفه ﴾ أى: بعد النزول، ومعناه: أنه لا يأتيه كتاب ينسخه.

قوله تعالى: ﴿ ولو جعلناه قرآنًا أعجميا ﴾ أى: بلسان العجم. ويقال: أعجميا أى: غير مبين، قاله المفضل، والأول هو المشهور.

وقوله: ﴿ لقالوا لولا فصلت آياته ﴾ أى: بينت آياته ﴿ أأعجمى وعربى ﴾ معناه: أقرآن أعجمى، ورسول عربى؟.

وقرأ ابن عباس والحسن: «لولا فصلت آياته عجمى وعربى» لا على وجه الاستفهام أى: هلا جعل بعض آياته عجميا، وبعض آياته عربيا، والمختار هى القراءة الأولى على المعنى الأول. والأعجمى كل من فى لسانه عجمة، وإن كان عربياً، ومنه زيادة الأعجمى الشاعر .والعجمى هو الواحد من العجم، والأعرابى كل من يسكن البدو، والعربى الواحد من العرب، قال الشاعر:

ولم أر مثلى هاجه صوت مثلها ... ولا عربيا هاجه صوت أعجما.

ويقال: إن الآية نزلت فى يسار بن فكيهة غلام ابن الحضرمى، وكان يدخل على رسول الله ﷺ، وكان يهوديا قد قرأ الكتب، فقالوا: علم محمداً يسارُ أبو فكيهة،

قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ

فقال أبو فكيهة: لا، بل أنا أتعلم منه، وهو يعلمنى.

وقوله: ﴿قل هو للذين آمنوا﴾ أى: القرآن ﴿هدى وشفاء﴾ أى: هدى للأبصار، وشفاء للقلوب.

وقوله: ﴿والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر﴾ أى: ثقل وصمم، كأنه جعلهم بمنزلة الصم حين لم يسمعوا سماع قابل.

وقوله: ﴿وهو عليهم عمى﴾ قال الفراء: عموا وصموا على القرآن حيث لم ينتفعوا به. وقيل: عميت أبصارهم عن القرآن، فالقرآن عليهم بمنزله العمى.

وقوله: ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ أى: بعيد من قلوبهم، حكى هذا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه، ويقال: ينادون من مكان بعيد أى: السماء، قال الفراء: تقول العرب لمن لايفهم القول: إنه يأخذه من مكان بعيد، وإذا كان يفهم يقولون: إنه يأخذه من مكان قريب.

وذكر بعض النحويين أن قوله: ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ جواب لقوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم﴾ والذى ذكرنا أن الجواب محذوف هو الأولى، وقد بينا. أورده النحاس(١).

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾ الكتاب هو التوراة، والاختلاف فيه أنه آمن به بعضهم وكفر بعضهم.

وقوله: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ أى: تأخير القيامة إلى أجل معلوم عنده. وعن عطاء قال: الكلمة التى سبقت من ربه هى أن آدم - صلوات الله عليه - لما عطس ألهمه الله تعالى حتى قال: الحمد لله، فقال الله تعالى: يرحمك ربك. فهى الكلمة التى سبقت من الله.

(١) فى «ك»: الضحاك.

سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي

وقوله: ﴿لقضى بينهم﴾ أى: لعجل لهم العذاب.

وقوله: ﴿وإنهم لفى شك منه مريب﴾ أى: مرتاب.

قوله: ﴿من عمل صالحًا فلنفسه﴾ أى: نفع ذلك عائد إلى نفسه.

وقوله: ﴿ومن أساء فعليها﴾ أى: وبال ذلك راجع إليه.

وقوله: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ لأن مايفعله يكون عدلا، ولايكون ظلمًا. ويقال: معنى قوله: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ أى: لايعاقب أحدًا من غير جرم.

قوله تعالى: ﴿إليه يرد علم الساعة﴾ معناه: إلى الله يرد علم الساعة، وهذا على العموم، فإن كل من سئل عن الساعة يقول: الله أعلم.

وقوله: ﴿وماتخرج من ثمرة من أكمامها﴾ أى: من أوعيتها وغلفها، والكم: غلافها، ويقال: هو جف الطلع.

وقوله: ﴿وماتحمل من أنثى ولاتضع إلا بعمله﴾ أى: يعلم مدة الحمل، ويعلم وقت وضعه.

وقوله: ﴿ويوم يناديهم﴾ يعنى: ينادى الكفار ﴿أين شركائى﴾ على زعمكم؟

وفى التفسير: أن الله تعالى يقول: أين الملوك؟ أين الجبابرة؟ أين الآلهة؟ أنا الرب، لارب غيرى، أنا الله، لا إله غيرى، أنا الملك، لاملك غيرى.

وقوله: ﴿قالوا آذناك﴾ أى: أعلمناك، ومنه أُخذَ الأذن والآذان والمؤذن. وهذا من قول الآلهة.

قال الفراء وغيره: ومعناه: أن الآلهة تقول: آذناك أى: أعلمناك يارب تكذيبهم وكفرهم ﴿مامنا من شهيد﴾ أى: ليس منا أحد يشهد أن قولهم حق، وزعمهم صحيح.

قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لا يَسْأَمُ الإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن

وقوله: ﴿وضل عنهم﴾ أى: بطل عنهم وفات عنهم ﴿ماكانوا يدعون من قبل﴾.

قوله: ﴿وظنوا مالهم من محيص﴾ أى: أيقنوا مالهم من ملجأ ومهرب.

قوله تعالى: ﴿لايسأم الإنسان من دعاء الخير﴾ أى: من دعاء المال. ويقال: هو الغنى بعد الفقر، والعافية بعد السقم. وقيل: إن الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة كان لايزال يدعو بكثرة المال، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً﴾(١).

وقوله: ﴿وإن مسه الشر﴾ أى: البلاء والفقر والشدة.

وقوله: ﴿فيئوس قنوط﴾ أى: يئوس من الخير، قنوط من الرحمة. وقيل: قنوط أى: سيء الظن بربه، كأنه يقول: لا يكشف الله تعالى ما بى من البلاء والشدة.

قوله تعالى: ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته﴾ أى: رخاء بعد شدة، وغنى بعد فقر.

وقوله: ﴿ليقولن هذا لى﴾ أى: باجتهادى واستحقاقى.

وقوله: ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ أى: آتية.

وقوله: ﴿ولئن رجعت إلى ربى﴾ أى: رددت.

وقوله: ﴿إن لى عنده للحسنى﴾ أى: للخير الكثير.

قال بعض أهل العلم: الكافر بين مُنْيَتَيْنِ باطلتين فى الدنيا والآخرة، أما فى الدنيا يقول: لئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى، وأما فى الآخرة يقول حين رأى ما

(١) المدثر: ١٢-١٣.

رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي

قدمت يداه: يا ليتنى كنت ترابًا. وفى تفسير النقاش: أن الآية نزلت فى شأن عقبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة وأبى بن خلف وأمية بن خلف وغيرهم، وقد كانوا يمنون أنفسهم الأباطيل.

وقوله: ﴿فلننبئن الذين كفروا بما عملوا﴾ هذا على طريق التهديد والوعيد.

وقوله: ﴿ولنذيقنهم من عذاب غليظ﴾ أى: شديد.

قوله تعالى: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونآى بجانبه﴾ وقرئ: «وناء بجانبه» ومعنى: «نآى بجانبه»: تباعد بجانبه.

وقوله: ﴿وإذا مسه الشر﴾ أى: الشدة والبلاء.

وقوله: ﴿فذو دعاء عريض﴾ أى: كثير. قال النقاش: والآية فى الذين سبق ذكرهم. وعن بعض أهل العلم أنه قال: رب عبد يعرف الله فى الرخاء، ولايعرفه فى الشدة، ورب عبد يعرف الله فى الشدة، ولايعرفه فى الرخاء. والمؤمن من يعرفه فى الرخاء والشدة جميعًا. وفى الخبر المعروف أن النبى ﷺ قال لابن عباس: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله فى الرخاء، يعرفك فى الشدة، إذا سألت فأسال الله، وإذا استعنت فاستعن بالله....»[1]. الخبر إلى آخره.

قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله﴾ معناه: قل يأيها الكفار أرأيتم إن كان من عند الله؟ أى: القرآن.

وقوله: ﴿ثم كفرتم به﴾ أى: بالقرآن.

وقوله: ﴿من أضل ممن هو فى شقاق بعيد﴾ أى: فى عناد للحق كبير، والمعنى: أنكم أيها الكافرون فى الشقاق والضلال.

قوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم﴾ الآيات فى الآفاق آيات

(١) تقدم تخريجه.

شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾

السموات والأرضين، وذلك من رفع السماء، وخلق الكواكب، ودوران الفلك، وإضاءة الشمس والقمر، وما أشبه ذلك، وكذلك بسط الأرض، ونصب الجبال، وتفجير الأنهار، وغرس الأشجار، إلى ما لايحصى.

وقوله: ﴿وفى أنفسهم﴾ أى: من السمع والبصر، وخلق سائر الجوارح وجميع الحواس. وفى بعض التفاسير: أن من الآيات فى النفس دخول الطعام والشراب من مكان واحد، وخروجه من مكانين. وقيل: دخول الأطعمة على ألوان كثيرة، وخروجها على لون واحد. وقال السدى: الآيات فى الآفاق هى فتح الأمصار، وفى الأنفس فتح الرسولﷺ مكة. ويقال: الآيات فى الآفاق هى الفتوح التى كانت بعد الرسول، وفى أنفسهم هى التى كانت فى زمان الرسول. وقيل: الآيات فى الآفاق ما أخبر من الأمم المتقدمة وما نزل بهم، والآيات فى الأنفس هى ما أنذرهم من الوعيد والعذاب. وقال مجاهد: الآيات فى الآفاق هو إمساك المطر من السماء. والآيات فى الأنفس هى البلايا فى الأجساد.

وقوله: ﴿حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ يعنى: أن الرسول حق. وقيل: القرآن حق.

وقوله: ﴿أولم يكف بربك﴾ يعنى: أولم يكفك يا محمد من ربك [أنه](١) على كل شىء شهيد. وقيل معناه: أو ليس فى شهادة ربك كفاية. وقيل: أو ليس فى الدلائل التى أقامها على التوحيد كفاية.

وقوله: ﴿إنه على كل شىء شهيد﴾ أى: لأنه على كل شىء شهيد، أو بأنه على كل شىء شهيد.

قوله تعالى: ﴿ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم﴾ أى: فى شك من البعث والنشور.

وقوله: ﴿ألا إنه بكل شىء محيط﴾ أى: محيط علمه بجميع ذلك. تمت السورة.

---

(١) من «ك».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ

تفسير سورة حم عسق

وهى مكية

(قال مقاتل)[١]: إلا قوله تعالى: ﴿ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا﴾[٢] الآية، وكذلك قوله تعالى: ﴿والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون﴾[٣].

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿حم عسق﴾ حكى عكرمة عن ابن عباس: أن الر، وحم، ونون نظم قوله الرحمن، وعن الحسن وقتادة: أنه اسم من أسماء القرآن. وعن محمد بن كعب القرظى: الحاء من الحليم والميم من الملك، والعين من العالم، والسين من القدوس، والقاف من القادر، وعن بعضهم: أن هذا قسم فكأنه أقسم بحلمه وملكه وعلمه وسنائه وقدرته، وحكى الضحاك عن ابن عباس: أن «حم عسق» اسم الله الأعظم، وقرأ ابن مسعود وابن عباس: «حم سق» بغير العين، وعن حذيفة - رضى الله عنه - قال: معناه مضى عذاب سيكون واقعًا. وقيل: إن الحاء إشارة إلى حرب سيكون، والميم انتقال ملك من قوم إلى قوم، والعين عدو يغلب العرب، ثم الدولة تكون للعرب، والسين هو [سنو][٤] المجاعة، والقاف قدرة الله النافذة فى ملوك الأرض. وفى تفسير النقاش: أن حروف الهجاء التى فى أول هذه السورة إشارة إلى فتن تكون فى هذه الأمة، قال: وبها كان على - رضى الله عنه - يعلمها ويقضى بها. وقوله: ﴿كذلك﴾ فى التفسير: أن «حم عسق» أوحى إلى كل نبى من الأنبياء.

وقوله: ﴿كذلك يوحى إليك﴾ أى: كما أوحى الله تعالى إلى الأنبياء هذه

(١) ليس فى «ك».

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) الشورى: ٣٩.

(٤) فى «الأصل، ك»: سنى، والصواب ما أثبتناه.

وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾

الكلمات، كذلك يوحيها إليك. ويقال: المراد منه الوحى على الجملة.

وقوله: ﴿ وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ﴾ يعنى: أن الله تعالى يوحى إليك وإلى الذين من قبلك وهو العزيز الحكيم أى: من صفته العزة والحكمة، ومعناه: عزيز فى نصرته، حكيم فى فعله، وقرئ: «كذلك نوحى إليك» بالنون، ومعناه معلوم.

قوله تعالى: ﴿ له ما فى السموات وما فى الأرض وهو العلى العظيم ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ تكاد السموات يتفطرن ﴾ وقرئ: «ينفطرن» ومعناه: يتشققن.

وقوله: ﴿ من فوقهن ﴾ أى: من فوق الأرضين، وانفطارها لعظيم ما جاء به الكفار. وقيل: خوفًا من الله تعالى. ويقال: هيبة وإجلالا. وقيل: لعظمة الله تعالى.

وقوله: ﴿ والملائكة يسبحون بحمد ربهم ﴾ أى: يصلون بحمد ربهم، ويقال: ينزهون ربهم.

وقوله: ﴿ ويستغفرون لمن فى الأرض ﴾ معناه: للمؤمنين الذين فى الأرض، وهذا محكى عن ابن عباس، واللفظ عام أريد به الخاص، وقيل: إن الذين يستغفرون للمؤمنين حملة العرش خاصة على ما ذكر تعالى فى سورة المؤمن. وقيل: هم جميع الملائكة. وفى التفسير: أن استغفارهم لمن فى الأرض من الوقت الذى افتتن هاروت وماروت بالمرأة التى تسمى زهرة، وفعلا ما فعلا، واختارا عذاب الدنيا، وقد كانت الملائكة من قبل يدعون على العصاة، فمن ذلك الوقت كانوا يستغفرون للعصاة من المؤمنين.

وقوله: ﴿ ألا إن الله هو الغفور الرحيم ﴾ أى: الستور لذنوب عباده.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾

وقوله: ﴿الرحيم﴾ أى: الرحيم بهم.

قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ أى: من دون الله أولياء.

وقوله: ﴿الله حفيظ عليهم﴾ أى: شاهد لأعمالهم، حافظ لها؛ ليجازيهم بها.

وقوله: ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ أى: بمسلط، وهذا قبل نزول آية السيف.

قوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك﴾ قد بينا من قبل.

وقوله: ﴿لتنذر أم القرى﴾ أى: أهل أم القرى. وهى مكة، وسميت أم القرى؛ لأن الأرض دُحيت من تحتها.

وقوله: ﴿ومن حولها﴾ أى: وتنذر أهل من حولها.

وقوله: ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ أى: يوم القيامة، وهو اليوم الذى يجتمع فيه أهل السموات وأهل الأرض، وقيل: يجتمع فيه الأولون والآخرون. ومعناه: لتنذر بيوم الجمع.

وقوله: ﴿لا ريب فيه﴾ أى: لا شك فى مجيئه.

وقوله: ﴿فريق فى الجنة وفريق فى السعير﴾ روى عبد الله بن عمرو بن العاص: أن النبى ﷺ خرج يومًا وفى يده كتابان، ثم قال لأصحابه: «هل تدرون ما فيهما؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال للكتاب الذى فى يمينه: هذا كتاب فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم، قد أجمل على آخرهم لا يزداد فيهم ولا ينقص، وقال للكتاب الذى فى شماله: هذا كتاب فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم، قد أجمل على آخرهم، لا يزاد فيهم ولا ينقص، قالوا: ففيم نعمل إذًا؟ قال: اعملوا، فمن كان من أهل الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، ومن كان من أهل النار يختم له بعمل أهل النار، وإن عمل

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي

أى عمل، ثم قال: فرغ ربكم من خلقه، فريق فى الجنة، وفريق فى السعير»(١).

وفى التفسير: أنهم يتفرقون فى الجنة والسعير فلا يجتمعون أبداً.

قوله تعالى: ﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة﴾ أى: أهل دين واحد.

وقوله ﴿ولكن يدخل من يشاء فى رحمته﴾ أى: يدخل من يشاء فى الإسلام.

وقوله: ﴿والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير﴾ أى: ولى يشفع لهم، وولى ينصرهم من العذاب.

قوله تعالى: ﴿أم اتخذوا من دونه أولياء﴾ أى: بل اتخذوا من دون الله أولياء.

وقوله: ﴿فالله هو الولى﴾ أى: هو المتولى للأشياء.

وقوله: ﴿وهو يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله﴾ استدل من منع القياس فى الحوادث بهذه الآية، قال: الحكم إلى الله لا إلى رأى الرجال، وكذلك كان الخوارج يقولون: لا حكم إلا لله، وأنكروا الحَكَمَيْنِ، وهذا الاستدلال فاسد؛ لأن عندنا من قال بالقياس والاجتهاد فهو رجوع إلى الله فى حكمه، فإن أصول المقايسات هى: الكتاب، والسنة.

---

(١) رواه الترمذى (٤ / ٣٩١ رقم ٢١٤١)، وقال: حسن غريب صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦ / ٤٥٢ – ٤٥٣ رقم ١١٤٧٣)، وأحمد (٢ / ١٦٧)، وابن جرير (٢٥ / ٧)، والطبرانى فى الكبير (١٣ / ١٤–١٥ رقم ١٧)، وابن أبى عاصم (١ / ١٥٤–١٥٥ رقم ٣٤٨)، والآجرى فى الشريعة (١٧٣–١٧٤)، وأبو نعيم فى الحلية (٥ / ١٦٨، ١٦٩)، وابن بطة فى الإبانة (٣ / ١ / ٣٠٥ – ٣٠٦ رقم ١٣٢٧)، والبغوى فى تفسيره (٤ / ١٢٠ – ١٢١) وزاد السيوطى فى الدر (٦ / ٤): ابن المنذر وابن مردويه جميعهم عن عبد الله بن عمرو به.

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ

وقوله: ﴿ذلكم الله ربى عليه توكلت وإليه أنيب﴾ أى: به وثقت، وإليه أرجع فى أمورى.

قوله تعالى: ﴿فاطر السموات والأرض﴾ أى: خالق السموات والأرض.

قوله: ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجًا﴾ أى: النساء، وقيل: «من أنفسكم أزواجًا» أى: أصنافًا، ذكورًا، وإناثًا.

وقوله: ﴿ومن الأنعام أزواجاً﴾ أى: أصنافًا ذكوراً وإناثًا.

وقوله: ﴿يذرؤكم فيه﴾ قال الفراء: أى: يكثركم به، وقال مجاهد: نسلا من بعد نسل من الناس والبهائم إلى قيام الساعة. وفى الآية قول آخر: وهو أن معنى قوله: ﴿يذرؤكم فيه﴾ أى: يخلقكم فى هذا الوجه الذى ذكره.

وقوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ قال ثعلب: ليس كهو شيء، وزعم كثير من النحويين أن الكاف هاهنا زائدة، ومعناه: ليس مثله شيء، وزعم بعضهم: أن لغة تهامة أنهم يقولون: أنا كمثلك أو أنت كمثلى أى: أنت مثلى وأنا مثلك. وقال أهل المعانى: ولا يستقيم قول من يقول: ليس كمثله شيء أى: ليس كمثله مثل؛ لأن فى هذا (إثبات)[1] المثل، والله تعالى لا يوصف بالمثل، جل وتعالى عن ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وهو السميع البصير﴾ ظاهر المعنى، وأنشدوا على القول الأول:

سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم ... ما إن كمثلهم فى الناس من أحد

قوله تعالى: ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ فى المقاليد قولان: أحدهما: أنها فارسية، وهى الأكاليد واحدها إكليد. والقول الثانى: وهو الأصح أنها عربية، قال الشاعر فى المقاليد:

---

(١) فى «ك»: إتيان.

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ

فتى لو تنادى الشمس ألقت قناعها   أو القمـــر الســـارى لألقى المقالد

واختلف القول فى معنى المقاليد، قال بعضهم: مقاليد السموات هى الأمطار، ومقاليد الأرض هى أنواع النبات. وقيل: مقاليد السموات والأرض هى العيون فيها. وقيل: ما يحدثه بمشيئته. وفى بعض الأخبار عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال فى مقاليد السموات والأرض: «لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، واستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، بيده الخير يحيى ويميت، وهو على كل شىء قدير، فمن قالها عصم من إبليس وجنوده»(١).

وقوله: ﴿يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أى: يوسع الرزق على من يشاء، ويضيق على من يشاء.

وقوله: ﴿إنه بكل شىء عليم﴾ أى: عالم.

قوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين﴾ أى: بين لكم من الدين، والشرع هو البيان، ويقال: أظهر لكم وأمركم.

وقوله: ﴿ما وصى به نوحًا﴾ أى: أمر به نوحًا، ويقال: إن نوحًا – عليه السلام – أول من جاء بتحريم الأمهات والأخوات والبنات.

وقوله: ﴿والذى أوحينا إليك﴾ أى: وشرع الذى أوحينا إليك.

وقوله: ﴿وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى﴾ أى: وما أمرنا به إبراهيم وموسى وعيسى.

وقوله: ﴿أن أقيموا الدين﴾ أى: اثبتوا على التوحيد، وقيل: أقيموا الدين أى: استقيموا على الدين. ويقال: أقيموا الدين هو فعل الطاعات وامتثال الأوامر.

---

(١) تقدم تخريجه فى تفسير سورة الزمر.

أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ

وقوله: ﴿ولا تتفرقوا فيه﴾ أى: كما تفرقت اليهود والنصارى أى: آمنوا بالبعض وكفروا بالبعض.

وقوله: ﴿كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾ أى: عظم عند المشركين ما تدعوهم إليه من التوحيد، وهو معنى قوله تعالى ﴿أجعل الآلهة إلهًا واحداً إن هذا لشيء عجاب﴾(١).

وقوله: ﴿الله يجتبى إليه من يشاء﴾ أى: يستخلص لدينه من يشاء.

وقوله: ﴿ويهدى إليه من ينيب﴾ أى: يرشد إلى الرجوع إليه من اختار الرشد والإنابة.

قوله تعالى: ﴿وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم﴾ يعنى: اليهود والنصارى، وقوله: ﴿بغيًا بينهم﴾ أى: حسداً بينهم.

وقوله: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ قال أهل التفسير: الكلمة التى سبقت من الله قوله تعالى: ﴿بل الساعة موعدهم﴾(٢).

وقوله: ﴿إلى أجل مسمى لقضى بينهم﴾ أى: لفصل بينهم الأمر فى الحال ﴿وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم﴾ أى: من الذين تقدموا، وقوله: ﴿أورثوا﴾ أى: أعطوا.

وقوله: ﴿لفى شك منه مريب﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿فلذلك فادع﴾ أى: فإلى هذا فادع، وهو التوحيد، وذكر النحاس: أن فى الآية تقديماً وتأخيراً، ومعناه: كبر على المشركين ما تدعوهم إليه فلذلك فادع [أى]:(٣) إلى ذلك فادع، وقد تذكر اللام بمعنى إلى، قال الشاعر:

---

(١) ص: ٥. (٢) القمر: ٤٦. (٣) زيادة من عندنا ليستقيم السياق.

وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ

أوحى لها القرار فاستقرت

أى: أوحى إليها.

وقوله: ﴿واستقم كما أمرت﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ أى: أهواء الكفار.

وقوله: ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾ أى: التوراة والإنجيل والقرآن وسائر الكتب.

وقوله: ﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾ أى: لأقضى بينكم بالعدل.

وقوله: ﴿الله ربنا وربكم﴾ أى: خالقنا وخالقكم.

وقوله: ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ أى: لنا جزاء أعمالنا، ولكم جزاء أعمالكم.

وقوله: ﴿لا حجة بيننا وبينكم﴾ أى: لا محاجة بيننا وبينكم، وقد كان من حجتهم أنهم قالوا: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، ومعنى قوله: ﴿لا حجة بيننا وبينكم﴾ أى: لا (حجة)[1] لكم؛ لأن الله تعالى قد أدحض حجتكم، وإذا أدحض حجتهم لا تبقى بينهم وبين المؤمنين محاجة.

وقوله: ﴿الله يجمع بيننا﴾ يعنى: يوم القيامة.

وقوله: ﴿وإليه المصير﴾ أى: وإليه المرجع.

قوله تعالى: ﴿والذين يحاجون فى الله﴾ أى: يخاصمون فى الله، وقد بينا حجتهم التى تعلقوا بها، والمخاصمة فى الله أنهم كانوا يقولون: نحن أولى بالله منكم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا فى ربهم﴾[2].

---

(١) فى «ك»: محاجة.

(٢) الحج: ١٩.

مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾

وقوله: ﴿ من بعد ما استجيب له ﴾ أى: من بعد ما استجاب المؤمنون للرسول ﷺ.

وقوله: ﴿ حجتهم داحضة ﴾ أى: باطلة.

وقوله: ﴿ عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ﴾ قد بينا من قبل. فإن قيل: قد قال: من بعد ما استجيب له، فأى معنى لاستجابة الناس له فى هذا المحل، وحجتهم داحضة سواء استجاب له الناس أو لم يستجيبوا له؟ والجواب: أن الكفار ظنوا أن أمر محمد سيزول عن قريب، ويعود الأمر إلى ما هم عليه، وأن الناس لا يستجيبون له ولا يدخلون فى دينه، فذكر من بعد ما استجيب له أى: قد استجابه الناس، وبطل ظنكم أن أمره يزول عن قريب، وهذا أحسن فائدة. وفيه قول آخر: أن قوله: ﴿ من بعد ما استجيب له ﴾ أى: من بعد ما استجاب الله بما طلب من إظهار المعجزات عليه. وعن بعضهم: أن المحاجة بالباطل هى نصرة الاعتقاد الفاسد، ثم نصرة الاعتقاد الفاسد تكون على وجهين: بإيراد شبهة، وبمدافعة حجة من غير حجة.

قوله تعالى: ﴿ الله الذى أنزل الكتاب بالحق ﴾ أى: أنزل القرآن بالأمر والنهى والثواب والعقاب.

وقوله ﴿ والميزان ﴾ أى: العدل، وسمى العدل ميزانًا؛ لأن الميزان يكون (مناصف)[1] الناس فيما بينهم، وقيل: هو الميزان نفسه، ومعنى الإنزال: أن الله تعالى أنزل الحديد من السماء، ومن الحديد لسان الميزان وصنجاته.

وقوله ﴿ وما يدريك لعل الساعة قريب ﴾ فإن قيل: لِمَ لمْ يقل قريبة، والساعة مؤنثة؟ والجواب: أن تأنيث الساعة ليس بحقيقى؛ لأنها بمعنى الزمان والوقت، ويجوز أن تكون الساعة بمعنى البعث والنشور، فتكون الكتابة راجعة إلى المعنى.

(١) فى «ك»: بناصف.

يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ

وقوله: ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ فى التفسير: أن الكفار كانوا يأتون النبى ﷺ ويسألونه عن الساعة متى تكون؟ ويقولون: هلا سألت ربك أن يقيمها الآن؟ وكان بعضهم يقول: اللهم من كان منا على الباطل فأقم عليه القيامة الساعة؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ وكان استعجالهم بها على طريق الاستبعاد لقيامها تكذيبًا بها.

قوله: ﴿والذين آمنوا مشفقون منها﴾ أى: خائفون وجلون منها، وخوفهم من المحاسبة الموعودة والجزاء الواقع على الأعمال.

وقوله: ﴿ويعلمون أنها الحق﴾ أى: أنها قائمة لا محالة.

وقوله: ﴿ألا إن الذين يمارون فى الساعة﴾ أى: يشكون فيها، وقيل: يختلفون فيها اختلاف الشاكين.

وقوله: ﴿لفى ضلال بعيد﴾ أى: فى خطأ طويل.

قوله تعالى: ﴿الله لطيف بعباده﴾ أى: بار حفىٌّ رحيم بهم، ويقال: معنى اللطيف هاهنا الرزاق أى: لا يهلكهم جوعًا بل يرزقهم. وقد قال بعض أهل العلم: إن المَعْنِىَّ بعباده فى كل موضع ذكره هم المؤمنون خاصة، والهاء للإضافة، وباء التخصيص توجب هذا وتقتضيه.

وقوله: ﴿ويرزق من يشاء وهو القوى العزيز﴾ أى: القوى فى نصرة المؤمنين، وقيل: فى القدرة على إيصال الرزق إليهم، وقوله: ﴿العزيز﴾ أى: الغالب الذى لا يغالب.

قوله تعالى: ﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾ أى: العمل للآخرة، ومنه قول

نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ

عبدالله بن عمرو وقيل: ابن مسعود: احرث لدنياك كأنك تعيش [أبداً](١)، واحرث لآخرتك كأنك تموت غداً.

وقوله: ﴿نزد له فى حرثه﴾ أى: نضاعف له فى الحسنات، وعن قتادة قال: إن الله تعالى يعطى الدنيا بعمل الآخرة، ولا يعطى الآخرة بعمل الدنيا. فهذا قول ثان فى معنى الآية، والقول الثالث: أن معنى الآية: ﴿نزد له فى حرثه﴾ أى: نعنه [ونوفقه](٢) على زيادة الطاعات والاستكثار منها.

وقوله: ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا﴾ أى: عمل الدنيا ﴿نؤته منها﴾ أى: على ما نشاء ونريد، على ما قال فى آية أخرى: ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾(٣) وقيل: نؤته منها بقدر ما قسم له.

وقوله: ﴿وما له فى الآخرة من نصيب﴾ هذا فيمن لم يعمل إلا للدنيا، فأما من عمل للدنيا والآخرة فيجوز أن يؤتيه الله الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿أم لهم شركاء﴾ أى: بل لهم شركاء.

وقوله: ﴿شرعوا لهم من الدين﴾ أى: وضعوا.

وقوله: ﴿ما لم يأذن به الله﴾ أى: لم يأمر به الله.

وقوله: ﴿ولولا كلمة الفصل﴾ أى: ما أخر لهم من العذاب ﴿لقضى بينهم﴾ أى: لفصل الأمر بينهم فى الحال.

وقوله: ﴿وإن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ أى: شديد.

قوله تعالى: ﴿ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا﴾ أى: خائفين وَجِلين.

---

(١) زيادة ليست فى «الأصل ولا ك».
(٢) فى «ك»: فرزقه.
(٣) الإسراء: ١٨.

بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ

وقوله: ﴿وهو واقع بهم﴾ ومعناه: أن العذاب الذى يخافونه نازل بهم، وهذا يوم القيامة.

وقوله: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات﴾ أى: البساتين.

وقوله: ﴿لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير﴾ أى: العظيم.

قوله تعالى: ﴿ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أى: هذا الذى يبشر الله عباده.

وقوله: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى﴾ فيه أربعة أقاويل: أظهرها وأشهرها أن معناه: لا أسألكم إلا أن تودونى لقرابتى منكم. وقيل: تصلوا القرابة التى بينى وبينكم بالاستجابة لى إلى ما أدعوا إليه، وتكفوا عنى أذاكم، وهذا قول ابن عباس أورده البخارى عنه فى الصحيح على لفظ معلوم مقبول، وهو قول طاوس ومجاهد وقتادة، وعامة[1] المفسرين. قال قتادة: كانت قريش تصل الأرحام، فطلب منهم النبى ﷺ أن يصلوا القرابة التى بينه وبينهم، وألا يقطعوها.

وعن ابن عباس قال: ما من بطن من بطون قريش إلا ولرسول الله فيهم قرابة، فسألهم أن يصلوها.

والقول الثانى: ما حكى عن الحسن البصرى أنه قال: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى﴾ معناه: أن يتوددوا إلى الله بما يقربكم إليه من العمل الصالح.

والقول الثالث: ما حكى عن الضحاك أن الآية منسوخة بقوله: ﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله﴾[2] وهذا القول غير مرضى عند أهل

---

(١) فى «ك»: وعليه قول.

(٢) سبأ: ٤٧.

وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾

المعانى؛ لأن قوله: ﴿إلا المودة فى القربى﴾ ليس باستثناء صحيح حتى يكون مخالفًا لقوله: ﴿إن أجرى إلا على الله﴾(١) بل هو استثناء منقطع، ومعناه: قل لا أسألكم عليه أجرًا أى: مالا، وتم الكلام. ومعنى قوله: ﴿إلا المودة فى القربى﴾ لكن صلوا قرابتى بالاستجابة لى أو تكفوا أذاكم عنى.

وفى بعض التفاسير: أن أهل الجاهلية لما علموا جد النبى ﷺ ظنوا أنه يطلب مالا، فجمعوا له شيئًا حسنًا من أموالهم، وقالوا: نعطيك هذا المال، وكف عما أنت عليه، فأنزل الله الآية على المعنى الذى قدمنا.

والقول الرابع: ما روى فى بعض الغرائب من الروايات برواية سعيد بن جبير عن ابن عباس أن معنى قوله: ﴿إلا المودة فى القربى﴾ أن تودوا أقربائى وتحبوهم.

وحكى بعضهم: أن النبى ﷺ سئل عن هذه، وعن معنى القربى فقال: «على وفاطمة وولدهما»(٢)، وهذا أغرب الأقاويل وأضعفها.

وقوله: ﴿ومن يقترف حسنة﴾ أى: يكتسب حسنة أى: طاعة ﴿نزد له فيها حسنا﴾ أى: نضاعف له الحسنة.

وقوله: ﴿إن الله غفور شكور﴾ أى: غفور للكثير من الذنوب، شكور لليسير فى الطاعات.

---

(١) سبأ: ٤٧.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير (٣/١٤٧ رقم ٢٦٤١، ١١/٤٤٤ رقم ١٢٢٥٩)، وابن أبى حاتم كما فى تفسير ابن كثير ٤/١١٢)، وابن مردويه (تخريج الكشاف ٣/٢٣٥) جميعهم من طريق حسين الأشقر، عن قيس، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعا به. وقال الحافظ ابن كثير: هذا إسناد ضعيف، فيه مبهم لايعرف، عن شيخ شيعى محترق، وهو حسين الأشقر، ولايقبل خبره فى هذا المحل. وذكر نزول الآية فى المدينة بعيد فإنها مكية، ولم يكن إذ ذاك لفاطمة – رضى الله عنها – أولاد بالكلية، فإنها لم تتزوج بعلىٍّ – رضى الله عنه – إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة. وقال الحافظ فى تلخيص تخريج الكشاف: وحسين ضعيف ساقط.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو

قوله تعالى: ﴿أم يقولون افترى على الله كذبًا﴾ أى: يقول على الله ما لم يقله ولم ينزله.

وقوله: ﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾ أى: ينسك القرآن حتى لا تذكر منه حرفًا، قاله قتادة، والقول الثانى: يختم على قلبك أى: يربط بالصبر على أذاهم، وهذا قول معروف أورده الفراء والزجاج وغيرهما.

وقول: ﴿ويمحُ الله الباطل﴾ قيل: هذا ابتداء كلام، ومعناه: ويمحو الله الكفر ويزيله.

وقوله: ﴿ويحق الحق بكلماته﴾ أى: ينصر دينه بالمعجزات التى يظهرها، وقيل: بتحقيق وعده، وقيل: بنصرة رسوله بإظهار دينه على الدين كله.

وقوله: ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ أى: بما فى الصدور.

قوله تعالى: ﴿وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات﴾ أى: الذنوب ﴿ويعلم ما تفعلون﴾ أى: تعملون، وقد ثبت عن النبى ﷺ برواية الزهرى، عن [أبى][1] سلمة، عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أنه قال: قال ﷺ: «لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يضل بعيره بفلاة وعليه متاعه وطعامه فيطلبه ولا يجده، ثم ينام نومة فينتبه فإذا هو عند رأسه»[2]. قال الشيخ الإمام: أخبرنا أبو محمد عبد الله ابن أحمد أخبرنا أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن الرازى، أخبرنا أبو بكر محمد ابن زكريا العذافرى، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الدبرى، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهرى الخبر.

(١) من «ك»، وفى «الأصل»: ابن، وهو تحريف.

(٢) رواه مسلم (١٧ / ٩٤–٩٥رقم٢٦٧٥)، والترمذى (٥ / ٥١١رقم٣٥٣٨) وقال: حسن صحيح غريب، وابن ماجه (٢ / ١٤١٩ رقم ٣٢٤٧)، وأحمد (٢ / ٣١٦، ٥٠٠)، وعبد الرزاق (١١ / ٢٩٧ – ٢٩٨ رقم ٢٠٥٨٧)، وابن حبان فى صحيحه (٢ / ٣٨٧ – ٣٨٨ رقم ٦٢١).

وقال الترمذى: وفى الباب عن ابن مسعود، والنعمان بن بشير، وأنس.. وقد روى نحو هذا عن أبى ذر مرفوعا.

عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ

وعن ابن مسعود – رضى الله عنه – أنه سئل عن رجل زنى بامرأة ثم تزوجها، هل يجوز؟ قال: نعم، وقرأ قوله تعالى: ﴿وهو الذى يقبل التوبة عن عباده...﴾ إلى آخر الآية.

قوله تعالى: ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أى: يجيب دعاءهم.

وقوله: ﴿ويزيدهم من فضله﴾ أى: الثناء الحسن فى الدنيا، وقيل: الشفاعة فى الآخرة، والمعروف مضاعفة الحسنات.

وقوله: ﴿والكافرون لهم عذاب شديد﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده﴾ أى: وسع عليهم الرزق، وقيل: أعطاهم كل ما يتمنونه.

وقوله: ﴿لبغوا فى الأرض﴾ أى: عصوا وطغوا فى الأرض، والبغى فى الأرض هو العمل فيها بغير حق (وقيل: هو)[1] البَطَر والأَشَر.

وقوله: ﴿ولكن ينزل بقدر ما يشاء﴾ أى: بقدر كما يشاء.

وقوله: ﴿إنه بعباده خبير بصير﴾ أى: خبير بما يصلحهم، بصير بما يفعلونه ويطلبونه.

قوله تعالى: ﴿وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا﴾ أى: أيسوا، وفى بعض الأخبار، أن رجلا أتى النبى ﷺ وقال: يا رسول الله، قد أجدبت الأرض، وقنط الناس، فادع الله ينزل الغيث لنا فقال [له][2]: «ارجع إلى قومك فقد مطرتم». فكان

---

(١) ليست فى «ك».

(٢) من «ك».

﴿الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩) وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٠)﴾

كما قال[١].

﴿وينشر رحمته﴾ أى: بإنزال الغيث.

وقوله: ﴿وهو الولى الحميد﴾ أى: المالك لما يفعله، المستحق للحمد فيما ينزله من الغيث.

قوله تعالى: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المراد به وما بث في الأرض من دابة، فذكر السماء والأرض، والمراد أحدهما، وهو مثل قوله تعالى: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾[٢] وإنما يستخرج من أحدهما، وهو المالح دون العذب.

والقول الثانى: أن قوله: ﴿وما بث فيهما من دابة﴾ وهو[٣] على حقيقته، والدابة كل ما يدب، والملائكة مما يدب، قاله مجاهد وغيره.

﴿وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾ أى: قادر.

قوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ فإن قال قائل: قد نرى من تصيبه المصيبة بغير ذنب سبق منه، فكيف وجه الآية؟ والجواب من وجوه: أحدها: أن قوله: ﴿وما أصابكم من مصيبة﴾ هى الحدود تقام على العاصى ولا تقام إلا على العاصين، وهذا قول حسن.

---

(١) لم أقف عليه مرفوعًا، وقد روى موقوفا على عمر، رواه ابن جرير (٢٥ / ٢٠)، وعبد الرزاق فى تفسيره، والثعلبى (تخريج الكشاف ٣ / ٢٤٠) عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلا أتى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، قحط المطر، وقنط الناس... فذكره. وزاد فى الدر (٦ / ١٠): عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢) الرحمن: ٢٢.

(٣) من «ك».

وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ آيَاتِه

والثانى : أن قوله ﴿ وما أصابكم من مصيبة ﴾ يراد بها المعاقبة فيما كسبت أيديكم، فعلى هذا يجوز أن يصيب الإنسان مصيبة من غير ذنب ولا كسب إذا لم يرد بها المعاقبة .

والقول الثالث : أن الآية على العموم، ولا يصيب أحداً بلاء وشدة إلا بذنب سبق منه، أو تنبيه لئلا يعمل ذنبا، أو ليعتبر به ذو ذنب .

وقد روى عن النبى ﷺ [أنه](١) أنه قال : « ما من خَدْش أو عثرة قدم أو اختلاج عِرْق إلا بذنب، وما يغفر الله أكثر »(٢) . وعن العلاء بن بدر : ما يصيب أحداً مصيبة إلا بذنب منه، فقيل له : كيف هذا، وقد عميت صغيراً، وما كنت أعمى؟ فقال : بذنب والدى .

تعلق بهذه الآية بعض من يقول بالتناسخ، وقال : إنا نرى البلاء يصيب الأطفال ولم يكن منهم ذنب، فدل أنه سبق منهم ذنوب من قبل وعوقبوا بها .

وتعلق بهذه الآية أيضًا من يقول إن الأطفال لا يألمون أصلا فكذلك البهائم، وإنما صياحهم لأذى قلوب الوالدين .

وكلا القولين باطل، ويجوز عند أهل السنة أن يوجد الله الألم إلى من يشاء من عباده بغير ذنب سبق منه، وكذلك إلى جميع الحيوانات، وأما وجه الآية قد بينا، وكذلك قول من يقول : إن الأطفال لا يألمون باطل؛ لأنه دفع الحس والعيان .

وقوله : ﴿ وما أنتم بمعجزين فى الأرض ﴾ أى : بمعجزين الله فى الأرض، وقد بينا معناه فيما سبق .

---

(١) من « ك » .

(٢) رواه الطبرانى فى الصغير (٢ / ٢١٦ رقم ١٠٥٣)، وأبو نعيم فى تاريخ أصبهان (٢ / ٢٤٧)، وابن مردويه (تخريج الكشاف ٣ / ٢٤١)، وابن عساكر (٢٤ / ٩٠رقم٥٢١٣) جميعهم عن البراء مرفوعا به . وقد روى نحوه عن الحسن وقتادة مرسلا . وفى الباب عن على بن أبى طالب، وأبى موسى، وعمران بن حصين، وانظر الدر (٦ / ١٠-١١)، وتخريج الكشاف (٣ / ٢٤٠-٢٤١) .

الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾

وقوله: ﴿وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام﴾ أى: السفن، وقوله: ﴿كالأعلام﴾ أى: كالجبال، قالت الخنساء تمدح أخاها صخراً:

وإن صخـرا لتأتم الهداة به　　　كأنه علمٌ فى رأسه نارٌ

أى: جبل.

وقوله: ﴿إن يشأ يسكن الريح﴾ معناه: إن يشأ تسكين الريح يسكن الريح، قال قتادة: إن السفن تجرى بالرياح؛ فإذا هبت سارت، وإذا سكنت وقفت.

وقوله: ﴿فيظللن رواكد على ظهره﴾ أى: ثوابت على ظهر البحر، ومعناه: الريح إذا سكنت بقيت السفن ثوابت على ظهر البحر، لا تجرى.

قوله: ﴿إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ أى: صبار على البلايا، شكور للنعم، وعن بعضهم: إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور أى: المؤمن؛ لأن المؤمن هو الصبار الشكور، قال مطرف: نعم العبد المؤمن إذا ابتلى صبر، وإذا أعطى شكر. وعن عون بن عبد الله قال: رُبَّ مُنْعَم عليه غير شكور، ومبتلى غير صبور.

قوله تعالى: ﴿أو يوبقهن بما كسبوا﴾ أى: يهلك السفن بمن فيها، وقيل: أهل السفن. وقوله: ﴿بما كسبوا﴾ أى: بما كسبوا من الذنوب، وقوله: ﴿أو﴾ معناه: أو إن يشأ يوبقهن.

وقوله: ﴿ويعف عن كثير﴾ أى: يتجاوز عن كثير من الذنوب، وحكى أن شريحاً رؤى وفى يده (قرحة)[1] فقيل له: ما هذا يا أبا أمية؟ فقال: وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير.

(١) في «ك»: جرحة.

وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا

وقوله: ﴿ ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا ﴾ وقرئ: «ويعلمُ» بضم الميم، فأما القراءة بنصب الميم فبتقدير أن، وأما بالرفع فمعناه وسيعلم الذين يجادلون فى آياتنا.

﴿ ما لهم من محيص ﴾ أى: ملجأ ومهرب، قاله السدى وغيره.

وقوله: ﴿ فما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا ﴾ أى: منفعة الحياة الدنيا.

وقوله: ﴿ وما عند الله خير وأبقى ﴾ أى: الجنة خير وأدوم.

وقوله: ﴿ للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ والذين يجتنبون كبائر الإثم ﴾ وقرئ: «كبير الإثم»، وقد بينا تفسير الكبائر من قبل.

وفى التفسير: أن قتل النفس، وقذف المحصنات، والإشراك بالله، وعقوق الوالدين والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، والتأفيف، والسحر، وشرب الخمر؛ من الكبائر، ويقال: كل ما أوعد الله عليه فى النار فهو من الكبائر. وأما إضافة الكبائر إلى الإثم فيقال: إنما أضافها إليه؛ لأن فى الإثم كبيراً وصغيراً. ويقال: إضافة الكبائر إلى الإثم كإضافة الصفة إلى الموصوف.

وقوله: ﴿ والفواحش ﴾ الفواحش: هى القبائح من الزنا وغيره.

وقوله: ﴿ وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾ أى: يتجاوزون، وفى الخبر المعروف أن النبى ﷺ قال: «ألا أنبئكم بالشديد؟ قالوا: نعم. قال: من ملك نفسه عند الغضب»[١].

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (١٠/ ٥٣٥ رقم ٦١١٤)، ومسلم (١٦/ ٢٤٥-٢٤٦ رقم ٢٦٠٩). وقد أورده المصنف بمعناه كعادته.

لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا

قوله تعالى: ﴿ والذين استجابوا لربهم ﴾ يقال: إن الآية نزلت فى الأنصار، ويقال: إنها عامة.

وقوله: ﴿ وأقاموا الصلاة ﴾ إقامة الصلاة إتيانها بشرائطها وحفظها بحدودها.

وقوله: ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ ذكر النقاش: أن هذا فى الأنصار وكانوا يتشاورون فى الأمر بينهم؛ فمدحهم الله على ذلك، وذلك دليل على اتفاق الكلمة، وترك الاستبداد بالرأى، والرجوع إلى الرأى عند نزول الحادثة. وقيل: إن الأنصار تشاوروا فيما بينهم حين دعاهم النبى ﷺ إلى الإيمان، ثم أجابوه إلى الإيمان.

وعن الحسن البصرى قال: ما تشاور قوم إلا هدوا إلى أرشد أمورهم. والشورى مأخوذة من قولهم: شرت الدابة أشورها إذا سيرتها مقبلة، ومدبرة لاستخراج السير منها. ويقال: لذلك الموضع المشوار. والعرب تقول: إياك والخطب فإنها مشوار كثير العناد.

وفى الخبر برواية [أبى][1] عثمان النهدى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «إذا كانت أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم أسخياؤكم وأمركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم، من بطنها، وإذا كانت أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم (بخلاؤكم)[2]، وأمركم إلى نسائكم؛ فبطن الأرض خير لكم من ظهرها»[3].

واعلم أن هذه السورة تسمى سورة الشورى.

وقوله: ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ أى: يتصدقون.

قوله تعالى: ﴿ والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ﴾ أى: الظلم، وقوله:

---

(١) من «ك» وفى «الأصل»: ابن، وهو تحريف.

(٢) فى «ك»: أسخياؤكم.

(٣) رواه الترمذى (٤/ ٤٥٩ رقم ٢٢٦٦)، والخطيب فى تاريخه (٢/ ١٩٠) من حديث أبى عثمان النهدى به. وقال الترمذى: هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث صالح المرى، وصالح المرى فى حديثه غرائب ينفرد بها لايتابع عليها، وهو رجل صالح.

أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى

﴿ ينتصرون ﴾ أى : يتناصرون، فينصر بعضهم بعضًا لرفع البغى، وهو من باب الحسبة، ينتصرون بالأمر بالمعروف. وقيل : ينتصرون أى : ينتصرون من الظالم، والانتصار من الظالم هو أخذ الحق منه. وفى التفسير عن الحسن البصرى وغيره قال : كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم حتى لا يجترئ عليهم الفساق.

وذكر الكلبى : أن الآية نزلت فى شأن أبى بكر الصديق، فروى أن رجلا من الأنصار سبَّ أبا بكر عند النبى ﷺ، فسكت أبو بكر وسكت النبى ﷺ، ثم إن أبا بكر أجابه، فقام النبى ﷺ مُغْضَبًا، وذهب فَتَبِعَه أبو بكر، وقال : يا رسول الله، إن الذى فعلت بى أشد مما فعله الأنصارى، سَبَّنى فسكت، ولم تنكر عليه، ثم لما أجبت قُمْتَ مغضبًا، فقال : كان الملك يرد عليه حين سكت؛ فلما أجبت ذهب الملك؛ فذهبت، وأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿ والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ﴾[1] فيجوز للمظلوم الانتصار من ظالمه.

قوله تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ سمى الثانى [سيئة][2] على ازدواج الكلام، وعند الفقهاء أن الآية فى القتل والجراحات؛ فإذا قتله يقتله وليه، وإذا جرحه. يجرحه، وذهب جماعة من السلف إلى أن هذا فى غير القتل والجراحات أيضًا فإذا قال : أخزاك الله، يقول : أخزاك الله، وإذا قال : لعنك الله، يقول : لعنك الله، ولا يزيد عليه، وكذلك قالوا : إذا سبَّ سبَّه، وهذا فيما لا يدخله الكذب، فأما ما يدخله الكذب فلا ينبغى أن يكذب عليه، وما ذكرناه مروى عن مجاهد وغيره.

---

(١) رواه أبو داود (٤ / ٢٧٤ رقم ٤٨٩٧)، وأحمد (٢ / ٤٣٦)، والبيهقى فى السنن (١٠ / ٢٣٥ ، ٢٣٦)، وفى الآداب (٥٣ رقم ١٤٩، ١٥٠ مكرر) من حديث أبى هريرة مرفوعا ورواه أبو داود (٤ / ٢٧٤ رقم ٤٨٩٦) وغيره عن سعيد بن المسيب مرسلا، وذكر الدارقطنى فى علله (٨ / ١٥٣ رقم ١٤٧٢) أن المرسل هو الصواب، ونقل المنذرى (٣ / ٤٤٦ – الترغيب) عن البخارى مثله.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ

قوله: ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ يعني: عفا عن الظالم وأصلح الأمر بينه وبينه ﴿فأجره على الله﴾ أى: ثوابه على الله، وفى بعض الأخبار: «أن الله تعالى يقول يوم القيامة: «ألا لَيقُمْ من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا»[(١)].

وقوله: ﴿إنه لا يحب الظالمين﴾ أى: من يتجاوز عن الحق إلى غير الحق.

قوله تعالى: ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ أى: من سبيل فى القيامة.

قوله: ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق﴾ أى: يطلبون زيادة ليست لهم، وقيل: يسعون فى الأرض بالمعاصى.

وقوله: ﴿أولئك لهم عذاب أليم﴾ أى: مؤلم موجع.

قوله تعالى: ﴿ولمن صبر وغفر﴾ أى: صبر على الأذى، وغفر للمؤذى، ويقال: صبر عن المعاصى وغفر لمن يظلمه. ويقال: صبر عن ظلم الناس، ومن ظلمه عفا عنه.

وقوله: ﴿إن ذلك من عزم الأمور﴾ أى: من حق (الأمور)[(٢)]، وقيل: من عزائم الله التى ندب إليها عباده. ويقال: من ثابت الأمور التى لا تنسخ. قال الزجاج: ندب الله تعالى المظلوم أن (يعفو)[(٣)] عن الظالم، ويصبر عن الظلم؛ لينال الثواب فى

---

(١) رواه العقيلى فى الضعفاء (٣/٤٤٧ - ٤٤٨)، والطبرانى فى الأوسط (٨/١٧٢ رقم ٤٩٠٧ مجمع البحرين)، وأبو نعيم فى الحلية (٦/١٨٧)، وزاد الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣/٢٤٣)، الطبرانى فى مكارم الأخلاق، والبيهقى فى شعب الإيمان، جميعهم عن أنس مرفوعا بنحوه. وزاد السيوطى فى الدر (٦/١٢) نسبته لابن أبى حاتم، وابن مردويه. وحسنه المنذرى فى الترغيب (٢/٣١٨، ٣/٣٠٩)، وقال العقيلى: وهذا يروى بغير هذا الإسناد من وجه أصلح منه. وفى الباب عن ابن عباس، وعبد الله بن عمرو، وأبى هريرة، وراجع تخريج الكشاف للزيلعى، والدر للسيوطى.

(٢) فى «ك»: الله.

(٣) فى «ك»: يغفر.

فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي

الآخرة، فمن كان أرغب فى ثواب الآخرة فهو أتم عزمًا على الصبر.

وقوله تعالى: ﴿ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده﴾ أى: يضلله الله.

وقوله: ﴿فما له من ولى من بعده﴾ أى: لا يجد من بعد الله من يهديه.

وقوله: ﴿وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل﴾ أى: من رجوع إلى الدنيا ليتوب.

قوله تعالى: ﴿وتراهم يعرضون عليها﴾ أى: على النار، ويقال: إن الآية فى آل فرعون، ويقال: فى آل فرعون وغيرهم. والأصح أن هذا فى القيامة، ويعرضون على النار ليدخلوا فيها.

وقوله: ﴿خاشعين من الذل﴾ أى: خاضعين من الذل، ومعناه: [الانكسار](١) وذلة النفس حين يرون العذاب وتنزل بهم الندامة.

قوله: ﴿ينظرون من طرف خفى﴾ أى: يسارقون النظر إلى النار، ويقال: ينظرون بأنصاف عيونهم، ولا يفتحون أعينهم عليها خوفًا منها. وعن بعضهم قال: ينظرون بقلوبهم؛ لأنهم يحشرون عميًا، فالطرف الخفى هو رؤية القلب.

وقوله: ﴿وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ أما خسرانهم أنفسهم فبدخولهم النار، وأما خسرانهم أهليهم فلأنهم لو آمنوا أصابوا أهلا فى الجنة، فلما كفروا ودخلوا النار فاتهم أهلوهم فى الجنة، فهو خسران الأهل. ويقال: لكل واحد من الكفار أهل مسمى فى الجنة لو آمن.

وقوله: ﴿ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم﴾ أى: دائم.

---

(١) فى «الأصل وك»: الإنكار، والمثبت أنسب للسياق.

عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ

قوله: ﴿ وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ﴾ أى: يمنعون عنهم عذاب الله.

وقوله: ﴿ ومن يضلل الله فما له من سبيل ﴾ أى: من طريق إلى الجنة.

قوله تعالى: ﴿ استجيبوا لربكم ﴾ أى: استجيبوا لربكم بقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وقوله: ﴿ من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله ﴾ أى: لا رد له.

وقوله: ﴿ ما لكم من ملجأ يومئذ ﴾ أى: مهرب وملاذ.

وقوله: ﴿ وما لكم من نكير ﴾ أى: إنكار، ويقال: ليس لكم من أن تنكروا العقوبة التى تنالكم. وقيل: ما لكم من نكير أى: تغيير.

وقوله تعالى: ﴿ فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظًا ﴾ أى: حافظًا.

وقوله: ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ أى: التبيلغ.

وقوله: ﴿ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة ﴾ أى: النعمة والعافية.

وقوله: ﴿ فرح بها ﴾ أى: سُرَّ بها.

وقوله: ﴿ وإن تصبهم سيئة ﴾ أى: شدة وبلاء، وقيل: الجدب الذى هو ضد الخصب.

وقوله: ﴿ بما قدمت أيديهم ﴾ أى: من الذنوب.

وقوله: ﴿ فإن الإنسان كفور ﴾ معناه: كافر لنعم الله لا يشكرها.

فَإِنَّ الإنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ

قوله تعالى: ﴿لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور﴾ أى: يعطى الإناث دون الذكور، والذكور دون الإناث.

وقوله: ﴿أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا﴾ أى: يجمع الذكور والإناث فى العطاء، ومعنى قوله: ﴿يزوجهم﴾ أى: يصنفهم كأنه يجعل الأولاد صنفين: صنفًا إناثًا، وصنفًاذكورًا.

وقوله: ﴿ويجعل من يشاء عقيمًا﴾ أى: لا يولد له أصلا، وفى التفسير: أن الآية فى الأنبياء، فقوله: ﴿يهب لمن يشاء إناثًا﴾ هو لوط النبى ﷺ كان له بنات، ولم يكن له ولد ذكر، وقوله: ﴿ويهب لمن يشاء الذكور﴾ هو إبراهيم – صلوات الله عليه – كان له بنون، ولم تكن له أنثى، وقوله: ﴿أو نزوجهم ذكرانًا وإناثًا﴾ هو الرسول – صلوات الله عليه – ولد له أربعة بنين، وأربع بنات، فالبنون: القاسم وبه كنى رسول الله ﷺ، وعبد الله، والطاهر، وكان يسمى الطيب أيضًا وإبراهيم، فالثلاثة الأولون من خديجة – رضى الله عنها –وإبراهيم بن مارية القبطية، وأما البنات: فزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، كلهن من خديجة – رضى الله عنها – وعنهن، وقوله: ﴿ويجعل من يشاء عقيمًا﴾ هو يحيى وعيسى عليهما السلام – لم يكن لهما ولد ولا زوجة.

وقوله: ﴿إنه عليم قدير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا﴾ ذكر النقاش فى تفسيره: أن سبب نزول الآية هو أن المشركين قالوا للنبى ﷺ: هلا كلمك الله ونظرت إليه كما كان موسى؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله ﴿إلا وحيًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الإلهام من الله تعالى بالنفث فى

رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا

صدره، والآخر: أنه الرؤيا فى المنام. وفى بعض الروايات عن ابن عباس: لم يَرَ جبريلَ من الأنبياء غيرُ أربعة هم: موسى، وعيسى، وزكريا، ومحمد - عليهم الصلاة والسلام - وأما الباقون فكان لهم وحى وإلهام، وهذه رواية غريبة.

وقوله: ﴿أو من وراء حجاب﴾ أى: كما كلم موسى من وراء حجاب، وقيل: بالحجاب على موضع الكلام لا على الله. [وقيل][1]: إن موسى عليه السلام لما سمع كلام الله ولم يره كان بمنزلة من يسمع من وراء الحجاب.

وقوله: ﴿أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء﴾ يعنى: يرسل جبريل بالوحى إلى من يشاء من الأنبياء، [وجملة][2] الذى وصل إلى الأنبياء من الوحى على ثلاثة وجوه: وحى إلهام، ورؤيا فى المنام، ووحى بتكليم الله تعالى، ووحى بلسان جبريل عليه السلام. وعن مجاهد أنه قال: أوحى الله تعالى الزبور إلى داود فقرأه من قلبه، ولم يكن على لسان جبريل. وفى بعض الآثار: أن الله تعالى وكل بحفظ الوحى جبريل عليه السلام، وكذلك بإيصاله إلى الأنبياء، وكذلك وكَّلهَ بنصرة الأنبياء وعذاب الكفار، ووكَّل ميكائيل بالقطر والنبات، ووكل إسرافيل بالصّور، وهو أيضًا من حملة العرش، ووكَّل ملك الموت بقبض الأرواح؛ فهم موكلون على هذه الأشياء بإذن الله تعالى.

وفى بعض الأخبار أن جبريل - عليه السلام - كان يلقى النبى ﷺ فى ثياب بياض ملفوفة بالدر والياقوت ورجلاه مغموستان فى خضرة. وقد ذكرنا فى رواية عن النبى ﷺ «أن المرسلين من الأنبياء مائة [وخمسة][3] عشر [جمًّا غفيرًا][4] أولهم آدم

(١) من «ك»، وفي «الأصل»: وقال.

(٢) فى «الأصل»: والجملة.

(٣) من «ك»، وفى «الأصل»: وخمسين. وقد ذكره المصنف نفسه فى تفسير سورة النساء، وفيه: وثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا.

(٤) فى «الأصل، وك»: حشما فقراء، وما أثبتنا هو الصواب كما تقدم، وذكره المصنف نفسه فى تفسير سورة النساء.

وآخرهم محمد عليهما السلام»[١].

وقوله: ﴿إنه عليٌّ حكيم﴾ أي: متعالٍ عما يصفونه (المشركون)[٢]، حكيم في جميع ما يفعله.

قوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ الروح هاهنا هو القرآن، سماه روحًا؛ لأنه تحيا به القلوب كالروح تحيا به النفوس، وقيل: إنه النبوة، والأول أشهر.

وقوله: ﴿من أمرنا﴾ أي: بأمرنا.

وقوله: ﴿وما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان﴾ الكتاب هو القرآن، وقيل: ما كنت تدرى ما الكتاب لولا أنزلنا إياه عليك. وقوله: ﴿ولا الإيمان﴾ المعروف أن المراد به شرائع الإيمان، وهذا قد حكى عن محمد بن إسحاق بن خزيمة وغيره من أئمة السنة.

وعن بعضهم أن معناه: ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان أى: قبل البلوغ. والقول الثالث: ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان أى: أهل الإيمان، وهذا حكى عن الحسين بن الفضل البجلى.

وفى بعض المسانيد برواية النزال بن سبرة عن عليٍّ رضى الله عنه - أنه قال: «قيل لرسول الله ﷺ: هل عبدت وثنًا قط؟ قال: لا. وقيل له: هل شربت خمراً قط؟ قال: لا. وما زلت أعرف أن ما هم عليه باطل، ولم يوح إلى كتاب ولا إيمان[٣]» والخبر غريب.

وقوله: ﴿ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم﴾ أى: تدعو، وفى قراءة أبى بن كعب: «وإنك لتدعو إلى صراط مستقيم»

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى «ك»: المشركين.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر (٦/ ١٤) لأبى نعيم فى الدلائل وابن عساكر.

وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ ﴿٥٣﴾ .

هى تبين معنى القراءة المعروفة، وقرأ عاصم الجحدرى: «وإنك لتُهْدَى إلى صراط مستقيم» على ما لم يسم فاعله، ومعناه بَيِّن.

قوله تعالى: ﴿صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾ أى: ترجع الأمور، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ

تفسير سورة الزخرف

وهى مكية

﴿ حم ﴾ قد ذكرنا معنى حم.

وقوله: ﴿ والكتاب المبين ﴾ هو القرآن، وسماه مبينًا؛ لأنه أبان فيه الهدى من الضلالة، والخير من الشر، وأبان فيه جميع ما يؤتى وجميع ما يتقى. ومعنى الآية هو القسم، فكأنه أقسم بحم وبالقرآن، وجواب القسم قوله: ﴿ إنا جلناه قرآنا عربيا ﴾ وكذلك قوله: ﴿ وإنه فى أم الكتاب ﴾ جواب القسم أيضاً.

قوله تعالى: ﴿ إنا جعلناه ﴾ قال السدى: أنزلناه. وقال مجاهد: قلناه. وعن بعضهم: بيناه، قاله سفيان الثورى. واستدل بهذا من زعم أن القرآن مخلوق، وذكر أن الجعل بمعنى الخلق بدليل قوله تعالى: ﴿ الذى جعل لكم الأرض مهدا ﴾(١) أى: خلق لكم، وعندنا هذا التعلق باطل، والقرآن كلام الله غير مخلوق، وعليه إجماع أهل السنة، وزعموا أن من قال: إنه مخلوق فهو كافر؛ لأن فيه نفى كلام الله تعالى، وقد بينا وجه الآية عند السلف ومن يعتمد فى تفسيره.

وقد ورد الجعل فى القرآن لا بمعنى الخلق،قال الله تعالى: ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ﴾(٢) ومعناه: أنهم وصفوهم بالأنوثة وليس المعنى أنهم خلقوهم.

وقوله: ﴿ قرآنا عربيا ﴾ أى: بلسان العرب.

وقوله: ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ أى: تعقلون ما فيه.

قوله تعالى: ﴿ وإنه فى أم الكتاب ﴾ أى: القرآن فى اللوح المحفوظ. وفى بعض

(١) طه: ٥٣.

(٢) الزخرف: ١٩.

﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ

التفاسير: أن أم الكتاب مذكور عند الله تعالى، قد بين فيه جميع الأشياء، فإذا كان يوم القيامة عورض ما كان من المكاتبات بذلك الذكر فتوجد على السواء.

وقد ثبت عن النبى ﷺ [أنه][1] قال: «إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: ما هو كائن إلى يوم القيامة»[2].

وقوله: ﴿لدينا﴾ أى: عندنا.

وقوله تعالى: ﴿لعلى﴾ أى: رفيع لا يناله أحد بتبديل ولا تغيير.

وقوله: ﴿حكيم﴾ أى: أحكمت آياته لا يزاد فيها ولا ينقص.

قوله تعالى: ﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحا﴾ معناه: أفنصفح عنكم وقد كذبتم بآياتى وتركتم أوامرى. قال القتيبى: وهذا مأخوذ من قولهم: ضرب فلان دابته وصفحت عنه أى: مالت عنه، وحقيقة المراد: أفنضرب عنكم الذكر صافحين أى: نمهلكم ونترككم فلا نأمركم ولا ننهاكم ولا نعرفكم ما يجب عليكم ﴿أن كنتم قوما مسرفين﴾ أى: لأن كنتم قوما مسرفين. ويقال معناه: نترككم والتكذيب ولا نعاقبكم عليه.

وقوله تعالى: ﴿وكم أرسلنا من نبى فى الأولين﴾ كم للتكثير.

وقوله: ﴿من نبى فى الأولين﴾ أى: فى القرون الماضية.

قوله تعالى: ﴿وما يأتيهم من نبى إلا كانوا به يستهزئون﴾ أى: يسخرون، وهذا على الأكثر؛ لأنه قد كان فيهم من آمن.

قوله: ﴿فأهلكنا أشد منهم بطشا﴾ أى: فأهلكنا من هو أشد من قومك بطشا أى: قوة.

وقوله: ﴿ومضى مثل الأولين﴾ أى: عقوبات الأولين، وذكر بلفظ المثل على

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) تقدم تخريجه.

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ

معنى أنها سنة المكذبين من قبل. وقرئ: «مُثُل الأولين» بضم الميم والثاء على الجمع، ومعناه ما بينا.

قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض﴾ أى: ولئن سألت المشركين من خالق السموات والأرض ﴿ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ وهذا على طريق التعجيب من حالهم أى: كيف يعبدون الأصنام ويزعمون أن لله شريكًا، وقد أقروا أن الله تعالى خالق السموات والأرض؟

قوله تعالى: ﴿الذى جعل لكم الأرض مهدا﴾ هذا ابتداء كلام من الله تعالى من غير أن يكون حكاية عن الكفار؛ لأن كلامهم قد تم فى الآية الأولى.

وقوله: ﴿وجعل لكم الأرض مهدا﴾ قد بينا من قبل.

وقوله: ﴿وجعل لكم فيها سبلا﴾ أى: [طرقًا](١).

وقوله: ﴿لعلكم تهتدون﴾ أى: تهتدون بسلوكها فى أسفاركم. وقيل: فى معايشكم وتصرفاتكم.

قوله تعالى: ﴿والذى نزل من السماء ماء بقدر﴾ أى: بمقدار معلوم، فلا ينقص عن حاجات الناس فلا ينتفعون به، ولا يزيد فيكون سيلا مهلكا، وهذا على أكثر الأحوال، وقد يكون بخلافه.

وقوله: ﴿فأنشرنا به بلدة ميتا﴾ معناه: أحيينا به أرضا ميتة.

وقوله: ﴿كذلك تخرجون﴾ يعنى: تبعثون يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿والذى خلق الأزواج كلها﴾ أى: الأصناف كلها، ويقال: لكل شيئين قرينين زوجان، وكل واحد منهما زوج صاحبه، وذلك السماء والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، والجنة والنار، وما أشبه ذلك. وكذلك ما يعود إلى

(١) من «ك»، وفى «الأصل»: طريقا.

بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ

أحوال الإنسان من المرض والصحة، والفقر والغنى، والخير والشر، والنوم واليقظة، وما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون﴾ الفلك: هى السفن، واختلف القول فى الأنعام، فذهب مقاتل إلى أنها الإبل والبقر، والقول الثانى: أنها الإبل خاصة، وهو الأولى، قال أبو معاذ النحوى: ومتى ركبت البقرة؟! وفى بعض الأخبار: أن رجلا ركب بقرة فتكلمت البقرة، وقالت: ما خلقنا لهذا، وإنما خلقنا للحرث.

وقوله: ﴿لتستوا على ظهوره﴾ فإن قيل: كيف لم يقل: على ظهورها، وقد تقدم لفظ الجمع؟ والجواب: أن قوله: ﴿على ظهوره﴾ ينصرف إلى كلمة «ما»، ومعناه: لتستووا على ظهور ما تركبونه.

وقوله: ﴿ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾ أى: مطيقين، أى: ما كنا نطيق تذليله وتسخيره لولا أن الله تعالى ذلله وسخره لنا. قال عمرو بن معد يكرب:

وقد علم القبائل ما عقيلٌ لنا فى النائبات بمقرنينا

وعن بعضهم أنه ركب بعيره وقال: سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، فسمعه الحسين بن على - رضى الله عنهما - فقال: أهكذا أمرت؟ إنما أمرت أن تذكر نعمة الله تعالى ثم تقول هذا، فإذا ركبت فقل: الحمد لله الذى هدانا للإسلام ومَنَّ علينا بمحمد ﷺ، والحمد لله الذى جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، ثم قال: «سبحان الذى سخر لنا هذا».

وقد ثبت برواية ابن عمر أن النبى ﷺ كان إذا استوى على بعيره متوجها فى سفر،

﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ

كبر الله ثلاثا، ثم قال: «سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى والعمل بما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا، واطوِ علينا بعده، اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب فى الأهل والمال والولد». وإذا رجع قال: آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون»(١). خرجه مسلم فى الصحيح.

وفى بعض الكتب عن سليمان بن يسار أنه قال: كنا فى سفر وكان الناس إذا استووا على دوابهم قالوا: ﴿سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾ وكان أعرابى على بعير هزيل فاستوى على بعيره وقال: أما إنى لهذا مقرن، [فقمص](٢) به، فوقع واندقت عنقه ومات.

وفى بعض الآثار أيضا: أن رجلا شابا خرج فى حلة له، قد رَجَّل شعره، فقيل له: إنك لجميل اليوم، فقال: إن الله يعجب من جمالى؛ فمسخه الله تعالى.

وعن بعضهم أيضا أنه كان يكتب القرآن فانعقد حبره ولم يحضره الماء، فقطر فيه قطرة بول فكتب، فجفت يده.

قوله تعالى: ﴿وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ أى: راجعون.

قوله تعالى: ﴿وجعلوا له من عباده جزءا﴾ أى: نصيبا، والنصيب الذى جعلوه لله تعالى هو أنهم قالوا: الملائكة بنات الله تعالى. [يقال](٣): أجزأت المرأة، إذا

(١) رواه مسلم (٩/١٥٧ - ١٥٨ رقم ١٣٤٢)، وأبو داود (٣/٣٣ رقم ٢٥٩٩) والترمذى (٥/٤٦٨ رقم ٣٤٤٧) وقال: حسن غريب، والنسائى فى الكبرى (٦/١٤١ رقم ١٠٣٨٢)، وأحمد فى مسنده (٢/١٤٤، ١٥٠)، وابن خزيمة فى صحيحه (٤/١٤١ رقم ٢٥٤٢)، وابن حبان (٦/٤١٢ - ٤١٣ رقم ٢٦٩٥، ٢٦٩٦)، والحاكم (٢/٢٥٤) وصححه.

(٢) فى «الأصل»: فمقمص. والقمص فى الفرس وغيره، وهو أن يرفع يديه ويطرحها معًا ويعجن برجليه. انظر لسان العرب (٧/٨٢).

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾

ولدت أنثى.

وقوله: ﴿إن الإنسان لكفور مبين﴾ أي: كفور للنعم بَيِّن الكفران.

قوله تعالى: ﴿أم اتخذ مما يخلق بنات﴾ معناه: أم اتخذ الله مما يخلق بنات ﴿وأصفاكم بالبنين﴾ أي: اختار لكم البنين، وهذا، [على][(1)] طريق الإنكار لقولهم. وفي التفسير: أن هذا القول كان يقوله بنو كنانة وبنو عامر وحي ثالث. وعن بعضهم: أن جميع قريش كانت تقوله، فقيل لهم: من أين تقولون هذا؟ فقالت: سمعنا آباءنا يقولون كذلك، ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا.

قوله تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا﴾ أي: وصف الله به.

وقوله: ﴿ظل وجهه مسودا وهو كظيم﴾ أي: حزين مكروب، ويقال: مملوء غمًّا وهمًّا.

قوله تعالى: ﴿أو من يُنَشَّأُ في الحلية﴾ أي: يُرَبَّى وينبت. وقرئ: «أو من ينشأ أي: ينبت

وقوله: ﴿في الحلية﴾ أي: في الحُلِيِّ، والحلية: الزينة، والمعنى: أنها مشغولة بزينتها ليس لها رأي في الأمور، ولا تصرف في الأشياء.

وقوله: ﴿وهو في الخصام غير مبين﴾ أي: في الجدال ضعيف الحجة، ضعيف القول. وفي التفسير: قلما تكلمت امرأة بحجة فأمكنها أن تبلغ حجتها، ويقال: قلما تكلمت امرأة بحجة إلا وتتكلم ما يكون حجة عليها، والآية وردت للإنكار عليهم يعني: أنكم جعلتم نصيبي من عبادي مثل هؤلاء، وجعلتم نصيبكم البنين.

قوله تعالى: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا﴾ معناه: وصفوا،

---

(1) من «ك».

وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ

وليس الجعل هاهنا بمعنى الخلق، إنما هو بمعنى الوصف والتسمية كما يقول القائل: جعل فلان زيداً أعلم الناس أى: وصفه به، وحكم له بذلك، وقرئ: «عند الرحمن» وهو عبارة عن القرب والرفعة.

وقوله: ﴿أشهدوا خلقهم﴾ معناه: أحضروا خلقهم فعرفوا أنهم خلقوا إناثا، وقرئ: «اشهدوا خلقهم﴾ معناه: احضروا.

وقوله: ﴿ستكتب شهادتهم﴾ وقرئ: «سنكتب» بالنون يعنى: [أنهم][1] يجازون بشهادتهم الكاذبة. وقيل: سنكتب ليجازوا.

وقوله: ﴿ويسألون﴾ أى: يسألون عن شهادتهم يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ تعلق بهذه الآية القدرية، وقالوا: حكى الله تعالى عن الكفار أنهم قالوا: لو شاء الرحمن ما عبدناهم، ثم عقبه بالإنكار والتهديد فقال: ﴿ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون﴾ أى: يكذبون، وعندكم أن الأمر على ما قالوا. والجواب من وجهين: أحدهما: أن معنى قوله: ﴿ما لهم بذلك من علم﴾ أى: ما لهم بقولهم إن الملائكة بنات الله من علم، إن هم إلا يخرصون يعنى: فى هذا القول. وقد تم الكلام على هذا عند قوله: ﴿لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ والإنكار غير راجع إليه، ويجوز أن يحكى من الكفار ما هو حق مثل قوله: ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾[2] وهذا القول حق وصدق، فإن قيل: أول الآية وآخرها خرج مخرج الإنكار عليهم فكيف يحكى عنهم ما هو حق؟ والجواب عنه: أنهم قالوا هذا لا على اعتقاد الحق ولكن لدفع القبول عن أنفسهم، وقد كانوا أمروا

---

(١) من «ك».

(٢) يس: ٤٧.

يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن

بالقبول، فأرادوا أن يدفعوا القبول من أنفسهم بهذا القول، كما أن فى الآية الأخرى أرادوا أن يدفعوا الأمر بالإنفاق عن أنفسهم بما قالوه، والقول على هذا القصد غير صحيح.

والوجه الثانى: أن معنى قوله: ﴿ما لهم بذلك من علم﴾ أى: ما لهم فى هذا القول من عذر.

وقوله: ﴿إن هم إلا يخرصون﴾ أى: يطلبون ما لا يكون من طلب العذر بهذا الكلام، حكاه النحاس، والأول ذكره الفراء والزجاج وغيرهما.

قوله تعالى: ﴿أم أتيناهم كتابا من قبله﴾ أى: بما زعموا أن الملائكة خلقوا إناثا.

وقوله: ﴿فهم به مستمسكون﴾ أى: مستمسكون، وهذا على طريق الإنكار أيضا.

قوله تعالى: ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ وقرئ: «إمة» بكسر الألف فقوله: ﴿على أمة﴾ أى: على ملة ودين، قال الشاعر:

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً ... وهل يأثمن ذو أُمَّة وهو طائع

أى: ذو ملة.

وأما الإمة بكسر الألف فهى بمعنى الطريقة، قال الشاعر:

ثم بعد الفلاح والملك وإلا ... مة وارتهم هناك القبور

فقوله: والإمة يعنى: الطريقة الحسنة.

وقوله: ﴿وإنا على آثارهم مهتدون﴾ أى: متبعون.

قوله تعالى: ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها﴾

نَّذير إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ

أي: متنعموها. ووجه الإنكار أن الرفه منعهم[1] عن طلب الحق.

وقوله: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ ظاهر المعنى.

وفى الآيتين دليل على ذم التقليد والرجوع إلى قول الآباء من غير حجة.

قوله تعالى: ﴿قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم﴾ معناه: أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم وإن جئتكم بأهدى منه.

وقوله: ﴿قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون﴾ أى: جاحدون.

قوله تعالى: ﴿فانتقمنا منهم﴾ أى: بالإهلاك والعقوبة.

وقوله: ﴿فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ أى: الجاحدين.

قوله تعالى: ﴿وإذا قال إبراهيم لأبيه وقومه إننى براء مما تعبدون﴾ وفى قراءة ابن مسعود: «برىء» فقوله: ﴿براء﴾ بمعنى قوله: «برىء»، ويقال: إنه لغة أهل الحجاز – يعنى قوله: ﴿براء﴾ – وهو مما لا يثنى ولا يجمع.

وقوله: ﴿إلا الذى فطرنى﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه على حقيقة الاستثناء إلا أنهم كانوا يعبدون الله وما دونه، فيستقيم الاستثناء على هذا. والثانى: أنه استثناء منقطع، ومعناه: لكن الذى فطرنى أى: جعلنى ﴿فإنه سيهدين﴾ أى: يرشدنى.

قوله تعالى: ﴿وجعلها كلمة باقية﴾ قال مجاهد: هى قول لا إله إلا الله. وقال قتادة: هى الإخلاص والتوحيد. وعن بعضهم: أن الكلمة هى قول إبراهيم:

(١) فى «الأصل» و «ك»: منعتهم.

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم

﴿ أسلمت لرب العالمين ﴾(١). وذلك عندما قيل له: ﴿ أسلم ﴾(١). وأما قوله: ﴿ في عقبه ﴾ أي: في ولده. وفي التفسير: لا يزال في عقب إبراهيم من هو مستقيم على كلمة التوحيد. وقيل: ﴿ في عقبه ﴾ هو رجل واحد، وذلك محمد ﷺ. وقال السدي: في عقبه يعني: في آل محمد ﷺ ورضي عنهم.

وقوله: ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ أي: يرجعون إلى الهدى بعد الضلالة.

قوله تعالى: ﴿ بل متعت هؤلاء وآباءهم ﴾ أي: أمتعتهم بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، وأمتعت آباءهم.

وقوله: ﴿ حتى جاءهم الحق ورسول مبين ﴾ أي: جاءهم القرآن يبين الهدى من الضلالة، والحق من الباطل.

وقوله: ﴿ ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون ﴾ أي: جاحدون.

قوله تعالى: ﴿ وقالوا لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ وتقديره: على رجل من رجلي القريتين عظيم. والقريتان هما مكة والطائف، وأما الرجلان اختلفوا فيهما، قال ابن عباس: الذي من مكة هو الوليد بن المغيرة، والذي من الطائف هو حبيب بن عمرو الثقفي. وقيل: الذي من مكة هو عتبة بن ربيعة، والذي من الطائف هو عروة بن مسعود الثقفي، قاله قتادة. وقال مجاهد في الذي من الطائف: هو ابن عبد ياليل الثقفي. وعن السدي أيضا فيه: أنه كنانة بن عدي بن عمرو.

وقوله: ﴿ أهم يقسمون رحمة ربك ﴾ أي: رسالة ربك فيختارون لها من شاءوا. ومعناه: أنه ليس لهم هذا الاختيار.

(١) البقرة ١٣١.

مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا

وقوله: ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ﴾ أى: كما قسمنا معيشة الحياة الدنيا فاخترنا للغنى من شئنا، وللفقر من شئنا، فكذلك اخترنا واصطفينا للرسالة من شئنا. وقد روى ابن مسعود أن النبى ﷺ قال: «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطى الدين إلا من يحبه، ومن أعطاه الدين فقد أحبه»[١].

وعن قتادة: رُبَّ رجل ضعيف (الجبلة)[٢] عَيِىِّ اللسان [مبسوط له][٣] فى الرزق، وَرُبَّ رجل شديد (الجبلة)[٢]، فصيح اللسان مقتَّر عليه فى الرزق.

وقوله: ﴿ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ﴾ أى: فى الدنيا، فغنى وفقير، وفاضل ومفضول، وحر وعبد، وصحيح وسقيم، وأشباه ذلك.

وقوله: ﴿ ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ﴾ أى: خَوَلا. وقيل: بتسخير الغنى الفقير بماله، والقوى الضعيف بفضل قوته. ويقال: تتخذونهم مماليك وعبيدا، وبهذا القيام صلاح العالم، وأنشد بعضهم:

سبحان من سخر [الأنام][٤] بعضهم — للبعض حين استوى التدبير واطردا

فصار يخدم هذا ذاك من جهة — وذاك من جهة هذا وإن بعدا

كل بما عنده مستبشر فرح — يرى السعادة فيما نال واعتقدا

وقوله: ﴿ ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ أى: النبوة خير مما يجمعون من الدنيا، وقيل: الآخرة خير من الدنيا. وقرئ: «تجمعون» بالتاء، والأول أشهر.

قوله تعالى: ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ﴾ معناه: ولولا أن يكون الناس كلهم كفارا. وقيل: لولا أن الدنيا تميل بالناس عن الدين، لو فعلنا هذا بالكفار لفعلنا

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى تفسير القرطبى (١٦/ ٨٣): الحيلة.

(٣) فى «الأصل» و «ك»: مبسوطة.

(٤) فى «الأصل» و «ك»: الأنعام.

لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ

هذا لهوان الدنيا عندنا .

وقوله : ﴿ لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفًا من فضة ﴾ وقرئ : « سَقْفًا » بفتح السين يعني : جعلنا جدرها فضة .

وقوله : ﴿ ومعارج عليها يظهرون ﴾ أي : جعلنا لهم مراقي من فضة يظهرون عليها على السقف . ومعناه : يظهرون يصعدون ويعلون . وفي الأخبار : أن نابغة بن جعدة أنشد للنبي ﷺ :

بلغت السماء عفةً وتكرمًا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

أي : معلا ، فقال له النبي ﷺ : « إلى أين يا أبا ليلى؟ » قال : إلى الجنة . قال : « أجل إن شاء الله »[١] .

وقوله : ﴿ ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون ﴾ أي : جعلنا ذلك لهم من فضة .

وقوله : ﴿ وزخرفا ﴾ فيه قولان : أحدهما : وذهبًا أي : (جعلنا)[٢] جميع ذلك من ذهب . فإن قال قائل : لم انتصب؟ قلنا : لأن المعنى من فضة ومن ذهب ، فنزعت « من » فانتصب . وفي قراءة ابن مسعود : « وذهبا » وهذا يبين صحة هذا القول .

والقول الثاني : أن قوله : ﴿ وزخرفا ﴾ أي : غنى . وعن الحسن قال : الزخرف هي النقوش . وقيل : كل ما هو زينة في الدنيا .

وقوله : ﴿ وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ﴾ أي : تكون مدة ويفنى سريعا .

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦ / ٢٣٢ - ٢٣٣) ، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١ / ٧٣-٧٤) ، والبزار والحسن ابن سفيان في مسنديهما والشيرازي في الألقاب - كما في الإصابة (٣ / ٥٣٨-٥٣٩) ، وابن الأثير في أُسُد الغابة (٥ / ٢٩٢ - ٢٩٣) ، والحافظ في الإصابة جميعا من طريق يعلى بن الأشدق عن النابغة به . وقال ابن عبدالبر في الاستيعاب (٣ / ٥٨٤) : وقد روينا هذا الخبر من وجوه كثيرة عن النابغة .

(٢) في « ك » : فعلنا .

عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾

وقوله: ﴿والآخرة عند ربك للمتقين﴾ أى: للمتقين من الشرك والمعاصى.

قوله تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن﴾ قال قتادة: يعرض. ومنه قولهم: فلان يعشو أى: يمشى ببصر ضعيف. [يقال][(1)]: عشا يعشو إذا ضعف بصره، وعشى يعشى إذا عمى بصره، ومنه الأعشى. وفى الحديث أن سعيد بن المسيب ذهبت إحدى عينيه وجعل يعشو بالأخرى أى: يبصر بصرا ضعيفا. وقرئ: «يعشَ» بنصب الشين أى: يَعْمَى. ويقال فى معنى قوله: ﴿يعش عن ذكر الرحمن﴾ أى: يذهب عن ذكره؛ فيسير فى ظلمة وخبط[(2)] عن جهالة.

وقوله: ﴿نقيض له شيطانا﴾ أى: نوكل به شيطانا. ويقال: نلقيه شيطانا. وفى التفسير: أن الكافر إذا خرج من القبر لقيه شيطان، فأدخل يده فى يده، ولا يزال معه حتى يصير إلى النار، والمؤمن إذا خرج من قبره يلقاه ملك، فيدخل يده فى يده، فلا يزال معه حتى يصير إلى الجنة.

وقوله: ﴿فهو له قرين﴾ أى: مقارن. ويقال: يجعلان فى سلسلة واحدة.

قوله تعالى: ﴿وإنهم ليصدونهم عن السبيل﴾ أى: الشياطين يصدونهم عن طريق الحق.

وقوله: ﴿ويحسبون أنهم مهتدون﴾ أى: الكفار يحسبون أنهم مهتدون بإرشاد الشياطين.

وفى بعض المسانيد برواية أبى بكر - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار، فأكثروا منها فإن إبليس قال: أهلكت بنى آدم بالذنوب،

(1) فى «الأصل، وك»: فقال.

(2) فى «ك»: خطب.

(3) رواه أبو يعلى فى مسنده (1/123 - 124 رقم 136)، وابن أبى عاصم فى السنة (1/9 رقم 7)، والطبرانى فى الدعاء مختصراً (3/1601 رقم1780) عن أبى بكر، وقال الهيثمى فى المجمع (10/210): رواه أبو يعلى، وفيه عثمان بن مطر، وهو ضعيف. وقال الشيخ ناصر فى تحقيقه على السنة لابن أبى عاصم: إسناده موضوع، آفته عبد الغفور ... وقال ابن حبان: كان ممن يضع الحديث....

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾

وأهلكونى بلا إله إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك أهكلتهم بالأهواء، ثم قرأ النبى ﷺ: ﴿ ويحسبون أنهم مهتدون ﴾»(٣).

قوله تعالى: ﴿ حتى إذا جاءنا ﴾ وقرئ: «جاءانا»، فقوله: «جاءنا» هو الكافر وحده، وقوله: «جاءانا» هو الكافر وقرينه الشيطان.

وقوله: ﴿ قال يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ﴾ فيه قولان: أحدهما: بعد المشرق من المغرب، وسماها مشرقين على عادة العرب، فإنهم يذكرون [شيئين](١) مختلفين ويسمونهما باسم واحد، قال الشاعر:

أخذنا بآفاق السماء عليكم ... لنا قمراها والنجوم الطوالع

أى: الشمس والقمر.

وقال آخر:

وبصرة الأزد لنا والعراق ... والموصلان ومنا مصر والحرم

وأراد بالموصلين الموصل والجزيرة.

وروى أن أهل البصرة قالوا لعلى - رضى الله عنه - حين حاربوه مع عائشة يوم الجمل: إنا نطلب منك سنة العمرين يعنى: أبا بكر وعمر، وقال جرير:

ما كان يرضى رسول الله فعلهم ... والعمران أبو بكر ولا عمر

والقول الثانى: بعد المشرقين أى: مشرق الشتاء ومشرق الصيف.

وقوله: ﴿ فبئس القرين ﴾ أى: بئس المقارن أنت.

قوله تعالى: ﴿ ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون ﴾ أى: لن يسهل عليكم عذابكم رؤيتكم غيركم مشاركين لكم فى العذاب، فكأن الله

(١) فى «الأصل، وك»: بشيئين.

(٢) فى «الأصل، وك»: تسلى. والمثبت يقتضيه السياق.

أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ

تعالى منعهم التأسى بما يسهل على الإنسان المصيبة والعقوبة، فإنه إذا كان فى مصيبة فرأى غيره فى مثلها سهل عليه. والتأسى [التسلى](٢). قالت الخنساء فى أخيها صخر:

ولولا كثرة الباكين حولى على إخوانهم لقتلت نفسى

وما يبكون مثل أخى ولكن أعزى النفس [عنه](١) بالتأسى

وقوله تعالى: ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين﴾ أى: لا تُسمع ولا تهدى.

وقوله تعالى: ﴿فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون﴾ فيه قولان: أحدهما معناه: فإما نخرجنك من مكة، فإنا منتقمون منهم يوم بدر بالقتل والأسر.

والقول الثانى: ﴿فإما نذهبن بك﴾ يعنى: بالوفاة، فإنا منتقمون منهم بعدك، ويقال: يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿أو نرينك الذى وعدناهم﴾ قال السدى: هذا فى المشركين. وقال الحسن وقتادة: هذا فى أمته. «وروى أن النبى ﷺ أرى فى أمته بعض ما يصيرون إليه، فما رؤى ضاحكا نشيطا بعد ذلك إلى أن فارق الدنيا»(٢).

وفى بعض التفاسير: أنه ما من نبى إلا وأُرِىَ النقمة فى أمته إلا نبينا ﷺ، فإن الله تعالى لم يره النقمة فى أمته، وقد كان فى أمته من النقمات، ويكون إلى قيام الساعة.

وقوله: ﴿فإنا عليهم مقتدرون﴾ أى: قادرون.

---

(١) فى «الأصل، وك»: عنهم، وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه كما فى ديوان الخنساء ص٦٨.

(٢) رواه ابن جرير (٢٥/ ٤٥)، والحاكم (٢/ ٤٤٧) عن قتادة مرسلا. وزاد السيوطى فى الدر (٦/ ٢٠) نسبته لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن مردويه.

بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً

قوله تعالى: ﴿فاستمسك بالذى أوحى إليك﴾ أى: بالقرآن.

وقوله: ﴿إنك على صراط مستقيم﴾ أى: طريق واضح.

وقوله: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ أى: القرآن شرف لك ولقومك.

وقوله: ﴿وسوف تسألون﴾ أى: تسألون عن شكر هذه النعمة. وعن قتادة أو غيره فى هذه الآية قال: يقال للرجل: ممن أنت؟ فيقول: من العرب. فيقال له: من أى العرب؟ فيقول: من قريش، فهو معنى قوله: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ وروى بعضهم عن مالك بن أنس قال: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ هو قول القائل: حدثنى أبى عن جدى، والمعروف هو القول الأول، ومعنى شرف قريش: أن القرآن نزل بلغتهم، والرسول كان منهم.

﴿[واسأل من أرسلنا من قبلك](١) من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ المعروف من القول فى هذه الآية أن معناه: واسأل أمم من أرسلنا من قبلك من رسلنا. قال ابن الأنبارى معناه: وسل تبَّاع من أرسلنا من قبلك من رسلنا. وقال بعضهم: واسأل الذين يقرءون الكتاب ممن أرسلنا إليهم رسلا من قبلك. وفى مصحف ابن مسعود: «واسأل الذين أرسلنا إليهم رسلا من قبلك هل جعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون» وهى تفسير القراءة المعروفة.

والقول الثانى فى الآية: ما رواه عطاء عن ابن عباس: أن الله تعالى جمع المرسلين ليلة الإسراء فى مسجد بيت المقدس ثم إن جبريل أذن، ثم أقام، ثم قال للنبى ﷺ: تقدم وصل بهم، فلما فرغ من صلاته، قال له: «وسل من أرسلنا من قبلك من رسلنا

---

(١) سقط من «الأصل، وك».

(٢) رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٢٥/ ٤٧) عن ابن زيد مرسلا بنحوه.

يَعْبُدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ

وزعم بعضهم أنه سألهم فأجابوا وقالوا: ما أمرنا الله تعالى إلا بالتوحيد والإخلاص. وفى بعض التفاسير: أن ميكائيل قال لجبريل: هل سأل محمد الرسل عما أمر به؟ فقال: لا، كان أشد يقينا وأعلم بالله من أن يسأل عن ذلك. فإن قال قائل: ما وجه السؤال والجواب فى هذه المسألة؟ والسؤال عن هذا إنما يكون من شاك فى الأمر أما من مستيقن فلا، والجواب: أن المراد من الآية هو تقرير الرسول على ما يعتقده وتوبيخ الكفار وتوقيفهم أن الأمر على ما يقول الرسول ﷺ. وقال بعضهم: الخطاب للرسول والمراد منه الأمة، ويقال: [إن] (١) الخطاب للمشركين كأنه أمرهم أن يسألوا مؤمنى أهل الكتاب، هل أمر الله بما يزعمونه فى كتاب من كتبهم، وهو عبادة الأصنام وتعظيمها؟ وقد كانوا يرجعون إلى قول أهل الكتاب فى بعض الأشياء، ويعتمدون عليه، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال إنى رسول رب العالمين﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿فلما جاءهم بآياتنا﴾ أى: بالمعجزات والدلالات.

وقوله: ﴿إذا هم منها يضحكون﴾ يعنى: ضحك المستهزئين المكذبين، والمراد من الآية تعجيب الرسول من ضحكهم وتكذيبهم مع ورود الآيات الظاهرة مع موسى صلوات الله عليه.

قوله تعالى: ﴿وما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها﴾ أى: أعظم من الآية المتقدمة. وفى تفسير النقاش: أن الآية الأولى من آيات موسى أن فرعون كان قد جعل على قصره سبع حوائط، بين كل حائطين سباع وغياض، والأبواب على الحيطان كانت تقفل ولا تفتح إلا بإذنه؛ فلما حضر موسى باب فرعون، انفتحت له الأبواب،

---

(١) من «ك».

مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ

وانكسرت الأقفال، وسجدت له السباع حتى وصل إلى قصر فرعون، فهذه الآية الأولى، ثم إنه لما أحضر فرعون السحرة وألقوا العصى والحبال، وهى شبه الحيات الكبار فى أعين الناس ثم ألقى موسى العصا التى كانت معه، وتلقفت جميع الحبال والعصى على ما هو المعروف فى القصة، فهذه الآية أعظم من الأولى. وزعم بعضهم أن الآيات كلها سواء فى الإعجاز والدلالة، إلا أنه سمى الآية الحاضرة أكبر من الذاهبة لحضور هذه الآية وذهاب تلك. وهذا كالرجل يقول فى علة تصيبه: ما مرت بى علة مثل هذه العلة، وإن كان قد مرت عليه علل هى أكبر منها أو مثلها، ولكنه يقول هذا القول (لحضور)[1] هذه العلة وذهاب تلك العلة. ومنهم من قال: المراد من الآيات قوله تعالى: ﴿ فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ﴾[2] وما من آية أظهرها بعد آية إلا وهى أكبر من الأولى[3]، وما ذكرناه من القول الأول هو الأحسن فى المعنى.

وقوله: ﴿ وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون ﴾ أى: إلى الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون ﴾ فإن قيل: كيف قالوا: يا أيها الساحر ثم قالوا: إننا لمهتدون بك [ولا يهتدى أحد][4] بالساحر؟ والجواب: أن الساحر عندهم هو العالم، ومعنى قوله: ﴿ يا أيها الساحر ﴾ أى: يا أيها العالم، وهذا قول الكلبى وغيره. وقال الزجاج: قالوا يا أيها الساحر على ما (كانوا)[5] من قولهم له. وقال بعضهم: إنما قالوا ذلك على طريق الاستهزاء والسخرية ولم يكونوا اعتقدوا أن يؤمنوا به.

وقوله: ﴿ بما عهد عندك ﴾ إنما قالوا ذلك لأن موسى قال لهم: إن آمنتم كشف الله عنكم هذه العقوبة، وهذا مذكور فى سورة الأعراف على ما سبق.

(١) فى «ك»: لحصول.
(٢) الأعراف: ١٣٣.
(٣) فى «ك»: أختها.
(٤) فى «الأصل، وك»: وأحد لا يهتدى، والمثبت هو الأنسب للسياق.
(٥) فى «ك»: كان.

بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي

قوله تعالى: ﴿ فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون ﴾ أى: ينقضون العهد، ولا يقولون بقولهم.

قوله تعالى: ﴿ ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر ﴾ قال بعضهم: كان ملكه أربعين فرسخا فى أربعين. وقال بعضهم: مسيرة أربعين يوما فى أربعين يوما.

وقوله: ﴿ وهذه الأنهار تجرى من تحتى ﴾ أى: من تحت قصرى، وقال قتادة: بين يدى. وفى تفسير النقاش: أنه كان فى زمان فرعون خمسة أنهار بمصر اندرست من بعد، ولم يبق منها شىء. وفى هذا التفسير أيضا: أنه كان بمصر سبع خلج التى واحدها خليج، واندرست من بعد، وكان فرعون يركب من فيوم إلى دمياط والإسكندرية فلا يسير[1] إلا تحت الأشجار ملتفة وأنهار جارية.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «رأيت ليلة المعراج سدرة المنتهى وإذا يخرج من أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران قال: فسألت جبريل عن الأنهار فقال: أما الباطنان ففى الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات»[2].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: إن الله تعالى يغذى النيل بجميع الأنهار من بين المشرق والمغرب، وذلك عند زيادته إلى أن تنتهى الزيادة منتهاها، ثم يرجع إلى ما كان عليه.

وقوله: ﴿ أفلا تبصرون ﴾ يعنى: أفلا ترون. وفى بعض التفاسير: أن معنى الأنهار فى هذه الآية هى الأموال، وسماها أنهارًا لكثرتها وظهورها.

وقوله: ﴿ تجرى من تحتى ﴾ أى: أفرقها على من شئت. قالوا: وإظهار الترغيب

---

(١) فى «ك»: يركب.

(٢) تقدم تخريجه.

أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾

والقدرة فى هذا أكبر منه فى الأنهار، ذكره الماوردى أبو الحسن القاضى.

قوله تعالى: ﴿أم أنا خير من هذا الذى هو مهين﴾ قال بعضهم قوله: ﴿أم﴾ متصل بما قبله، ومعناه: أفلا تبصرون أم تبصرون. وقيل: أم أنتم بصراء وتم الكلام على هذا، ثم ابتدأ قوله: ﴿أنا خير﴾ وهذا محكى عن الخليل وسيبويه، وقال بعضهم: «أم» صلة زائدة، والكلام فى قوله: ﴿أنا خير من هذا الذى هو مهين﴾ وفى بعض القراءات: «أنا خير» على التفخيم.

وقوله: ﴿من هذا الذى هو مهين﴾ أى: ضعيف حقير.

وقوله: ﴿ولا يكاد يبين﴾ قال أهل التفسير: إنما قال هذا للثغة التى كانت فى لسانه، وذلك بما كان بقى فى لسانه من العقدة بإلقائه الجمرة فى فيه. وقال بعضهم: إنه كانت بلسانه لا يمكنه تبيين الكلام غاية البيان، وأنشدوا فيما ذكرنا من قوله: ﴿أم﴾ قول الشاعر:

فيا ظبية الوغا بين خلاخل ... وبين النقا أنت أم سالم(١)

معناه: أنتِ أحسن أم أم سالم.

قوله تعالى: ﴿فلولا ألقى عليه أساورة من ذهب﴾ وفى قراءة ابن مسعود: «أساور من ذهب» وفى القصة: أنهم كانوا إذا سوروا [رجلاً](٢) سوروه بسوار من ذهب فى يده، وطوقوه بطوق من ذهب فى عنقه. والمراد من الآية أنهم قالوا: ولو كان موسى نبيا فهلا سوره الله سوارًا، أو طوقه بطوق، أو بعث معه الملائكة أعوانا له على أمره، فهو معنى قوله: ﴿أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ أى: متتابعين يتبع بعضهم بعضا.

---

(١) كذا فى «الأصل، وك»، وقد أورده ابن منظور فى لسانه (١١ / ١٢٢) ونسبه لذى الرمة، ولفظه:

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل ... وبين النقا آأنت أم أم سالم؟

(٢) زيادة ليستقيم السياق.

فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ

وقوله: ﴿ فاستخف قومه فأطاعوه ﴾ أى: حركهم بدعائه إياهم (إلى)[1] باطله، فخفوا معه وأجابوه، ويقال: استفزهم، فأطاعوه بجهلهم.

وقوله: ﴿ إنهم كانوا قوما فاسقين ﴾ أى: خارجين عن الطاعة. ويقال: استخف قومه أى: حملهم على خفة الجهل، ومع[1] العقل الوقار، ومع الجهل الخفة.

قوله تعالى: ﴿ فلما آسفونا ﴾ أى: أغضبونا وأسخطونا. فإن قيل: الأسف إنما يكون على شىء فائت، والله تعالى لا يفوته شىء؟

والجواب [عنه][2]: أن معناه الغضب كما بينا، وقال بعضهم: آسفونا أى: فعلوا فعلا لو فعلوه مع مخلوق لكان متأسفا حزينا. وفى بعض الآثار: أن عروة بن الزبير كان جالسا مع وهب بن منبه، فجاء قوم فشكوا عاملهم، وكان العامل حاضرا، فغضب وهب بن منبه وأخذ عصا[3] وشج رأس العامل، فضحك عروة بن الزبير فقال: انظروا إلى هذا ينهى عن الغضب ويغضب؟ فقال وهب: لا، لا تلمنى، فإن الله تعالى يغضب وهو خالق الأحلام، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم ﴾ ومعنى قوله: ﴿ انتقمنا منهم ﴾ أى: بالإغراق والإهلاك، وهو معنى قوله: ﴿ فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ﴾ أى: سلفا للكفار ومن بعدهم، ومثلا لمن فعل مثل فعلهم. ومعنى «مثلا» أى: عظة وعبرة. وقرئ «سُلُفا»[4] وهو جمع سليف، وقرئ: «سُلَفًا» والمعنى فى الكل واحد. وعن زيد بن أسلم قال: ما من أحد إلا وله سلف فى الخير والشر.

قوله تعالى: ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلا ﴾ أكثر المفسرين على أن هذه الآية نزلت فى مخاصمة عبد الله بن الزبعرى رسول الله ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ إنكم وما

---

(١) فى «ك»: على.
(٢) من «ك».
(٣) فى «ك»: العصا.
(٤) النشر فى القراءات العشر (٢/٣٦٩).

مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ

تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾(١)، فإنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ إنكم وما تعبدون ﴾(١) إلى قوله: ﴿ أنتم لها واردون ﴾(١) وقرأها رسول الله على كفار قريش، قال عبد الله بن الزبعرى: هذا لنا ولآلهتنا خاصة أم لنا ولجميع الأمم وجميع آلهتهم؟. فقال ﷺ: بل لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم وآلهتهم، فقال ابن الزبعرى: خصمتك ورب الكعبة، ثم ذكر ما أوردنا من قبل فى حق عيسى وعزير والملائكة عليهم السلام، فعلى هذا قوله تعالى: ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلا ﴾ معناه: لما جعلوا ابن مريم مثلا لآلهتهم، وقالوا: إذا كان ابن مريم فى النار فرضينا أن نكون نحن وآلهتنا فى النار »(٢).

وقوله: ﴿ إذا قومك منه يصدون ﴾ بكسر الصاد أى: يضجون ضجاج المجادلين، ويقال: يصدون أى: يضحكون ويفرحون بقول ابن الزبعرى. وقرئ: « يصُدون » بضم الصاد، ومعناه: يعرضون، وفى الآية قول آخر: وهو أن النبى ﷺ لما ذكر حديث [عيسى](٣) لقريش، وأنه خلقه الله تعالى من غير أب كما خلق آدم من غير أب، وذكر ما أظهر الله على يده من الآيات جعلت قريش يضحكون، وقالوا: ما يريد محمد من ذكر عيسى إلا أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى، وهذا قول مجاهد.

قوله تعالى: ﴿ وقالوا أآلهتنا خير أم هو ﴾ على القول الأول معناه: أآلهتنا خير أم عيسى؟ بل عيسى خير من آلهتنا، فإذا كان عيسى فى النار فلتكن آلهتنا فى النار. وعلى القول الثانى: أآلهتنا خير أم هو؟ يعنى: محمداً ﷺ، فإذا كان محمد يطلب أن نعبده فنحن نعبد آلهتنا. وفى قراءة أبى بن كعب: « أآلهتنا خير أم هذا »؟ وهذا يؤيد القول الثانى.

وقوله: ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلا ﴾ يعنى: ما قالوا هذا القول إلا مجادلة بالباطل؛

---

(١) الأنبياء: ٩٨.

(٢) تقدم تخريجه فى تفسير سورة الأنبياء.

(٣) ليس فى « الأصل، وك » وما أثبته يقتضيه السياق.

هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ

لأنهم علموا أن ابن مريم لا يدخل النار وعلموا أنه غير داخل فى الآية؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إنكم وما تعبدون﴾[1] و«ما» لمن لا يعقل، لا لمن يعقل.

وقوله: ﴿بل هم قوم خصمون﴾ أى: مخاصمون بغير الحق، وقد ثبت عن النبى ﷺ برواية أبى أمامة - رضى الله عنه - أنه عليه السلام قال: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون﴾»[2]. والمراد بالآية المجادلة بالباطل لا المجادلة فى طلب الحق أو لبيان الحق؛ لأنه تعالى قد قال فى موضع آخر: ﴿وجادلهم بالتى هى أحسن﴾[3] وقال تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن﴾[4].

قوله تعالى: ﴿إن هو إلا عبد﴾ يعنى: عيسى -عليه السلام- وما عيسى ابن مريم إلا عبد ﴿أنعمنا عليه﴾ أى: بالنبوة والآيات.

وقوله: ﴿وجعلناه مثلا﴾ أى: عظة وعبرة لبنى إسرائيل، ويقال: جعلناه مثلا لهم أى: بشراً مثلهم.

وقوله: ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم﴾ أى: بدلا منكم ﴿ملائكة فى الأرض يخلفون﴾ أى: تخلفكم، ويقال: يخلف بعضكم بعضاً.

قوله تعالى: ﴿وإنه لعلم للساعة﴾ معناه. أن عيسى - عليه السلام - شرط من

---

(١) الأنبياء: ٨٩.

(٢) رواه الترمذى (٥/٣٥٣ رقم ٣٢٥٣) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١/١٩ رقم ٤٨)، وأحمد (٥/٢٥٢، ٢٥٦)، والعقيلى فى الضعفاء (١/٢٨٦)، وابن عدى (٤/٣٠٥)، وابن أبى عاصم فى السنة (١/٤٧ رقم ١٠١)، وابن جرير فى تفسيره (٢٥/٥٣)، والطبرانى فى الكبير (٨/٢٧٧ رقم ٨٠٦٧)، والآجرى فى الشريعة (٥٤)، والحاكم (٢/٤٤٧ - ٤٤٨) وصححه، والسهمى فى تاريخ جرجان (٧٤)، وابن عبدالبر فى جامع بيان العلم (٢/٩٧-٩٨)، والبغوى فى تفسيره (٤/١٤٣) جميعهم من حديث أبى أمامة به.

(٣) النحل: ١٢٥.

(٤) العنكبوت: ٤٦.

بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ

أشراط الساعة، فيعلم بنزوله علم الساعة، وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «لينزلن ابن مريم حكمًا مقسطًا يكسر الصليب، ويقتل الخنزير»(١) الخبر.

وفى بعض الأخبار: أنه «ينزل على ثنية فوق جبل من جبال بيت المقدس وعليه ممصرتان وبيده حربة يقتل بها الدجال»(٢)، وقرأ ابن عباس: ﴿وإنه لعلم للساعة﴾ أى: آية من آيات حضورها.

قال الفرزدق يمدح على بن الحسين:

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والركن يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقى النقى الطاهر العلم

وقوله: ﴿فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم﴾ أى: لا تشكن فيها أى: القيامة، والباقى ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾ قال ابن عباس: من عداوته أنه أخرج أباكم من الجنة، ونزع عنهم لباس النور.

قوله تعالى: ﴿ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه﴾ قال أبو عبيدة: كل الذى تختلفون فيه. وقال غيره من أهل اللغة: لا يصح البعض بمعنى الكل، ومعنى الآية: ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فى الإنجيل، وبعض الذى تختلفون فيه فى غير الإنجيل. ويقال معناه: ولأبين لكم ما اختلفتم فيه من أمر دينكم لا من أمر دنياكم، فهو بعض ما اختلفتم فيه، والله أعلم.

(١) متفق عليه، وقد تقدم.

(٢) ذكره الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣/ ٢٥٤، ٢٥٥) وقال: غريب بهذا اللفظ، وهو فى تفسير الثعلبى هكذا من غير سند، وهو مفرق فى غضون الأحاديث.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ

وقوله: ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿ إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ فاختلف الأحزاب من بينهم ﴾ هؤلاء هم الذين اختلفوا فى عيسى بعد رفعه إلى السماء، فقال بعضهم: هو ابن الله، وقال بعضهم: هو الله، وقال بعضهم: هو ثالث ثلاثة.

وقوله: ﴿ فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم ﴾ أى: موجع.

قوله تعالى: ﴿ هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة ﴾ أى: فجأة، وقوله: ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ أى: لا يعلمون بمجيئها، قال أهل العلم: وقد أخفى الله تعالى أمر الساعة وزمان قيامها ليكون أبلغ فى الإنذار والتخويف.

قوله تعالى: ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو ﴾ فى التفسير: أنهم أمية بن خلف، وعقبة بن أبى معيط، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وأبو جهل بن هشام، والنضر بن الحارث، وحفص بن المغيرة، وعتبة بن ربيعة. وذكر النقاش: أن عقبة بن أبى[(١)] معيط كان صديقًا لأمية بن خلف، وكان عقبة يأتى النبى ﷺ ويجلس عنده ويسمع كلامه، فقال له أمية بن خلف: لقد صبوت يا عقبة، فقال: والله ما صبوت. فقال: وجهى من وجهك حرام إن لم تتفل فى وجه محمد، ففعل عقبة ذلك، فقال له الرسول ﷺ: «لئن قدرت عليك خارج الحرم لأريقن دمك، فضحك عقبة، وقال: يا ابن أبى كبشة، ومن أين تقدر علىَّ خارج الحرم؟ فلما كان يوم بدر وأسر عقبة أمر النبى ﷺ عليًا فى بعض الطريق أن يضرب عنقه، فقال: يا معشر قريش، مالى أقتل من بينكم. فقال النبى ﷺ: بتكذيبك الله وتكذيبك رسوله. فقال: ومن للصبية؟ فقال: النار»[(٢)].

---

(١) من «ك».

(٢) تقدم تخريجه فى تفسير سورة الفرقان.

الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم

وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ، وقيل: هو عن علىٍّ، قال: «الأخلاء أربعة: مؤمنان، وكافران، فيتقدم أحد المؤمنين فيقال له: ما تقول فى فلان؟ - يعنى: خليله-، فيقول: لقد عرفته آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، اللهم بشره كما بشرتنى، وارض عنه كما رضيت عنى، ويتقدم أحد الكافرين فيقال له: ما تقول فى فلان؟ - يعنى: خليله -، فيقول: عرفته آمراً بالمنكر ناهيا عن المعروف، اللهم أدخله النار كما أدخلتنى، واخزه كما أخزيتنى»[(١)].

وفى التفسير: أن كل أُخوة تكون فى الدنيا عن معصية تصير عداوة يوم القيامة، وكل أخوة تكون عن دين تبقى يوم القيامة.

وعن مجاهد قال: قال لى ابن عباس: أحب لله وأبغض لله، ووال فى الله، وعاد فى الله، فإنه لا ينال ما عند الله إلا بهذا.

وقوله: ﴿إلا المتقين﴾ فقال: إن هذا فى أصحاب النبى ﷺ حين آخى رسول الله بينهم قال: رسول الله وعلى أخوان، وأبو بكر وعمر أخوان، وطلحة والزبير أخوان، وعثمان وعبد الرحمن بن عوف أخوان، إلى غير هذا.

قوله تعالى: ﴿يا عباد لا خوف عليكم اليوم﴾ وروى أن الله تعالى يقول يوم القيامة: ﴿يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ فيرفع جميع الخلائق رءوسهم، فيقول: ﴿الذين آمنوا بآياتنا﴾ فيرفع جميع المؤمنين واليهود والنصارى رءوسهم فيقول: ﴿وكانوا مسلمين﴾ فينكس جميع الخلق رءوسهم سوى المسلمين. وذكر بعضهم قوله: ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾ مرة واحدة فى النداء.

قوله تعالى: ﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون﴾ أى: تنعمون، وقيل:

---

(١) رواه عبد بن حميد عن قتادة مرسلا، كما فى الدر للسيوطى (٦/٢٣)، وروى نحوه موقوفا عن علىٍّ، رواه عبد الرزاق وابن أبى حاتم (تفسير ابن كثير ١٣٣-١٣٤)، وابن جرير (٢٥/٥٧)، والبغوى (٤/١٤٥)، وزاد السيوطى فى الدر: عبد بن حميد، وحميد بن زنجويه، وابن مردويه، والبيهقى فى الشعب.

بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ

تكرمون. والحبورة فى اللغة هى السرور والفرح. يقال: ما من حبرة إلا وبعدها عبرة، وعن يحيى بن أبى كثير قال: تحبرون هو السماع فى الجنة.

قوله تعالى: ﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب﴾ الصحاف: القصاع، واحدها [صحفة][1]. وفى التفسير: سبعون ألف [صحفة][1] فيها ألوان الأطعمة.

وقوله: ﴿وأكواب﴾ الأكواب واحدها كوب، وهو إناء مستدير ليس له عروة ولا خرطوم.

وقوله: ﴿وفيها ما تشتهى[2] الأنفس وتلذ الأعين﴾ أى: تشتهيه الأنفس، وقد قرئ هكذا فى بعض القراءة المعروفة.

وقوله: ﴿وتلذ الأعين﴾ إنما نسب اللذة إلى الأعين؛ لأن المناظر الحسنة تلذ النفوس، فنسب اللذة إلى الأعين؛ لأن[3] نسبتها كانت إليها أليق.

وقوله: ﴿وأنتم فيها خالدون﴾ أى: مقيمون لا يخرجون[4] أبداً.

قوله تعالى: ﴿وتلك الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ قال ابن عباس: ما من أحد إلا وله منزل فى الجنة ومنزل فى النار، فيرث المؤمن منزل الكافر فى الجنة، ويرث الكافر منزل المؤمن فى النار.

وقوله تعالى: ﴿لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون﴾ أى: مقيمون.

وقوله: ﴿لا يفتر عنهم﴾ أى: لا يخفف عنهم.

---

(١) فى «الأصل»: صفحة، والمثبت من «ك».

(٢) فى «ك»: تشتهيه.

(٣) فى «الأصل، وك»: لأنها.

(٤) فى «ك»: تقيمون لاتخرجون.

مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ

وقوله: ﴿ وهم فيه مبلسون ﴾ أى: آيسون من الخروج، والمبلس فى اللغة هو الساكت الذى سكت تحيراً ويأساً.

قوله تعالى: ﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ﴾ معناه: إنا جازيناهم بعملهم، ولم نزد عليهم شيئاً.

قوله تعالى: ﴿ ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك ﴾ أى: ليمتنا ربك. قال عبد الله ابن عمرو بن العاص: ينادون [مالكًا][1] أربعين سنة. وقال ابن عباس: ينادونه ألف سنة ثم يجيبهم فيقول: إنكم ماكثون، ثم ينادون الله تعالى، ويقولون: ﴿ ربنا غلبت علينا شقوتنا ﴾[2] فلا يجيبهم عمر الدنيا، ثم يقول: ﴿ اخسأوا فيها ولا تكلمون ﴾[3]. فلا يسمع منهم بعد ذلك إلا شبه صوت الحمر من الزفير والشهيق.

قوله تعالى: ﴿ لقد جئناكم بالحق ﴾ أى: بالقرآن.

وقوله: ﴿ ولكن أكثركم للحق كارهون ﴾ أى: كرهتم مجىء الحق ودعوتكم إليه.

قوله تعالى: ﴿ أم أبرموا أمراً ﴾ الإبرام هو إحكام الأمر، ومعناه: أنهم عزموا وأجمعوا على التكذيب، ونحن أجمعنا على التعذيب، فهذا معنى قوله: ﴿ فإنا مبرمون ﴾ ويقال: أم أبرموا أى: كادوا كيداً، ومكروا مكراً، وقوله: ﴿ فإنا مبرمون ﴾ أى: نقابل كيدهم ومكرهم بالإبطال، ونجازيهم جزاء مكرهم، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ﴾[4].

قوله تعالى: ﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ﴾ روى أن الأخنس والأسود بن عبد يغوث كانا عند الكعبة، فقال أحدهما لصاحبه: أترى الله يسمع ما

(١) فى «الأصل، وك»: مالك، وهو خطأ.
(٢) المؤمنون: ١٠٦.
(٣) المؤمنون: ١٠٨.
(٤) آل عمران: ٥٤.

وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ

نقول؟ فقال الآخر: إن جهرنا يسمع، وإن أسررنا لم يسمع؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿بلى ورسلنا﴾ يعني: بلى نسمع ﴿ورسلنا لديهم يكتبون﴾ أي: يكتبون بما يعملون ويقولون.

قوله تعالى: ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ الآية مشكلة، وفيها أقوال: أحدها: قول مجاهد، وهو أن معناه: قل إن كان للرحمن ولد على زعمكم فأنا أول العابدين أنه إله لا ولد له ولا شريك له، وأن ما قلتموه باطل وكذب، وهذا أحسن الأقاويل.

والقول الثاني: أن «إنْ» هاهنا بمعنى «ما»، ومعناه: قل ما كان للرحمن ولد وتم الكلام، ثم قال: فأنا أول العابدين، وأهل النحو يستبعدون[1] هذا، ويقولون: لا يجوز أن تكون «إنْ» بمعنى «ما» إلا على بعدٍ عظيم.

والقول الثالث: قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين أي: الآنفين، يقال: عَبِدَ إذا أنِف، قال الفرزدق:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... وأَعْبُدُ أن يهجى كليبٌ بدارم

أي: آنف. وحكى بعضهم: أن عليا – رضي الله عنه – قال: قيل لي: إنك قتلت عثمان فَعَبِدْتُ وسكت أي: أنفت[2].

وحقيقة المعنى في الآية على هذا القول: أني غضب (وله غضب)[3] أنف أن ينسب إليه ولد كما تزعمون.

(١) في «الأصل، وك»: يستعبدون، سبق قلم.

(٢) لسان العرب (٣/ ٢٧٥: مادة عبد)، وفيه: فعبد وضمد، وفي رواية: عبدت فصمت، أي أنفت فسكت.

(٣) كذا.

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ

والقول الرابع: أن هذا على النفى من الجانبين بمعنى: إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين، وليس له ولد ولا أنا أول عابد، وهذا كالرجل يقول لغيره: إن كنت كاتبًا فأنا حاسب يعنى: لست بكاتب ولا أنا حاسب، وحكى هذا عن سفيان بن عيينة والسدى.

قوله تعالى: ﴿سبحان رب السموات والأرض﴾ أى: خالق السموات والأرض.

وقوله: ﴿رب العرش عما يصفون﴾ أى: عما يصفونه بالولد.

وقوله تعالى: ﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون﴾ أى: يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله﴾ أى: معبود فى السماء والأرض.

وقوله: ﴿وهو الحكيم العليم﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة﴾ أى: علم قيام الساعة.

وقوله: ﴿وإليه ترجعون﴾ أى: تردون.

قوله تعالى: ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة﴾ قال مجاهد: أى: عيسى وعزير والملائكة. وقال قتادة: الأصنام لأن للملائكة والنبيين شفاعة.

وقوله: ﴿إلا من شهد بالحق﴾ معناه على القول الأول: إلا لمن شهد بالحق، وهو من شهد بلا إله إلا الله. وعلى القول الثانى: لكن من شهد بالحق وهو يشفع، فعلى

بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

هذا الأنبياء يشفعون، والمؤمنون يشفعون.

وقوله: ﴿ وهم يعلمون ﴾ ظاهر المعنى، ومعناه: يشهدون عن علم.

قوله تعالى: ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾ أى: يصرفون.

قوله تعالى: ﴿ وقيله يارب ﴾ فيه قراءتان معروفتان: «وقيلَه» بنصب اللام، «وقيلِه» بكسر اللام، والقراءة الثالثة: «قيلُه» بالضم، وهى قراءة الأعرج، أما بنصب اللام فمعناه: ويسمع قيلَه، فهو راجع إلى قوله: ﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ﴾(١) أى: بلى نسمع سرهم ونجواهم، ونسمع قيلَه. وقال الزجاج: ونعلم قيلَه، وهو راجع إلى قوله: ﴿ وعنده علم الساعة ﴾(٢) ويعلم قيله. وعن بعضهم: «وقيله» أى: وقال: قيله أى: قال: قوله من الشكوى عن الكفار يعنى: الرسول صلوات الله عليه.

وأما القراءة بكسر اللام فمعناه: وعنده علم قيلِه، وهو عطف على قوله تعالى: ﴿ وعنده علم الساعة ﴾.

وأما رفع اللام فعلى الابتداء، فكأنه قال: وقوله يارب، إن هؤلاء قوم لا يؤمنون.

قوله تعالى: ﴿ فاصفح عنهم ﴾ أى: أعرض عنهم، وهذا قبل نزول آية السيف. [فنسخت](٣) بآية السيف.

وقوله: ﴿ وقل سلام ﴾ أى: قل ما تسلم به عن شرهم، قال الحسن: «وقل سلام» أى: احلم عنهم. ويقال: هذا سلام توديع، وليس بسلام تحية.

وقوله: ﴿ فسوف يعلمون ﴾ تهديد ووعيد.

---

(١) الزخرف: ٨٠. (٢) الزخرف: ٨٥. (٣) فى «الأصل، وك»: نسخت.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾

تفسير سورة حم الدخان

وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿حم والكتاب المبين﴾ أى الكتاب الذى بين فيه الحلال والحرام، والثواب والعقاب، والوعد والوعيد.

قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة مباركة﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها ليلة القدر، وهذا قول ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وأكثر المفسرين.

والقول الثانى: قول عكرمة، وهو أنها ليلة النصف من شعبان، وسماها مباركة لكثرة الخير فيها. والبركة: نماء الخير، ونقيضه الشؤم: نماء الشر. وقيل: مباركة لأنه يرجى فيها إجابة الدعاء.

وقوله: ﴿إنا أنزلناه﴾ أى: القرآن، وفى معنى هذا الإنزال قولان: أحدهما: أنه أنزل جميع القرآن فى ليلة القدر إلى السماء الدنيا، ثم كان جبريل - عليه السلام - يأتى به شيئًا فشيئًا إلى أن أنزل جميعه.

والقول الثانى: أن المراد بالإنزال هاهنا ابتداء الإنزال.

ومعنى قوله: ﴿أنزلناه﴾ أى: ابتدأنا إنزاله فى ليلة القدر.

وقوله: ﴿إنا كنا منذرين﴾ أى: مخوفين.

قوله تعالى: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ أى: يقضى كل أمر محكم، وذلك من الأرزاق والآجال والحياة والموت والخير والشر. قال مجاهد: إلا السعادة والشقاوة

أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ

فإنهما لايبدلان ولايغيران، وعن بعضهم: إلا الموت والحياة أيضًا، وفى التفسير: أنه يفرق الأحكام فى هذه الليلة إلى السنة القابلة عند هذه الليلة.

وقوله: ﴿أمرًا من عندنا﴾ نصب على المصدر كأنه قال: يفرق فرقًا، ثم وضع أمرًا مكان قوله: فرقًا.

وقوله: ﴿من عندنا إناكنا مرسلين﴾ أى: منزلين هذه الأشياء.

قوله تعالى: ﴿رحمة من ربك﴾ أى: إنزال القرآن رحمة من ربك.

وقوله: ﴿إنه هو السميع العليم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ربِّ السموات والأرض﴾ وقرئ: «ربُّ السموات» فقوله: «ربُّ» بضم الباء عطف على قوله: ﴿هو السميع العليم﴾ وأما بالكسر بدل عن قوله: ﴿من ربك﴾.

قوله: ﴿[وما بينهما](١) إن كنتم موقنين﴾ اليقين ثلج الصدر بما يعلمه.

قوله تعالى: ﴿لا إله إلا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ أى: المتقدمين.

قوله تعالى: ﴿بل هم فى شك يلعبون﴾ أى: يسمعون سماع لاعب، ويقولون قول لاعب، ويقبلون قبول لاعب.

قوله تعالى: ﴿فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين﴾ قال ابن مسعود: هذا الدخان فى الدنيا، وذلك أن النبى ﷺ دعا على كفار مضر، وقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف» فأصابتهم المجاعة والقحط

(١) من «ك».

بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾

الشديد، وأجدبت الأرض حتى أكلت العظام والميتات، وكان الرجل منهم ينظر إلى السماء فيرى بينه وبين السماء شبه الدخان من الجوع، فروى «أن أبا سفيان قدم على النبي ﷺ، وقال: يا محمد دعوت على قومك - يعني قريشًا - وإنما هم إخوانك وأعمامك وأمهاتك وخالاتك فادع لهم فدعا لهم حتى سقوا»[1].

وروى أنه بعث معه بذهب إلى فقراء مكة حتى قسمه فيهم.

والقول الثاني: أن الدخان يكون في القيامة، وهذا قول الحسن وقتادة، وقيل: هو الأصح. وفي التفسير: أن الناس يوم القيامة يأخذهم شبه دخان، فأما المؤمنون فيصيبهم مثل الزكام، وأما الكافرون فيدخل الدخان في مسامعهم وأنوفهم، وتصير رءوسهم مثل الجنابذ[2]، وقيل: إن الدخان شرط من أشراط الساعة، وفي بعض الأخبار: «بادروا بالأعمال ستًّا: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، والدجال، وخاصة الرجل في نفسه، وأمر العامة»[3] ومعنى خاصة الرجل هو الموت، ومعنى أمر العامة هو القيامة. وكان ابن مسعود يقول: قد مضى خمس: الدخان، والدم، والقمر، والبطشة، واللزام.

قوله تعالى: ﴿يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾ أي: مؤلم.

قوله تعالى: ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ أي: مصدقون بمحمد إن كشفت، وهو حكاية عن الكافرين.

قوله تعالى: ﴿أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين﴾ معناه: التذكرة

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الجنابذ: جمع جُنبذة، وهي ما ارتفع من الشيء واستدار كالقبة. انظر اللسان (٥/١٤).

(٣) رواه مسلم (١٨/١١٥ رقم ٢٩٤٧)، وأحمد (٢/٣٢٤، ٣٣٧، ٣٧٢، ٤٠٧، ٥١١)، والطيالسي (٣٣٢ رقم ٢٥٤٩)، والطحاوي في مشكل الآثار (١/٤٢٠)، وابن حبان (١٥/١٩٩ - ٢٠٠ رقم ٦٧٩٠)، والحاكم (٤/٥١٦) وصححه. وفي الباب عن أنس رواه ابن ماجه وغيره.

ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

والاتعاظ، وقوله: ﴿مبين﴾ أى: موضح، ﴿أنى﴾ بمعنى: كيف.

قوله تعالى: ﴿ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون﴾ والمعنى: أين لهم الاتعاظ والتذكر، وقد تولوا عن مثل هذا الرسول وأعرضوا عنه، وزعموا أنه معلم مجنون، ومعنى قوله: ﴿معلم﴾ أى: علمه جبر غلام ابن الحصرمى وعداس، وقد ذكرنا من قبل.

قوله تعالى: ﴿إنا كاشفوا العذاب قليلا﴾ أى: بدعاء النبى، والعذاب هو الدخان والقحط الذى ذكرنا، وقوله: ﴿قليلاً﴾ أى: مدة قليلة.

وقوله: ﴿إنكم عائدون﴾ أى: عائدون إلى الكفر، وقيل: صائرون إلى العذاب وهو النار.

قوله تعالى: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يوم بدر، والبطشة الكبرى بالأسر والقتل، والقول الآخر: أنه القيامة، وهو الأصح.

وقوله: ﴿إنا منتقمون﴾ أى: منتقمون بالعقوبة من الكفار.

قوله تعالى: ﴿ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون﴾ أى: ابتلينا.

وقوله: ﴿وجاءهم رسول كريم﴾ أى: كريم على الله، ويقال: كريم أى: حسن الأخلاق، وهو موسى عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿أن أدوا إلى عباد الله﴾ معناه: أرسلوا معى عباد الله، يعنى: بنى اسرائيل، وقيل معناه: ﴿أدوا إلى عباد الله﴾ أى: ياعباد الله، كأنه قال: أجيبوا لى وأطيعون ياعباد الله، فهو معنى الأول.

وقوله تعالى: ﴿إنى لكم رسول أمين﴾ أى: ذو أمانة، وعن أبى بكر الصديق –

وَأَن لاَّ تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾

رضى الله عنه - وألاتعلوا على عباد الله أى: لاتتكبروا ولاتبغوا بالجحود والتكذيب.

وقوله: ﴿إنى آتيكم بسلطان مبين﴾ أى: بحجة بينة.

وقوله تعالى: ﴿وإنى عذت بربى وربكم﴾ أى: التجأت إلى ربى وربكم واعتصمت به.

وقوله: ﴿أن ترجمون﴾ أى: تقتلون، وكانوا أوعدوه بالقتل، وقيل: أن ترجمون أى: تسبون، والقول الأول أولى؛ لأنهم وصلوا إليه بالسب، فإن النسبة إلى السحر والكذب أعظم السب، ولم يصلوا إليه بالقتل.

قوله تعالى: ﴿وإن لم تؤمنوا لى﴾ أى: تصدقونى ﴿فاعتزلون﴾ أى: اعتزلوا منى، وكونوا كفافًا، لا لى ولا على.

قوله تعالى: ﴿فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون﴾ أى: مشركون.

قوله تعالى: ﴿فأسر بعبادى﴾ أى: أوحى الله تعالى أن أسر بعبادى ﴿ليلا﴾ أى: بليل.

وقوله: ﴿إنكم متبعون﴾ يعنى: أن فرعون وجنده يتبعونكم.

قوله تعالى: ﴿واترك البحر رهواً﴾ فى قوله: ﴿رهواً﴾ أقوال: أحدها: ساكنًا، والآخر: يبسًا، والثالث: طريقًا، والرابع: سهلا دمثًا، وقال الشاعر:

يمشين رَهْواً فلا الأعجازُ داخلةٌ ... ولا الصدور على الأعجاز تَتَّكِلُ

وفى القصة: أن موسى لما عبر البحر عطف على البحر ليضربه بعصًا فيعود[1] إلى

---

(١) فى «ك»: بعصاه ليعود.

وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ

ما كان، فأوحى الله تعالى: ﴿واترك البحر رهوًا﴾ أى: ساكنًا.

وقوله: ﴿إنهم جند مغرقون﴾ أى: فرعون وقومه، وروى أن جند فرعون كانوا سبعة آلاف ألف رجل، وجند موسى ستمائة ألف (ونيف)[1]، وقيل: ألف ألف وستمائة ألف، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿كم تركوا من جنات﴾ أى: بساتين، وقيل: كان من الفيوم إلى دمياط والإسكندرية بساتين متصلة.

وقوله: ﴿وعيون﴾ أى: أنهار.

وقوله: ﴿وزروع﴾ أى: حروث.

وقوله تعالى: ﴿ومقام كريم﴾ أى: المنازل الحسنة، ويقال: المنابر، وقيل: إن فرعون كان قد أمر باتخاذ منابر كثيرة بمصر ليثنى عليه فيها.

وقوله: ﴿ونعمة كانوا فيها فاكهين﴾ أى: متنعمين، وقرئ: «فكهين» أى: معجبين، والنعمة مايتنعم به.

قوله تعالى: ﴿كذلك وأورثناها قومًا آخرين﴾ أى: بنى إسرائيل، وفى القصة: أن الله تعالى لما أغرق فرعون وقومه رجعت بنو إسرائيل إلى مصر، ونزلوا منازل آل فرعون وسكنوها.

قوله تعالى: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ فيه أقوال: أحدها: ماروى أنس أن النبى ﷺ قال: «مامن مسلم إلا وله بابان فى السماء باب يصعد منه عمله، وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات بكيا عليه، ثم تلا قوله تعالى: ﴿فما بكت عليهم

(١) فى «ك»: ونيفًا.

السماء والأرض ﴾ »(١).

وعن مجاهد قال: إذا مات العبد المسلم بكى عليه مصلاه أربعين صباحًا، وفي رواية عن علي - رضي الله عنه - أنه إذا مات العبد المسلم بكى عليه موضعه الذي كان يصلي فيه، وبابه الذي كان يصعد [منه](٢) عمله. قال أبو يحيى: قلت لمجاهد: كيف تبكي السماء والأرض؟ فقال: ألاتبكي الأرض على من يعمرها بالركوع والسجود، ولاتبكي السماء على مؤمن يصعد عليه عمله الصالح؟! وعن الحسن البصري قال: فما بكت عليهم السماء والأرض أي: أهل السماء والأرض، مثل قوله تعالى: ﴿ واسأل القرية ﴾(٣) أي: أهل القرية. وعن بعضهم: أن بكاء السماء حمرة أطرافها، وعن بعض التابعين: أن الحسين بن علي - رضي الله عنهما - لما قتل أحمرت أطراف السماء أربعين صباحًا، وكان ذلك لبكائها عليه. وعن بعضهم: أن معنى بكاء السماء والأرض هاهنا هو أنهما لوكانا ممن يبكيان لم يبكيا على الكافر لما يعرفان من شدة غضب الله عليه.

والمعروف من الأقوال هو الأول، وهو المنقول عن السلف . وعن بعضهم قال: إنما ذكر بكاء السموات والأرض؛ لأن العرب تقول في المصيبة العظيمة مثل هذا، فيقولون: كسفت الشمس لموت فلان، وبكت السماء عليه، قال الشاعر:

فالشمس كاسفة ليست بطالعة تبكي   عليك نجوم الليل والقمرا

وقوله: ﴿ وماكانوا منظرين ﴾ أي: مؤخرين ممهلين.

---

(١) رواه الترمذي (٥/ ٣٥٤ - ٣٥٥ رقم ٣٢٥٥)، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ١٦٠ - ١٦١ رقم ٤١٣٣)، وابن أبي حاتم (ابن كثير ٤/ ١٤٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٥٣، ٨/ ٣٢٧)، والبغوي في تفسيره (٤/ ١٥٢) جميعهم من حديث أنس بنحوه. وقال الترمذي: غريب، لانعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث. وعزاه السيوطي في الدر أيضا (٦/ ٣٣) لابن أبي الدنيا في ذكر الموت، وابن مردويه، والخطيب.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) يوسف: ٨٢.

وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا

قوله تعالى: ﴿ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين﴾ فى التفسير: أن فرعون كان يستحقر بنى إسرائيل ويستذلهم، وكان لإسرائيل وأولاده قدر عظيم عند الله تعالى.

وقوله: ﴿من فرعون إنه كان عاليًا من المسرفين﴾ أى: جباراً متكبراً من المشركين.

قوله تعالى: ﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين﴾ معناه: اخترناهم على علم منَّا بهم، وقوله: ﴿على العالمين﴾ أى: على عالمى زمانهم، ويقال: على جميع العالمين؛ لأنه خصهم بكثرة الأنبياء منهم، فلهم الفضل على جميع العالمين بهذا المعنى، والمعروف هو الأول.

قوله تعالى: ﴿وآتيناهم من الآيات مافيه بلاءٌ مبين﴾ الآيات مثل: فلق البحر وإغراق فرعون، وإنجاء موسى ومن معه، وإنزال المن والسلوى، إلى غير ذلك من الآيات، وقوله: ﴿مافيه بلاء مبين﴾ أى: نعمة حسنة، تقول العرب: لفلان عندى بلاء حسن أى: نعمة حسنة، وفى القصة: أن فرعون كان يستعمل الأقوياء من بنى إسرائيل فى العمل حتى دبرت صدورهم وظهورهم من نقل الحجارة، ويذبح الأبناء، ويستحى النساء، ويستعملهن فى الغزل والنسيج، وما أشبه ذلك، وكان قد ضرب على ضعفاء بنى إسرائيل على كل واحد منهم ضريبة فيؤديها كل يوم، وكان القبطى يأتى إلى الإسرائيلى فيسخره فيما شاء من العمل، فإذا كان الظهر خلاه، وقال: اذهب واكتسب ماتأكله، ولايعطيه شيئاً يأكله؛ فنجاهم الله تعالى من هذه البلايا.

وقوله تعالى: ﴿إن هؤلاء ليقولون﴾ يعنى: مشركى مكة.

وقوله: ﴿إن هى إلا موتتنا الأولى﴾ معناه: أنا نموت مرة ولانبعث بعد ذلك.

وقوله: ﴿وما نحن بمنشرين﴾ أى: بمبعوثين، قال الشاعر:

الأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ

يا آل بكر أنشروا لى كليبا   يا آل بكـر أين أين الفـرار

قوله تعالى: ﴿ فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين ﴾ قال أهل التفسير: إن أبا جهل قال: يا محمد، أنشر لنا بعض آبائنا وليكن فيهم قصى بن كلاب، فإنه كان شيخاً صدوقاً. وروى أنهم طلبوا منه أن يحيى لهم لؤى بن غالب، ومرة بن كعب، وقصى بن كلاب.

قوله تعالى: ﴿ أهم خير أم قوم تبع ﴾ يعنى: أهم أكثر قوة وأعظم نعمة أم قوم تبع. وفى بعض الأخبار: أن النبى ﷺ قال: «لاتسبوا تُبَّعًا فإنه كان قد أسلم»(١).

وعن عائشة – رضى الله عنها – أن تُبَّعًا كان مسلمًا، والتبابعة فى ملوك اليمن كالقياصرة فى ملوك الروم، والأكاسرة فى ملوك العجم.

وفى القصة: أن تبعًا خرج إلى العراق فحيَّر الحيرة، وغزا الصين، وهو الذى هدم حصن سمرقند، واستدل من قال: إن تبعًا كان قد أسلم، أن الله تعالى ذم قوم تبع، ولم يذم تبعًا، وفى القصة: أن إسلامه كان على يد اليهود، وكان أولئك اليهود على الحق.

وقوله: ﴿ والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين ﴾ أى: ذو جرم.

قوله تعالى: ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ﴾ أى: عابثين.

---

(١) رواه أحمد فى مسنده (٥ / ٣٤٠)، وابن جرير (٢٦ / ٩٨)، والطبرانى فى الكبير (٦ / ٢٠٣ رقم ٦٠١٣) وفى الأوسط (٦ / ٤٢٦ رقم ٣٩٢٩ مجمع البحرين)، وابن أبى حاتم (كما فى تفسير ابن كثير ٤ / ١٤٤)، والبغوى فى تفسيره (٤ / ١٥٣ – ١٥٤) جميعهم من حديث سهل بن سعد مرفوعا به، وقال الهيثمى فى المجمع (٨ / ٧٩): رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه عمرو بن جابر، وهو كذاب. وقال الحافظ ابن حجر فى تلخيصه على تخريج الكشاف: وفيه ابن لهيعة وعمرو بن جابر، وهما ضعيفان. وفى الباب عن ابن عباس، وعطاء بن أبى رباح مرسلا. وانظر تخريج الكشاف (٣ / ١٦٩ – ١٧٠)، وابن كثير (٤ / ١٤٤–١٤٥).

وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلاَّ مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الأَثِيمِ

قوله تعالى: ﴿ما خلقناهما إلا بالحق﴾ يعنى: للثواب العظيم، والعذاب العظيم، والمراد أهل السموات والأرض.

قوله: ﴿ولكن أكثرهم لايعلمون﴾

قوله تعالى: ﴿إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين﴾ يعنى: يوم القيامة يفصل فيه بين الخلائق أى: يقضى، ويقال: يقضى فيه بين المرء وعمله.

وقوله تعالى: ﴿يوم لايغنى مولىً عن مولىً شيئًا﴾ أى: قريبًا عن قريب شيئًا، ومعناه: أن المؤمن لاينصر قريبه الكافر، ويقال: لايتولى المؤمن الكافر لقرابته منه، ومنه قول النبى ﷺ: «من كنت مولاه فعلىٌّ مولاه»[1] أى: من توليته أنا فعلى مولاه من (موالاة)[2] المحبة والنصرة، ويقال: إن الخبر ورد على سبب، وهو أن عليا قال لأسامة - رضى الله عنه -: أنت مولاى، فقال أسامة: لست مولاك، إنما أنا مولى رسول الله ﷺ: فقال رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعلى مولاه».

وقوله: ﴿لا يغنى﴾ أى: لايدفع.

وقوله: ﴿ولا هم ينصرون﴾ أى: لايمنعون من العذاب.

قوله تعالى: ﴿إلا من رحم الله﴾ يعنى: أن المؤمنين يشفع بعضهم بعضًا، ويتولى بعضهم بعضًا، فالشفاعة: هو نفع الموالاة.

وقوله: ﴿إنه هو العزيز الرحيم﴾ أى: المنيع فى ملكه، الرحيم بخلقه.

قوله تعالى: ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾ أى: الفاجر، وقيل: الكافر، وهو أبو

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى «ك»: تولية.

﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

جهل فى قول أكثر المفسرين، وقد بينا معنى الزقوم، وروى أن المشركين أتوا أبا جهل وقالوا له: إن محمداً توعدنا بالزقوم، فهل تدرى ما الزقوم؟ فقال: والله إذا أنزلته غارت، هو الصرفان بالزبد، نوع من التمر الجيد. واعلم أن الزقوم فى اللغة كل طعام يتناول على كره شديد. وقال بعضهم: إن الزقوم هو الطعام اللين فى لسان البربر لا فى لسان العرب.

وقوله: ﴿كالمهل﴾ هو عكر الزيت، وقيل: عكر القَطِران، وقيل: الفضة المذابة.

وقوله تعالى: ﴿يغلى فى البطون كغلى الحميم﴾ أى: يغلى المهل فى البطون، وقيل: الزقوم فى البطون، وهو الأصح.

وقوله: ﴿كغلى الحميم﴾ أى: كغلى الماء الحار الذى انتهى حره.

وقوله تعالى: ﴿خذوه فاعتلوه﴾ أى: جروه، وقيل: سُوقوه بعنف.

وقوله: ﴿إلى سواء الجحيم﴾ أى: إلى وسط الجحيم.

قوله تعالى: ﴿ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم﴾ فى التفسير: أنه يثقب وسط رأس أبى جهل ويصب فيه الحميم، فتخرج أمعاؤه من أسفله.

قوله تعالى: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ أى: يقال له: ذق، وقوله: ﴿العزيز الكريم﴾ أى: فى زعمك، وكان يقول: أنا أعز أهل (الوادى)[1] وأكرمهم. ويقال: إنك أنت العزيز الكريم أى: لست بعزيز ولاكريم. وقيل: إن هذا يقال على طريق الاستهزاء به.

قوله: ﴿إن هذا ماكنتم به تمترون﴾ أى: تشكون.

---

(١) فى «ك»: البوادى.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ

قوله تعالى: ﴿إن المتقين فى مقام أمين﴾ أى: فى منزل يأمنون فيه من الموت والزوال، قال على: وأمنوا من الموت فطاب لهم العيش.

وقوله: ﴿فى جنات وعيون يلبسون من سندس﴾ أى: الرقيق من الديباج، وقيل: الخز الموشى.

وقوله: ﴿وإستبرق﴾ أى: الديباج الغليظ، ويقال: الإستبرق هو الديباج المرتفع الذى له بريق فى الأعين.

وقوله: ﴿متقابلين﴾ أى: لاينظر بعضهم إلى قفا بعض، وقيل: متقابلين بالمحبة غير متدابرين بالعداوة.

قوله تعالى: ﴿كذلك وزوجناهم بحور عين﴾ أى: كما فعلنا بهم ماذكرنا كذلك نزوجهم بالحور العين، والحور الجوارى البيض، والعين: الحسان الأعين، وقيل: سُمينَ الحور؛ لأن الأبصار تحار من جمالهن. وقرأ ابن مسعود: «[وعِيس] عين» أى: البيض.

قوله: ﴿يدعون فيها بكل فاكهة آمنين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ أى: سوى الموتة الأولى. والموتة الأولى لاتكون فى الجنة، وإنما قال على طريق التوسع. وقيل: هذا استثناء منقطع، ومعناه: لكن الموتة الأولى قد ذاقوها.

وقوله: ﴿ووقاهم عذاب الجحيم﴾ أى: عذاب النار، والجحيم معظم النار.

قوله تعالى: ﴿فضلا من ربك﴾ أى: تفضلا من ربك ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾

---

(١) فى «الأصل، وك» : وعيسى وهو خطأ والصواب ما أثبتناه، والعِيس بالكسر بياض يخالطه شىء من شقرة، وهى قراءة شاذة، انظر شواذ القرآن لابن خالويه (صـ١٣٧)، والمحتسب لابن جنى (٢ / ٢٦١).

ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

أى: النجاة العظيمة.

قوله تعالى: ﴿ فإنما يسرناه بلسانك ﴾ أى: يسرنا القرآن بلسانك، ويقال: أطلقنا به لسانك، وهو فى معنى قوله: ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر.... ﴾[1] الآية.

وقوله: ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ أى: يتعظون.

قوله تعالى: ﴿ فارتقب إنهم مرتقبون ﴾ أى: ترقب عذابهم وانتظره إنهم منتظرون.

---

(١) القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حم ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤﴾

تفسير سورة الجاثية

وهى مكية

إلا آية واحدة وهى قوله تعالى: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون أيام الله﴾[1] فإنها نزلت بالمدينة، ويقال: إن الجميع مكية.

قوله تعالى: ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ قوله: ﴿حم﴾ مبتدأ، و﴿تنزيل الكتاب﴾ خبره، وقوله: ﴿من الله العزيز الحكيم﴾ أى: الغالب على الأمور، العدل فى الأحكام.

قوله تعالى: ﴿إن فى السموات والأرض لآيات﴾ أى: لدلائل وعبراً، وذلك فى رفعها بغير عمد، وما خلق فيها من الشمس والقمر والنجوم، ومن بسط الأرض واستقرارها بمن فيها، ومانصب فيها من الجبال وأجرى فيها من الأنهار، وخلق من الأشجار، وغير ذلك، وقوله: ﴿للمؤمنين﴾ أى: للمصدقين.

قوله تعالى: ﴿وفى خلقكم﴾ أى: فى خلقكم من التراب ثم من نطفة.

وقوله: ﴿وما يبث من دابة﴾ أى: ماينشر فى الأرض من دابة، والدابة كل حيوان يدب على الأرض.

وقوله: ﴿آياتٌ﴾ وقرئ: «آياتٍ» بالرفع والخفض، فمن قرأ بالخفض فمعناه: إن فى السموات وإن فى خلقكم لآيات، ومن قرأ بالرفع فعلى الابتداء والاستئناف.

وقوله: ﴿لقوم يوقنون﴾ قال ابن مسعود: الإيمان هو اليقين كله.

---

(١) الجاثية: ١٤.

وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ

قوله تعالى: ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ ومعنى الاختلاف هو الزيادة والنقصان والمجيء والذهاب.

وقوله: ﴿وما أنزل الله من السماء من رزق﴾ أى: المطر، قال كعب الحبر: ينزل المطر وفيه النبت فيدخل فى الأرض ثم يخرج منها.

وقوله: ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ قد ذكرنا.

﴿وتصريف الرياح﴾ معناه: مرة جنوبًا، ومرة شمالاً، ومرة رحمة، ومرة عذابًا.

وقوله: ﴿آيات لقوم يعقلون﴾ أى: يعقلون الآيات، وفى الخبر أن النبى ﷺ قال: «الريح من روح الله تأتى مرة بالعذاب ومرة بالرحمة؛ فلا تسبوها ولكن إذا جاءت(١) فسلوا الله خيرها، واستعيذوا بالله من شرها»(٢).

قوله تعالى: ﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ أى: يصدقون، وحقيقة المعنى أنهم إذا لم يؤمنوا بهذا الكتاب فبأى كتاب بعده يؤمنون، ولاكتاب بعد هذا الكتاب.

قوله تعالى: ﴿ويل لكل أفاك أثيم﴾ فى التفسير أن الويل وادٍ فى جهنم يهوى الكافر فيه سبعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره. وقوله: ﴿لكل أفاك أثيم﴾ أى: كذاب فاجر.

قوله تعالى: ﴿يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرًا﴾ أى: يصر على الكفر معرضًا عن الحق إعراض المتكبرين، والإصرار هو العقد على الشيء بالعزم

---

(١) فى «الأصل» و«ك»: جاء.

(٢) تقدم تخريجه.

عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾

الصحيح.

وقوله: ﴿كأن لم يسمعها﴾ أي: كأن لم يسمع الآيات.

وقوله: ﴿فبشره بعذاب أليم﴾ أي: موجع.

قوله تعالى: ﴿وإذا علم من آياتنا شيئًا اتخذها هزوًا﴾ نزلت الآية فى النضر بن الحارث بن كلدة كان يقول فى القرآن إنه أساطير الأولين، وهو مثل حديث رستم واسفنديار، وكان يقول ذلك على جهة الاستهزاء.

وقوله: ﴿أولئك لهم عذاب مهين﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿من ورائهم جهنم﴾ قال أبو عبيدة: من قدامهم جهنم.

وقوله: ﴿ولايغنى عنهم ماكسبوا شيئاً﴾ قال بعض أهل التفسير: الآية فى عبدالله بن أبى بن سلول، وكسبه هو جهاده مع الرسول وصومه وصلاته وشفقته على أصحاب النبىﷺ. وقوله: ﴿ولايغنى﴾ أى: لا يدفع، وإنما لم يدفع؛ لأنه كان منافقًا يظهر الإسلام بلسانه ويعتقد الكفر، والأكثرون على أن هذه الآية فى النضر بن الحارث أيضًا، وهذا هو الأولى؛ لأن السورة مكية، وكسبه مافعله من الخير على زعمه.

وقوله: ﴿ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء﴾ أى: الأصنام.

وقوله: ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿هذا هدى﴾ أى: القرآن هدى للخلق.

وقوله: ﴿والذين كفرو بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم﴾ أى: عذاب من جهنم موجع.

اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ

قوله تعالى: ﴿الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله﴾ أى: من رزقه.

وقوله: ﴿ولعكم تشكرون﴾ قال ابن عيينة: الشكر واجب على كل مسلم؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ فرزق العباد ليشكروه.

قوله تعالى: ﴿وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض﴾ أى: ذلل، ومعنى التسخير والتذليل خلقها على وجه ينتفع بها العباد، والانتفاع من السماء والأرض معلوم.

وقوله: ﴿جميعًا منه﴾ قال الفراء والزجاج: نعمة ورحمة منه، وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: منه النور ومنه الشمس والقمر والنجوم. وفى بعض الآثار: أن رجلا أتى عبد الله بن عمر وقال: مم خلق الله الخلق؟ فقال: من النور والظلمة والريح، فقال: مم خلق النور والظلمة والريح فقال: لا أدرى، فأتى ابن عباس وسأل عن الأول فذكر مثل ماذكره ابن عمر، فسأله عن الثانى فقرأ قوله تعالى: ﴿وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعًا منه﴾ أى: من تكوينه كأنه قال لها: كن فكانت. وعن ابن عباس أنه قرأ: «مِنَّةً» أى: سخر ما سخر نعمة من الله.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ أى: يتدبرون.

وفى الخبر: «تفكروا فى الخلق ولاتتفكروا فى الخالق»(١).

قوله تعالى: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون أيام الله﴾ ذكر الضحاك وأبو صالح أن النبىﷺ وأصحابه نزلوا على ماء بالمريسيع، فبعث عبد الله بن أبى بن سلول غلامه ليأتيه بالماء، فأبطأ الغلام، فلما رجع قال له: ما الذى أبطأ بك؟ قال: جاء غلام عمر وجلس على فم البئر، ومنع الناس حتى ملأ قربة النبى وقربة أبى بكرو قربة

(١) تقدم تخريجه.

لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ

مولاه، فغضب عبد الله بن أبى لما سمع ذلك، وقال: ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قيل: سَمِّن كلبك يأكلك. ثم قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ ذلك عمر فجاء بالسيف مشتملا عليه ليضرب به عبد الله بن أبى، واستأذن النبى ﷺ فى ذلك، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون أيام الله﴾ وهذا على القول الذى قلنا إن الآية نزلت بالمدينة، وقال بعضهم: شَتَمَ رجل من الكفار عمر بمكة فَهَمَّ أن يبطش به؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقوله: ﴿للذين لايرجون أيام الله﴾ أى: لا يسألون الله نعمه، والمعنى: أنهم لايعترفون بأن النعم من عند الله، وقيل: لايرجون أيام الله أى: لايخافون عقوبات الله ونقمه. وقيل: لايطمعون فى ثواب، ولايخافون من عقوبة.

وقوله: ﴿ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون﴾ يعنى: يوم القيامة، ويقال: ليكون الله تعالى هو المجازى والمنتقم منهم لا أنتم.

قوله تعالى: ﴿من عمل صالحًا فلنفسه﴾ أى: نفع ذلك يعود إليه.

وقوله: ﴿ومن أساء فعليها﴾ أى: وبال ذلك عليه.

وقوله: ﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾ أى: تردون.

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب﴾ أى: التوارة.

وقوله: ﴿والحكم والنبوة﴾ أى: العلم والنبوة.

وقوله: ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ أى: الحلال، وهى المن والسلوى وغير ذلك.

وقوله: ﴿وفضلناهم على العالمين﴾ أى: على عالمى زمانهم.

قوله تعالى: ﴿وآتيناهم بينات من الأمر﴾ أى: دلالات واضحات، ويقال: بينات

فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ

من الأمر مايدلهم على أمر محمد ﷺ.

وقوله: ﴿فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾ أى: ما اختلفوا فى الحق إلا من بعدما جاءهم العلم بالحق.

وقوله: ﴿بغيًا بينهم﴾ أى: حسداً وظلماً وعناداً للحق.

وقوله: ﴿إن ربك يقضى بينهم﴾ ظاهر معناه إلى آخر الآية.

قوله تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر﴾ أى: طريق واضح، ويقال: على أمر بين، والشرعة هى المذهب والملة، وكذلك الشريعة.

وقوله: ﴿فاتبعها﴾ أى: اتبع الشريعة التى جاءتك من الله تعالى.

وقوله: ﴿ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ فى التفسير: أن المشركين كانوا يقولون: يا محمد، ارجع إلى دين آبائك فإنه أولى من الدين الذى جئت به.

وقوله: ﴿إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا﴾ أى: لن يدفعوا عنك شيئًا يريده الله بك إن اتبعت أهواءهم.

وقوله: ﴿وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾ أى: بعضهم محبو البعض.

وقوله: ﴿والله ولى المتقين﴾ أى: محب المتقين وحافظهم.

قوله تعالى: ﴿هذا بصائر للناس﴾ أى: هذا الذى أنزلناه إليك بصائر للناس أى: دلالات يبصر بها الناس.

وقوله: ﴿وهدى ورحمة لقوم يوقنون﴾ أى: يعلمون.

الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾ أى: اكتسبوا السيئات، والسيئات ما قبحت شرعًا، والحسنات ما حسنت شرعًا.

وقوله: ﴿أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أى: فى دخول الجنة، وما يعطى أهل الإيمان من النعيم. والظاهر أن الآية فى الكفار وإن كانت عامة.

وقوله: ﴿سواءٌ محياهم ومماتهم﴾ وقرئ: «سواءً» بالنصب، فمن قرأ بالرفع فمنعاه: أن الكافر سواء محياه ومماته أى: يحيا كافرًا ويموت كافرًا.

وفى الخبر «يموت المرء على ما عاش عليه، ويبعث على ما مات عليه»[1].

وأما القراءة بالنصب فهو فى موضع مستو فانتصب لهذا، ويقال معناه: أم حسبوا أن نجعلهم والمؤمنين سواء فى المحيا والممات يعنى: أنهم لايستوون.

وقوله: ﴿ساء مايحكمون﴾ أى: بئس ما يحكمون لأنفسهم. وفى التفسير: أنهم كانوا يقولون للمؤمنين: إن دخلتم الجنة فنحن معكم، وإن دخلنا النار فأنتم معنا.

وفى بعض الآثار عن مسروق بن الأجدع قال: قدمت مكة ودخلت المسجد الحرام فقيل لى: هذا مقام أخيك تميم الدارى، جعل يصلى ليلة إلى الصباح يركع ويسجد ويبكى ويقرأ هذه الآية: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾ لا يجاوزها.

قوله تعالى: ﴿وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون﴾ أى: لاينقص من حقوقهم شىء.

(١) كذا، والذى وقفنا عليه شطره الثانى ولفظه: «يبعث كل عبد على ما مات عليه». رواه مسلم (١٧/ ٣٠٥ رقم ٢٨٧٨)، وابن ماجه (٢/ ١٤١٤ رقم ٤٢٣٠)، وأحمد (٣/ ٣٣١، ٣٦٦)، وعبد الرزاق (٣/ ٥٨٦ رقم ٦٧٤٦)، والحاكم (١/ ٣٤٠) وصححه على شرط مسلم، جميعهم عن جابر مرفوعا به.

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ

قوله تعالى: ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾ قال سعيد بن جبير: كان الواحد منهم يعبد الشيء، فإذا رأى شيئاً أحسن منه طرح الأول وأخذ الثاني فعبده. وقال قتادة في معنى الآية: لا يهوى شيئًا إلا ركبه، فهو يعبد هواه. وقيل: اتخذ إلهه هواه أي: أطاع هواه وانقاد له كما ينقاد العبد لمعبوده. وقد ثبت أنه ﷺ قال: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة»[١].

وفي بعض الأخبار أنه ﷺ [قال][٢]: «ماعبد تحت ظل السماء شيء وهو أبغض عند الله من هوى»[٣].

وقوله: ﴿ وأضله الله على علم ﴾ أي: على ماحكم [له][٤] في علمه السابق، وهو رد على القدرية، وقد أولوا هذا وقالوا: معنى قوله: ﴿ وأضله الله ﴾ أي: وجده ضالا، أو سمَّاه ضالا، وهو تأويل باطل؛ لأن العرب لاتقول: فعل فلان كذا إذا وجده كذلك.

وقوله: ﴿ وختم على سمعه ﴾ أي: ختم على سمعه فجعله لا يسمع الحق.

وقوله: ﴿ وقلبه ﴾ أي: وختم على قلبه فجعله لايقبل الحق.

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٩٥ رقم ٢٨٨٦ وطرفاه: ٢٨٨٧، ٦٤٣٥)، وابن ماجه (٢/ ١٣٨٥ - ١٣٨٦ رقم ٤١٣٥)، وابن حبان (٨/ ١٢ رقم ٣٢١٨)، والبيهقي في سننه (٩/ ١٥٩، ١٠/ ٢٤٥) كلهم من حديث أبي هريرة مرفوعا به.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) رواه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٨ رقم٣)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٣٠١)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٠٣ رقم ٧٥٠٢)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١١٨)، وابن الجوزي في ذم الهوى، (٢٣)، وفي الموضوعات (٣/ ١٣٩) من حديث أبي أمامة مرفوعا به. قال ابن الجوزي: موضوع، ومثله الشوكاني في الفوائد (١/ ١٩١). وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٩١): رواه الطبراني وفيه الحسن بن دينار، وهو متروك الحديث.

(٤) في «ك»: الله.

بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ

وقوله: ﴿ وجعل على بصره غشاوة ﴾ أى: غطاء فلا يبصر الحق.

وقوله: ﴿ فمن يهديه من بعد الله ﴾ يعنى: إذا كان الله لايهديه فمن يهديه من بعد الله؟!.

وقوله: ﴿ أفلا تذكرون ﴾ أى: أفلا تتعظون.

قوله تعالى: ﴿ وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ﴾ فيه أقوال: أحدها: أنه على التقديم والتأخير، ومعناه: نحيا ونموت، وهكذا قرأ ابن مسعود.

والقول الثانى: نموت ونحيا: أى: يموت البعض منا، ويحيا البعض منا. وفيه قولان آخران: أحدهما: وهو القول الثالث: نموت ونحيا أى: نموت نحن ويحيا أولادنا، والقول الرابع: هو أنه خلقنا أمواتًا ثم أحيانا.

وقوله: ﴿ ومايهلكنا إلا الدهر ﴾ قال قتادة: من الأيام والليالى. ويقال: مايهلكنا إلا الدهر أى: إلا الموت، قال الشاعر.

أَمِن المنونِ وريْبِها يتوجّعُ والدهرُ ليس بمعتب مَنْ يجزعُ

أى: الموت. ويقال: وما يهلكنا إلا الدهر أى: طول العمر، وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «لاتسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»(١).

قال الشيخ الإمام رضى الله عنه: أخبرنا بذلك أبو الحسين النقور، أخبرنا أبو القاسم بن حبابه، أخبرنا البغوى هو ابن بنت منيع واسمه عبد الله بن محمد أبو

(١) رواه مسلم (١٥/ ٥ رقم ٢٢٤٦)، وابن جرير الطبرى (٢٥/ ٩٢)، والبيهقى فى السنن (٣/ ٣٦٥)، والخطيب فى تاريخه (٣/ ٣٠٨) من حديث محمد بن سيرين - سقط من نسخة ابن جرير المطبوعة - عن أبى هريرة مرفوعا به.

وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ

القاسم، أخبرنا هدبة بن[١] خالد، أخبرنا حماد بن سلمة، عن أيوب، عن محمد بن سيرين، عن أبى هريرة الخبر.

وروى العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «يقول الله تعالى: استقرضت من ابن آدم فلم يقرضنى، ويسبنى وهو لايعلم، ويقول: يادهراه يادهراه»[٢] وفى رواية «ياخيبة الدهر وأنا الدهر»[٣].

وفى رواية ثالثة عن النبى ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، أدبر الأمر أقلب الليل والنهار».

وفى معنى الخبر ثلاثة أوجه: أحدها: أن معناه: لاتسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر أى: خالق الدهر.

والوجه الثانى: لاتسبوا الدهر فإنى فاعل الأشياء. وكانوا يضيفون الفعل إلى الدهر ويسبونه، فإن الله هو الدهر يعنى: أن الله فاعل الأشياء لا الدهر، وهذا قول معتمد.

والوجه الثالث: وهو أنهم كانوا يعتقدون بقاء الدهر، وأنه لايبقى شىء مع بقاء الدهر فقال: لاتسبوا الدهر يعنى: لا تسبوا الذين يعتقدون أنه الباقى؛ فإن الله هو الدهر يعنى: فإن الله هو الباقى بقاء الأبد على مايعتقدون فى الدهر.

وقوله: ﴿ومالهم بذلك من علم إن هم إلايظنون﴾ أى: قالوا ماقالوه على ظن وشك لا عن علم ويقين.

قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا

(١) فى «الأصل وك» بنت، خطأ، وهو هدبة بن خالد القيسى، أبو خالد البصرى، يروى عن حماد بن سلمة وعنه البغوى، كما فى ترجمته من تهذيب الكمال (٣٠/ ١٥٢ – ١٥٧).

(٢) رواه الإمام أحمد (٢/ ٣٠٠)، وابن جرير (٢٥/ ٩٢)، والحاكم (١/ ٤١٨) وصححه، عن أبى هريرة به.

(٣) متفق عليه، رواه البخارى (٨/ ٤٣٧ رقم ٤٨٢٦، وطرفاه: ٦١٨١، ٧٤٩١)، ومسلم (١٥/ ٣ – ٥ رقم ٢٢٤٦) من حديث ابن المسيب عن أبى هريرة مرفوعًا.

حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ

إن كنتم صادقين﴾ وقد بينا قول أبي جهل في هذا.

قوله تعالى: ﴿قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لاريب فيه ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ أي: لا يعلمون الحق.

قوله تعالى: ﴿ولله ملك السموات والأرض، ويوم تقوم الساعة﴾ أي: القيامة.

وقوله: ﴿يومئذ يخسر المبطلون﴾ أي: يهلك الكافرون.

قوله تعالى ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ فيه أقوال: أحدها: مستوفزين أي: جلوسًا على الركب، قال سفيان الثوري: المستوفز من لا تصيب الأرض منه إلا ركبتاه وأطراف أصابعه. والقول الثاني: جاثية أي: مجتمعة. والقول الثالث: جاثية أي: خاضعة ذليلة، وقيل: هو لغة قريش. والقول الأول هو المختار المعروف، ومنه جثا فلان بين يدي القاضي ينتظر قضاءه[1]، وعن سلمان الفارسي قال: إن في القيامة ساعة هي عشر سنين من سنين الدنيا يخر فيها الناس، ويجثون على الركب حتى إبراهيم خليل الرحمن، ويقول: نفسي لا أسالك إلا نفسي.

ويقال: ترى كل أمة جاثية أي: كل أحدٍ جاثيًا، والأمة تكون بمعنى الواحد. ويقال معناه: كل أمة رسول جاثية، والله أعلم.

وقوله: ﴿كل أمة تدعى إلى كتابها﴾ معناه: إلى قراءة كتابها.

وقوله تعالى ﴿اليوم تجزون ماكنتم تعملون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾ أي: يظهر ماعملتم بالحق.

---

(١) في «ك»: رضاءه.

عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ

وقوله: ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ فيه أقوال: أحدها: نستكتب ماكنتم تعملون أى: نأمر الكتبة أن يكتبوا ويحفظوا أعمالكم. والقول الثانى: نستنسخ ماكنتم تعملون أى: نأخذ نسخة مما كتبت الملائكة عليكم. والقول الثالث: وهو المعروف، وهو مروى عن ابن عباس قال: يأمر الله تعالى الملائكة بأن يأخذوا نسخة من اللوح المحفوظ على ما يعمله العبد فى يومه وليلته، ثم يكتبون ما عمله العبد، ثم يقابلون ماكتبوا على العبد بما نسخوا من اللوح المحفوظ، فيكونان سواء لازيادة ولانقصان فيه، قال ابن عباس: انظروا هل يكون الاستنساخ إلا من أصل.

قوله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته﴾ أى: جنته.

وقوله: ﴿ذلك هو الفوز المبين﴾ أى: البين.

قوله تعالى: ﴿وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم﴾ يعنى يقال لهم: أفلم تكن آياتى تتلى [عليكم](١) أى: ألم تكن آياتى تتلى عليكم؟.

وقوله: ﴿فاستكبرتم﴾ أى: طلبتم الكبرياء والعظمة بترك التوحيد، وكل كافر متكبر، وكل مؤمن متواضع.

وقوله: ﴿وكنتم مجرمين﴾ أى: ذوى(٢) جرم.

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لاريب فيها﴾ أى: لاشك فيها.

وقوله: ﴿قلتم ما ندرى ما الساعة إن نظن إلا ظنًّا﴾ أى: نظن أنك كاذب، ونظن أنك صادق، ولادليل معنا على صدقك، وأن ما قلته حق.

(١) من «ك».

(٢) فى «ك»: ذو.

بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾

وقوله: ﴿ وما نحن بمستيقنين ﴾ أى: متيقنين.

قوله تعالى: ﴿ وبدا لهم سيئات ماعملوا ﴾ أى: ظهر لهم سيئات ماعملوا.

وقوله: ﴿ وحاق بهم ماكانوا به يستهزئون ﴾ أى: نزل بهم وأحاط بهم جزاء ماكانوا به يستهزئون، وفى التفسير: أنه إذا كان يوم القيامة ينادى واحد فيقال: يافلان تعال فخذ نورك، وينادى آخر فيقال: اذهب فلا نور لك.

قوله تعالى: ﴿ وقيل اليوم ننساكم ﴾ أى: نترككم، ومعناه: نترككم من الرحمة وإعطاء الثواب. وقيل معناه: نترككم فى العذاب، فلا نخرجكم منها كما نخرج المؤمنين .

وقوله: ﴿ كما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ أى: كما تركتم العمل ليومكم هذا.

وقوله: ﴿ ومأواكم النار ومالكم من ناصرين ﴾ أى: من يمنع عذابنا منكم.

قوله تعالى: ﴿ ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لايخرجون منها ﴾ أى: من النار.

﴿ ولاهم يستعتبون ﴾ أى: لايرجعون ولا يردون إلى ماكانوا عليه من العافية. ويقال: يستقيلون فلا يقالون. ويقال: ولاهم يستعتبون أى: لا يعطون العتبى، وهو طلب رضاهم ومرادهم.

قوله تعالى: ﴿ فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ وله الكبرياء فى السموات والأرض ﴾ أى: العظمة والعلو، وقد

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «يقول الله تعالى: الكبرياء ردائى، والعظمة إزارى، فمن نازعنى واحدة منهما ألقيته فى جهنم»[1].

وقوله: ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ أى: العزيز فى انتقامه، الحكيم فى تدبيره، والله أعلم.

(١) رواه ابن ماجه (٢/١٣٩٧ - ١٣٩٨ رقم ٤١٧٥)، وابن عدى (٥/٣٦٤)، وابن حبان فى صحيحه (١٢/٤٨٦ - ٤٨٧ رقم ٥٦٧٢) كلهم عن عطاء بن السائب عن سعيد به، وقد أعله أبو حاتم فى العلل (٢/١٠١ رقم ١٧٩٥) وذكر أن هذا الحديث خطأ، وأن الأشبه رواية وهيب عن عطاء عن سليمان الأغر عن أبى هريرة مرفوعا. وذكره الدارقطنى فى العلل (٨/٢٨٩ - ٢٩١ رقم ١٥٧٧) وذكر الاختلاف فيه على عطاء ابن السائب، وأنه رواه بأسانيد مختلفة منها عن أبى هريرة، ومنها عن عبد الله بن عنرو، ومنها عن ابن عباس ثم قال: والصحيح عن الأغر عن أبى هريرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ

تفسير سورة الاحقاف

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿حم﴾ أى: حم الأمر وقضى، وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن. وقال غيره: قسم، وجواب القسم قوله: ﴿ماخلقنا السموات والأرض وما بينها إلا بالحق﴾.

وقوله: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ماخلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ يعنى: إلا للثواب والعقاب، ويقال: إلا لإقامة الحق.

وقوله: ﴿وأجل مسمى﴾ أى: أمد ينتهى إليه، وهذا إشارة إلى فناء السموات والأرض لمدة معلومة.

وقوله: ﴿والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾ أى: معرضون إعراض المكذبين الجاحدين.

قوله: ﴿قل أرأيتم ماتدعون من دون الله﴾ أى: الأصنام.

وقوله: ﴿أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات﴾ أى: فى خلق السموات فتعبدونها لذلك، ومعناه: أنه ليس لهم شرك، لا فى خلق الأرض، ولا فى خلق السماء أى: نصيب، فكيف تعبد مع الله؟!

وقوله: ﴿ائتونى بكتاب من قبل هذا﴾ أى: بكتاب من قبل القرآن يدل على مازعمتوه.

ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾

وقوله: ﴿أو أثارة من علم﴾ قال أبو عبيدة: أى: بقية من علم. يقال: ناقة ذات أثارة أى: بقية من سمن، ويقال: أو أثارة من علم مأثور، ومعناه: إن كان [عندكم](١) كتاب من كتب الأولين، أو علم مأثور [عنهم](١) ترونه يدل على صدق ما قلتم فأتوا بذلك، وأرونيه إن كنتم صادقين. ويقال: «أو أثارة من علم» هو الخط، وهذا حكى عن ابن عباس، وروى منصور عن (ابن إبراهيم)(٣) أن نبيا من الأنبياء كان يخط له، وكان ذلك هو الوحى إليه، وقد روى هذا فى خبر مرفوع(٤).

وفى بعض التفاسير: أن من خط خطه علم علمه، وعن ابن إسحاق قال: أول من خط بالقلم إدريس النبى عليه السلام.

وعن (مطرف بن الوراق)(٥) قال: قوله ﴿أو أثارة من علم﴾ هو الإسناد.

وقوله: ﴿إن كنتم صادقين﴾ أى: صادقين فيما تقولونه.

قوله تعالى: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له إلى يوم القيامة﴾ أى: لايستجيب أبداً.

وقوله: ﴿وهم عن دعائهم غافلون﴾ أى: لايسمعون دعاءهم وإن دعوا، والمراد من الآية هو الأصنام، يعنى: كيف يعبدون الأصنام؟ ولو دعوهم لم يستجيبوا لهم

---

(١) فى «الأصل وك»: عندك.

(٢) فى «الأصل وك»: علمهم.

(٣) كذا، ولعل الصواب: عن إبراهيم - يعنى النخعى - والراوى عنه هو منصور بن المعتمر، وهو معروف بالرواية عنه، كما فى ترجمتيهما من تهذيب الكمال.

(٤) رواه مسلم (٥/ ٢٨ - ٣٥ رقم ٥٣٧)، وأبو داود (١/ ٢٤٤ - ٢٤٥ رقم ٩٣٠)، والنسائى (٣/ ١٤ - ١٨ رقم ١٢١٨)، وأحمد (٥/ ٤٤٧، ٤٤٨)، وابن خزيمة (٢/ ٣٥ - ٣٦ رقم ٨٥٩) وغيرهم عن معاوية بن الحكم السلمى مرفوعًا نحوه.

(٥) كذا فى «الأصل وك»، وأظنه مطر الوراق، وهو مطر بن طهمان الوراق أبو رجاء الخراسانى البصرى، من رجال التهذيب، ثم وقفت عليه فى كتاب المدخل إلى كتاب الإكليل للحاكم (٢٧) من طريق أبى شوذب، عن مطر الوراق به.

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي

ولم يسمعوا كلامهم.

قوله تعالى: ﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء﴾ أي: الأصنام كانوا لهم أعداء، ﴿وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ يعني: أنهم يقولون: مادعوناكم إلى عبادتنا.

قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين﴾.

قوله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئًا﴾ فى التفسير: أن أبا جهل قال للنبى ﷺ: يامحمد، إنك تفترى على الله حيث تزعم أن هذا القرآن من وحيه وكلامه، وإنما هو كلام تقوله من تلقاء نفسك.

وقوله: ﴿فلا تملكون لى من الله شيئا﴾ أى: إن افتريت على الله وعاقبنى لا تملك دفع عقوبته عنى.

وقوله: ﴿هو أعلم بما تفيضون فيه﴾.

وقوله: ﴿كفى به شهيداً بينى وبينكم﴾ أى: كفى بالله شهيداً بينى وبينكم.

وقوله: ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿قل ماكنت بدعًا من الرسل، وما أدرى مايفعل بى ولا بكم﴾ معناه: ماكنت أول رسول أرسل إلى بنى آدم، وقوله: ﴿وما أدرى مايفعل بى ولا بكم﴾ قال الحسن البصرى: هذا فى الدنيا، فأما فى الآخرة فلا، ومعناه: فى الدنيا ولا أدرى أُترك بينكم أو أقتل؟ ويقال: لا أدرى أُخرج كما أخرجت الأنبياء من قبل أو

وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا

أُقتل كما قُتلت الأنبياء من قبل. وقوله: ﴿ولابكم﴾ هذا خطاب مع الكفار، ومعناه: لا أدرى أتؤخرون فى العذاب أو يعجل لكم العذاب، وفى بعض التفاسير: أن الله تعالى لما أنزل هذه الآية وَجَدَ النبى ﷺ والمؤمنون وَجْداً شديداً أى: اغتموا؛ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر﴾(١) فقيل له: يارسول الله، هذا لك خاصة أولنا ولك؟ فقال: هى لى ولكم إلا مافضلت به من النبوة»(٢) والخبر غريب.

وقوله: ﴿إن اتبع إلا مايوحى إلى وما أنا إلا نذير مبين﴾ أى: نذير بيِّن النذارة.

قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله﴾ قال ابن سيرين وجماعة: هو عبد الله بن سلام، وقد روى هذا أيضًا عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم، وعلى هذا القول هذه الآية مدنية من جملة السورة؛ لأن عبد الله بن سلام أسلم بالمدينة بالاتفاق. وفى بعض الأخبار: أن جماعة من اليهود أتوا النبى ﷺ وقد جعل رسول الله ﷺ عبد الله بن سلام وراء ستر، فقال لهم: كيف ابن سلام فيكم؟ فقالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وخيرنا وابن خيرنا.

فقال النبى ﷺ: أرايتم لو أسلم هل تسلمون أنتم؟ فقالوا: معاذ الله أن يسلم، فخرج عبد الله بن سلام وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالوا: هو شرنا وابن شرنا، وأجهلنا وابن أجهلنا، وجعلوا يشتمونه، فهو قوله تعالى: ﴿وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله﴾»(٣).

---

(١) الفتح: ١ – ٢.

(٢) عزاه المصنف نفسه للدمياطى فى تفسيره عن ابن عباس، كما سيأتى فى تفسير سورة الفتح.

(٣) رواه البخارى (٦/ ٤١٧ – ٤١٨ رقم ٣٣٢٩، وأطرافه: ٣٩١١، ٣٩٣٨، ٤٤٨٠)، والنسائى فى الكبرى (٥/ ٣٣٨ – ٣٣٩ رقم ٩٠٧٤)، وأحمد (٣/ ١٠٨)، وأبويعلى (٦/ ٤٥٨ – ٤٥٩ رقم ٣٨٥٦)، وابن حبان (١٦/ ١١٧ – ١١٨ رقم ٧١٦١)، والبيهقى فى الدلائل (٢/ ٥٢٨ – ٥٢٩)، والبغوى فى تفسيره (٤/ ١٦٥) عن أنس مرفوعا به.

يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ

وفى الآية قول آخر: وهو أن المراد به رجل من بنى إسرائيل على الجملة، وعلى هذا الآية مكية مثل سائر آيات السورة. وفى الآية قول ثالث: وهو أن الشاهد من بنى إسرائيل هو موسى - عليه السلام - شهد بمثل ماشهد به الرسول من وحدانية الله تعالى، وأن عبادة الأصنام باطلة، وهذا قول مسروق وغيره، وفى بعض التفاسير: أن قوله: ﴿ وشهد شاهد من بنى اسرائيل ﴾ هو يامين بن يامين، وكان من علماء اليهود أسلم على يد النبى ﷺ، والقول الأول هو المشهور.

وقوله تعالى: ﴿ فآمن واستكبرتم ﴾ أى: آمن بما جاء به محمد ﷺ، وتعظمتم أنتم عن الإيمان به بعد ظهور الحق.

وقوله: ﴿ إن الله لايهدى القوم الظالمين ﴾ ظاهر المعنى. وفى التفسير: أن فى الآية حذفًا، وتقديره: «قل أرأيتم إن كان من عند الله وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ألستم قد ظلمتم وأتيتم بالقبيح الذى لا يجوز» ثم قال: ﴿ إن الله لايهدى القوم الظالمين ﴾ ابتداء، يعنى: الكافرين.

قوله تعالى: ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا... ﴾ الآية. روى أن أَمَةً يقال لها: (زِنِّيرة)(١) أسلمت فقال مشركو قريش: لو كان فى هذا الدين خير ماسبقتنا إليه هذه الأمة، ويقال: كانت آمةً لعمر بن الخطاب. وفى بعض التفاسير: أن هذه الأمة عميت بعدما أسلمت، فقال الكفار: إنما أصابها ما أصابها بإسلامها، فرد الله عليها بصرها.

وفى الآية قول آخر: وهو أن مزينة وجهينة وغفار وأسلم آمنوا بالنبى ﷺ، وهى قبائل حول المدينة، فقال بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع، وهؤلاء رءوس قبائل العرب: لو كان فى الدين خير ماسبقتنا إليه مزينة وجهينة وأسلم وغفار رُعاة البَهْم، فأنزل الله تعالى هذه الآية رداً عليهم.

وقوله: ﴿ وإذ لم يهتدوا به ﴾ أى: بالقرآن وبما جاء به محمد ﷺ.

---

(١) فى «ك»: زهرة، وهو خطأ، والصواب زِنِّيرة بكسر أولها وتشديد النون بعدها تحتانية مثناة ساكنة، وهى زنيرة الرومية، كذا ضبطه الحافظ فى الإصابة (٤ / ٣١١).

وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا

وقوله: ﴿ فسيقولون هذا إفك قديم ﴾ أى: حديث مثل حديث المتقدمين، وهى كذب وزور.

قوله تعالى: ﴿ ومن قبله كتاب موسى ﴾ أى: كتاب من قبل القرآن كتاب موسى.

وقوله: ﴿ إمامًا ﴾ نصب على الحال.

وقوله: ﴿ ورحمة ﴾ معطوف عليه.

وقوله: ﴿ وهذا كتاب مصدق ﴾ أى: مصدق للتوارة.

وقوله: ﴿ لسانًا عربيًّا ﴾ نصب على الحال أيضًا، ويقال معناه: بلسان عربى.

وقوله: ﴿ لينذر الذين ظلموا ﴾ أى: القرآن ينذر الذين ظلموا، وأما من قرأ بالتاء أى: تنذر يامحمد الذين ظلموا.

وقوله: ﴿ وبشرى للمحسنين ﴾ بإيمانهم وأعمالهم الصالحة.

وقوله تعالى: ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾

وقوله: ﴿ فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ قد ذكرنا أيضًا.

قوله تعالى: ﴿ أولئك أصحاب الجنة.... ﴾ الآية ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حسنًا حملته أمه كرهًا ووضعته كرها ﴾ الكَرْه: هو الإكراه، والكُره هو المشقة فى الحمل حين يثقل الحمل، والمشقة فى الوضع عند الطلق، ومعنى الكَرْه قريب من هذا أى: على كراهة منها، وفى تفسير النقاش: حملته سروراً، ووضعته سروراً، حكى عن الفراء: أن الكُره بالضم هو السرور، والكره بالفتح هو الكراهة، حكاه النقاش.

حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ

وقوله: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ معناه: أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، ومدة الفصال سنتان، فذلك ثلاثون شهراً، وروى أن أمرأة أتت بولد لستة أشهر من وقت النكاح فى زمان عمر - رضى الله عنه - فَهَمَّ عمر برجمها، فقال على - رضى الله عنه - لاسبيل لك عليها، وتلا قوله تعالى: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ فقال عمر: لولا علىّ لهلك عمر.

وفى بعض التفاسير: أن المرأة إن وضعت لستة أشهر فمدة الفصال أربعة وعشرون شهراً، وإن وضعت لتسعة أشهر فمدة الفصال [أحد](1) وعشرون شهراً، وهذا خلاف قول الفقهاء؛ فإن عند أكثر الفقهاء مدة الفصال حولان بكل حال.

وقوله تعالى: ﴿حتى إذا بلغ أشده﴾ قد بينا معنى الأشد.

وقوله: ﴿وبلغ أربعين سنة﴾ قد بينا أيضاً، وهو منتهى مدة كمال العقل.

وقوله: ﴿قال رب أوزعنى﴾ أى: ألهمنى.

﴿أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدى وأن أعمل صالحًا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين﴾ ظاهر المعنى، واختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية؟ فقال الكلبى ومقاتل والضحاك: إنها نزلت فى أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - وقال الحسن البصرى: إنها عامة فى جميع المؤمنين. ومعنى الآية: هو الإرشاد إلى شكر الله ودعاء الوالدين.

قوله تعالى: ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا﴾ أى: الأحسن من

---

(1) كذا بالأصل وهو استعمال على خلاف الفصيح، والأفصح أن يقال: «واحد وعشرون شهراً». وفى «ك»: إحدى وعشرون شهراً، وهو خطأ بيّن.

الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا

أعمالهم، والأحسن من الأعمال كل مايرضاه الله تعالى.

وقوله: ﴿ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة﴾ أى: مع أصحاب الجنة.

وقوله: ﴿وعد الصدق الذى كانوا يوعدون﴾ أى: يوعدون من الثواب على الأعمال الصالحة، ويقال: إن الآية الأولى نزلت فى سعد بن أبى وقاص، وكان قد أسلم ومنعه أبواه من الإسلام وشددا عليه الأمر ليرجع عن دينه، وقد بينا هذا من قبل. ويقال: نزلت فى أخيه عمير بن أبى وقاص، ومعنى الآية على هذا: هو الوصية بالإحسان إليهما دون الموافقة فى الشرك.

قوله تعالى: ﴿والذى قال لوالديه أف لكما﴾ زعم جماعة من أهل التفسير أن الآية نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر - رضى الله عنهما - [ووالديه][(١)] أبو بكر وأمه [أم][(٢)] رومان. وقوله تعالى: ﴿أف لكما﴾ تبرم واستقذار، وكانا يقولان: اللهم اهده، اللهم أقبل بقلبه، وكان يقول: أتعداننى أن (أبعث)[(٣)] أى: أتوعدانى بالبعث، وهذا هو معنى قوله: ﴿أتعداننى أن أخرج﴾.

وقوله ﴿وقد خلت القرون من قبلى﴾ أى: مضت القرون: من قبل، أين عبد الله بن جدعان؟ وفلان وفلان؟.

وقوله: ﴿وهما يستغيثان الله﴾ أى: يستغيثان بالله.

وقوله: ﴿ويلك آمن﴾ أى: ويحك، آمن ﴿إن وعد الله حق﴾.

وقوله: ﴿فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين﴾ أى: أقاصيص الأولين، وأنكر كثير

---

(١) فى «الأصل، وك»: ووالداه، والصواب ما أثبتناه.

(٢) زيادة ليست فى «الأصل، ولا ك»، وأم رومان امرأة أبى بكر وأم عبد الرحمن بن أبى بكر لها ترجمة في الإصابة، وغيره.

(٣) فى «ك»: أخرج.

إلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ

من أهل التفسير هذا القول، وروى عن عائشة أنها كانت تنكر أن المراد بالآية أخوها، وكذلك ذكر الزجاج فى كتاب المعانى وغيره، واستدلوا على ضعف هذا القول وفساده بأن الله تعالى قال عقيب هذه الآية: ﴿أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس﴾ أى: وجب عليهم القول بالتعذيب فى النار.

وقد قال الله تعالى: ﴿مايبدل القول لدى﴾(1) وعبد الرحمن بن أبى بكر أسلم وحسن إسلامه، وهو من أفاضل المسلمين، فالصحيح أن الآية فى غيره، وهو الكافر العاق (بوالديه)(2) الذى مات على الكفر.

وقوله تعالى: ﴿فى أمم﴾ أى: مع أمم.

وقوله: ﴿قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾أى: هالكين.

قوله: ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ أى: لكل المؤمنين درجات مما عملوا.

وفى التفسير: أن الدرجات من الذهب والفضة والياقوت والزبرجد والزمرد واللؤلؤ وغيره من الجواهر، وفى بعض الأخبار: أن الله تعالى يدخل المؤمنين الجنة ويأمرهم أن يقسموها بأعمالهم.

وقوله: ﴿(ولنوفيهم)(3) أعمالهم وهم لايظلمون﴾ أى: لايزاد فى إساءة المسيء، ولاينقص من إحسان المحسن.

وقوله تعالى: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا﴾ أى: أذهبتم طيباتكم فى الآخرة من معاصيكم فى الدنيا، ويقال: شغلتكم

(1) ق: 29.

(2) فى «ك»: لوالديه.

(3) انظر النشر فى القراءات العشر (2/373).

الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ

الشهوات عن الطاعات. وقيل: أخذتم نصيبكم فى الدنيا فلا نصيب لكم فى الآخرة.

وقوله: ﴿ واستمتعتم بها ﴾ أى: تلذذتم وانتفعتم بها، وفى المشهور من الخبر «أن عمر - رضي الله عنه - دخل على النبىﷺ فى خزانته وهو مضطجع على [خَصَفَة][1] وبعضه على الأرض، وتحت رأسه وسادة حشوها ليف، وفى البيت أُهُب وقليل من القرظ، فبكى عمر، فقال له رسول اللهﷺ : ماذا (يبكيك)؟[2] فقال: ذكرت كسرى وقيصر وماهما فيه من النعم وحالك على ما أرى، وأنت نبى الله وصفوته وخيرته، فقعد رسول الله ﷺ وقال: أفى شك أنت يا ابن الخطاب! أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا، وأخرت لنا إلى الآخرة»[3].

وروى أن عمر - رضى الله عنه - قال: ما أجمل لذيذ العيش لو شئت أمرت بصغار المعزى فيسمط لنا، وأمرت بلباب البرِّ فيخبز لنا، وأمرت بالزبيب فينبذ لنا حتى يصير كعين اليعقوب، فآكل من هذا مرةَ، وأشرب من هذا مرةَ، ولكن سمعت الله يقول لقوم: ﴿ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا ﴾، فأنا أخاف أن أكون منهم.

وروى أنه رأى جابر بن عبد الله وبيده لحم قد اشتراه قال: ماهذا؟ قال: اشتريته بدرهم. فقال: أو كلما قام أحدكم اشترى بدرهم لحمًا. وفى رواية: كلما اشتهيت اشتريت، أما سمعت الله يقول: ﴿ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا ﴾ أما تخافون أن تكونوا منهم؟

وقوله: ﴿ اليوم تجزون عذاب الهون ﴾ أى: الهوان، وهو كذلك فى قراءة ابن مسعود.

وقوله: ﴿ بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق ﴾أى: تطلبون العلو والرفعة

(١) فى «الأصل»: خفصة، وهو تصحيف، والخصفة هى الجلة من الخوص، وتكون وعاء للتمر، وهى أيضا فراش من خوص النخل.

(٢) فى «ك»: عليك.

(٣) متفق عليه، وقد تقدم.

الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ

والغلبة بغير الحق.

وقوله: ﴿وبما كنتم تفسقون﴾ أى: تخرجون عن طاعة الله.

وقوله تعالى: ﴿واذكر أخا عادٍ﴾ وهو هود- عليه السلام- وكان أخاهم فى النسب لا فى الدين.

وقوله: ﴿إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾ أى: قومه عاداً، والأحقاف: جمع حِقف، وهو الرمل المعوج، وفى الخبر: «مر رسول الله ﷺ بظبى حاقف»[1] أى: قد انثنى عنقه، ويقال: الأحقاف: رمال مستطيلة شبه الدكاكين. (وقيل)[2] : رمال مشرفة على البحر (بالشِّحْر)[3] من اليمن. وعن ابن عباس: أرض بين عمان ومهرة، وعن ابن إسحاق: أرض بين عمان وحضرموت كانت منازل عاد بها، وروى أبو الطفيل عن على – رضى الله عنه – أنه قال: شر بئر فى الأرض بئر بوادى حضرموت يقال له: برهوت يجعل فيها أرواح الكفار، وخير بئر فى الأرض بئر زمزم. ويقال: جبال بالشام. والأصح أنهم كانوا باليمن، وأما منازل ثمود وقوم لوط بين المدينة والشام.

وقوله: ﴿وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه﴾ أى: خلت النذر قبل هود وبعده.

وقوله: ﴿ألا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ أى: كبير.

قوله تعالى: ﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا﴾ أى: تصرفنا.

وقوله: ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ أى: من العذاب.

(١) رواه النسائى (٥/ ١٨٢ – ١٨٣ رقم ٢٨١٨)، ومالك فى الموطأ (١/ ٣٥١ رقم ٧٩)، وأحمد (٣/ ٤٥٢)، والطبرانى فى الكبير (٥/ ٢٥٩ رقم ٥٢٨٣) عن البهزي به.

(٢) فى «ك» : وقال.

(٣) والشحر بالحاء المهملة: هو شط بين عدن وعمان. انظر معجم البلدان (٣/ ٣٧١).

إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ

وقوله: ﴿إن كنت من الصادقين﴾ يعنى: إن كنت نبيًا من قبل الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿قال إنما العلم عند الله﴾ أى: وقت عذابكم يعلمه الله، ولا أعلمه أنا.

وقوله: ﴿وأبلغكم ما أرسلت به ولكنى أراكم قومًا تجهلون﴾ ومعناه: أن إلىَّ تبليغ الرسالة، وليس إلىَّ إنزال العذاب، وإنما هو إلى الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿فلما رأوه عارضًا مستقبل أوديتهم﴾ العارض: هو السحاب هاهنا قال الشاعر:

إذا نظرت إلى أسرَّة وجهه ... برقت كبرق العارض المتهلل

وقال آخر(١):

يامن يرى عارضاً قد [بت] أرمقه ... كأنما البرق فى حافاته الشعل

وفى القصة: أن الله تعالى حبس عنهم القطر ثلاث سنين، فجعلوا يدعون ويسألون الله المطر، وروى أنهم وفدوا وفداً إلى الحرم يسألون الغيث، وكان لهم واد يقال له: المغيث، وكان غيثهم يأتى من قبل ذلك الوادى، فرأوا سحابة جاءت من جانب ذلك الوادى، وكانت سوداء فاستبشروا و﴿قالوا هذا عارض ممطرنا﴾ أى: سحاب يرسل علينا المطر؛ فقال هود- عليه السلام، وكان جالسًا معهم-: ﴿بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم﴾.

وقوله: ﴿بل هو ما استعجلتم به﴾ أنهم كانوا قد قالوا: «فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين». وذكر ابن إسحاق أن أول من رأى العذاب فى السماء امرأة منهم فقالت: أرى نيرانًا أمامها رجال يقودونها.

---

(١) هو أعشى بنى قيس، والبيت فى ديوانه.

أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَىٰ إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً

وفى القصة: أن قوم هود قالوا لهود: أتوعدنا بالريح، وأيُّ الريح تصرعنا وتهلكنا، فروى أن الله تعالى أمر الملك الذى هو على خزانة الريح أن يرسل الريح من الخزانة فقال: وكم أرسله؟ فقيل له: على مقدار منخر الثور، فقال: إذا تقلب الأرض بمن فيها. فقيل له: على قدر حلقة الخاتم فأرسلت على هذا القدر فجعلت تطير بالظعن بين السماء والأرض، وتحمل الراعى مع غنمه وإبله وتروحها إلى الهواء، ثم تطرحها على الجبال وتشدخها، وكذلك فعلت بجميع عاد حتى أهلكتهم، وفى التفسير: أنها كانت تحمل الرجال بين السماء والأرض حتى يرى كالجراد، وكان هذا العذاب مسخراً عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً على ماذكر الله تعالى فى موضع آخر.

وفى القصة: أن هود - عليه السلام - اعتزل بقومه الذين آمنوا به وخط لهم خطاً، وكانت الريح فى ذلك الخط ألين ريح وأطيبها، وهى تعمل بقومه العجائب. وروى أنهم لما رأوا العذاب وأرسلت الريح عليهم دخلوا بيوتهم، وهى من صخر، وأغلقوا الأبواب، ففتحت الريح أبوابهم ونزعتهم من بيوتهم، وأهالت الرمال عليهم حتى أهلكتهم تحت الرمال، وإن أنين بعضهم يسمع تحتها.

وقوله: ﴿ تدمر كل شيء بأمر ربها ﴾ أى: بإذن ربها.

وقوله: ﴿ فأصبحوا لايرى إلا مساكنهم ﴾ روى أن الله تعالى لما أهلكهم بعث بطير كثير حتى التقطتهم وألقتهم فى البحر، فأصبحت مساكنهم خالية عن جميعهم، فذلك قوله تعالى: ﴿ فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ﴾.

وقوله: ﴿ كذلك نجزى القوم المجرمين ﴾ أى: ذوى الإجرام.

وقوله تعالى: ﴿ ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فيما لم نمكنكم فيه أى: جعلنا تمكينهم ونعمهم فى الأرض أكثر وأوسع.

والقول الثانى: مكناهم فيما مكناكم فيه، « وإن » صلة.

فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ

والقول الثالث: إن فى الآية حذفًا، وتقديرها: ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه كان عنادكم وعتوكم أكثر، وهذا هو المحذوف.

وقوله: ﴿وجعلنا لهم سمعًا﴾ أى: أسماعًا.

وقوله: ﴿وأبصارًا وأفئدة﴾ أى: (أعينا)(١) يبصرون بها، وقلوبًا يعلمون بها.

وقوله: ﴿فما أغنى عنهم﴾ أى: مادفعت عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم حتى نزل بهم العذاب.

وقوله: ﴿من شىء إذ كانوا يجحدون بآيات الله﴾ أى: ينكرون آيات الله.

وقوله: ﴿وحاق بهم﴾ أى: نزل بهم.

وقوله: ﴿ماكانوا به يستهزئون﴾ أى: جزاؤه.

قوله تعالى: ﴿ولقد أهلكنا ماحولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون﴾ أى: منازل عاد باليمن، ومنازل ثمود، و[مدائن](٢) قوم لوط فيما بين المدينة والشام، وقوله ﴿وصرفنا الآيات﴾ أى: مرة عاقبناهم، ومرة أنعمنا عليهم، ويقال: خوفناهم مرة، وأطمعناهم مرة.

وقوله: ﴿لعلهم يرجعون﴾ أى: عن الكفر الذى كانوا عليه.

قوله تعالى: ﴿فلولا نصرهم الذين اتخذوا﴾ معناه: فهلا نصرهم ﴿الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة﴾ أى: منع الأصنام منهم عذابنا. وقوله: ﴿قرباناً﴾ إنما قال ذلك؛ لأنهم كانوا يقولون إن عبادتنا لها تقربنا إلى الله.

---

(١) فى «ك»: أبصارًا.

(٢) من «ك».

ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾

وقوله: ﴿بل ضلوا عنهم﴾ أى: ضلوا عن عبادة الأصنام ولم تنفعهم أبداً.

وقوله: ﴿وذلك إفكهم وما كانوا يفترون﴾ أى: ذلك كذبهم وفريتهم.

قوله تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن...﴾ الآية معناه: وجهنا وجوههم إليك، وأما سبب نزول الآية: وهو أن النبى ﷺ لما دعا كفار مكة إلى الإسلام وأبوا أن يسلموا خرج إلى الطائف ليدعوهم إلى الإيمان، فلما رجع إلى مكة وكان ببطن نخلة، مر عليه أشراف من جن نصيبين وهو يصلى صلاة الصبح، ويقال: إنهم رأوه ببطن نخلة وهو عامد إلى عكاظٍ. وأختلفوا فى عددهم، فقال بعضهم: كانوا سبعة نفر. وقال بعضهم: كانوا تسعة نفر. ويقال: كان فيهم زوبعة. وقد ذكر فى أسمائهم حسى ومسى ويسى وشاصر وناصر، والله أعلم. فلما سمعوا قراءة النبى ﷺ اجتمعوا لسماعه. وفى التفسير أيضًا: أن الجن كانوا يستمعون إلى السماء قبل زمان النبى ﷺ؛ فلما كان زمان النبى رُمُوا بالشهب، فاجتمعوا وقالوا: ماهذا إلا لأمر حدث فى الأرض، فضربوا في الأرض يميناً وشمالا حتى وجدوا النبى ﷺ ببطن نخلة يصلى ويقرأ القرآن وحوله الملائكة يحرسونه؛ فعرفوا أن ماحدث من الأمر كان لأجله»(١).

وقوله: ﴿فلما حضروه قالوا أنصتوا﴾ أى: أسكت بعضهم بعضاً، وروى أنه قال بعضهم لبعض: صه أى: اسكتوا.

وقوله: ﴿فلما قضى﴾ معناه: فلما فرغ من القراءة.

وقوله: ﴿ولوا إلى قومهم منذرين﴾ أى: محذرين، ويقال: ولوا دعاة إلى التوحيد. وقد قيل: إن الجن كانوا من جن الموصل، وهى نِينَوى بلدة يونس بن متى، ويقال: من حران، وقيل: غير ذلك.

قوله تعالى: ﴿قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى﴾ فإن قيل: كيف

(١) تقدم تخريجه.

قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ

ذكر من بعد موسى ولم يذكر عيسى، وعيسى نبى مثل موسى - عليهما السلام - وقد آتاه الله الإنجيل أيضًا وهو كتابه؟ والجواب عنه: يحتمل أنهم لم يكونوا سمعوا بذكر عيسى، ويحتمل أنهم سمعوا بذكر موسى وعيسى جميعًا إلا أنهم ذكروا موسى لأنه أقدم؛ ولأن عامة ما فى الإنجيل من الأحكام موافقه لما فى التوراة إلا فى أشياء معدودة.

وقوله: ﴿ مصدقًا لما بين يديه ﴾ أى: لما بين يديه من الكتب.

وقوله: ﴿ يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ﴾ أى: مستوٍ.

قوله تعالى: ﴿ ياقومنا أجيبوا داعى الله ﴾ أى: محمداً ﷺ.

﴿ وآمنوا به ﴾أى: صدقوا به ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ﴾ أى: النار.

قوله تعالى: ﴿ ومن لايجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض ﴾ أى: لا يفوت الله ولايسبقه.

وقوله: ﴿ وليس له من دونه أولياء ﴾ أى: أنصار [يمنعونهم](1) من العذاب.

وقوله: ﴿ أولئك فى ضلال مبين ﴾ أى: خطأ بين، وفى الأخبار: أن وفد الجن ذهبوا وأنذروا قومهم، وعادوا إلى النبى ﷺ بعد ما أسلم طائفة كثيرة منهم، وذهب النبى ﷺ وقرأ عليهم القرآن وعلمهم الأحكام، وفى حمله عبد الله بن مسعود مع نفسه اختلاف كثير، فروى أنه لما أراد أن يذهب إلى الجن قال: «ليقم منكم معى رجل ليس فى قلبه مثقال خردل من كبر، فقام عبد الله بن مسعود وحمله مع نفسه، وخط له خطًّا وقال له: إياك أن تبرح هذا الخط، وذهب يخاطب الجن، وكان هذا الاجتماع بالحجون، وهو موضع بأعلى مكة، فروى أنه لما سمع عبد الله بن مسعود

(1) فى «الأصل»: يمنعوهم.

لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُوْلَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

لغطهم وأصواتهم ظن بالنبى ﷺ الظنون، فأراد أن يخرج من الخط، ثم إنه ذكر وصية النبى ﷺ فلم يخرج، وذكر ذلك للنبى ﷺ من بعد فقال: لوخرجت لم تلقنى أبدا»[1] . وروى أنه رأى بعضهم ورأى آثار نيرانهم.

وفى هذا كلام كثير، وروايات مختلفة، وفى رواية علقمة عن عبد الله بن مسعود أنه قال: لم يكن معه منا أحد ليلة الجن، والله أعلم فى ذلك.

وقال أهل العلم: فى الآية دليل على أن النبى ﷺ كان مبعوثًا إلى الجن والإنس.

وقوله تعالى: ﴿أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن﴾ أى: لم يعجز عن خلقهن، وقيل: لم يتعب ولم ينصب بخلقهن، خلاف ما قالته اليهود: أنه تعب من خلقهن فاستراح يوم السبت.

وقوله: ﴿بقادر﴾ أى: قادر ﴿على أن يحيى الموتى﴾.

وقوله: ﴿بلى إنه على شىء قدير﴾ أى: قادر.

قوله تعالى: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق﴾ معناه: يقال لهم: أليس هذا بالحق.

وقوله: ﴿قالوا بلى وربنا﴾ أى: نعم.

وقوله: ﴿قال فذوقوا العذاب بماكنتم تكفرون﴾ أى: تكفرون بالله.

قوله تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾ أى: فاصبر على مايصيبك من أذى المشركين.

وقوله: ﴿كما صبر أو لوا العزم من الرسل﴾ أكثر المفسرين على أنهم أربعة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام، وقال مقاتل: أولو العزم، نوح صبر على

---

(١) رواه أحمد (١/٤٥٨ – ٤٥٩)، والطبرانى (١٠/٦٣-٦٤ رقم ٩٩٦٢)، والبيهقى (١/٩-١٠) عن ابن مسعود بنحوه. قال الهيثمى فى المجمع (٨/٣١٧): رواه أحمد، وفيه أبو زيد مولى عمرو بن حريث، وهو مجهول.

﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ

أذى قومه، وإبراهيم صبر على النار، وإسحاق صبر على الذبح، ويعقوب صبر على فقد الولد، ويوسف صبر على السجن، وأيوب صبر على الضر. وقيل: أولو العزم هم: نوح، وهود، وإبراهيم. وفى الآية قول آخر - وهو معروف-: أن جميع الأنبياء هم المراد بالآية، وليست «من» للتبعيض وإنما للتبيين، وقال من ذهب إلى هذا القول: ليس فى الأنبياء أحد ليس له عزم ولاحزم ولا رأى ولاعقل، بل كانوا جميعًا بهذه الأوصاف. ومنهم من قال: أولو العزم من الرسل: هم الذين أمروا بالقتال ومنابذة المشركين فقاتلوا ونابذوا، وفى بعض المسانيد براوية عائشة - رضى الله عنها - أن النبى ﷺ قال لها: «مالى وللدنيا ياعائشة، وإنما أمرت أن أصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، صبروا على مكروهها، وصبروا على محبوبها - أى: مكروه الدنيا ومحبوب الدنيا - والله لأفعلن كما فعلوا، وأجتهدن حتى أنال رضا ربى»[١] والخبر غريب. والقول الذى ذكرناه أخيراً ذكره الكلبى وغيره، وفى قول هؤلاء ليس آدم من أولى العزم ولا يونس صلوات الله عليهما.

وقوله: ﴿ولاتستعجل لهم﴾ فى التفسير: أن النبى ﷺ استبطأ عذاب الكفار [بعض][٢] الاستبطاء؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ولاتستعجل لهم﴾

وقوله: ﴿كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يبلثوا إلا ساعة من نهار﴾ واليوم الذى يوعدون يوم القيامة، وقوله: ﴿بلاغ﴾ أى: هذا بلاغ، وهو إشارة إلى القرآن، وقرأ (أبو)[٣] مجلز لاحق بن حميد «بَلِّغْ» على وجه الأمر.

---

(١) رواه البغوى فى تفسيره (٤/ ١٧٦) من طريق ابن أبى حاتم، والديلمى فى الفردوس (٥/ ٤٢٦ رقم ٢٨٦٢٨)، وعزاه السيوطى فى الدر (٦/ ٥٠) لابن أبى حاتم والديلمى.

(٢) فى «الأصل و ك»: بعد، وهو تحريف.

(٣) في «ك»: ابن، وهو تحريف.

الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ .

وقوله : ﴿ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ﴾ أى : الكافرون، والفاسق : [هو][1] الخارج عن طاعة الله، وذلك الكافر، ويقال : إن هذه الآية أرجى آية فى القرآن . قال قتادة . لايهلك على الله إلا هالك، ثم فسر الهالك قال : هو كافر ولَّى الإسلام ظهره، أو منافق يصف الإيمان بلسانه وينكر بقلبه .

---

(١) فى « الأصل » : هم .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ

تفسير سورة محمد ﷺ

وهى مدنية، وهذه السورة تسمى سورة القتال، وسورة الأنفال تسمى سورة الجهاد، وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا قاتلوا العجم وغيرهم بعد رسول الله ﷺ قرءوا هاتين السورتين بين الصفين؛ ليحرضوا المسلمين على القتال.

قوله تعالى: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم﴾ أى: أحبط أعمالهم. قال المفسرون: نزلت الآية فى المُطْعِمين يوم بدر، وهم اثنا عشر نفرا، كان كل واحد منهم ينحر كل يوم عشراً من الجزور، هذا هو القول المشهور، و﴿أعمالهم﴾ إطعامهم، أحبطها الله تعالى ولم يقبلها منهم. ويقال: إن الآية فى جميع أهل مكة من الكفار.

قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصلحات وآمنوا بما نزل على محمد﴾ القول المشهور فى الآية: أن المراد بهم الأنصار، وقيل: إنه فى جميع من آمن مع النبى ﷺ.

وقوله: ﴿وهو الحق من ربهم﴾ أى: آمنوا بما هو الحق من ربهم.

وقوله: ﴿كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم﴾ أى: حالهم، [يقال][1]: مابالك وما حالك بمعنى واحد.

قوله تعالى: ﴿ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل﴾ أى: ذلك الذى فعلناه من إحباط (أعمال)[2] الكفار، وقبول أعمال المؤمنين وتكفير سيئاتهم وإصلاح بالهم، كان بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل، وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم.

---

(١) فى «الأصل، وك»: فقال.

(٢) فى «ك»: عمل.

بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ

وقوله: ﴿ كذلك يضرب الله للناس أمثالهم ﴾ أى: أمثال سيئات الكفار وحسنات المؤمنين، يقال: ضربت لفلان مثلاً أى: ذكرت له نوعًا من الكلام لمعنى معلوم .

قوله تعالى: ﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ﴾ أى: فاضربوا الرقاب، وضرب الرقاب جزها وقطعها .

وفى التفسير: «أن قومًا من المسلمين كان بعثهم النبى ﷺ لقتال قوم من الكفار، فأحرقوا بعض الكفار؛ فبلغ النبى ﷺ فأنكره، وقال: «إنى مابعثت لأعذب بعذاب الله أحداً»(١) . فأنزل الله تعالى هذه الآية، وعلمهم كيفية القتل .

وقوله ﴿ حتى إذا أثخنتموهم ﴾ الإثخان: بلوغ الغاية فى النكاية، ويقال: الاستكثار من القتل .

وقوله: ﴿ فشدوا الوثاق ﴾ أى: فأسروهم وشدوهم. وسئل الأوزاعى كيف نشد الأسير؟ قال: بحبل، قيل: هل نشد بالقِدِّ؟ قال: ذاك عظيم، وقيل له: نشد المرأة؟ قال: نعم .

وقوله: ﴿ فإما منا بعد وإما فداء ﴾ فى الآية أقوال: أحدها: أنها محكمة، وهو المعروف. قال مجاهد وغيره: والإمام بالخيار فى الأسرى؛ إن شاء قتل،وإن شاء فادى، وإن شاء مَنَّ، وإن شاء اسْتَرقَّ، وحكى هذا عن ابن عباس، والذى ذكرناه قول الشافعى وكثير من الأئمة .

والقول الثانى: أن الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾(٢) قاله قتادة والسدى وغيرهما .

---

(١) رواه ابن أبى شيبة (١٢ / ٣٩٠)، وابن جرير (٩ / ٣٢) كلاهما عن القاسم بن عبد الرحمن مرسلا، بدون نزول الآية .

(٢) التوبة: ٥ .

والقول الثالث: أن الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾[1] ذكره الضحاك، ولايجوز فى الأسر القتل. والأول أولى الأقاويل؛ لأنه قد ثبت بروايات كثيرة «أن النبى ﷺ فادى كثيراً من الأسارى، ومَنَّ على كثير من الأسارى» على ماذكر فى الكتب الصحيحة[2].

وقوله: ﴿ حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ قال قتادة: حتى لايبقى الإ مسلم أو مسالم وقال سعيد بن جبير: حتى ينزل عيسى [ابن مريم][3] من السماء، ويكسر الصليب، ويسلم كل كافر. وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: «لاتزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق حتى تقوم الساعة»[4]. وفى رواية أخرى: «حتى يكون آخر من يقاتلون الدجال»[5]. وفى الجملة لاتضع الحرب أوزارها مابقى فى العالم كافر حربى.

وقوله تعالى: ﴿ ذلك ولو يشاء الله لا نتصر منهم ﴾ أى: فانتصر منهم بجند من الملائكة، أو بأى جند أراد، والانتصار هاهنا هو الانتقام، ومعناه: أنه لو يشاء لم يأمركم بقتال الكفار، وانتقم بنفسه منهم ﴿ ولكن ليبلو بعضكم ببعض ﴾ أى: ليبلو المسلمين بالكافرين، والكافرين بالمسلمين، مرة تكون النصرة للمؤمنين، ومرة تكون النصرة للكافرين مثل ماكان ببدر وأحد، وهو تبلية الله كيف يشاء لمن يشاء.

وقوله: ﴿ والذين قتلوا فى سبيل الله ﴾ أى: الشهداء.

---

(١) التوبة: ٥.

(٢) انظر تلخيص الحبير (٤/٢٠٢ - ٢٠٥ رقم ٢٢٤٢ - ٢٢٤٦)، وتخريج الكشاف ٣/٢٩٥ - ٢٩٧ رقم ١١٩٧)، والدر المنثور (٦/٥١ - ٥٢).

(٣) من «ك».

(٤) رواه مسلم (١٣/٩٨ - ٩٩ رقم ١٩٢٢)، وأحمد (٥/٩٨، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٨)، والطبرانى (٢/٢١٧ رقم ١٨٩١)، وابن حبان (١٥/٢٥١ رقم ٦٨٣٧) عن جابر بن سمرة، وهو يعد من الأحاديث المتواترة، وانظر نظم المتناثر (١٤٥ رقم ١٤٦).

(٥) رواه أبو داود (٣/٤ رقم ٢٤٨٤)، وأحمد (٤/٤٢٩، ٤٣٧)، والحاكم (٤/٤٥) وصححه على شرط مسلم، وغيرهم عن عمران بن حصين مرفوعا به.

أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا

وقوله: ﴿ فلن يضل أعمالهم ﴾ أى: يثيبهم على أعمالهم.

وقوله: ﴿ سيهديهم ويصلح بالهم ﴾ أى: حالهم.

وقوله: ﴿ ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾ القول المشهور أن معناه: عرفهم منازلهم، ومعنى قوله: ﴿ عرفها لهم ﴾ أى: بيَّنا لهم، فيكونون أهدى إلى منازلهم من القوم يعودون من الجمعة إلى دورهم. قال سلمة بن كهيل: عرفهم (طرق)[1] منازلهم فى الجنة. ويقال: عرفها لهم أى: طيبها لهم. وقيل: عرفها لهم أى: رفعها لهم، والعَرْف: هو الريح. وفى الخبر «أن من أعان على قتل أخيه بشطر كلمة لم يجد عَرْفَ الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام». وهذا القول محكى عن ابن عباس. وعن مقاتل أنه قال: إذا حشر المؤمن وأمر به إلى الجنة يقدمه الملك الذى كان يكتب عمله ويطوف به فى الجنة، ويريه منازله حتى إذا بلغ به أقصى منازله ورأى جميعها انصرف الملك، وترك المؤمن فى قصوره يتنعم فيها كما شاء بما شاء.

وعن مجاهد أنه قال: لايحتاج المؤمن إلى دليل إلى قصوره ومنازله، بل يكون عارفاً بها كما يكون عالماً بمنزله فى الدنيا.

قوله تعالى: ﴿ ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ﴾ معناه: إن تنصروا نبى الله أو دين الله ينصركم. والنصرة من الله: هو الحفظ والهداية. وعن قتادة قال: من ينصر الله ينصره، ومن يسأله يعطه، ويقال: ينصركم بتغليبكم على عدوكم وإعلائكم عليهم.

وقوله: ﴿ ويثبت أقدامكم ﴾ أى: فى القتال. ويقال: يثبت أقدامكم على الصراط، وقد حكى هذا عن ابن عباس.

(١) فى «ك»: طريق.

لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ

وقوله: ﴿والذين كفروا فتعسًا لهم وأضل أعمالهم﴾ أى: بعدًا لهم. والتعس فى اللغة هو العثور والسقوط. وقال ثعلب: التعس: الهلاك.

قال ابن السكيت: التَّعْس أن [يَخِرَّ](١) على وجهه، والنَّكْس أن يَخِرَّ على رأسه.

ويقال: فتعسًا لهم أى: شرًا لهم وتَبًّا لهم. والذى جاء فى الخبر «تعس وانتكس»، قد بينا معنى تعس. وأما معنى قوله: انتكس أى: انقلب أمره وفسد، وهذا على معنى الدعاء.

وقوله: ﴿وأضل أعمالهم﴾ أى: أضل الله أعمالهم بمعنى: أحبطها، فإن قيل: وأىُّ عمل للكفار حتى يحبطه الله تعالى؟ والجواب: أنهم كانوا يعملون أعمالا على فضل الخير والتقرب إلى الله تعالى مثل: الصدقة، وصلة الرحم، والحج، والطواف، وما أشبه ذلك، ويظنون أن الله تعالى يثيبهم عليها، فأخبر الله تعالى أنه يحبطها بكفرهم.

قوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم كرهوا ماأنزل الله فأحبط أعمالهم﴾ أى: كرهوا نبوة محمد وما أنزله الله من القرآن.

قوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم﴾ أى: أهلكهم بكفرهم.

وقوله: ﴿وللكافرين أمثالها﴾ أى: لهؤلاء الكافرين من سوء العاقبة مثل ما لأولئك الكفار.

وقوله: ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا﴾ أى: وَلِىُّ الذين آمنوا، وهو كذا فى قراءة ابن مسعود .

---

(١) فى «الأصل، وك»: يجر، وهو سبق قلم. وانظر القرطبى (١٦ / ٢٣٣)، ولسان العرب (٦ / ٣٣).

أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

وقوله: ﴿وأن الكافرين لامولى لهم﴾ أى: لايتولاهم الله تعالى، بمعنى: أنه لايهديهم ولاينصرهم. وفى بعض الآثار: أن عليا - رضى الله عنه - سأل ابن الكوا فقال: من رب العالمين؟ قال: الله. قال: صدقت. قال: من مولى الناس؟ قال: الله. قال: كذبت، وتلا قوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لامولى لهم﴾ وعن قتادة قال: «نزلت الآية فى حرب أحد، فإنه لما فشا القتل والجراحات فى أصحاب رسول الله ﷺ، وفعل بالنبى ﷺ مافعل، نادى المشركون: يوم بيوم بدر والحرب سجال، ثم قالوا: لنا العزى، ولاعزى لكم، فقال ﷺ: قولوا: الله مولانا ولامولى لكم، ولاسواء؛ قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار»[1].

قوله تعالى: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملو الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام﴾ يعنى: لايخافون عقابا، ولايرجون ثوابا. وقيل: ليس لهم هم إلا التمتع والأكل كالأنعام .

وقوله: ﴿والنار مثوى لهم﴾ أى: منزل لهم.

قوله تعالى: ﴿وكأين من قرية﴾ «وكائن من قرية»، بالتخفيف.

وأنشد الأخفش قول لبيد:

وكائن رأينا من ملوك وسوقة ... ومفتاح قيد للأسير المكبل

ومعناه: وكم من أهل قرية هم أشد قوة من أهل قريتك التى أخرجتك أى: أخرجك أهلها .

---

(١) رواه ابن جرير (٢٦ / ٢٨) عن قتادة مرسلا به، وعزاه السيوطى فى الدر (٦ / ٥٣) لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبى حاتم.

وأصل الحديث ثابت من حديث البراء مرفوعا، رواه البخارى (٧ / ٤٠٥ رقم ٤٠٤٣)، وأحمد (٤ / ٢٩٣)، وسعيد بن منصور (٣ / ٢ / ٣٥٦ - ٣٥٧ رقم ٢٨٥٣)، والبيهقى فى الدلائل (٣ / ٢٢٩ - ٢٣٠)، والبغوى فى تفسيره (٤ / ٣٥٥ - ٣٥٦). وفى الباب عن ابن عباس.

يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ

وقوله: ﴿ أهلكناهم فلا ناصر لهم ﴾ أى: لم يكن لهم أحد يمنعهم من عذابنا.

قوله تعالى: ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ﴾ أى: على يقين من أمر ربه.

ويقال: المراد من الآية محمد ﷺ.

وقوله: ﴿ كمن زين له سوء عمله ﴾ هو أبو جهل، وقيل: الآية فى جميع المؤمنين والكفار. ومعنى الآية: أن الفريقين لايستويان، فحذف هذا لفهم المخاطب، وهذا كالرجل يقول: من فعل الخيار سعد، ومن فعل السيئات شقى. ثم يقول: أفمن سعد كمن [شقى][1]، يعنى: لايكون، وحذف لفهم المخاطب. وقيل: الألف فى قوله: ﴿ أفمن ﴾ ألف توقيف وتقرير لما علم المخاطب منه.

وقوله: ﴿ واتبعوا أهواءهم ﴾ أى: اتبعوا أهواءهم فى اتباع الكفر.

قوله تعالى: ﴿ مثل الجنة التى وعد المتقون ﴾، فى قراءة على رضى الله عنه: «أمثال الجنة التى وعد المتقون» والمعنى: صفة الجنة التى وعد المتقون أى: صفات الجنة التى وعد المتقون، ومعناه: وعد المتقون من (الشرك)[2].

وقوله: ﴿ فيها أنهار من ماء غير آسن ﴾ أى: غير متغير. يقال: أَسَن الماء يأسُن إذا تغير، وأجَن يأجُن إذا تغير أيضًا، وإنما قال ذلك لأن الماء يتغير بطول المكث، وماء الجنة لايتغير بطول المكث.

وقوله: ﴿ وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ﴾ أى: يحمض. وإنما قال ذلك لأن اللبن إذا مر عليه الزمان يتغير ويحمض، وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: «أوتيت بإناءين ليلة المعراج فى أحدهما خمر، وفى الأخر لبن، فأخذت اللبن وشربته، فقال جبريل عليه السلام: أصبت الفطرة»[3].

(١) فى «الأصل»: يشقى.

(٢) كذا!!

(٣) تقدم تخريجه.

مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ

ومن المعروف أيضا «أن النبى ﷺ كان إذا أكل طعامًا شكر الله تعالى، وسأل [الله](١) أن يرزقه خيراً منه إلا اللبن، فإنه كان إذا شرب اللبن شكر الله تعالى ولم يقل وأرزقنا خيراً منه»(٢).

وقوله: ﴿وأنهار من خمر لذة للشاربين﴾ واللذة: طيبة النفس فى الشرب، وقد بينا وصف خمر الجنة قبل هذا .

وقوله: ﴿وأنهار من عسل مصفى﴾ أى: منقى من الكدر والعكر .

ويقال: مصفى من الشمع ألا يكون فيه شمع.

وقوله: ﴿ولهم فيها من كل الثمرات﴾ أى: الفواكه .

وقوله: ﴿ومغفرة من ربهم﴾ أى: العفو من ربهم .

وقوله: ﴿كمن هو خالد فى النار﴾ أى: من يُعطَى مثل هذه النعم يكون حاله كحال من هو خالد فى النار .

وقوله: ﴿وسقوا ماء حميمًا﴾ الحميم: هو الماء الذى تناهى فى الحر، وفى التفسير: أنه ماء سعرت عليه نيران جهنم منذ خلقت، فإذا قربه الكافر إلى وجهه للشرب شوى وجهه، وسقطت جلدة وجهه وفروة رأسه .

---

(١) من «ك».

(٢) رواه أبو داود (٣/٣٣٩ رقم ٣٧٣٠)، والترمذى (٥/٤٧٢ - ٤٧٣ رقم ٣٤٥٥) وقال: حسن، وفى الشمائل (١٧٤ رقم ١٩٦)، والنسائى فى الكبرى (٦/٧٩ رقم ١٠١١٨، ١٠١١٩)، وابن ماجه (٢/١١٠٣ رقم ٣٣٢٢)، وأحمد (١/٢٢٥، ٢٨٤)، والطيالسى (٣٥٥ - ٣٥٦ رقم ٢٧٢٣)، والحميدى (١/٢٢٥ - ٢٢٦ رقم ٤٨٢) من حديث ابن عباس مرفوعا بنحوه.

وروى من فعله ﷺ من حديث عائشة بنحو رواية المصنف، رواه ابن الجوزى فى الموضوعات (٢/٢٩٣)، ونقل عن أبى حاتم قوله: لا أصل له من حديث رسول الله ﷺ .

وفى بعض المسانيد برواية أبى أمامة الباهلى أن النبىﷺ قال: «إذا شرب الكافر الحميم؛ قطع أمعاءه فخرجت من دبره، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم﴾»(١).

وفى بعض الحكايات عن محمد بن عبيد الله الكاتب قال: رجعت من مكة فمررت بطيزناباذ - وهو موضع بين الكوفة وبغداد - فرأيت كرمًا فيه عنب كثير، فذكرت قول أبى نواس:

بطيزناباذ كرم ما مررت به　　　إلا تعجبت (ممن)(٢) يشرب الماء

فسمعت قائلا يقول -أسمع صوته ولا أراه-:

وفى الجحيم حميم ماتجرعه　　　خلق فأبقى له فى البطن أمعاء

قوله تعالى: ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ يعنى: ومن الكفار من يستمع إليك أى: يستمع إلى قولك .

وقوله: ﴿حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم﴾ قال عبدالله بن بريدة وجماعة: هو عبدالله بن مسعود، وقيل: إنه أبو الدرداء. وفى الآية قول آخر: أنه جميع أصحاب رسول الله ﷺ .

وقوله: ﴿ماذا قال آنفا﴾ أى: ماذا قال الآن صاحبكم؟ وآنفا: قريبا، وكانوا يقولون هذا على طريق الاستهزاء يعنى: إنا شغلنا عن سماع كلامه، فماذا قال؟

وقوله: ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم﴾ أى: ختم الله على قلوبهم، ولم يهدهم لقبول قول رسوله. وقال ابن الأعرابى: الختم على القلب (من)(٣) فهم القول.

(١) رواه الترمذى (٤/ ٦٠٨ رقم ٢٥٨٣) وقال: غريب، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٣٧١ - ٣٧٢ رقم ١١٢٦٣)، وأحمد (٥/ ٢٦٥)، وابن جرير (١٣/ ١٣١)، ونعيم بن حماد فى زوائد الزهد (٨٩ رقم ٣١٤)، والطبرانى فى الكبير (٨/ ٩٠ رقم ٧٤٦٠)، والحاكم (٢/ ٣٥١، ٣٦٨ - ٣٦٩) وصححه على شرط مسلم، والبيهقى فى البعث (٢٩٢ - ٢٩٣ رقم ٦٠٢)، وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ١٨٢).

(٢) فى «ك»: فمن .

(٣) كذا، والأولى: عن.

﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴿١٨﴾ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ

وقوله: ﴿ واتبعوا أهواءهم ﴾ أى: هواهم. والمراد من الآية وفائدتها: هو منع المسلمين أن يكونوا مثل هؤلاء، وبيان حالهم للمؤمنين .

قوله تعالى: ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ أى: زادهم بيانًا ورشدًا، ويقال: زادهم هدى أى: العمل بالناسخ بعد العمل بالمنسوخ، ويقال: الأخذ بالعزائم بعد العمل بالرخص .

وقوله: ﴿ وآتاهم تقواهم ﴾ أى: جزاء تقواهم .

قوله تعالى: ﴿ فهل ينظرون إلا الساعة ﴾ أى: فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة أى: تجيئهم فجأة .

وقوله: ﴿ فقد جاء أشراطها ﴾ أى: علاماتها. وفى التفسير: أن قوله: ﴿ فقد جاء أشراطها ﴾ هو محمد ﷺ. وقد روى عنه ﷺ أنه قال: «بعثت والساعة كهاتين، وأشار إلى السبابة والوسطى فسبقتها كما سبقت هذه»[١] وفى رواية: كادت تسبقنى. وقد اختلفت الروايات فى أول أشراط الساعة، عن بعض الأخبار: «أن أول أشراط الساعة طلوع الشمس من مغربها، وحينئذ يغلق باب التوبة، و﴿ لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ﴾[٢] على ما قال الله تعالى»[٣]. وفى خبر آخر: «أن

---

(١) متفق عليه من حديث سهل بن سعد، رواه البخارى (٨/ ٥٦٠ رقم ٤٩٣٦، وطرفاه: ٥٣٠١، ٦٥٠٣)، ومسلم (١٨/ ١١٨ رقم ٢٩٥٠).

وفى الباب عن أنس، وأبى هريرة، وجابر.

(٢) الأنعام: ١٥٨ .

(٣) رواه مسلم (١٨ / ١٠٢ – ١٠٣ رقم ٢٩٤١)، وأبو داود (٤/ ١١٤ رقم ٤٣١٠)، وابن ماجه (٢/ ١٣٥٣ رقم ٤٠٦٩)، وأحمد (٢/ ١٦٤، ٢٠١)، والطيالسى (رقم ٢٢٤٨)، وابن أبى شيبة (١٤/ ١٢٤ – ١٢٥ رقم ١٧١٩)، والحاكم (٤/ ٥٠٠ – ٥٠١، ٥٤٧ – ٥٤٨) جميعهم عن عبد الله بن عمرو مرفوعا: «إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا». واللفظ لمسلم.

أول أشراط الساعة نار تخرج من المشرق فتسوق الناس إلى المغرب »(١) . ويقال : « أول أشراطها خروج الدابة »(٢)، وفي الأخبار : [أن](٣) هذه الأشراط تكون في مدة قريبة، ويتتابع بعضها في إثر بعض » . وقيل : « كلؤلؤ العقد إذا انحل نظامه، كان بعضه في إثر بعض »(٤) .

وقوله ﴿ فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾ معناه : فأين لهم المفر والملجأ إذا جاءهم مايذكرهم؟ يعني : إذا عاينوا الأمر وحضرت هذه الأشراط . وقال قتادة معناه : « فأنى لهم إذا جاءتهم » أي : الساعة - « ذكراهم » أي : أنى لهم التذكر؟ أي : منفعة التذكر لو طلبوه إذا جاءتهم الساعة، والمقصود فوات منفعة التذكر عند حضور الأمر .

قوله تعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ فإن قيل : كيف قال : فاعلم أنه لا إله إلا الله وقد علم؟ والجواب من وجهين : أحدهما : أن المراد منه هو الثبات على العلم لا ابتداء العلم . والثاني : أن معناه : فاذكر أنه لا إله إلا الله، فعبر عن الذكر بالعلم لحدوثه عنده . ويقال : الخطاب مع الرسول، والمراد منه الأمة .

---

(١) رواه البخاري (٦ / ٤١٧ - ٤١٨ رقم ٣٣٢٩ ، وأطرافه : ٣٩١١، ٣٩٣٨، ٤٤٨٠) ، والنسائي في الكبرى (٥ / ٣٣٨ - ٣٣٩ رقم ٩٠٧٤)، وأحمد (٣ / ١٠٨)، وأبو يعلى (٦ / ٤٥٨ - ٤٥٩ رقم ٣٨٥٦)، وابن حبان (١٦ / ١١٧ - ١١٨ رقم ٧١٦١)، والبيهقي في الدلائل (٢ / ٥٢٨ - ٥٢٩)، والبغوي في تفسيره (٤ / ١٦٥) من حديث عبد الله بن سلام، وفيه قصة إسلامه .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) في « الأصل، وك » : إلى، سبق قلم .

(٤) رواه أحمد (٢ / ٢١٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٥ / ٦٣)، والرامهرمزي في الأمثال (١٩٦ رقم ٨٩)، والحاكم (٤ / ٤٧٣، ٤٧٤)، وأبو الشيخ في الأمثال (١٧١ رقم ٢٦٤) جميعهم عن عبد الله بن عمرو مرفوعا بنحوه . وفي الباب عن أنس، رواه الحاكم (٤ / ٥٤٦) وصححه على شرط مسلم .
وعن أبي هريرة رواه الطبراني في الأوسط (٧ / ٢٨٩ - ٢٩٠ رقم ٤٤٧٠ مجمع البحرين)، وابن حبان (١٥ / ٢٤٨ رقم ٦٨٣٣) .

وقوله: ﴿ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ قد ثبت برواية الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «إنى لأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة»(١)، وفى رواية: «مائة مرة»(١).

فإن قيل: كيف أمره بالاستغفار وكان معصومًا من الذنوب؟ والجواب: أنه كان لايخلو من الخطأ والزلل وبعض الذنوب التى هى من الصغائر، فأمره الله تعالى بالاستغفار منها، وأمره بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات، وكان يدعو لهم ويستغفر لهم.

وفى المشهور من الخبر أن النبى ﷺ لما ابتدأ به المرض الذى توفى فيه خرج إلى أحد، واستغفر لشهداء أحد، ثم استغفر للمؤمنين والمؤمنات»(٢)... والخبر فيه طول.

وقوله: ﴿ والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ أى: منصرفكم وموضع مقامكم، ويقال: متقلبكم بالنهار ومثواكم بالليل. وقيل: متقلبكم ومثواكم أى: يعلم جميع ماأنتم عليه فى جميع أحوالكم. ويقال: يعلم متقلبكم أى: منصرفكم فى الدنيا، ومثواكم أى: منقلبكم فى الآخرة، إما إلى الجنة، وإما إلى النار. وقد ثبت برواية حمران عن عثمان أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يعلم أن لاإله إلا الله دخل الجنة»(٣).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى استغفار النبي ﷺ لشهداء أحد قبل موته أحاديث، منها حديث عائشة مرفوعا، رواه الدارمى فى سننه (١/٥١ - ٥٢ رقم ٨١)، وقال العراقى فى المغنى (٤/٣٩٩) وفيه: إبراهيم بن المختار مختلف فيه، عن محمد بن إسحاق، وهو مدلس، وقد رواه بالعنعنة.

وعن أم سلمة، رواه البيهقى فى الدلائل (٧/١٧٨) بإسناد فيه الواقدى بنحو حديث عائشة. وعن أيوب بن بشير مرسلا بنحوه أيضا، رواه البيهقى فى الدلائل (٧/١٧٧ - ١٧٨).

وروى مسلم أيضا فى صحيحه من حديث عقبة بن عامر، وفيه صلاة النبى ﷺ على أهل أحد قبل موته بقليل.

(٣) رواه مسلم (١/٢٩٩ - ٣٠٢ رقم ٢٦)، والنسائى فى الكبرى (٦/٢٧٤ رقم ١٠٩٥٢ - ١٠٩٥٤)، وأحمد (١/٦٥، ٦٩)، وأبو عوانة (١/٦، ٧)، وابن أبى شيبة (٣/٢٣٨)، وابن حبان (١/٤٣٠ - ٤٣١ رقم ٢٠١)، وأبو نعيم فى الحلية (٧/١٧٤).

وعن عبيد بن المغيرة قال: قال حذيفة بن اليمان: قوله: ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ ثم قال: كنت رجلا ذرب اللسان على أهلى فقلت: يارسول الله، إنى أخاف أن يدخلنى لسانى النار. فقال: أين أنت [من][1] الاستغفار؟ إنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة»[2]. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «خير العمل لا إله إلا الله، وخير الدعاءاستغفر الله»[3]. وفى بعض الآثار: «أن الرجل إذا استغفر للمؤمنين والمؤمنات رد الله تعالى عليه عن كل مؤمن ومؤمنة»[4].

قوله تعالى: ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة﴾ أى: هلا أنزلت سورة، وفى التفسير: أنهم كانوا يأنسون بالوحى إذا نزل ويستبطئونه إذا تأخر.

وقوله: ﴿فإذا أنزلت سورة محكمة﴾ وفى قراءة ابن مسعود: «محدثة» وفى قوله: ﴿محكمة﴾ وجهان: أحدهما: محكمة أى: محكمة بذكر الجهاد والقتال مع الكفار، والجهاد والقتال أشد الأوامر على النفس.

---

(١) فى «الأصل، وك»: عن.

(٢) رواه النسائى فى الكبرى (٦/١١٧ - ١١٨ رقم ١٠٢٨٢ - ١٠٢٨٧)، وابن ماجه (٢/١٢٥٤ رقم ٣٨١٧)، وأحمد (٥/٣٩٤، ٣٩٦، ٤٠٢)، والطيالسى (٥٧ رقم ٤٢٧)، وابن أبى شيبة (١٠/٢٩٧ رقم ٩٤٩٠، ١٣/ ٤٦٣ رقم ١٦٩٢٨)، والدارمى (٢/٣٩١ رقم ٢٧٢٣)، وابن أبى عاصم فى الزهد (٥٢ -٥٣ رقم ١١٠)، وابن أبى الدنيا فى التوبة (رقم ١٧٦)، وابن حبان (٣/٢٠٥ - ٢٠٦ رقم ٩٢٦)، والحاكم (١/٥١٠، ٥١١) وصححه على شرطهما، وابن السنى (١٢٨ رقم ٣٦٤)، وأبو نعيم فى الحلية (١/٢٧٦)، والبيهقى فى الشعب (٢/٥٤٣ - ٥٤٤ رقم ٦٣٤، ٦٣٥)، والخطيب فى تاريخه (١٢/٤٨١).

(٣) عزاه فى الكنز (١/٤٨٣ رقم ٢١١٢) للحاكم فى تاريخه عن على، ولفظه «خير الدعاء الاستغفار، وخير العبادة قول لا إله إلا الله».

وهو فى الفردوس للديلمى أيضا (٢/١٧٩ رقم ٢٨٩٧).

وفى الباب أحاديث.

(٤) رواه البخارى فى الكبير (٤/٢١٩)، والعقيلى فى الضعفاء (٢/١٨٢) عن أنس مرفوعا وفيه «... رد الله عليه من آدم فما دونه». وقال البخارى: شعيب لا يعرف له سماع عن أنس، ولا يتابع عليه. وعزاه العراقى فى المغنى (١/٢٩٠) لأبى الشيخ فى الثواب، والمستغفرى فى الدعوات، وقال: إسناده ضعيف.

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن

والوجه الثانى: محكمة بالأوامر والنواهى.

وقوله: ﴿رأيت الذين فى قلوبهم مرض﴾ أى: نفاق، فإن قيل: كيف أخبر عن المؤمنين فى ابتداء الآية ثم قال: ﴿رأيت الذين فى قلوبهم مرض﴾ وهم المنافقون، والمنافق لايكون مؤمنا؟ والجواب عنه: أن فى الآية حذفا، ومعناه: فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال، فرح المؤمنون واستأنسوا بها. و﴿رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت﴾ أى: شخصوا بأبصارهم نحوك، ونظروا نظرا شديداً، شبه الشاخص بصره عند الموت، وإنما أصابهم مثل هذا[1]؛ لأنهم إن قاتلوا خافوا الهلاك، وإن لم يقاتلوا خافوا ظهور النفاق.

والآية فى عبد الله بن أبى بن سلول، ورفاعة بن الحارث، وسائر المنافقين.

وقوله: ﴿فأولى لهم﴾ هذا وعيد وتهديد. قال ابن عباس: هو لمن كرهها، والعرب تقول لمن قرب من عطب ونجا: أولى لك، ويريدون به تحذيره من مثل ذلك. وعن محمد ابن الحنفية أنه كان إذا مات ميت بعقوته[2] أى: بقرب منه، قال لنفسه: أولى لك، كدت تكونِ السَّواد المُخْتَرم[3].

وقوله: ﴿طاعة وقول معروف﴾ فيه أقوال: أحدها: أنه بمعنى الأمر، ومعناه: قولوا آمنا طاعة وقول معروف. والقول المعروف هو الإجابة بالسمع والطاعة.

والقول الثانى: أن قوله: ﴿طاعة وقول معروف﴾ أى: طاعة وقول معروف أحسن وأميل لهم.

والقول الثالث: أن هذا حكاية منهم قبل نزول آية القتال، كانوا يقولون على هذا الوجه فإذا نزلت آية القتال كرهوا وجزعوا. ويقال: قوله: ﴿طاعة وقول معروف﴾

---

(١) فى «ك»: ذلك.

(٢) العقوة: هى ساحة الدار وما حولها. لسان العرب (١٥ / ٧٩). وفى «ك»: بعقوفه، وهو خطأ.

(٣) انظر هذا القول فى لسان العرب (١٥ / ٤١٢).

تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ

اعتراض فى الكلام المنسوق[1] على الأول.

قوله: ﴿ فإذا عزم الأمر فلوصدقوا الله لكان خيراً لهم ﴾ ومعنى قوله: ﴿ فإذا عزم الأمر ﴾ أى: إذا جَدَّ الأمر ولزم فرض القتال. ﴿ فلو صدقوا الله ﴾ أى: لو وفوا بما وعدوه من الجهاد، وقابلوا أمر الله بالامتثال لكان خيراً لهم.

قوله تعالى: ﴿ فهل عسيتم إن توليتم ﴾ فيه قولان: أحدهما: إن توليتم ولاية أى: كانت لكم ولاية. والثانى: إن توليتم عن الإيمان بالرسول وبالقرآن أى: أعرضتم، فهل يكون منكم سوى أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم؟ وقيل على القول الأول: أنه قد كان هذا فى صدر الإسلام؛ فإن قريشا لما تولوا الأمر أفسدوا فى الأرض وقطعوا الأرحام، وذلك من قتل بنى هاشم قريشاً، وقتل قريش بنى هاشم.

وقوله: ﴿ أولئك الذين لعنهم الله ﴾ أى: طردهم الله.

وقوله: ﴿ فأصمهم ﴾ أى: جعلهم بمنزلة الصم. وقوله: ﴿ وأعمى أبصارهم ﴾ أى: بمنزلة العمى.

قوله تعالى: ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ التدبر: هو التفكر والنظر فيما يؤول إليه عاقبة الأمر.

وقوله: ﴿ أم على قلوب أقفالها ﴾ معناه: بل على قلوب أقفالها، وهو على طريق المجاز، فذكر القفل بمعنى انغلاق القلب عن فهم القرآن. وفى التفسير: «أن النبى ﷺ كان يقرئ شابًا هذه الآية، فقال ذلك الشاب: بل على قلوب أقفالها حتى يفتحها الله، فقال النبى ﷺ له: صدقت»[2].

وعن بعضهم: مثل قفل الحديد على الباب.

وقوله: ﴿ إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى ﴾ الهدى هو

---

(١) فى «ك»: المسوق.

(٢) رواه الطبرى فى تفسيره (٢٦ / ٣٧)، والبغوى (٤ / ١٨٤) عن عروة بن الزبير مرسلا به، وزاد السيوطى فى الدر (٦ / ٧٣): إسحاق بن راهويه، وابن المنذر، وابن مردويه، جميعهم عن عروة به.

الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ

البيان المؤدى إلى الحق.

وقوله: ﴿الشيطان سول لهم﴾ أى: زين لهم.

وقوله: ﴿وأَمْلَى لهم﴾ أى: أمهلهم بالمد لهم فى العمر، وهو راجع إلى الله تعالى ومعناه: وأملى لهم الله تعالى، وقرئ: «وأُمْلِيَ لهم» على مالم يسم فاعله، وقرئ فى الشاذ «وأُمْلِي لهم»(١) بتسكين الياء، أى: وأنا أملى لهم.

وقوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما أنزل الله﴾ فى الآية قولان: أحدهما: أنه قول اليهود للمنافقين، قالوا للمنافقين: سنطيعكم فى بعض الأمر أى: فى كتمان صفة محمد ﷺ مع علمنا بأنه رسول. والقول الثانى -وهو الأظهر- أنه قول المنافقين لليهود.

وقوله: ﴿كرهوا ماأنزل الله﴾ هم اليهود، وإنما كرهوا حسداً وبغيا.

وقوله: ﴿سنطيعكم فى بعض الأمر﴾ أى: فى بغض محمد والعداوة معه.

وقوله: ﴿والله يعلم إسرارهم﴾ أى: ما أسر بعضهم إلى بعض، وهذا القول أولى؛ لأن الآيات المتقدمة فى المنافقين.

قوله تعالى: ﴿فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم﴾أى: يضربون وجوههم عند الموت بصحائف الكفر، وقيل: فى القيامة.

وقوله: ﴿وأدبارهم﴾ أى: يضربون أدبارهم عند سوقهم إلى النار، وهذا فى القيامة. وفى بعض التفاسير: مامن عاصٍ يموت إلا وتضرب الملائكة وجهه ودبره عند إدخاله القبر.

---

(١) انظر «النشر» (٢/٣٧٤).

بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ

قوله تعالى: ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ماأسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾ أى: أبطلها، وقد بينا معناه من قبل.

قوله تعالى: ﴿ أم أحسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ﴾ الأضغان: جمع ضِغن، وهو بمعنى: الحقد والغل والغش، ومعنى الآية: أى: أحسب المنافقون والكفار أن لن يظهر مافى قلوبهم لرسوله ﷺ وللمؤمنين .

قال الشاعر فى الضغن:

قل (لأبى)[1] هند ماأردت بمنطق ساء الصديق (وسود)[1] الأضغان

أى: الأحقاد.

قوله تعالى: ﴿ ولو نشاء لأريناكهم ﴾ أى: لعرفناهم إياك.

وقوله: ﴿ فلعرفتهم بسيماهم ﴾ أى: جعلنا لهم فى وجوههم سمةً تعرفهم بها .

وقوله: ﴿ ولتعرفنهم فى لحن القول ﴾ أى: فى فحوى القول ومقصده ومغزاه. وعن بعضهم: قول الإنسان وفعله دليل على نيته. ويقال: لحن فى القول إذا ترك الصواب، واللحن هاهنا: هو قول يفهم المخاطب معناه مع إخفاء القائل المراد فيه، قال الشاعر:

منطقٌ صائبٌ ويلحن أحيا نًا وخير القول ماكان لَحْناً

وفى الخبر المعروف أن النبى ﷺ قال: «إنكم لتختصمون إلىّ، ولعلَّ بعضكم ألحن بحجته من بعض»[2] أى: أفطن. وعن بعضهم: عجبت لمن يعرف لحن الكلام كيف يكذب. وفى التفسير: أنه لم يخف منافق بعد هذه الآية على رسول الله ﷺ، وكان

(١) فى تفسير القرطبى (١٦ / ٢٥١): لابن... وشبد.

(٢) متفق عليه من حديث أم سلمة، رواه البخارى (٥ / ٣٤٠ رقم ٢٦٨٠)، مسلم (١٢ / ١٠٧ رقم ١٧١٣).

مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ

يعرفهم فى لحن كلامهم .

وقوله تعالى: ﴿ والله يعلم أعمالكم ﴾ يعنى: التى تعملونها .

قوله تعالى: ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم ﴾ أى: نعلم علم الشهادة، وهو العلم الذى يقع عليه الوعد والوعيد. ويقال: [لنعاملكم][1] معاملة من يريد أن يعلم أعمالكم. ويقال معناه: حتى تعلموا أنا علمنا أعمالكم .

وقوله: ﴿ والصابرين ونبلوا أخباركم ﴾ أى: نعلم الصابرين، ونعلم أخباركم. وكان مجاهد إذا بلغ إلى هذه الآية قال: اللهم إنا نسألك أن لاتبلو أخبارنا فإنا نفتضح .

قوله تعالى: ﴿ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ﴾ أى: منعوا الناس عن الإيمان بالله.

وقوله: ﴿ وشاقوا الرسول من بعدما تبين لهم الهدى ﴾ أى: خالفوا الرسول من بعد ماتبين لهم الهدى .

وقوله: ﴿ لن يضروا الله شيئا ﴾ أى: ينقصوا الله شيئا .

وقوله: ﴿ وسيحبط أعمالهم ﴾ أى: يبطل أعمالهم.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولاتبطلوا أعمالكم ﴾ عن أبى العالية الرياحى قال: كانوا يقولون -أى: الصحابة- لن يضر مع الإيمان شئ كما لا ينفع مع الكفر شيء، حتى أنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ ولاتبطلوا أعمالكم ﴾ بالشك والنفاق، ويقال: بالمكر والخداع، والمعروف بالكبائر .

---

(١) فى «الأصل»: لنعاملن معكم، وفى «ك»: لنعاملن منكم، وما أثبتناه هو الأنسب والأفصح.

كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم﴾ ظاهر المعنى .

قوله تعالى: ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم﴾ أى: (لاتضعفوا)[1] .

وقوله: ﴿وتدعوا إلى السلم﴾ أى: إلى الصلح، نهى الله تعالى المسلمين أن يطلبوا الصلح مع الكفار إذا أمكنهم القتال .

وقوله: ﴿وأنتم الأعلون﴾ أى: الغالبون القاهرون .

وقوله تعالى: ﴿والله معكم﴾ أى: بالنصرة والحفظ .

وقوله تعالى: ﴿ولن يتركم أعمالكم﴾ أى: لن ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئا، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «مامن ساعة تمر علي العبد المسلم لايذكر الله فيها إلا كانت عليه ترة يوم القيامة»[1] أى: نقص .

قوله تعالى: ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ أى: مايلهى ويلعب به .

وقوله: ﴿وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولايسألكم أموالكم﴾ فيه أقوال: أحدها: ولايسألكم جميع أموالكم، إنما يسألكم قدر الزكاة، وهو المعروف. والقول الثانى: لايسألكم أموالكم لنفسه، إنما يسألكم لكم. والقول الثالث: ولايسألكم أموالكم؛ لأنها ليست لكم في الحقيقة، إنما هى له .

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط (٧/ ٣٢٠ رقم ٤٥٢٤ - مجمع البحرين)، وأبو نعيم فى الحلية (٥/ ٣٦١ - ٣٦٢) وقال: غريب، تفرد به ابن علاثة، والبيهقى فى الشعب (٢/ ٤٠٧ - ٤٠٨ رقم ٥٠٨) وقال: فى هذا الإسناد ضعف، غير أن له شواهد من حديث معاذ. وقال الهيثمى (١٠/ ٨٣): رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه عمرو بن الحصين العقيلى، وهو متروك.

يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي

وقوله تعالى: ﴿إن يسألكموها فيحفكم﴾ أي: يبالغ في مسألتكم، ويقال: يلح عليكم ويجهدكم. وفي بعض أمثال العرب: ليس للسائل المحفى مثل منع (الخامس)(١).

وفي بعض الأخبار عن النبي ﷺ: «إن الله يحب الحيي المتعفف، ويبغض السائل الملحف»(٢).

قوله: ﴿تبخلوا﴾ أي: تمنعوا. ١٨٥و

وقوله: ﴿ويخرج أضغانكم﴾ أي: ويخرج الإحفاء أضغانكم، ويظهر ما في بواطنكم من البخل والإمساك والنفاق والشك. وفي بعض الأخبار عن النبي ﷺ أنه قال: «أخبُرْ تَقْلِهْ»(٣) أي: أخبُر الإنسان ببغضه، وعن بعضهم أنه قال: «أقله بخبر، يعني: ابغضه، فهو المختبر. وفي بعض الحكايات أن مخارقاً غني للمأمون.

---

(١) كذا.

(٢) رواه السهمي في تاريخ جرجان (٢ : ١٠)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١ / ٧٨) من حديث أبي هريرة مرفوعًا بنحوه. وزاد الزيلعي في تخريجه (١ / ١٦٤ تخريج الكشاف): البزار في مسنده، وإسحاق بن راهويه في مسنده، والطبراني في مسند الشاميين من طرق عن أبي هريرة. وفي الباب عن ابن مسعود، وقتادة مرسلا، وغيرهما، وانظر الحلم لابن أبي الدنيا (٤٩–٥٠ رقم ٥٤)، وتخريج الكشاف، والصحيحة (٣ / ٣١٠ – ٣١٢ رقم ١٣٢٠).

(٣) قال ابن الأثير في النهاية (٤ / ١٥٠) القلى: البغض ... يقول: جرب الناس فإنك إذا جربتهم قليتهم، وتركتهم لما يظهر لك من بواطن سرائرهم. والحديث رواه ابن عدي في الكامل (٢ / ٣٨)، والطبراني في مسند الشاميين (٢ / ٣٥٨ رقم ١٤٩٣)، وأبو الشيخ في الأمثال (٧٢ رقم ١١٧)، وأبو نعيم في الحلية (٥ / ١٥٤)، والقضاعي في الشهاب (١ / ٣٦٨ رقم ٦٣٥، ٦٣٦)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢ / ٧٢٣ رقم ١٢٠٥) جميعهم من حديث أبي الدرداء مرفوعا به. وعزاه السخاوي في المقاصد (٦٨ رقم ٣٨) لأبي يعلى، والعسكري في الأمثال، والطبراني، والحسن بن سفيان، وأبي نعيم، ثم قال: وكلها ضعيفة، فابن أبي مريم وبقية ضعيفان، وقال الهيثمي في المجمع (٨ / ٩٣): رواه الطبراني وفيه أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف.

سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴿٣٨﴾ .

إني لمشتاق إلى ظل صاحب ... يرق ويصفو إن كدرت عليه

فقال المأمون: خذ منى الخلافة وأتنى بهذا الصاحب.

قوله تعالى: ﴿ها أنتم هؤلاء﴾ أى: ياهؤلاء ﴿تدعون لتنفقوا فى سبيل الله﴾ أى: فى الجهاد.

وقوله: ﴿فمنكم من يبخل﴾ أى: يمنع.

وقوله: ﴿ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه﴾ أى: يفوت حظ نفسه.

وقوله ﴿والله الغنى وأنتم الفقراء﴾ أى: الغنى عنكم، وأنتم الفقراء إليه.

وقوله: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم﴾ أى: إن تعرضوا.

وقوله: ﴿قوماً غيركم﴾ فيه أقوال أحدها: ملائكة السماء، وهذا أشد الأقوال. والقول الثانى: إن تتولوا يامعشر قريش يستبدل قوماً غيركم أى: أهل اليمن، وقد كان الأنصار منهم، فإن الأوس والخزرج حيان من اليمن، وقد قال الشاعر:

ولله أوس آخرون وخزرج

والقول الثالث: وهو المعروف، وإن تتولوا يامعشر العرب يستبدل قوماً غيركم أى: العجم. وفى الخبر المعروف: أن قوما سألوا النبى ﷺ عن معنى هذه الآية وقالوا: من الذين يستبدلهم بنا[١]؟ وكان سلمان جالساً بجنبه فقال: هذا وقومه ثم قال: «لو كان الدين معلقاً بالثُّريَّا لناله رجال من فارس»[٢].

وقوله: ﴿ثم لايكونوا أمثالكم﴾ أى: يكونوا خيراً منكم وأطوع لى، ومعناه: لايكونوا أمثالكم فى مخالفة الأوامر، والله أعلم.

---

(١) فى «ك»: منا.

(٢) رواه الترمذى (٥/٣٥٨ رقم ٣٢٦٠ مختصراً، ٣٢٦١) وقال: غريب فى إسناده مقال، وابن جرير الطبرى (٢٦/٤٢)، وابن حبان (١٦/ ٦٢ – ٦٣ رقم ٧١٢٣)، والطحاوى فى المشكل (٣/٣١ – ٣٢)، والحاكم (٢/٤٥٨ مختصراً) وصححه على شرط مسلم، والبيهقى فى الدلائل (٦/٣٣٣ – ٣٣٤)، والبغوى فى تفسيره (٤/١٨٧)، والجوزقانى فى الأباطيل (٢/٢٦١ – ٢٦٢ رقم ٦٦١) وصححه، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (٢١/٤١٦ رقم ٤٨٤١) من حديث أبى هريرة مرفوعا به.

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ

تفسير سورة الفتح

وهى مدنية فى قولهم جميعا، وعن بعضهم: أنها نزلت بين مكة والمدينة عند منصرفه من الحديبية، قاله مسور بن مخرمة ومروان وغيرهما. وروى مالك عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فقال: «لقد أنزلت البارحة علىّ سورة هى أحب إلى من الدنيا ومافيها، ثم قرأ: ﴿إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا﴾»[1] أخرجه البخارى عن (القعنبى)[2] عن مالك.

وروى عن أنس - رضى الله عنه - أنه قال: لما انصرفنا من مكة وقد منعنا من نسكنا، وبنا من الحزن والكآبة شيء عظيم، فأنزل الله تعالى هذه السورة، فقال النبى ﷺ: «هى أحب إلىَّ من جميع الدنيا»[3].

قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ أى: قضينا لك قضاء بينا. ومعنى القضاء هو الحكم بالنصرة على الأعداء، والفتح فى اللغة هو انفتاح المنغلق، وقيل: هو الفرح المزيل الهم، ومنه انفتاح المسألة، وهو انكشاف البيان الذى يؤدى إلى البغية، وأما معنى ماوقع عليه اسم الفتح، فالأكثرون من العلماء والمفسرين على أنه صلح الحديبية، فإن قيل: كيف يكون الصلح فتحًا؟ وإن كان فتحا للمسلمين فهو فتح للكفار أيضًا؛ لأن الصلح يشتمل على الجانبين، والجواب عنه: أنه قد أشكل هذا على عمر، «فإنه لما أنزل الله تعالى هذه السورة، قال عمر: يارسول الله، أفتح هو؟

---

(١) رواه البخارى (٧/ ٥١٨ رقم ٤١٧٧، وطرفاه: ٤٨٣٣، ٥٠١٢)، والترمذى (٥/ ٣٥٩ رقم ٣٢٦٢)، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٤٦١ رقم ١١٤٩٩)، ومالك فى الموطأ (١/ ٢٠٣ - ٢٠٤)، وأحمد فى مسنده (١/ ٣١).

(٢) فى «ك»: الشعبى، وهو خطأ، والصواب: القعنبى، كما عند البخارى.

(٣) متفق عليه، رواه البخارى (٧/ ٥١٦ رقم ٤١٧٢، وطرفه: ٤٨٣٤)، ومسلم (١٢/ ١٩٩ رقم ١٧٨٦).

قال :نعم »[١].

وقيل: إنه أعظم فتح كان فى الإسلام؛ لأنه لما صالح مع المشركين ووادعهم فكان قد صالح على وضع الحرب عشر سنين، فاختلط المشركون مع المسلمين بعد ذلك، وسمعوا القرآن، ورأوا ماعليه رسول الله ﷺ وأصحابه فرغبوا فى الإسلام، وأسلم فى مدة الصلح من المشركين أكثر مما كان أسلم فى مدة الحرب، وكثر سواد الإسلام، وأسلم فى هذه المدة: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة العبدرى، وكثير من وجوه المشركين، وقد كان فى غزوة الحديبية بيعة الرضوان، ووعد فتح خيبر وظهور الروم على الفرس، وكان ذلك من معجزات الرسول ﷺ، وكان ذلك مما سر المسلمين وساء المشركين؛ لأن المسلمين كانوا يودون ظهور أهل الكتاب، والمشركون كانوا يودون ظهور الفرس والعجم، فحقق الله مايوده المسلمون، وكان المشركون قالوا حين ظهرت الفرس على الروم: كما ظهر الفرس على الروم كذلك نحن نظهر عليكم، فحين أظهر الله الروم على الفرس كان ذلك علامة لظهور المسلمين على المشركين. وقيل فى الحديبية: هو إباحة الحلق والنحر قبل بلوغ الهدى محله، وفى الآية قول آخر: وهو أن المراد من الفتح هو فتح مكة، وذلك لأن الله تعالى وعده فتح مكة فى غزوة الحديبية .

قوله تعالى: ﴿ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر﴾ قال ثعلب معناه: كى يغفر الله لك، فاللام بمعنى كى، قال: وحقيقة المعنى هو أنه يجمع لك المغفرة مع الفتح، فيتم عليك النعمة بها. وقال أبو حاتم السجستانى النحوى: معنى قوله: ﴿ليغفر لك الله﴾ أى: ليغفرن الله لك، فلما أسقط النون خفض اللام.

وقوله: ﴿ماتقدم من ذنبك وما تأخر﴾ أى: ماتقدم من ذنبك قبل زمان النبوة، وماتأخر عن زمان النبوة، وقيل: ماتقدم من ذنبك قبل الفتح، وماتأخر عن الفتح. وعن الثورى قال: ما كان وما يكون ما لم تفعله، وأنت فاعله، فكأنه غفر له قبل الفعل.

---

(١) متفق عليه من حديث سهل بن حنيف، رواه البخارى (٦/٣٢٤ رقم ٣١٨٢ وأطرافه: ٣١٨١، ٤١٨٩، ٤٨٤٤، ٧٣٠٨)، ومسلم (١٢/١٩٥ – ١٩٨ رقم ١٧٨٥).

عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ

فإن قال قائل: وأى ذنب كان له؟ قلنا: الصغائر، وقد كان معصوماً من الكبائر.

وفى تفسير النقاش: أنه كان متعبداً قبل النبوة بشريعة إبراهيم فى النكاح والطلاق والعبادات والمعاملات وغير ذلك، وكان قد تزوج خديجة وهى مشركة، وكذلك زوج ابنته رقية من عتبة بن أبى لهب وهو مشرك، و[كذلك](١) زوج ابنته زينب من [أبى](٢) العاص بن الربيع - وكان مشركاً - فهذه ذنوبه قبل النبوة، وقد غفرها الله تعالى له، وكان ذلك منه لا على طريق القصد. وقد ثبت عن النبى ﷺ «أنه صلى حتى تورمت قدماه، فقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً(٣).

وذكر الدمياطى فى تفسيره عن ابن عباس: أن سبب نزول الآية هو أن الله تعالى لما أنزل قوله: ﴿وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم﴾(٤) شمت به المشركون واليهود، وقالوا: هذا رجل لا يدرى ما يفعل به ولا بأصحابه، فكيف ندخل فى دينه؟ وقال عبد الله بن أبى بن سلول الأنصارى: أتدخلون فى دين رجل وهو لا يدرى ما يفعل به، فحزن المسلمون لذلك حزناً شديداً، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ الآية، فقال المسلمون: هنيئاً لك يا رسول الله، فكيف أمرنا؟ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾.

وقوله: ﴿ويتم نعمته عليك﴾ أى: (يتم)(٥) نعمته عليك بالنصر على الأعداء

---

(١) من «ك».

(٢) فى «الأصل وك»: ابن، وهو تحريف. وانظر ترجمته فى الإصابة (٤/ ١٢١ - ١٢٣).

(٣) متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة، رواه البخارى (٣/ ١٩/ ١١٣٠ وطرفاه: ٤٨٣٦، ٦٤٧١)، ومسلم (١٧/ ٢٣٧ - ٢٣٨ رقم ٢٨١٩).

(٤) الأحقاف: ٩.

(٥) فى «ك»: ليتم

وبالإرشاد إلى شرائع الإسلام، وقد أوَّل الفتح المذكور فى الآية بالإرشاد إلى الإسلام.

وقوله: ﴿ويهديك صراطا مستقيماً﴾ أى: يدلك على الطريق المستقيم.

وقوله: ﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ أى: (نصرا)[1] مع عز لا ذل فيه. وفى أصل الآية قول آخر: وهو أن قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله﴾ هو فى معنى قوله تعالى فى سورة النصر: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾[2] فذلك الفتح هو هذا الفتح. وقوله: ﴿ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره﴾[2] فذلك الأمر بالتسبيح والاستغفار مدرج هاهنا، فكأن الله تعالى قال: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره﴾[2] ﴿ليغفر لك الله﴾ ذكره أبو الحسين ابن فارس فى تفسيره، وجعل هذا الأمر جواباً لسؤال من يسأل عن الآية أنه. كيف يجعل قوله: ﴿ليغفر﴾ جواباً لقوله: ﴿إنا فتحنا﴾؟ وكلاهما من الله تعالى؟ فأجابه بهذا الوجه.

قوله تعالى: ﴿هو الذى أنزل السكينة﴾ قد بينا أن السكينة فعلية من السكون، وحقيقتها هو السكون إلى وعد الله والثقة. ويقال: السكينة هو ما ألهم الله تعالى المؤمنين من الصبر والتوكل عليه فى الأمور كلها.

وقوله: ﴿فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾ أى: تصديقاً مع تصديقهم، وقيل: يقينا مع يقينهم. وعن ابن عباس: أن الله تعالى أمر المؤمنين بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فلما قبلوا ذلك زادهم الصلوات الخمس، فلما قبلوا ذلك زادهم الزكاة، ثم زادهم الحج، ثم زادهم الجهاد، فلما أكمل شرائعه أنزل قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾[3].

---

(١) فى «ك»: نصر.

(٢) سورة النصر.

(٣) المائدة: ٣.

وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ

وقوله: ﴿ولله جنود السموات والأرض﴾ أى: جموع السموات والأرض، فلو سلط أصغر خلقه على جميع العالم لقهرهم. ويقال: له جنود السموات والأرض أى: ما خلق الله فى السموات من الملائكة، وما خلق الله فى الأرض من الجن والإنس وغيرهم.

وقوله: ﴿وكان الله عليماً حكيماً﴾ أى: عليمًا بخلقه، حكيمًا فى تدبيره.

قوله تعالى: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيمًا﴾ أى: نجاة [عظيمة](١).

قوله تعالى: ﴿ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء﴾ ومعنى ظن السوء هاهنا: هو أنهم كانوا قد ظنوا على أن أمر محمد لا يتم، ويضمحل عن قريب. ويقال: إن الرسول ﷺ لما توجه إلى مكة عام الحديبية مع أصحابه معتمرين، ولم يحمل معه من السلاح إلا السيوف فى القراب، قال المنافقون وسائر الكفار: إن محمداً لا يرجع عن وجهه هذا أبداً وأنه يهلك هو وأصحابه، فهو معنى ظن السوء.

وقوله: ﴿دائرة السوء﴾ وقرئ: «دائرة السُوء» برفع السين، ومعناهما متقارب أى: عليهم عاقبة الهلاك وقيل معناه: لهم سوء العاقبة لا للرسول.

وقوله: ﴿وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً﴾ أى: بئس المنقلب.

---

(١) فى «الأصل وك»: عظيمًا.

دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿ولله جنود السموات والأرض﴾ فى التفسير: أن المنافقين قالوا: وما يغنى عن محمد أصحابه وهم أكلة رأس، وكيف يظفر على أعدائه مع كثرتهم وقلة أصحابه؟ ولئن ظفر بقومه فكيف يظفر بجميع العرب وكسرى وقيصر؟ ما وعد محمد أصحابه إلا الغرور، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ولله جنود السموات والأرض﴾ ومعناه: أن الظفر من قبلى، والجنود كلها لى، فمن شئت أن أنصره لم يعسر ذلك علىّ، قل أعداؤه أو كثر.

وقوله: ﴿وكان الله عزيزًا حكيمًا﴾ منيعاً فى النصر، حكيمًا فى التدبير.

وقوله تعالى: ﴿إنا أرسلناك شاهداً﴾ أى: شاهداً على أمتك يوم القيامة. ويقال: شاهداً بتبليغ الأمر والنهى.

وقوله: ﴿ومبشرًا﴾ أى: مبشرًا للمطيعين.

وقوله: ﴿ونذيرًا﴾ أى: مخوفًا للعاصين.

وقوله: ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ أى: لكى تؤمنوا أيها الناس بالله ورسوله.

وقوله: ﴿وتعزروه﴾ أى: تعظموه، وقرئ فى الشاذ: «وتعززوه» أى: تقدموا بما يكون عزا له.

وقوله: ﴿وتوقروه﴾ أى: تفخموه وتبجلوه، ويقال: وتعذروه معناه: [تنصروه](١) بالسيف، وهو القول المعروف، فإن قال قائل: فإلى من ترجع الهاء؟ والجواب من وجهين أحدهما: أنها راجعة إلى الرسول، والثانى: أنها راجعة إلى الله تعالى.

(١) فى «الأصل وك»: تنصروا.

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ

وقوله: ﴿وتسبحوه بكرة وأصيلا﴾ تنصرف إلى الله قولا واحداً.

والتسبيح بالبكرة وهو صلاة الصبح، وبالأصيل صلاة الظهر والعصر.

قوله تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك﴾ هذا فى البيعة يوم الحديبية. وقد كانوا بايعوه على ألا يفروا، وفى رواية: بايعوه على الموت.

وقوله: ﴿إنما يبايعون الله﴾ أى: من أخذ العهد منك فقد أخذ العهد منى، ومن بايعك فقد بايعنى. وعن بعضهم: من دخل فى الإسلام فقد بايع الله، وهو معنى قوله: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم...﴾(١) الآية.

وقوله: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ أى: يد الله فى النصرة والمنة عليهم فوق أيديهم بالطاعة لك. ويقال معناه: يد الله فى الوفاء بقوله ﴿فوق أيديهم﴾ فى الوفاء بعهدهم ويقال: إحسان الله تعالى إليهم فوق إحسانهم إليك بالنصرة، ومِنّة الله عليهم فوق مِنَّتهم عليك فى قبول ما جئت به.

وقوله ﴿فمن نكث﴾ أى: من نقض العهد.

وقوله: ﴿فإنما ينكث على نفسه﴾ أى: وبال نقض عهده عليه. ويقال: إن الآية نزلت فى الجد بن قيس، وكان من المنافقين، فلما بايع رسول الله ﷺ مع أصحابه بيعة الرضوان اختبأ تحت إبط بعير ولم يبايع. ومعنى النكث: [هو](٢) الترك -.

وقوله: ﴿ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيمًا﴾ أى: كثيراً.

قوله تعالى: ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب﴾ نزلت الآية فى مزينة وجهينة وأشجع وأسلم، وكانوا قد تخلفوا عن رسول الله ﷺ فى غزوة الحديبية، واعتذروا

---

(١) التوبة: ١١١.

(٢) فى «الأصل»: وهو.

مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي

بالشغل فى الأموال والأولاد، فلما رجع رسول الله ﷺ جاءوا معتذرين، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية.

وقوله: ﴿ شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ﴾ أى: اطلب لنا المغفرة من الله تعالى.

وقوله: ﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ﴾ يعنى: أنهم لا يبالون استغفرت لهم أو تركت الاستغفار لهم لنفاقهم، وإنما يظهرون طلب الاستغفار تقية وخوفا. وهذا فى المنافقين من هذه القبائل لا فى جميعهم، فإنه قد كان فيهم مسلمون محققون إسلامهم.

وقوله: ﴿ قل فمن يملك لكم من الله شيئا ﴾ أى: يدفع عنكم عذاب الله، ومَنْ يمنعكم من الله إن أراد عقوبتكم.

وقوله: ﴿ إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعًا ﴾ أى: ليس الأمر فى جميع هذا إلا بيده.

وقوله: ﴿ بل كان الله بما تعملون خبيراً ﴾ أى: عليماً. ويقال فى قوله: ﴿ شغلتنا أموالنا ﴾ أى: ليس لنا مَنْ يقوم بها.

وقوله: ﴿ وأهلونا ﴾ أى: ليس لنا مَنْ يخلفنا فى القيام بأمرهم.

وقوله: ﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ﴾ قال ابن عباس: كان فى قلوبهم الشك.

وقوله: ﴿ قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضراً ﴾ أى: الهزيمة.

وقوله: ﴿ أو أراد بكم نفعًا ﴾ أى: النصرة والغنيمة.

قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا

قوله تعالى: ﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً﴾ قد بينا ظنهم ﴿وزين ذلك فى قلوبكم﴾ أى: زينه الشيطان.

وقوله: ﴿وظننتم ظن السوء﴾ قد بينا معناه.

وقوله: ﴿وكنتم قومًا بوراً﴾ أى: هلكى. قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هو الذى لا خير فيه. ويقال: إن فى لغة أزد عمان البور: الفاسد، ويقال: رجل بور، ورجلان بوران، ورجال بور، ويقال: أصبحت أعمالهم بوراً ومساكنهم قبوراً. وقيل: بوراً: فاسدة قلوبهم، لا محسنين ولا متقين. وفى التفسير: أنه كان ظنهم أن محمداً وأصحابه يقتلون فى ذلك الوجه، ولا يرجعون أبداً إلى المدينة.

قوله تعالى: ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً﴾ قال ابن عباس: السعير هو الطبق السادس من جهنم.

قوله تعالى: ﴿ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفوراً رحيماً﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها﴾ سبب نزول الآية: هو أن الله تعالى وعد أهل الحديبية غنائم خيبر، وقد كان هؤلاء الأعراب الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ وظنوا ظن السوء - طمعوا فى غنائم خيبر - وكان الله قد جعل غنائم خيبر لأهل الحديبية خاصة، فلما رجع النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة، وتوجهوا قبل خيبر جاء هؤلاء الأعراب، واستأذنوا رسول الله ﷺ أن يكونوا معه فى هذه الغزوة، وقالوا: ذرونا نتبعكم.

وقوله: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ يعنى: حكم الله الذى حكم فى غنائم

ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ

خيبر أنها لأهل (المدينة)[1] خاصة، حيث طمعوا أن يصيبوا منها، ويقال: معنى قوله: ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ هو قوله تعالى: ﴿ قل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا ﴾[2] فأرادوا [أن][3] يبدلوا هذا الكلام الذى قاله الله، ويظهروا أنا خرجنا وقاتلنا خلاف ما قال الله. وفى التفسير: أنهم لما قالوا: ذرونا نتبعكم، قال لهم أصحاب رسول الله: نأذن لكم فى القتال على أن تكونوا متطوعين فى القتال لا سهم لكم فى الغنيمة؛ لأن غنيمة خيبر لأهل الحديبية خاصة.

وقوله: ﴿ قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل ﴾ فعلى القول الأول [لنّ][4] تتبعونا أصلا، وعلى القول الثانى قل لن تتبعونا لأخذ الغنيمة.

وقوله: ﴿ كذلكم قال الله من قبل ﴾ أى: حكم الله من قبل.

وقوله: ﴿ فسيقولون بل تحسدوننا ﴾ أى: لم تأذنوا لنا فى اتباعكم [حسداً][5] منكم لنا لئلا نصيب ما تصيبون.

وقوله: ﴿ بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا ﴾ أى: لا يعلمون ما لهم وما عليهم فى الدين إلا قليلا.

قوله تعالى: ﴿ قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد ﴾ أصح الأقاويل أنهم بنو حنيفة، أولوا بأس شديد حيث قاتلوا المسلمين مع مسيلمة الكذاب. قال رافع بن خديج: ما كنا نعلم معنى قوله: ﴿ أولى بأس شديد ﴾ حتى

---

(١) كذا، والمعروف أن غنائم خيبر كانت لأهل الحديبية خاصة عوضا عن فتح مكة، وانظر تفسير البغوى، والقرطبى وغيرهما بل سيأتى من كلام المصنف نفسه ما يؤيد ذلك أيضا.

(٢) التوبة: ٨٣.

(٣) من «ك».

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) فى «ك»: حذراً.

دعانا أبو بكر – رضى الله عنه – إلى قتال مسيلمة، وكان ذلك الحرب حرباً شديداً على المسلمين، استشهد فيه كثير من الصحابة.

ويقال: استشهد فيه سبعمائة نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب وعكاشة بن [محصن](١).

والقول الثانى: أن قوله: ﴿أولى بأس شديد﴾ هو هوازن وثقيف، قاله الضحاك عن ابن عباس.

والقول الثالث: أنهم فارس، وكان الحرب معهم أشد حرب على المسلمين فى زمان عمر رضى الله عنه.

وفى القول الأول ، وفى هذا القول دليل على خلافة أبى بكر وعمر، لأنهما دعوا المسلمين إلى قتال مسيلمة وقتال فارس، وقد كان مع فارس وقعة(٢) القادسية، وفيها قتل رستم صاحب جيش العجم، ووقعه جلولا ووقعة نهاوند، وهى تسمى فتح الفتوح، ولم تقم بعدها قائمة، وتمزق ملكهم، وصدق الله دعوة النبى ﷺ حيث قال: «اللهم فمزق ملك فارس»(٣). وروى أن كسرى لما مزق كتاب النبى ﷺ وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «مزق ملكه»(٣). وعن كعب الأحبار قال فى قوله: ﴿إلى قوم أولى باس شديدَ﴾ قال: هم الروم ومعهم الملحمة الكبرى فى آخر الزمان.

---

(١) فى «الأصل و ك»: محيصن، وهو تحريف، انظر الإصابة ٢ / ٤٩٤.

(٢) فى «ك»: وقع.

(٣) رواه البخارى (١ / ١٨٥ رقم ٦٤، وأطرافه: ٢٩٣٩، ٤٤٢٤، ٧٢٦٤)، وأحمد (١ / ٢٤٣ – ٢٤٤)، والبيهقى فى الدلائل (٤ / ٣٨٧) عن سعيد بن المسيب مرسلا. وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٧ / ٧٣٣): وقع فى جميع الطرق مرسلا، ويحتمل أن يكون ابن المسيب سمعه من عبد الله بن حذافة صاحب القصة. .أهـ وفى الباب عن التنوخى، وقد تقدم.

حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ

وأصح الأقاويل هو القول الأول؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾ ومعناه: أو يسلموا، وهذا إنما يكون فى المرتدين الذين لا يجوز أخذ الجزية منهم، فأما المجوس والنصارى فيجوز أخذ الجزية منهم. وأما مجاهد حمل الآية على أهل الأوثان.

وقوله: ﴿فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً﴾ أى: الجنة.

وقوله: ﴿وإن تتولوا كما توليتم من قبل﴾ أى: تعرضوا كما أعرضتم من قبل.

وقوله ﴿يعذبكم عذابًا أليمًا﴾ أى: وجيعًا. فإن قيل: ذكر فى هذه الآية قوله: ﴿ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد﴾ وقال فى آية أخرى: ﴿قل لن تخرجوا معى أبداً ولن تقاتلوا معى عدواً﴾(١) وإنما قاتلوا مع أبى بكر وعمر ولم يقاتلوا مع الرسول.

قوله تعالى: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ يعنى: لا حرج على من تخلف عنك بهذه الأعذار عن غزوة الحديبية.

والحرج: الإثم، ومعنى الآية: أن الله تعالى أباح غنائم خيبر لقوم تخلفوا عن غزوة الحديبية بهذه الأعذار. وقيل: إن هؤلاء القوم: أبو أحمد بن جحش، وأمه آمنة بنت عبد المطلب، وعبد الله بن أم مكتوم الأعمى، وغيرهم.

وقوله: ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابًا أليمًا﴾ ظاهر المعنى.

---

(١) التوبة: ٨٣.

إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ

قوله تعالى: ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ القول المعروف فى الآية أنه ﷺ لما توجه إلى مكة عام الحديبية معتمرًا هو وأصحابه، وساقوا الهدى مع أنفسهم، فلما بلغوا الحدَيبية، وهى بئر بمكان معلوم على طرف الحرم، وتلك البقعة سميت باسم البئر، وقد ظهرت معجزة لرسول الله ﷺ فى هذا البئر؛ «فإن أصحاب رسول الله ﷺ ورضى [الله] عنهم لما وصلوا إليها نزحوها حتى لم يبق من الماء شىء فشكوا إلى رسول الله ﷺ العطش؛ فجاء رسول الله ﷺ وقعد على شفير البئر ودعا بماء فتمضمض به وصبَّه فى البئر، فجاشت البئر بالروى، فاستقى الناس، وسقوا الركاب، ولم ينزف بعد»(١).

رجعنا إلى أصل القصة: «فلما بلغوا الحديبية بركت ناقة النبى ﷺ وهى القصواء، فبعثوها فلم (تنبعث)(٢)، فقالوا: خلأت القصواء. فقال رسول الله ﷺ: «ما خلأت، ولا هو لها بخلق، ولكنها حبسها حابس الفيل، والله لا يسألوننى خطة فيها تعظيم حرم الله إلا أعطيتهم إياها»، ثم دعا عمر وأراد أن يبعثه إلى أهل مكة يستأذنهم فى الدخول، ليقضى عمرته، وينحر هديه، فقال عمر: يا رسول الله، ما لى بها من حميم ولا عشيرة وقد عرفوا شدة عداوتى لهم، وإنى أخافهم على نفسى، ولكن أدلك على من هو أعز منى بها عشيرة، قال: «ومن ذلك؟»، قال: عثمان، فأرسله إلى مكة. ثم إنه بلغ النبى ﷺ أن عثمان قتل، وعن بعضهم أن إبليس خرج وقال: إن عثمان قتل فحينئذ قام النبى ﷺ واستند إلى الشجرة - وهى شجرة سمرة - فبايع مع أصحابه وهى بيعة الرضوان، وكان بايع على القتال إلى أن يموتوا، ويقال: بايع على ألا يفروا»(٣) واختلف القول فى عدد القوم، قال ابن أبى أوفى:

---

(١) رواه البخارى (٦/ ٦٧٣ رقم ٣٥٧٧ وطرفاه: ٤١٥٠، ٤١٥١)، وأحمد (٤/ ٢٩٠) عن البراء بنحوه.

(٢) فى «ك»: تبعث.

(٣) روى من حديث المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم، رواه البخارى (٥/ ٣٨٨ - ٣٩٢ رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢)، وأبو داود (٣/ ٨٥ - ٨٦ رقم ٢٧٦٥ من حديث المسور مختصرا)، وأحمد (٤/ ٣٢٣ - ٣٢٦، ٣٢٨ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٢٢، ٣٣٨)، وعبد الرزاق فى مصنفه (٥/ ٣٣٠ - ٣٤٢ رقم ٩٧٢٠)، والطبرانى فى الكبير (٢٠/ ٩ رقم ١٣)، وابن حبان (١١/ ٢١٦ - ٢١٧ رقم ٤٨٧٢)، وغيرهم.

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾

ألف وثلثمائة. وقال جابر: ألف وأربعمائة، وهو الأصح. وعن ابن عباس: ألف وخمسمائة. ثم ظهر أن عثمان لم يقتل.

وفى الآية قول آخر، رواه ابن أبى زائدة عن الشعبى قال: «مراد الله من البيعة المذكورة فى الآية بيعة رسول الله ﷺ مع السبعين من الأنصار ليلة العقبة، والقصة فى ذلك: أنه قدم سبعون نفراً من أهل المدينة ليلقوا النبى ﷺ فى أيام الحج قبل الهجرة، ورأسهم أبو أمامة أسعد بن زرارة، فخرج النبى ﷺ ومعه العباس ليلا حتى أتوا العقبة، وحضر من أهل المدينة هؤلاء السبعون، فقال العباس لهم: ليتكلم متكلمكم ولا يطول، فإن عليكم عينا، وإن تعرف قريش بمكانكم يؤذوكم. فقال أسعد بن زرارة: يا رسول الله، اشترط لربك، واشترط لنفسك، واذكر مالنا إذا قبلنا، فقال النبى ﷺ: «أشترط لربى أن لا تشركوا به شيئا، وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأولادكم. قال: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: الجنة، قال: رضينا»[1].

روى أن إبليس صرخ على العقبة: يا معشر قريش، هؤلاء الصباة قد اجتمعوا مع محمد يبايعون عليكم. فلما سمعوا ذلك تفرق النبى ﷺ وأولئك، فجاء المشركون فلم يجدوا أحداً، والصحيح هو القول الأول.

وقوله: ﴿فعلم ما فى قلوبهم﴾ أى: من الصدق والوفاء. وقيل: هو الإخلاص.

وقوله: ﴿فأنزل السكينة عليهم﴾ أى: الطمأنينة. ويقال: الثقة بوعد الله، والصبر على أمر الله، ويقال: اعتقاد الوفاء.

وقوله: ﴿وأثابهم فتحا قريبا﴾ أى: فتح خيبر، ويقال: فتح مكة، والأول هو المعروف.

---

(١) رواه أحمد فى مسنده (٤/١١٩ - ١٢٠)، والبيهقى (٢/٤٥٠ - ٤٥١) كلاهما عن الشعبى مرسلا. ورواه أحمد، والطبرانى (١٧/٢٥٦ رقم ٧١٠)، والبيهقى موصولا عن الشعبى عن أبى مسعود. وفيه أنه كان أصغرهم سنا. وعزاه فى الكنز (١/٣٢٩ رقم ١٥٢٨) لابن أبى شيبة، وابن عساكر فقط. وقال الهيثمى فى المجمع (٦/٥١): رواه أحمد مرسلا، ورجاله رجال الصحيح، ثم ذكر أنه رواه موصولا عن أبى مسعود وقال: وفيه مجالد، وفيه ضعف، وحديثه حسن إن شاء الله.

وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ

قوله تعالى: ﴿ومغانم كثيرة يأخذونها﴾ يعنى: أموال خيبر، وكانت لهم أموال كثيرة من العقارات والنخيل وغيرها .

وقوله: ﴿وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها﴾ قال مجاهد معناها: الغنائم التى تؤخذ من الكفار إلى قيام الساعة. وقال الحسن البصرى: غنائم فارس والروم. وقيل: فتح مكة.

وقوله: ﴿فعجل لكم هذه﴾ أى: غنائم خيبر.

وقوله: ﴿وكف أيدى الناس عنكم﴾ فى التفسير: أن أسد وغطفان كانوا حلفاء يهود خيبر، فلما توجه رسول الله ﷺ إلى خيبر أراد أسد وغطفان أن يغيروا على المدينة، فألقى الله الرعب فى قلوبهم وتفرقوا. وروى أن رسول الله ﷺ مال إليهم ليقاتل معهم أولا، فهربوا وتفرقوا وخلوا أهل خيبر، فرجع رسول الله ﷺ إلى خيبر وفتحها. ويقال: كف أيدى الناس عنكم: جميع المشركين، ولم يكن فى الأمم أمة أذل وأقل من العرب فأعزهم الله بالإسلام، وأغنمهم كنوز العجم والروم، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وكان أول ما دخل الذل على العجم حرب ذى قارٍ، وهو موضع بعث كسرى بجنوده إلى بنى شيبان ليقاتلوا معهم بسبب قصة طويلة، فقاتلوا بذى قار، وجعل العرب شعارهم اسم محمد ﷺ، قال رئيسهم لهم: اجعلوا شعاركم اسم هذا القرشى الذى خرج يدعوا الناس إلى الله تعالى، فاقتتلوا وهزم الله المشركين، وقتل أكثر جنود كسرى، فلما بلغ النبى ﷺ قال: «اليوم انتصفت العرب من العجم، وبى نصروا»[1]، من ذلك الوقت دخل الذل على العجم وفنى ملكهم.

---

(١) رواه خليفة فى الطبقات (٤٣) وعنه البخارى فى تاريخه (٢/ ٦٣) عن عبد الله بن الأخرم عن أبيه به. وقال الذهبى فى التجريد (١/ ١٠) ترجمة الأخرم: روى عنه ابنه عبد الله من وجه ضعيف، فذكره. وعزاه الألبانى فى الضعيفة (٢/ رقم ٧٥٩) لابن قانع فى معجم الصحابة، وقال: إسناده موضوع أهـ. وله طريق آخر =

وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ

وقوله: ﴿ولتكون آية للمؤمنين﴾ أى: معجزة، والآية فى دعوة رسول الله ﷺ فتح خيبر وغنائم العجم والروم، وتحقق ذلك عن قريب.

وقوله: ﴿ويهديكم صراطًا مستقيماً﴾ يؤديكم إلى رضا الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وأخرى لم تقدروا عليها﴾ أى: أرض العجم. ويقال: أرض مكة. ويقال: جميع ما فتح الله من الأراضى، ويفتحها إلى قيام الساعة.

وقوله: ﴿قد أحاط الله بها﴾ أى: أحاط علمه بها.

وقوله: ﴿وكان الله على كل شيء قديراً﴾ أى: قادراً.

قوله تعالى: ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار﴾ أى: انهزموا وكان الظفر لكم.

وقوله: ﴿ثم لا يجدون وليا ولا نصيراً﴾ قد بينا من قبل.

قوله تعالى: ﴿سنة الله التى قد خلت من قبل﴾ أى: سنَّ الله هذه السنة، وهى نصرة أوليائه وإهلاك أعدائه. ويقال: هى أن العاقبة للمؤمنين، ومعناه: أن هذه السنة التى سننتها لكم هى سنتى فيمن خلا من قبلكم.

وقوله: ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ أى: تغييراً.

قوله تعالى: ﴿وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة﴾ روى

= بنحوه: رواه خليفة (٤٢)، والبخارى فى تاريخه (٢ / ١٠٥ - ١٠٦)، والطبرانى فى الكبير (٢ / ٤٦ رقم ١٢٣٨) عن بشير بن يزيد أو يزيد بن بشير الضبعى، وكان قد أدرك الجاهلية. وزاد فى الكنز (١٠ / ٦٠١ رقم ٣٠٣١٠) نسبته لبقى بن مخلد، والبغوى، وابن السكن، وأبى نعيم. وله شاهد من رواية خالد بن العاص عن أبيه عن جده، كما فى المجمع (٦ / ٢١٤)، وراجع الضعيفة للألبانى.

أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ

عبد الله بن مغفل المزني «أن النبي ﷺ كان جالسًا تحت الشجرة يبايع أصحابه - وفي رواية: وعنده علي بن أبي طالب وسهيل بن عمرو يكتبا كتاب الصلح - فثار في وجوهنا ثلاثون شابًا من المشركين قدموا من مكة بقصد رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ فأخذ الله بأبصارهم، فقمنا وجئنا بهم نقودهم إلى رسول الله ﷺ، فقال: «هل لكم عهد؟ هل لكم أيمان؟» فقالوا: لا. فخلى سبيلهم، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم﴾»[1].

وروى حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس قال: أهبط ثمانون رجلا متسلحين من جبل التنعيم، فأخذهم أصحاب رسول الله وجاءوا بهم إلى النبي ﷺ، فاستحياهم وخلى سبيلهم، وأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿ببطن مكة﴾ يعني: الحديبية، وإنما سماها بطن مكة لقربها من مكة.

وقوله: ﴿من بعد أن أظفركم عليهم﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿وكان الله بما تعملون بصيرًا﴾ أي: عليمًا.

قوله تعالى: ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا﴾ أي: وصدوا الهدي معكوفًا، ونصبه على الحال، ومعناه: محبوسًا.

وقوله: ﴿أن يبلغ محله﴾ أي: منحره، وكان رسول الله ﷺ قد ساق سبعين بدنة.

وقوله: ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾ قال أهل التفسير: معنى الآية: أنه

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (٦/٤٦٤ - ٤٦٥ رقم ١١٥١١)، وأحمد (٤/٨٦ - ٨٧)، وابن جرير في تفسيره (٢٦/٥٨ - ٥٩)، والحاكم (٢/٤٦٠ - ٤٦١) وصححه على شرطهما، والبيهقي في سننه (٦/٣١٩) عن عبد الله بن مغفل به. وقال الهيثمي في المجمع (٦/١٤٨)، رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ

كان قد أسلم رجال ونساء (بمكة)[١]، وأقاموا هنالك مختلطين بالمشركين، ولم يكن يعرف مكانهم، فقال الله تعالى: ولولا هم يعنى: القوم الذين ذكرنا ﴿لم تعلموهم أن تطئوهم﴾ يعنى: توقعوا بهم وتصيبوهم بغير علم إن دخلتم محاربين مقاتلين.

وقوله: ﴿فتصيبكم منهم معرة بغير علم﴾ أى: سبَّة، ويقال: عيب وملامة، ومعناه: أن الكفار يعيبونكم، ويقولون: إنهم يقتلون أهل دينهم. ويقال فى المعرة: هى لزوم الدية عند القتل.

وقوله: ﴿ليدخل الله فى رحمته من يشاء﴾ فيه تقدير محذوف، ومعناه: حال بينكم وبينهم؛ ليدخل الله فى رحمته من يشاء أى: فى الإسلام من يشاء.

وقوله: ﴿لو تزيلوا﴾ أى: لو تميزوا أى: لو فارق المسلمون الكافرين ﴿لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليمًا﴾ ومعناه: لولا أصابتكم المعرة واختلاط [المسلمين][٢] بالكفار لعذبنا الذين كفروا أى: بالقتل بالسيف.

قوله تعالى: ﴿إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية﴾ الحمية: الأنفة والامتناع عن الشيء غضبا، ومن الأنفة محمود ومذموم. ويقال: فلان حام حومته أى: مانع لحوزته. ومعنى حمية الجاهلية هاهنا: هى أن الكفار لم يتركوا النبى ﷺ أن يدخل [هو][٣] وأصحابه مكة فى ذلك العام، وقالوا: لا يدخل علينا محمد أبداً على كره منا ما بقى منا أحد، وكان ذلك أنفة منهم وحمية، ثم إن الرسول لما صالح معهم كان فى الصلح أن يرجع هذا العام، ويعود فى العام القابل فى ذلك الشهر بعينه، ويقضى نسكه، ويقيم ثلاثا ويرجع. وفى الآية قول آخر: وهو أن [معنى][٤] حمية الجاهلية: أن سهيل بن عمرو ومعه حويطب بن عبد العزى [جاءوا][٥] ليعقدوا

---

(١) فى « ك »: مكة.

(٢) فى « الأصل وك »: المسلمون، والمثبت هو الصواب.

(٣) من « ك ».

(٤) فى « الأصل وك »: المعنى.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ

عقد الصلح، فلما كان أوان (الكتبة)(١) قال النبي ﷺ لعلى رضى الله عنه: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا نعرف ما الرحمن الرحيم! اكتب كما نكتب: باسمك اللهم. فقال المسلمون: لا إله إلا الله - تعجبا من قولهم - ورجت بها جبال تهامة، ثم إنه ﷺ قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: ولو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك؛ اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، وكتب عليٌّ ذلك، وقال عليه الصلاة والسلام: أنا محمد رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله. وكان فى عقد الصلح أيضا: أن من جاء إلى النبى ﷺ من المشركين مسلما فى مدة الصلح يرد إليهم، ومن ذهب من المسلمين إلى الكفار مرتداً لم يردوه، وكان هذا كله من حمية الجاهلية، وعند هذه الشروط وقعت الفتنة لعمر، وأتى رسول الله ﷺ وقال: ألست رسول الله؟ قال: بلى. قال: أولسنا على الحق؟ قال: بلى. قال: علام نعطى الدنية فى ديننا؟ يعنى: نرضى بالخصلة الأدنى لأنفسنا، فقال عليه الصلاة والسلام: أنا رسول الله ولا يضيعنى، وذهب إلى أبى بكر وذكر له مثل ذلك، فقال له: إنه رسول الله، ولن يضيعه الزم [الغرز](٢)، ثم إن سهيل بن عمرو أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وقام فى الإسلام مقامات مشهودة.

وقوله: ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ قد بينا معنى السكينة، والمعنى هاهنا: هو الثبات على الدين مع هذه الأمور.

وقوله: ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ روى أبو الطفيل عن أبى بن كعب عن النبى ﷺ هى: «لا إله إلا الله».(٣)

وفى الخبر المشهور عن عمر قال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا أعلم

(١) فى «ك»: الكتابة.

(٢) فى «الأصل وك»: الغزو، وهو سبق قلم، والتصويب من مسند أحمد، وقد تقدم تخريجه.

(٣) رواه الترمذى (٥/ ٣٦٠ رقم ٣٢٦٥) وقال: غريب، وعبد الله بن أحمد فى زوائده على المسند (٥/ ١٣٨)، وابن جرير (٢٦/ ٦٦)، والبيهقى فى الأسماء والصفات (١٣٢ - ١٣٣)، وزاد السيوطى فى الدر (٦/ ٨٨): الدارقطنى فى الأفراد، وابن مردويه.

التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾

كلمة إذا قالها العبد مخلصًا من نفسه دخل الجنة، ولا أدرى ما هى، فقال[1] : أنا أدرى هى الكلمة التى ألاص عليها عمه - أى: ألحَّ على عمه أن يقولها - وهى لا إله إلا الله»[2] . وعن الزهرى: أن كلمة التقوى بسم الله الرحمن الرحيم.

وقوله: ﴿وكانوا أحق بها وأهلها﴾ أى: كانوا محلا لهذه الكلمة وأهلا لها، ويقال: كانوا أهلها فى علم الله وحكمه، وهو الأصح.

وقوله: ﴿وكان الله بكل شىء عليما﴾ أى: عالماً.

قوله تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾ قال المفسرون: كان النبى ﷺ رأى فى منامه أنه دخل مكة مع أصحابه محلقين ومقصرين، فقص ذلك على أصحابه، ولم يشكوا أن ذلك حق، وظنوا أنه يكون فى العام الذى هم فيه، واعتمر النبى ﷺ وأصحابه وخرجوا على ذلك، فلما صدهم المشركون عن البيت ورجعوا، اغتم المسلمون غمًّا شديدا، وظنوا أنهم لا يدخلون، فأنزل الله هذه الآية. ومعنى قوله: ﴿لقد صدق الله﴾ أى: حقق الله رسوله أى: الرؤيا بالحق.

وقوله: ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون﴾ وهذا التحقيق حصل فى العام الثانى حين اعتمروا عمرة القضاء.

وقوله: ﴿فعلم ما لم تعلموا﴾ أى: وقت ظهور الرؤيا.

وقوله: ﴿فجعل من دون ذلك فتحًا قريبا﴾ أى: فتح خيبر، وفى الآية سؤال

---

(١) فى المسند لأحمد وغيره: أن القائل هو عمر، والسائل عثمان، ولكن هكذا أورده المنصف!

(٢) رواه أحمد (١/٦٣)، وابن حبان (١/٤٣٤ رقم ٢٠٤)، والحاكم (١/٧٢، ٣٥١) وصححه على شرطهما، وأبو نعيم فى الحلية (٢/٢٩٦، ٧/١٧٤) عن عمر به. وقال الهيثمى (١/٢٠): رواه أحمد، ورجاله ثقات.

معروف، وهو على قوله: ﴿إن شاء الله﴾ ما معنى قوله: ﴿إن شاء الله﴾ والله تعالى هو المخبر، وما يخبر عنه كائن لا محالة، والاستثناء إنما يدخل على شيء يجوز أن يكون، ويجوز ألا يكون؟ والجواب من وجوه: أحدها: أن معنى قوله: ﴿إن شاء الله﴾ إذا شاء الله.

والوجه الثانى: أن الآية على التقديم والتأخير، ومعناه: لتدخلن المسجد الحرام آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون إن شاء الله.

والوجه الثالث: أنه كان مع النبى ﷺ قوم عند نزول هذه الآية، منهم من غاب، ومنهم من مات قبل أن يحصل الموعود، فالاستثناء إنما وقع على هذا أنه يدخل بعضهم أو جميعهم.

والوجه الرابع وهو الأولى أن الله تعالى قال: ﴿إن شاء الله﴾ هاهنا على ما أحب ورضى وأمر به عباده، فإنه أمرهم أن يستثنوا فيما يخبرون به من الأمور المستقبلة، ويعدونه على ما قال الله تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله﴾[1] وهذا أمر له ولجميع الأمة، فقال تعالى: ﴿إن شاء الله﴾ وإن علم وقوع الفعل ليقتدى به المؤمنون، ولا يتركوا هذه الكلمة فيما يخبرون به من الأمور التى لم يعلموا وقوعها. قال الأزهرى: وكأنه قال: لما قلت إن شاء الله فيما علمت وقوعه، فلأن تقولوا إن شاء الله فيما لم تعلموا وقوعه أولى.

قوله تعالى: ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ أى: على الأديان كلها، ومن المشهور أن عيسى - عليه السلام - ينزل من السماء، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ولا يبقى يهودى ولا نصرانى إلا أسلم، وحينئذ تضع الحرب أوزارها، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد.

وقوله: ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ أى: شاهدا.

---

(١) الكهف: ٢٣ - ٢٤.

﴿٢٨﴾ مُحمَّدٌ رَّسُولُ اللَّه والَّذين معهُ أشدَّاءُ على الْكُفَّار رُحماءُ بيْنهُمْ تراهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يبْتغُون فَضْلاً مِّن اللَّه ورضْوانًا سِيماهُمْ فِي وُجُوههِم مِّنْ أثرِ السُّجُود ذلك مثلُهُمْ في

قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله﴾ هذه الآية شهادة من الله تعالى لرسوله بالحق وأنه رسوله حقيقة.

وقوله: ﴿والذين معه﴾ يعنى: أصحابه.

وقوله: ﴿أشداء على الكفار﴾ أى: غلاظ شداد عليهم، وهو فى معنى قوله: ﴿أعزة على الكافرين﴾[١] ﴿رحماء بينهم﴾ أى: متوادون ومتواصلون بينهم، وهو فى معنى قوله: ﴿أذلة على المؤمنين﴾[١].

وقوله: ﴿تراهم ركعا سجدا﴾ أى: راكعين ساجدين.

وقوله: ﴿يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾ أى: الجنة والثواب الموعود.

وقوله: ﴿سيماهم فى وجوههم من أثر السجود﴾ قال ابن عباس: هو فى القيامة، وذلك من آثار الوضوء على ما قال ﷺ: «أمتى غر محجلون من آثار الوضوء»[٢] فعلى هذا يكون (المؤمنون)[٣] بيض الوجوه من أثر الوضوء والصلاة. وقال عكرمة: من أثر السجود: هو التراب على الجباه، وقد كانوا يسجدون على التراب، وقال الحسن: هو السمت الحسن، وعن سعيد بن جبير: هو الخضوع والتواضع، وهو رواية عن ابن عباس، ويقال: صفرة الوجه من سهر الليل، وهذا قول معروف.

وقوله: ﴿ذلك مثلهم فى التوراة﴾ أى: صفتهم فى التوراة.

وقوله: ﴿ومثلهم فى الإنجيل﴾ منهم من قال: الوقف على قوله: ﴿ذلك مثلهم فى التوراة﴾، وقوله: ﴿ومثلهم فى الإنجيل﴾ كلام مبتدأ بمعنى: صفتهم فى الإنجيل كزرع، ومنهم من قال: الوقف على قوله: ﴿فى الإنجيل﴾.

---

(١) المائدة: ٥٤.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) فى «ك»: المؤمنين.

التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

وقوله: ﴿ كزرع ﴾ معناه: هم كزرع.

وقوله: ﴿ أخرج شطأه ﴾ أى: فراخه. يقال: أشطأ الزرع إذا فرخ، ومعنى الفراخ: هو أنه ينبت من الحبة الواحدة عشر سنابل وأقل وأكثر.

وقوله: ﴿ فآزره ﴾ أى: قواه، وقرئ: «فأَزَرَه» بغير مد، وهو بمعنى الأول.

وقوله: ﴿ فاستغلظ ﴾ أى: استحكم واشتد وقوى.

وقوله: ﴿ فاستوى على سوقه ﴾ أى: انتصب على ساق.

وقوله: ﴿ يعجب الزراع ﴾ أى: الحراث. وهذا كله ضرب مثل النبى ﷺ وأصحابه، وذكر صفتهم وما قوى الله بهم النبى ﷺ ونصره بهم.

وعن جعفر بن محمد الصادق قال: ﴿ والذين معه ﴾ أبو بكر ﴿ أشداء على الكفار ﴾ عمر ﴿ رحماء بينهم ﴾ عثمان ﴿ تراهم ركعًا سجداً ﴾ على رضى الله عنهم ﴿ يبتغون فضلا من الله ورضوانا ﴾ العشرة.

وقوله: ﴿ كزرع ﴾ محمد ﷺ ﴿ أخرج شطأه ﴾ أبو بكر ﴿ فآزره ﴾ بعمر ﴿ فاستغلظ ﴾ بعثمان ﴿ فاستوى على سوقه ﴾ بعلى رضى الله عنهم أجمعين، وهذا قول غريب ذكره النقاش، والمختار والمشهور هو القول الأول، أن الآية فى جميع أصحاب النبى ﷺ من غير تعيين، وعليه المفسرون.

وقوله: ﴿ ليغيظ بهم الكفار ﴾ أى: ليدخل الغيظ فى قلوبهم.

وقوله: ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما ﴾ اختلفوا فى قوله: ﴿ منهم ﴾ فقال قوم: من هاهنا للتجنيس لا للتبعيض. قال الزجاج: هو تخليص للجنس، وليس المراد بعضهم؛ لأنهم كلهم مؤمنون، ولهم المغفرة والأجر العظيم.

وعن ابن عروة قال: كنا عند مالك بن أنس فذكروا رجلا (يتبغض)[1] أصحاب رسول الله ﷺ، فقال مالك: من أصبح وفى قلبه غيظ على أصحاب رسول الله فقد أصابته هذه الآية، وهو قوله: ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾..

والقول الثانى: أن معنى قوله: ﴿منهم﴾ أى: من ثبت منهم على الإيمان والعمل الصالح فله المغفرة والأجر العظيم، أورده النحاس فى تفسيره.

---

(١) فى «ك»: ينتقص.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

تفسير سـورة الحجـرات

وهى مدنية باتفاق القراء، وروى (ثوبان)[1] عن النبى ﷺ أنه قال: « أعطيت السبع الطُول مكان التوراة، وأعطيت المائين مكان الإنجيل، وأعطيت المثانى مكان الزبور، وفضلنى ربى بالمفصل »[2].

ومنهم من قال: المفصل من سورة محمد، والأكثرون على أن المفصل من هذه السورة، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تُقَدِّموا بين يدى الله ورسوله ﴾ روى على بن أبى طلحة الوالبى عن ابن عباس أن معنى قوله: ﴿ لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ﴾ أى: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة. وقال مجاهد: لا تفتاتوا على الله ورسوله حتى يقضى الله على لسان رسوله ما شاء. قال: ومعنى « لا تفتاتوا » أى: لا تعارضوا. ويقال معناه: لا تعجلوا بالقول قبل قول الرسول، ولا بالفعل قبل فعل الرسول، وهو فيما يوجد عنه من أمر الدين فعلا وقولا.

وعن قتادة قال: كان ناس يقولون: لو أنزل كذا، لو أنزل كذا، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وعن الحسن البصرى قال: ذبح ناس أضحيتهم قبل صلاة النبى ﷺ يوم العيد،

---

(١) كذا، والحديث روى عن واثلة مرفوعا كما سيأتى فى تخريجه.

(٢) رواه أحمد فى مسنده (٤ / ١٠٧)، والطيالسى (١٣٦ رقم ١٠١٢)، وابن جرير (١ / ٣٤)، والطبرانى فى الكبير (٢٢ / ٧٥ - ٧٧ رقم ١٨٦، ١٨٧)، والطحاوى فى المشكل (٢ / ١٥٤)، والبيهقى فى الشعب (٥ / ٣٥٤ - ٣٥٥ رقم ٢١٩٢، ٢٢٥٥، ٢٢٥٦) كلهم من حديث واثلة مرفوعا به. وقال الهيثمى فى المجمع (٧ / ٤٩): رواه أحمد، وفيه عمران القطان، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه النسائى وغيره، وبقية رجاله ثقات.

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ

فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وعن عائشة - رضى الله عنها - أن ناسًا صاموا يوم الشك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال الزجاج معناه: لا تفعلوا الطاعات قبل وقت فعلها، وهذا فى جميع العبادات إلا ما قام (على جوازه)[1] دليل من السنة.

وروى عبد الله بن الزبير «أن وفد بنى تميم قدموا على النبى ﷺ، فقال أبو بكر: يا رسول الله، أَمِّرْ عليهم الأقرع بن حابس، وقال عمر: يا رسول الله، أمر عليهم فلانا غير الذى قال أبو بكر، ويقال: إن الرجل الذى أشار إليه عمر هو القعقاع بن معبد بن زرارة، فقال أبو بكر لعمر - رضى الله عنهما - ما أردت [إلا خلافى][2]، وقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا عند النبى ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية»[3].

وقرأ الضحاك: «لا تَقَدَّمُوا»[4] وهى قراءة يعقوب الحضرمى، ومعناه: لا تتقدموا.

وقوله: ﴿واتقوا الله إن الله سميع عليم﴾ أى: سميع لقولكم، عليم لما أنتم عليه.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى﴾ فى التفسير: أن الأعراب الجهال [كانوا يقدمون][5] على النبى ﷺ، ويرفعون أصواتهم

---

(١) فى «ك»: على وقت جوازه.

(٢) من «ك»، وفي «الأصل»: الاختلاف.

(٣) رواه البخارى (٧/ ٦٨٥ رقم ٤٣٦٧، وأطرافه: ٤٨٤٥، ٤٨٤٧، ٧٣٠٢)، والترمذى (٥/ ٣٦١ رقم ٣٢٦٦) وقال: حسن غريب، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٤٦٦ رقم ١١٥١٤)، وابن جرير (٢٦/ ٧٦)، والطبرانى (١٣/ ١١٣ رقم ٢٧٥، ٢٧٦) جميعهم من حديث ابن أبى مليكة عن ابن الزبير به. وذكر الترمذى عقبه: وقد رواه بعضهم عن ابن أبى مليكة مرسل.

(٤) النشر فى القراءات العشر: (٢/ ٣٧٥ - ٣٧٦).

(٥) فى «الأصل وك» يقدمون كانوا.

النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ

فوق صوته، ويدعونه باسمه فيقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، وكان ذلك نوع تهاون بحقه، فأنزل الله تعالى هذه الآية؛ ليكلموه كلام المبجل المعظم له الدال على توفية حقه في الخطاب.

وروى أن ثابت بن قيس بن شماس كان به صمم، وكان جهير الصوت، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية جلس في بيته غمًّا. ويقال: سمَّر بابه بالحديد، وقال: أخاف أن يكون قد حبط عملي، فدعاه النبي ﷺ وقال: «أما ترضى أن تعيش حميداً وتموت شهيداً» قال: نعم. قال: «تكون كذلك»(١) واستشهد يوم اليمامة.

وروى أنه قال له: «أنت من أهل الجنة»(٢).

وعن أبي بكر - رضي الله عنه - أنه قال لما نزلت هذه الآية: والله لا أكلم رسول الله إلا كأخي السرار.

وعن عمر - رضي الله عنه - أنه كان بعد نزول هذه الآية لا يكلم رسول الله ﷺ إلا خافضا صوته حتى كان يستفهمه رسول الله ﷺ ما يقوله.

وقوله: ﴿ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾ هو نهي عن رفع الصوت في حضرته. وقال بعضهم: هو أن تناديه باسمه، وهو أن تقول: يا محمد، يا أبا القاسم، فنهى الله تعالى عن ذلك، وأمر أن يدعى باسم النبوة والرسالة. وحكى عن مالك بن أنس أنه قال: من قال إن رسول الله ﷺ وسخ يريد به النقص كفر بالله

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢/ ٦٧ - ٦٨ رقم ١٣١٢، ١٣١٤، ١٣١٥)، وابن حبان (١٦/ ١٢٥-١٢٦ رقم ٧١٦٧) عن إسماعيل بن ثابت أن ثابت فذكره. ورواه ابن جرير (٢٦/ ٧٥)، والطبراني (رقم ١٣١٠، ١١٣١، ١١٣٣)، والحاكم (٣/ ٢٣٤) وصححه على شرطهما، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٣٥٥) عن محمد ابن ثابت عن ثابت فذكره. وإسماعيل هو ابن محمد بن ثابت يروى عن جده مرسلا، كما في التاريخ الكبير للبخاري (١/ ١/ ٣٧١)، وانظر علل الرازي (٢/ ٢٣٦).

(٢) متفق عليه من حديث أنس، رواه البخاري (٦/ ٧١٧ رقم ٣٦١٣ وطرفه: ٤٨٤٦)، ومسلم (٢/ ١٧٥ - ١٧٧ رقم ١١٩).

أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ

تعالى.

وقوله: ﴿أن تحبط أعمالكم﴾ أى: فتحبط أعمالكم، وكذلك قرأ ابن مسعود، ويقال: لئلا تحبط أعمالكم.

وقوله: ﴿وأنتم لا تشعرون﴾ أى: لا تعلمون بحبوط الأعمال.

قوله تعالى: ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله﴾ أى: يخفضونها.

وقوله: ﴿أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾ أى: أخلص الله قلوبهم للتقوى. ويقال: امتحن الله قلوبهم فوجدها خالصة. ويقال: إن المراد من القلوب أرباب القلوب يعنى امتحنهم الله تعالى وابتلاهم ليكونوا متقين، واللام لام الصيرورة، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ليكون لهم عدواً وحزنا﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ ذكر المفسرون أن وفد تميم قدموا على النبى ﷺ وجعلوا ينادونه من وراء الحجرات يا محمد، يا محمد اخرج إلينا، وكان فيهم قيس بن عاصم المنقرى، والزبرقان بن بدر، والأقرع بن حابس، والقعقاع بن معبد، وغيرهم.

وروى أن الأقرع بن حابس قال: يا محمد إن مدحى زين، وذمى شين، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك هو الله»[2].

---

(١) القصص: ٨.

(٢) رواه أحمد (٣/ ٤٨٨، ٦/ ٣٩٣ - ٣٩٤)، وابن جرير (٢٦/ ٧٧)، والطبرانى (١/ ٣٠٠ رقم ٨٧٨)، وابن الأثير فى أسد الغابة (١/ ١٣٠)، وابن عساكر (٩/ ١٨٥ رقم ٢٣٣٤، ٢٣٣٥)، عن أبى سلمة عن الأقرع به. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١١٠): وأحد إسنادى أحمد رجاله رجال الصحيح، إن كان أبو سلمة سمع من الأقرع وإلا فهو مرسل. وفى الباب عن البراء، رواه الترمذى (٥/ ٣٦١ - ٣٦٢ رقم ٣٢٦٧) وقال: حسن غريب، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٤٦٦ رقم ١١٥١٥)، وابن جرير (٢٦/ ٧٧)، وأبو نعيم فى أخبار أصبهان (٢/ ٢٩٦) وقال: قال رجل: إن ذمى شين .. ولم يسمه.

يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

وقوله: ﴿أكثرهم لا يعقلون﴾ أى: هم من قوم أكثرهم لا يعقلون. ويقال: كان فيهم من إذا علم يعقل ويعلم، وكان فيهم من لا يعقل ولا يعلم وإن عُلِّمَ، فلهذا قال: ﴿أكثرهم لا يعقلون﴾ وإن علموا وعقلوا.

قوله تعالى: ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم﴾ روى أن النبى ﷺ بعث سرية فأصابوا سبايا من (بلعمر)(١) بن(٢) غنم، فجاء رجالهم يطلبون الفداء وجعلوا ينادون: يا محمد، يا محمد اخرج إلينا نفاديك فخرج، وخلى عن بعض السبى وفادى البعض، وكان قد أراد أن يخلى عن جميعهم، فلما أساءوا الأدب خلى عن بعضهم، وفادى البعض، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم﴾ أى: كان خيرا لهم بأن يخلى عن جميع السبى.

وقوله: ﴿والله غفور رحيم﴾ ظاهر المعنى. وفى هذه الآيات بيان استعمال الأدب فى مجلس النبى ﷺ. وذكر بعضهم عظم الجناية فى ترك ذلك، وما يؤدى إلى حبوط العمل واستحقاق العقاب. وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يهابون أن يتكلموا بحضرته، وكانوا يحبون أن يأتى الأعرابى من البادية فيسأل رسول الله ﷺ عن الشيء ليسمعوا الجواب؛ لأنهم كانوا يهابون السؤال.

وفى حديث ذى اليدين «أنه قال لرسول الله ﷺ حين سلم عن(٢) ركعتين: أقصرت الصلاة أم نسيت؟ وقد كان فى القوم أبو بكر وعمر ووجوه أصحاب رسول الله ﷺ فهابوا أن يكلموه، وتكلم هذا الرجل؛ لأنه لم يكن يعلم من قدره وعظم حقه ما كانوا يعلمون»(٣).

---

(١) كذا فى «الأصل» وفى «ك»: بلعم، وكلاهما خطأ، والصواب: بلعنبر، وهم بطن من تميم. سيرة ابن هشام ٢ / ٦٢١.

(٢) فى «ك»: من.

(٣) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (١ / ٦٧٤ رقم ٤٨٢، وأطرافه: ٧١٤، ٧١٥، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ٦٠٥١، ٧٢٥٠)، ومسلم (٥ / ٩٤ - ٩٥ رقم ٥٧٣).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ قال أهل التفسير: نزلت الآية فى الوليد بن عقبة بن معيط، بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى المصطلق من خزاعة ليأخذ صدقاتهم، وكان بينه وبينهم (إحنة) فى الجاهلية، فلما قرب منهم مجيئه وسمعوا بقربه تلقوه ليكرموه، فخافهم ورجع، وقال للرسول: يا رسول الله، إنهم منعوا الزكاة - وفى رواية: إنهم ارتدوا عن الإسلام - ولم يعطوا شيئا، فبعث النبى ﷺ خالد بن الوليد سرية إليهم، [وأمره][1] أن يتعرف حالهم، فإن كان على ما قال الوليد قاتلهم، فذهب خالد وجاءهم ليلا فسمع صوت المؤذنين بينهم، وسمع تلاوة القرآن، فرجع وأخبر النبى ﷺ، وأنزل الله تعالى هذه الآية. وقد روى أن النبى ﷺ لما سمع قول الوليد غضب، وبعث من يقاتلهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ذكر هذا قتادة وغيره. فحكى عن رسول الله ﷺ أنه قال بعد هذا: «التأنى من الله، والعجلة من الشيطان»[2].

وقوله: ﴿إن جاءكم فاسق﴾ قالوا: الفاسق هاهنا هو الكذاب. وأما اللغة قد بينا أنه الخارج عن طاعة الله.

وقوله: ﴿فتبينوا﴾ وقرئ: «فتثبتوا» ومعناهما متقارب، وهو ترك العجلة، والتدبر والتأنى فى الأمر.

وقوله: ﴿أن تصيبوا قومًا بجهالة﴾ معناه: لئلا تصيبوا قوما بجهالة، ومعنى الإصابة هاهنا: هو الإصابة من الدم والمال بالقتل والأسر والاغتنام.

وقوله: ﴿فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ أى: تصيروا نادمين على فعلكم، وليس المراد منه الإصباح الذى هو ضد الإمساء.

قوله تعالى: ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم﴾

---

(١) فى «الأصل»: وأمرهم.

(٢) تقدم تخريجه.

وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَائِفَتَانِ

أى: لهلكتم. وقيل: غويتم وضللتم. ويقال: نالكم التعب والمشقة.

وقوله: ﴿يطيعكم﴾ نوع مجاز؛ لأن الطاعة فى الحقيقة فعل من الأدون على موافقة قول الأعلى. وقد روى عن بعض السلف أنه قال: نعم الرب ربنا، لو أطعناه ما عصانا، وهو على طريق المجاز والتوسع فى الكلام، قال الشاعر:

رب من أصبحت غيظًا صدره ... لو تمنى فِىَّ موتا لم يُطَعْ

أى: لم يدرك ما تمناه، وهو على طريق المجاز.

وقوله: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان﴾ يقال: حببه بإقامة الدلائل على وحدانيته وهدايتهم إليها. ويقال: حببه بذكر الثواب والوعد الصادق.

وقوله: ﴿وزينه فى قلوبكم﴾ حتى قبلوه وآثروه على طريق غيره، وطبع الآدمى مجبول على اختيار ما زين فى قلبه، فلما هدى الله المؤمنين إلى الإيمان، وأمال قلوبهم إليه حتى قبلوه، سمى ذلك تزيينا للإيمان فى قلوبهم.

وقوله: ﴿وكره إليكم الكفر﴾ يقال: كرَّه الكفر بذكر الوعيد والتخويف على فعله.

وقوله: ﴿والفسوق والعصيان﴾ والفسوق: كل ما يفسق به الإنسان أى: يخرج به عن طاعة الله. والعصيان: مخالفة الأمر.

وقوله: ﴿أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة﴾ أى: المهتدون تفضلا من الله وإنعاما.

وقوله: ﴿والله عليم حكيم﴾ أى: عليم بخلقه، حكيم فيما يدبره لهم.

قوله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ قال سعيد بن جبير وغيره: الآية فى الأوس والخزرج، كان بينهم قتال بالجريد والنعال والأيدى فى أمر تنازعوه بينهم.

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا

وقال غيره – وهو قتادة –: هو فى رجلين اختصما فى عهد النبى ﷺ فى حق بينهما، فقال أحدهما للآخر: لآخذن منك عنوة تعززا بكثرة عشيرته، وقال الآخر: لا، بل أحاكمك إلى رسول الله ﷺ، فلم يزل بينهما الأمر حتى تواثبا وتضاربا، (وكان بينهما قتال)[1] بالنعل واليد، وأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال مجاهد: الطائفة اسم للواحد إلى ألف وأكثر.

وروى أن النبى ﷺ لما قدم المدينة قيل له: لو أتيت عبد الله بن أبى بن سلول فدعوته إلى الإيمان، فركب حماراً وتوجه إليه، وكانت الأرض أرضا سبخة، وأصحابه حوله فثار الغبار، فلما بلغ الموضع الذى فيه عبد الله بن أبى بن سلول وعنده جماعة، قال: إليك عنا يا محمد، فقد أذانا نتن حمارك. فقال عبد الله بن رواحة: والله إن حماره أطيب (ريحًا)[2] منك. فغضب لعبد الله بن أبى بن سلول قوم، ولعبد الله بن رواحة قوم، فثار بينهم الشر، وتقاتلوا بالعصى والنعال وما أشبه ذلك، وأراد النبى ﷺ أن يسكنهم فلم يمكنه، ثم إنهم سكنوا، فأنزل الله تعالى هذه الآية[3]. وذكر البخارى خبراً فى الصحيح برواية أنس قريبا من هذا فى سبب نزول هذه الآية، وإنما سمى الله تعالى ذلك مقاتلة؛ لأن الجرى عليه يؤدى إلى القتل، والذى ذكرناه من قصة عبد الله بن أُبى بن سلول وعبد الله بن رواحة ذكره الكلبى ومقاتل وغيرهما.

وقوله: ﴿فأصلحوا بينهما﴾ أى: فاسعوا (لدفع)[4] الفساد وإزالة الشر. واعلم أنه إذا وقع مثل هذا بين طائفتين يجب على الإمام أو من ينوب عن الإمام أن ينظر بينهما ويحملهما على الحق، فإن امتنعت إحدى الطائفتين عن قبول الحق [ردها][5]

---

(١) ليست فى «ك».

(٢) ليست فى «ك».

(٣) متفق عليه من حديث أنس، رواه البخارى (٥/ ٣٥١ رقم ١٦٩١)، ومسلم (١٢/ ٢٢٠ - ٢٢١ رقم ١٧٩٩).

(٤) فى «ك»: لرفع.

(٤) فى «الأصل، وك»: رده.

فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴿٩﴾ إنما المؤمنون إخوة

إلى الحق أولا بالكلام، ثم يترقى درجة درجة إلى أن يبلغ القتال، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله﴾ أى: ترجع إلى أمر الله.

وقوله: ﴿فإن فاءت﴾ أى: رجعت، ومعناه: انقادت للحق.

وقوله: ﴿فأصلحوا بينهما بالعدل﴾ أى: بالحق.

وقوله: ﴿وأقسطوا﴾ أى: وأعدلوا.

وقوله: ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ أى: العادلين، وفى الخبر عن النبى ﷺ أنه قال: «المقسطون يوم القيامة عن يمين الرحمن، قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: الذين عدلوا فى حكمهم لأنفسهم وأهليهم وما ولوا»(١).

قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ أى: فى التوالى والتعاضد والتراحم، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾(٢). وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»(٣).

وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «المؤمنون كنفس واحدة، إذا اشتكى بعضه تداعى سائره للحمى والسهر»(٤).

وقد ثبت برواية ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا

---

(١) رواه مسلم (١٢/ ٢٩١ رقم ١٨٢٧)، والنسائى (٨/ ٢٢١)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، والحميدى (٢/ ٦٧ - ٦٨ رقم ٥٨٨)، وابن حبان (١٠/ ٣٣٦-٣٣٧ رقم ٤٤٨٤، ٤٤٨٥)، والآجرى فى الشريعة (٣٢٢)، والبيهقى فى السنن (١٠/ ٨٧ - ٨٨) عن عبد الله بن عمرو مرفوعا به.

(٢) التوبة: ٧١.

(٣) متفق عليه من حديث أبى موسى، رواه البخارى (١/ ٦٧٤ رقم ٤٨١، وطرفاه: ٤٤٦٥، ٦٠٢٦)، ومسلم (١٦/ ٢١٠ رقم ٢٥٨٥).

(٤) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير، وقد تقدم.

فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ

يشتمه، ومن كان فى حاجة أخيه المسلم كان الله فى حاجته، ومن ستر على أخيه المسلم ستر الله عليه يوم القيامة، ومن فرج عن أخيه المسلم فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة». خرجه البخارى ومسلم[1].

وقوله: ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ ذكر الأخوين ليدل بوجوب الإصلاح بينهما على وجوب الإصلاح بين الجمع الكثير.

وقوله: ﴿واتقوا الله﴾ أى: اتقوا الله من أن لا تتركوهم على الفساد، وأن تسعوا فى طلب الصلاح.

وقوله: ﴿لعلكم ترحمون﴾ أى: يعطف الله تعالى عليكم، ويعفو عنكم.

ويقال: ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ أى: إخوانكم، وروى أسباط عن السدى أن رجلا من الأنصار كانت له امرأة، فأرادت أن تزور أهلها فمنعها زوجها، وجعلها فى عُلِّيّة له، فجاء أهلها ليحملوها إليهم، واستعان الرجل بقومه فى منعها؛ فوقع بينهم شر وقتال، وأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم﴾ السخرية: هو الاستهزاء والبطر يعنى: المهانة والاحتقار.

وقوله: ﴿قوم من قوم﴾ القوم هاهنا بمعنى الرجال، قال الشاعر:

ولا أدرى ولست إخال أدرى ... أقوم آل حصن أم نساء

وإنما سمى الرجال قوما دون النساء؛ لأنهم الذين يقومون بالأمور.

قال مجاهد: الآية فى الاستهزاء؛ الغنى بالفقير، والقوى بالضعيف.

ويقال: استهزاء الدهاة بأهل سلامة القلوب.

(١) رواه البخارى (٥/١١٦ رقم ٢٤٤٢، وطرفه: ٦٩٥١)، ومسلم (١٦/٢٠٣ رقم ٢٥٨٠).

قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ

وقوله: ﴿عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾ أى: عسى أن يكون المستهزَئ منه خيراً من المستهزِئ.

وقوله: ﴿ولا نساء من نساء﴾ أى: ولا يسخر نساء من نساء عسى أن تكون خيراً منهن، أى: عسى أن تكون المستهزأة منها خيراً من المستهزئة، والمراد فى الآخرة.

وفى الخبر أن النبى ﷺ قال لأبى ذر: «انظر إلى أوضع رجل فى المسجد عندك، فأشار إلى فقير عليه أطمار. فقال: انظر إلى أرفع رجل فى المسجد عندك، فأشار إلى بعض الأغنياء - وعليه شارة - فقال ﷺ: هذا يوم القيامة أفضل من ملء الأرض من هذا»(١) وعنى به الفقير.

وقوله: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ أى: (لا يعيب)(٢) بعضكم بعضًا [أى:](٣) مثل قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾(٤) أى: لايقتل بعضكم بعضا.

قال الضحاك: لا يلعن بعضكم بعضا، ويقال: لا يطعن بعضكم على بعض.

وقوله: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ النبز واللقب بمعنى واحد.

ومعنى النبز هاهنا: هو اللقب المكروه الذى يكره الإنسان أن يدعى به. وعن

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٥/١٥٧، ١٧٠)، وفى الزهد (٢٧-٢٨)، ووكيع فى الزهد (١/٣٧٨-٣٧٩ رقم ١٤٤)، وابن أبى شيبة فى المصنف (١٣/٢٢٢ رقم ١٦١٦٣، ١٦١٦٤)، وهناد فى الزهد (٢/٤١٦ رقم ٨١٥)، والطبرانى فى الأوسط (٨/٤٦ - ٢٤٧ رقم ٥٠٤٩ - مجمع البحرين)، وابن حبان (٢/٤٥٦ - ٤٥٧ رقم ٦٨١)، وأبو نعيم فى الحلية (٨/١١٥ - ١١٦) وقال: حديث ثابت مشهور من حديث الأعمش. وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٢٦١): رواه أحمد بأسانيد، ورجالها رجال الصحيح. وقال فى موضع آخر (١٠/٢٦٨): رواه أحمد، والبزار، والطبرانى فى الأوسط بأسانيد، ورجال أحمد وأحد إسنادى البزار والطبرانى رجال الصحيح.

(٢) فى «ك»: يغتب.

(٣) من «ك».

(٤) النساء: ٢٩.

بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ

[أبى](١) جبيرة الأنصارى قال: «قدم رسول الله علينا المدينة ولأحدنا الاسم والاسمان والثلاثة، فكان رسول الله ﷺ يدعو بذلك الاسم، فقيل له: إنه يغضب إذا دعى بهذا، فترك ذلك، وأنزل الله تعالى هذه الآية»(٢). قال مجاهد والحسن: هو أن يقول لمن أسلم: يا يهودى، يا نصرانى تعييراً بماكان عليه من قبل. وقال قتادة وأبو العالية: هو أن يقول يا منافق، يا فاسق. وفى بعض التفاسير: أنه كان بين كعب بن مالك وعبد الله بن أبى حدرد الأسلمى منازعة فقال كعب بن مالك لعبد الله: يا أعرابى، وقال عبد الله لكعب: يايهودى، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ونهاهم عن مثل هذا. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «من حق المسلم على المسلم أن يدعوه بأحب أسمائه إليه»(٣).

وقوله: ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ استدل بهذا من قال إن الفاسق

---

(١) فى «الأصل»: عن ابن جبيرة، وفى «ك»: عن ابن عباس، والصواب عن أبى جبيرة، وهو ابن الضحاك بن خليفة الأنصارى المدنى، كما سيأتى فى تخريج الحديث عند البخارى فى الأدب والترمذى وغيرهما، وانظر الإصابة (٤/ ٣١).

(٢) رواه البخارى فى الأدب (ص١٠١)، وأبو داود (٤/ ٢٩٠ - ٢٩١ رقم ٤٩٦٢)، والترمذى (٥/ ٣٦٢ رقم ٣٢٦٨) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٤٦٦ رقم ١١٥١٦)، وابن ماجه (٢/ ١٢٣١ - ١١٣٢ رقم ٣٧٤١)، وأحمد (٤/ ٦٩، ٢٦٠)، وابن جرير (٢٦/ ٨٤)، والطبرانى (٢٢/ ٣٨٩ - ٣٩٠ رقم ٩٦٨، ٩٦٩)، والحاكم (٢/ ٤٦٣، ٤/ ٢٨١ - ٢٨٢) وصححه، جميعهم من حديث أبى جبيرة الأنصارى مرفوعا به.

(٣) قال الحافظ الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣/ ٣٤٠): غريب بهذا اللفظ، لم أجده هكذا. قلت: فى حديث عثمان بن طلحة مرفوعا: «ثلاث يصفين لك ود أخيك ... وتدعوه بأحب أسمائه إليه». رواه البخارى فى تاريخه (٧/ ٣٥٢)، والطبرانى فى الأوسط (٥١/ رقم ٣٠١٨، ٣٠١٩ - مجمع البحرين)، والحاكم (٣/ ٤٢٩)، والبيهقى فى الآداب (٧٧/ رقم٢٢٩)، وابن عساكر فى تاريخه (١٣/ ٣٨٧ رقم ٣٣٢٤)، وتمام فى فوائده (١/ ١٦٢ - ١٦٣ رقم ٣٧٤، ٣٧٥). وقال أبو حاتم فى علل الرازى (٢/ ٢٦٢): هذا حديث منكر، وموسى ضعيف الحديث. وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ٨٥): رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه موسى بن عبد الملك، وهو ضعيف.

وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ

لايكون مؤمنا، قال: لأنه لوكان الفاسق مؤمنا لم يستقم قوله: ﴿ بعد الإيمان ﴾ والجواب: أن المراد منه النهى عن قوله: يا فاسق، يا منافق، وكأنه قال: بئس الوصف بالفسوق بعد الإيمان بالله. وقال: إن «بعد» ها هنا بمعنى: «مع» ومعناه: بئس اسم الفسوق مع الإيمان .

وقوله: ﴿ ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ أى: من لم يتب عن هذه الأشياء التى كانوا يفعلونها فى الجاهلية؛ فأولئك هم الظالمون .

قوله تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ﴾ قد ثبت برواية أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»[1] .

وفى بعض الأخبار: «إذا حسدت فلاتبغ، وإذا نظرت حداءً فامضِ، وإذا ظننت فلاتحقق»[2] .

وعن أنس أن النبى ﷺ قال: «احترسوا من الناس بسوء الظن»[3] . وهو خبر غريب. وعن سلمان الفارسى قال: إنى لأعد عراق اللحم فى القدر مخافة سوء الظن. وعن ابن مسعود أنه قال: الختم خير من (الظن السوء)[4] وعن [أبى][5] العالية الرياحى أنه ختم على سبع سكرات لئلا يظن ظن السوء.

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٩ / ١٦٠ رقم ٥١٤٣، وأطرافه: ٦٠٦٤، ٦٠٦٦، ٦٧٢٤)، ومسلم (١٦ / ١٧٩ - ١٨١ رقم ٢٥٦٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه ابن عدى (٦ / ٤٠٢)، والطبرانى فى الأوسط (٥ / ٣٠٠ رقم ٣١٠٥ - مجمع البحرين)، وتمام فى الفوائد (١ / ٢٧٨ رقم ٢٩٦). وأورده الذهبى ضمن منكرات معاوية بن يحيى الصدفى فى الميزان (٨ / ٩٢) وعزاه للبخارى فى الضعفاء.

(٤) فى «ك»: سوء الظن.

(٥) فى «الأصل»: ابن، وهو تحريف.

بعض الظن إثم ولا تجسسوا

واعلم أن الظن المنهى عنه هو ظن السوء بأهل الخير، فأما بأهل الشر فجائز.

وقوله: ﴿إن بعض الظن إثم﴾ يعنى: هذا الظن.

وقوله: ﴿ولاتجسسوا﴾ التجسس: هو البحث عن عورات الناس، قاله مجاهد. وقرأ ابن سيرين: «ولاتحسسوا» بالحاء. واختلفوا فى التجسس والتحسس، منهم من قال: هما واحد، ومنهم من فرّق، وقال: التجسس هو البحث عن عورات (الناس)[1] كما قلنا. والتحسس هو الاستماع إلى حديث القوم، ويقال: التجسس هو البحث عن الأمور، والتحسس هو الإدراك ببعض الحواس، وقد ثبت عن النبى ﷺ برواية أنس أنه قال: «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تجسسوا وكونوا عباد الله إخوانا»[2] قال الشيخ الإمام رحمه الله: أخبرنا [الشيخ][3] أبو على الشافعى بمكة، أخبرنا أبو الحسن بن فراس، أخبرنا أبو محمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد عبدالله بن يزيد المقرئ، عن جده، عن محمد، عن سفيان بن عيينة، عن الزهرى، عن أنس... الحديث.

وفى بعض الآثار أن عمر - رضى الله عنه - خرج ومعه عبد الرحمن بن عوف يعس ليلة، فمرا بدار وسمعا منها لغطًا وأصواتا، فقال عمر: أرى أنهم يشربون الخمر! ماذا نفعل؟! فقال عبدالرحمن بن عوف: أرى أنا أتينا مانهينا عنه - يعنى: التجسس- ورجع.

وفى هذا الأثر أن تلك الدار كانت دار ربيعة بن أمية بن خلف.

وفى أثر آخر أنه قيل لابن مسعود: هل لك فى الوليد بن عقبة ولحيته تقطر خمرا- وكان الوليد أمير الكوفة، وابن مسعود فقيهها - فقال: إنا نهينا عن التجسس.

---

(١) فى «ك»: النساء.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) من «ك».

وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضًا

وقوله: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ الغيبة: أن يذكر أخاه في الغيبة بما يكره ذلك إذا سمعه. وفي حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ سئل عن الغيبة؟ فقال: «ذكرك أخاك بما يكره» فقيل: يارسول الله، إن كان في أخي ما أقول؟ فقال: «إن كان في أخيك ماتقوله فقد اغتبته، وإن لم يكن في أخيك ماتقوله فقد بهته»(١)

وفي الأخبار أن أمرأة دخلت على عائشة - رضي الله عنها - فلما خرجت قالت عائشة: ما أحسنها لولا أن بها قصرًا، فقال النبي ﷺ: «لقد اغتبتيها، فاستغفري الله»(٢) وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا اغتاب أحدكم أخاه فليستغفر له؛ فإن ذلك كفارته»(٣).

وفي بعض الأخبار أيضا عن النبي ﷺ أنه قال: «إياكم والغيبة، فإن الغيبة أشد من الزنا، وإن الزاني يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لايغفر له حتى يغفر له صاحبه»(٤) يعني: يعفو عنه.

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٦/ ٢١٤ رقم ٥٨٩)، والبخاري في الأدب المفرد (رقم ٤٢٥)، وأبو داود (٤/ ٢٦٩ رقم ٤٨٧٤)، والترمذي (٤/ ٢٩٠ رقم ١٩٣٤) وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٦٧ رقم ١١٥١٨)، وأحمد (٢/ ٢٣٠، ٤٥٨) عن أبي هريرة به. وقال الترمذي: وفي الباب عن أبي برزة، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أحمد (٦/ ١٣٦، ٢٠٦)، وهناد في الزهد (٢/ ٥٦٨ رقم ١١٩٠)، وابن أبي الدنيا في الغيبة (رقم ٦٨، ٧٣)، وابن جرير (٢٦/ ٨٧)، وأبو الشيخ في التوبيخ (رقم ١٩٥)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (رقم ٢٠٣) جميعهم عن عائشة بنحوه، وبدون قوله: فاستغفري الله.

(٣) رواه بن أبي الدنيا في الغيبة (رقم ١٥٤)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (رقم ٢١١، ٢١٢)، وأبو الشيخ في التوبيخ (رقم ٢٠٧)، والخطيب في تاريخه (٧/ ٣٠٣)، وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١١٨ - ١١٩) جميعهم من حديث أنس مرفوعا به. ورواه ابن الجوزي عن سهل بن سعد وجابر بن عبد الله كلاهما مرفوعا بنحوه وقال: هذه الأحاديث ليس فيها شيء صحيح. وانظر السلسلة الضعيفة (رقم ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في الغيبة (رقم ٢٥)، وهناد في الزهد (١١٧٨)، والطبراني في الأوسط (٨/ ١٩٩ رقم ٤٩٥٩)، وابن حبان في المجروحين (٢/ ١٦٨)، وأبو الشيخ في التوبيخ (رقم ١٦٨) جميعهم من حديث جابر وأبي سعيد مرفوعا به. وقال أبو حاتم: ليس لهذا الحديث أصل، وعباد ضعيف الحديث (علل الرازي ٢/ ٣١٩ رقم ٢٤٧٤). وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٩٥): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عباد بن كثير، وهو متروك، وانظر الضعيفة (١٨٤٦).

أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

وقد ورد فى الأخبار: «أنه ليس لفاسق غيبة»(١).

وقال ﷺ: «اذكروا الفاجر بما فيه، يحذره الناس»(٢)

قال أهل العلم: ليس لثلاثة غيبة: السلطان الظالم، والفاسق المعلن، والذى أحدث فى الإسلام حدثا - يعنى: المبتدع -.

وكذلك قال أهل العلم: إذا سأل إنسان إنسانا لغرض له صحيح، فلا بأس أن يذكر مافيه. والغيبة مأخوذة من الغيب؛ كأنه لما ذكره بظهر الغيب بمايسوءه كان ذكره له غيبة. وقد كان السلف يحترزون أشد الاحتراز من مثل هذا. روى أن طبيبين دخلا على ابن سيرين،فلما خرجا قال: لولا أن يكون غيبة لذكرت أيهما أطب. وعن معاوية بن قرة قال: لو دخل عليك رجل أقطع فقلت: هذا الأقطع - يعنى: بعد ماخرج - كنت قد اغتبته، قال أبو إسحاق: صدق - يعنى: السبيعى- وقال أهل العلم: إذا قال فلان الأعمش أو فلان الأعور أو فلان البطين[يريد](٣) بذلك تعريفه،

(١) رواه ابن عدى (٥ / ٢٢١)، والطبرانى (١٩ / ٤١٨ رقم ١٠١١)، والقضاعى فى مسند الشهاب (٢ / ٢٠٢ - ٢٠٣ رقم ١١٨٥، ١١٨٦)، وابن الجوزى فى العلل (٢ / ٧٨١ رقم ١٣٠٠) عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده. وقد تكلم الدراقطنى على هذا الحديث، وذكر ما ملخصه: أن أصل الحديث يرويه الجارود عن بهز بإسناده مرفوعا: «أترعون عن ذكر الفاجر، اذكروا بما فيه يحذره الناس» وهو حديث موضوع، وسرقه منه عمرو بن الأزهر، وسليمان بن عيسى، والعلاء بن بشر، ورواه الأخير عن ابن عيينة من بهز، ولم يسمع ابن عيينة من بهز، وغير لفظه فقال: «ليس للفاسق غيبة». أهـ.

وانظر تعليق الدارقطنى على المجروحين (٦٨)، والعلل المتناهية، وراجع السلسلة الضعيفة (٥٨٤).

(٢) رواه العقيلى فى الضعفاء (١ / ٢٠٢)، والطبرانى فى الكبير (١٩ / ٤١٨ رقم ١٠١٠)، وفى الأوسط (١ / ٢٦١ - ٢٦٢ رقم ٣٠٣ - مجمع البحرين)، وفى الصغير (١ / ٣٥٧ رقم ٥٩٨)، وابن عدى فى الكامل (٢ / ١٧٣، ٣ / ٢٨٩، ٥ / ١٣٤)، وابن حبان فى المجروحين (١ / ٢٢٠) وقال: والخبر فى أصله باطل. وهذه الطرق كلها بواطيل لا أصل لها، والخطيب فى سننه (١٠ / ٢١٥)، والخطيب فى تاريخه (١ / ٣٨٢، ٣ / ١٨٨، ٧ / ٢٦٢، ٢٦٨)، وابن الجوزى فى العلل (٢ / ٧٧٨ - ٧٨١ رقم :١٣) من حديث بهز عن أبيه عن جده. وقد تقدم فى الذى قبله كلام الدارقطنى عليه.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

عند الله أتقاكُمْ إنّ الله عليمٌ خبيرٌ ﴿١٣﴾ قالت الأعْراب آمنّا قُل لّمْ تُؤْمنُوا ولكن قُولُوا أسْلمْنا ولمّا يدْخُل الإيمانُ في قُلُوبكُمْ وإن تُطيعُوا الله ورسُولهُ لا يلتْكُم مّنْ أعْمالكُمْ

ولايعرف إلا به ، لابأس به . وكان بعض أئمة الحديث إذا روى عن مسلم البطين يقول : حدثنا مسلم ، وأشار بيديه إلى كبر البطن .

وذكر ابن سيرين إبراهيم النخعي ووضع يده على عينه . وكان إبراهيم أعور فقال : رأيته تلك المشاهدة ،وماخلف بعده مثله .

وقوله تعالى : ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ﴾ أى : كما يكره أحدكم أن يأكل لحم أخيه وهو ميت، فكذلك فليكره أن يذكره بالسوء وهو غائب، فإن قال قائل : أيش التشابه بينهما فى المعنى؟ والجواب : أنه إذا أكل لحمه وهو ميت فقد هتك حرمته، وهو لايشعر به، وإذا ذكره بالسوء بظهر الغيب فقد هتك حرمته، وهو لايشعر به . وعن عمرو بن العاص أنه مر على حمار ميت فقال : لأن يملأ أحدكم جوفه من هذا اللحم خير له من أن يغتاب أخاه . ويقال للمغتاب فى اللغة : فلان يأكل لحوم الناس : وأنشد فى التفسير فى هذا المعنى :

فإن أكلوا لحمى وفرت لحومهم وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا

وقوله : ﴿ واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ أى : قابل التوبة عن خلقه عطوف بهم .

قوله تعالى : ﴿ ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ أى : آدم وحواء عليهما السلام ﴿ وجعلناكم شعوبا وقبائل ﴾ روى عن ابن عباس أنه قال : الشعوب : الجمهور مثل : مضر،و ربيعة، والقبائل : هم البطون منهم، كتميم من مضر،وشيبان من ربيعة، ومنهم من قال : الشعوب هم الأبعدون فى النسب، والقبائل هم الأقربون فى النسب . وعن بعضهم : أن الشعوب فى العجم، والقبائل فى العرب . والواحد من الشعوب شعب وشعب بفتح الشين وكسرها ، وهو من التشعب .

وقوله ﴿ لتعارفوا ﴾ أى : ليعرف بعضكم بعضا، وقرأ الأعمش : «لتتعارفوا» وعن ابن عباس أنه قرأ : «لتعرفوا»، وقيل على هذه القراءة : «لتعرفوا أن أكرمكم عند الله

شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ

أتقاكم »(بفتح الألف)[١]. والصحيح هو القراءة الأولى، والمراد من الآية قطع التفاخر بالأحساب والأنساب.

وقوله: ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ فى الخبر أن النبى ﷺ قال: « يقول الله تعالى يوم القيامة: سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم؛ أين المتقون؟ ».

وفى خبر آخر : أن الله تعالى يقول يوم القيامة: « أيها الناس إنكم رفعتم أنسابكم ووضعتم نسبى؛ فاليوم أرفع نسبى وأضع أنسابكم؛ أين المتقون؟ »[٢]

وفى التفسير: « أن ثابت بن قيس بن شماس كان به صمم ،وكان يحب الدنو من رسول الله ﷺ يسمع كلامه، فجاء يوم وقد أخذ الناس مجالسهم ،فجعل يدخل بين القوم ليقرب من رسول الله ﷺ، فقال له رجل: اجلس حيث انتهى بك المجلس، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا فلان، فقال: ابن فلانة ، وذكر أُمًّا له فى الجاهلية كان يُعَيَّر بها ، فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فقال: « ياثابت انظر فى القوم »، فنظر، فقال: « ليس لك[٣] منهم فضل إلا بالتقوى »[٤].

وقد ذكر هذا فى سبب نزول قوله تعالى: ﴿ ولاتلمزوا أنفسكم ﴾ والتقوى هو

---

(١) يعنى: فتح ألف (إن).

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط (٥ / ٣٠٦ – ٣٠٧ رقم ٣١١٧ – مجمع البحرين). وفى الصغير (١ / ٣٨٣ رقم ٦٤٢). والحاكم (٢ / ٤٦٣ – ٤٦٤)، والبيهقى فى الشعب (٩ / ٣٦٣ – ٣٦٥ رقم ٤٧٧٥ ، ٤٧٧٧) عن أبى هريرة مرفوعا به. وقال الحاكم: حديث عال غريب الإسناد والمتن. وقال الذهبى فى تلخيصه: فيه ابن زبالة ساقط. وقال الهيثمى فى المجمع (٨ / ٨٧): رواه الطبرانى وفيه طلحة بن عمرو ،وهو متروك. ورواه البيهقى موقوفا على أبى هريرة (رقم ٤٧٧٦ – الشعب) وقال: هذا هو المحفوظ.

(٣) فى « ك »: لكم.

(٤) ذكره الواحدى فى أسباب النزول (٢٩٥)، والبغوى (٤ / ١١٧) عن ابن عباس به.

بدينكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن

الاحتراز عن كل مانهى الله عنه. وقد قال أهل العلم: قد يكون للنسيب فضل فى الدنيا على معنى أن غير النسيب لايكون كفأً للنسيب، وإذا اجتمع النسيب وغير النسيب فى الإمامة، فالنسيب أولى إذا اتفقا فى العلم والتقوى، فأما فى الآخرة فلا فضل للنسيب، إنما الفضل للتقوى.

وقوله: ﴿إن الله عليم خبير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ أى: استسلمنا وانقدنا. والآية نزلت فى قوم كانوا يظهرون الإيمان بلسانهم ولايصدقون بقلوبهم. واختلف أهل العلم فى الإيمان والإسلام، قال بعضهم: هما واحد، وفرق بعضهم بينهما. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ قال: «الإسلام علانية، والإيمان فى القلب»[١] وعن الزهرى: الإسلام هو الكلمة، والإيمان العمل. وفى خبر «جبريل صلوات الله عليه – حيث جاء يسأل عن الإسلام والإيمان، وفرّق الرسول بينهما، فجعل الإسلام هو الأعمال الظاهرة، والإيمان هو التصديق الباطن»[٢].. وهذا خبر صحيح.

وثبت أيضاًأن النبى ﷺ أعطى قوماً، ولم يعط رجلا، فقال سعد بن أبى وقاص: إنك أعطيت فلانا وفلانا ولم تعط فلانا وهو مؤمن؟ فقال: «أومسلم»[٣] واستدل من

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٣ / ١٣٤ – ١٣٥)، وابن أبى شيبة فى الإيمان (رقم٦)، وأبو يعلى (٥ / ٣١٠ – ٣٠٢ رقم ٢٩٢٣)، والعقيلى فى الضعفاء (٣ / ٢٥٠)، وابن عدى (٥ / ٧٧)، وابن حبان فى المجروحين (٢ / ٢١١) عن أنس مرفوعا به.

(٢) تقدم تخريجه، وهو متفق عليه من حديث أبى هريرة.

(٣) متفق عليه من حديث سعد بن أبى وقاص. رواه البخارى (١ / ٩٩ – ١٠٠ رقم ٢٧، وطرفه: ١٤٧٨)، ومسلم (٢ / ٢٣٧ – ٢٣٩ رقم ١٥٠).

كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

قال فى أنهما واحد بقوله تعالى : ﴿ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾[1] . وأكثر الأخبار دالة على التفريق، فيجوز أن نفرق على ماقلنا وعلى ماورد فى الأخبار، ويجوز أن يقال : هما واحد ، فيكون الإسلام بمعنى الإيمان، والإيمان بمعنى الإسلام، وهو المتعارف بين المسلمين أن يفهم من أحدهما مايفهم من الآخر، والله أعلم .

وقوله : ﴿ ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم ﴾ هو دليل على أنهم لم يكونوا مصدقين فى الباطن .

وقوله : ﴿ وإن تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من أعمالكم ﴾ وقرئ : « لا يألتكم » أى : لاينقصكم .

وأما من قرأ : « لا يألتكم من أعمالكم شيئا » فهو بمعنى النقص أيضا،قال الشاعر :

وليلةٍ ذاتِ سرى سريت ولم يلتنى عن سُرَاها لَيْتُ

قوله تعالى : ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ ظاهر المعنى .

قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ أى : صدقوا ولم يشكوا .

وقوله : ﴿ وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ﴾ أى : قدوا أنفسهم وبذلوا أموالهم فى طلب رضى الله .

وقوله : ﴿ أولئك هم الصادقون ﴾ بمعنى هم المحققون فى الإيمان،فكأنه لما ذكر

---

(١) الذاريات : ٣٦ .

المنافقين فى الآية الأولى ذكر صفة المؤمنين المحققين فى هذه الآية لتكون الرغبة إليه .

قوله تعالى : ﴿ قل أتعلمون الله بدينكم ﴾ علم هاهنا بمعنى أعلم .

وقوله : ﴿ والله يعلم مافى السموات ومافى الأرض والله بكل شيء عليم ﴾ أى : عالم، وقد كانوا يقولون : إن الإسلام كذا، وقد أسلمنا، والإيمان كذا، وقد آمنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

قوله تعالى : ﴿ يمنون عليك أن أسلموا ﴾ قال سعيد بن جبير وغيره : نزلت الآية فى أعراب من بنى أسد كانوا يقولون : يارسول الله، إنا آمنا بك،ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان،فأنزل الله تعالى هذه الآية ،وكانوا يقولون ذلك مَنًّا عليه ، وفى رواية أخرى :أن أعرابا قدموا المدينة وهم (جمع)[1] كثير،فأغلوا الأسعار وتحبسوا[2] الطرق ،فكانوا يقولون : يارسول الله، إنا قد آمنا بك فأعطنا كذا وكذا، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وقوله : ﴿ قل لاتمنواعلىَّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان ﴾أى : هو الذى أنعم عليكم بإخراجكم من الكفر إلى الإيمان .

وقوله : ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ معناه : واعلموا أن المنَّة لله عليكم إن كنتم صادقين أنكم آمنتم بالله .

قوله تعالى : ﴿ إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون ﴾ قد ذكرنا من قبل . وروى عبدالله بن دينار عن ابن عمر أن النبى ﷺ خطب يوم فتح مكة وقال : « أيها الناس،إن الله أذهب عنكم عبيّة الجاهلية وتعاظمها بالآباء؛ فالناس رجلان : بر تقى كريم على الله، وفاجر شقى هين على الله ، والناس بنو آدم، وآدم من

---

(١) فى « ك » : رجال.

(٢) يعنى أن السائرين فى الطرق يمشون ببطء لكثرتهم.

تراب، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ يـاأيـهـا الـنـاس إنـا خـلـقـنـاكـم مـن ذكـر وأنـثـى... ﴾ الآية». [١]

وروى سمرة بن جندب أن النبى ﷺ قال: «الحسب: المال، والكرم: التقوى» [٢].

أورد هذين الخبرين أبو عيسى الترمذى فى جامعه فى تفسير هذه السورة .

---

(١) رواه الترمذى (٥ / ٣٦٣ رقم ٣٢٧٠) وقال: غريب ... وعبد الله بن جعفر يضعف.... وابن أبى شيبة (١٤ / ٤٩٣ - ٤٩٤ رقم ١٨٧٦٥)، وعبد بن حميد (٢٥٣ - ٢٥٤ رقم ٧٩٥)، والبيهقى فى الشعب (٩ / ٣٥٦ رقم ٤٧٦٧)، والبغوى فى تفسيره (٤ / ٢١٧ - ٢١٨)، وزاد الزيلعى فيمن رواه أيضا: ابن حبان فى صحيحه، وأبو يعلى، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، جميعهم عن ابن دينار به. وقال الترمذى: وفى الباب عن أبى هريرة، وابن عباس. وانظر تخريج الكشاف (٣ / ٣٤٩ - ٣٥١ رقم ١٦٤٥).

(٢) رواه الترمذى (٥ / ٣٦٣ رقم ٣٢٧١) وقال: حسن صحيح غريب، وابن ماجه (٢ / ١٤١٠ رقم ٤٢١٩)، وأحمد (٥ / ١٠)، وابن أبى عاصم فى الزهد (رقم ٢٢٩)، وابن أبى الدنيا فى مكارم الأخلاق (رقم ٨)، والطبرانى فى الكبير (٧ / ٢١٩ رقم ٦٩١٢، ٦٩١٣)، والدارقطنى (٣ / ٣٠٢)، والحاكم (٢ / ١٦٣، ٤ / ٣٢٥) وصححه، والبيهقى (٧ / ١٣٥ - ١٣٦)، وأبو نعيم فى الحلية (٦ / ١٩٠)، والبغوى فى تفسيره (٤ / ٢١٧)، والقضاعى فى الشهاب (١ / ٤٦ - ٤٧ رقم ٢١)، وتمام الرازى فى فوائده (٢ / ٢٧١ رقم ١٧١٧)، وابن الجوزى فى العلل (٢ / ٦١٠ رقم ١٠٠٢)، وقال الترمذى: وفى الباب عن أبى هريرة وبريدة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ

تفسير سورة ق

قال الشيخ الإمام رضى الله عنه: هى مكية.

قوله تعالى: ﴿ ق ﴾ قال قتادة: هو اسم من أسماء السورة، وقال مجاهد: ﴿ ق ﴾ جبل محيط بالدنيا من زمردة خضراء [منه][1] خضرة السماء، ومن خضرة السماء خضرة البحار، وحكى مثل هذا عن ابن عباس، وفى رواية: أن جبل « ق » من زبرجد أخضر ،والسماء مقببة عليه، والجبل محيط بالدنيا، فإذا أراد الله تعالى أن يزلزل الأرض حَرَّك ذلك الجبل فتزلزلت الأرض،وهذا عند قيام الساعة.

وفى الآية قول آخر :قال عكرمة: إن « ق » من القاهر.

وفيه قول رابع: أن معناه: قُضِىَ ماكان مثل قوله: « حم » أى: حُمَّ ماكان.

وقوله: ﴿ والقرآن المجيد ﴾ أى: عظيم الكرم، ويقال: الكريم.

يقال: تماجد القوم إذا تفاخروا بالكرم، وأظهروه من أنفسهم، وقيل: « والقرآن المجيد »: أى: الرفيع، ومعناه: رفيع القدر والمنزلة.

فقوله :﴿ والقرآن المجيد ﴾قسَمٌ، فإن قيل: أين جواب القسم ؟

والجواب: أنهم اختلفوا فيه، منهم من قال: جواب القسم قوله: ﴿ قد علمنا ماتنقص الأرض منهم ﴾ أى: لقد علمنا.

والقول الثانى: أن جواب القسم محذوف،ومعناه: ﴿ ق والقرآن المجيد ﴾ لتبعثن.

والقول الثالث: فى الآية تقديم وتأخير،ومعناه :﴿ بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم ﴾أى: محمد ﷺ.

---

(١) فى « الأصل »: منها.

عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾

وقوله: ﴿فقال الكافرون هذا شيء عجيب﴾ وتعجبهم كان من البعث بعد الموت، وهو تعجب من غير عجب، والتعجب من غير عجب مستنكر مستقبح.

قوله تعالى: ﴿أئذا متنا وكنا ترابًا﴾ معناه: أنبعث إذا متنا وكنا ترابًا،قالوه على طريق الإنكار.

وقوله تعالى: ﴿ذلك رجع بعيد﴾ أى: رجوع يبعد كونه .

قوله تعالى: ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم﴾ قال الحسن أى: يموت منهم، وقال مجاهد: ما تأكل الأرض من لحومهم وجلودهم. وعن بعضهم: موت علمائها.

وقوله: ﴿وعندنا كتاب حفيظ﴾ أى: حافظ، وهو اللوح المحفوظ،وقيل: محفوظ مافيه .

قوله تعالى: ﴿بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج﴾أى: مختلط. قال أبو ذؤيب الهذلى:

فَخَرَّ كأنه خُوطٌ مريجُ

وقال غيره:

فجالتْ فالتمستُ به حَشَاها ... فخــر كــأنه غصنٌ مــريجُ

ويقال مريج: ملتبس.

ووجه الالتباس أنهم كانوا يقولون للنبى ﷺ مرة هو ساحر ،ومرةهوشاعر ، ومرة هو كاهن، [وكانوا][1] أيضا يقرون بالبعث مرة، وينكرون البعث مرة،فهذا هو معنى الاختلاط والالتباس .

---

(١) فى «الأصل وك»: وكان، والمثبت يقتضية السياق.

أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها﴾ أى: بالنجوم والشمس والقمر.

وقوله: ﴿ومالها من فروج﴾ أى: شقوق.

وقوله تعالى: ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى﴾ أى: الجبال.

وقوله: ﴿وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾ أى: من كل صنف حسن، والبهجة: الحسن، وعلى هذا قوله فى موضع آخر: ﴿ذات بهجة﴾[١] أى: ذات حسن.

وقوله: ﴿تبصرة وذكرى لكل عبد منيب﴾ أى: (تبصراً)[٢] للآيات، وموعظة للقلوب. ويقال: تبصرة أى: يبصر بها ذوو العيون «وذكرى» أى: يذكر بها ذوو القلوب.

وقوله: ﴿لكل عبد منيب﴾ أى: راجع فى أموره إلى الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ونزلنا من السماء ماءً مباركا فأنبتنا به جنات﴾ أى: البساتين.

وقوله: ﴿وحب الحصيد﴾ أى: حب النبت المحصود، وهو البر والشعير وغيره. ويقال: «حب الحصيد»: هو الحصيد نفسه، كأنه أضافه إلى نفسه، مثل قولهم: صلاة الأولى، ومسجد الجامع، ومثل قوله تعالى: ﴿حق اليقين﴾[٣].

قوله تعالى: ﴿والنخل باسقات لها﴾ أى: طوالاً. قال عكرمة: طوالاً فى استقامة. ويقال فى صفة النخيل: الباسقات فى الوحل، المطعمات فى المحل.

---

(١) النمل: ٦٠.

(٢) فى «ك»: تبصرة.

(٣) الواقعة: ٩٥.

وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ

وقوله: ﴿لها طلع نضيد﴾ أى: منضود، وهو المتصل بعضه ببعض.

ويقال: المتراكم بعضه على بعض. قال أهل اللغة: وإنما يسمى نضيداً مادام فى الطلع، فإذا خرج من الطلع لم يكن نضيداً، وعن بعضهم قال: إن نخيل الجنة مثمرة من أعلاها إلى أسفلها، وهى كالقلال كلما أخذت واحدة نبتت مكانها أخرى .

وقوله: ﴿رزقا للعباد﴾ الرزق: العطاء الجارى من الله تعالى على توظيف، وقد يكون بطلب، وقد يكون بغير طلب، وقد يكون بدعاء يدعو به العبد ، وقد يكون بغيره.

وقوله: ﴿وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج﴾ يعنى: كما نحيى الأرض اليابسة ونخرج منها الأشجار(والزرع)[1] والكلأ، كذلك نحيى الأجساد بعد الموت ونخرجها من الأرض. وفى التفسير: أن الله تعالى يُمطِر من السماء ماءً على الأرض حين يريد أن يبعث الخلق كمنى الرجال(فينبت)[2] بها الأجساد فى الأرض، ويجمع الجلود إليها ثم يبعثهم .

قوله تعالى ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس﴾ قال كعب الأحبار: هم قوم رسوا نبيهم فى بئر، ويقال: هى بئر باليمامة، ويقال: بالَفلْجِ، كان عليها قوم أتاهم نبى فكذبوه فأهلكهم الله تعالى، وفى تفسير النقاش: أن اسم نَبيهم كان حنظلة بن صفوان، والله أعلم. ويقال: كان بئرًا بأذربيجان .

وقوله: ﴿وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط﴾ فى بعض التفاسير: أن لوطا يبعث وحده وليس معه أحد آمن به .

---

(١) فى « ك »: والزروع.

(٢) فى « ك »: فتنبت.

لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا

وعن بعضهم: أن فرعون كان رجلا أعجميًّا من أهل اصطخر فارس، ذكره أبو الحسين بن فارس فى تفسيره، وذكر فيه أنه عاش مائتين وعشرين سنة لم يؤذه شىء، ودعاه موسى ثمانين سنة، ثم أغرقه الله فجميع مدة ملكه ثلثمائة سنة ،وقوله: ﴿ وأصحاب الأيكة ﴾ وقرئ: «ليكة» فى موضع آخر، فليكة اسم القرية، والأيكة أسم الناحية مثل: (بكة)[1] ومكة .

وقوله: ﴿ وقوم تبع ﴾ فى التفسير: أن تبع اسمه أسعد بن لمكيكرب،وكنيته أبو كرب. وفى القصة: أنه خرج من اليمن غازيا سائحا فى الأرض ومعه جيش عظيم، وهو أول من حير الحيرة - أى: بناها - ومر ببلاد العجم حتى أتى سمرقند [وهدمها][2] . ويقال: إن الذى هدم سمرقند هو شمر. ومنه سمرقندأى: شمر كندة، وهو من ملوك اليمن أيضًا، ولتبع ابن يقال له: حسان بن تبع،وكان فيهم من غزا الصين وأسكن ثم قومًا من العرب، فيقال: أن« التبت » منهم، وهم على خلقة العرب نحاف سمر.

وقد روينا أن النبى ﷺ قال: «لاتسبوا تبعًا؛ فإنه كان قد أسلم»[3] . وقد دل على هذا قوله هاهنا: ﴿ وقوم تبع ﴾ ولم يذكره بينهم.

وقوله: ﴿ كل كذب الرسل فحق وعيد ﴾ أى: حق عليهم وعيدى وعذابى.

قوله تعالى: ﴿ أفعيينا بالخلق الأول ﴾ وجوابه محذوف، ومعناه: أفعيينا بالخلق الأول فنعيا بالخلق الثانى أى: عَسُر علينا ذلك فيعسر علينا هذا، يقال: عيى فلان بالأمر إذا عجز عنه .

---

(١) فى "ك" :عكة.

(٢) فى "الأصل ، وك " :وهدفه.

(٣) تقدم تخريجه.

تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ

وقوله: ﴿ بل هم فى لبس من خلق جديد ﴾ أى: فى شك من الخلق الثانى .

قوله تعالى: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ﴾ يقال: إن المراد به آدم - صلوات الله عليه - وحده. ويقال: إنه فى كل الناس .

وقوله: ﴿ ونعلم ماتوسوس به نفسه ﴾ الوسوسة: حديث النفس، وإن كان المراد بالآية هو آدم فالوسوسة فى حقه حديث نفسه بأكل الشجرة. وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «من توضأ فأحسن الوضوء، وصلى ركعتين ولم يحدث فيهما نفسه؛ غفر الله له ماتقدم من ذنبه»(١).

وقوله: ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ حبل الوريد: عرق فى باطن العنق، ويقال: فى البدن عرق يسمى الأكحل نهر البدن، وفى الساق يقال له: النساء، وفى البطن يسمى الحالب، وفى الظهر يسمى الأنهر، وفى اليد يسمى الأكحل، وفى العنق يسمى الوريد، وفى القلب يسمى الوتين، ويقال هما وريدان تحت الودجين. قال الشاعر:

كان كأن وريديه رشاء حبل

أى: ليف. ومعناه: أن الله تعالى أقرب إليه من كل شىء حتى إنه أقرب إليه من مماته وحياته، وحياة الإنسان بهذا العرق،حتى إذا انقطع لم يبق حيًا .

قوله تعالى: ﴿ إذ يتلقى المتلقيان ﴾ معناه: اذكر يامحمد إذ يتلقى المتلقيان، وهما الملكان. والتلقى: هو القبول والأخذ، فالملك يأخذ عمله ونطقه فيثبته، ومنه قوله تعالى: ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾(٢) أى: أخذ .

وقوله: ﴿ عن اليمين وعن الشمال قعيد ﴾ أى: قاعد،فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر، معناه: عن اليمين قاعد وعن الشمال قاعد. وفى بعض الأخبار: الصماخان مقعد(٣) الملكين، وهما جانبا الفم .

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) البقرة: ٣٧.

(٣) عزاه الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣/٣٥٨) للثعلبى فى تفسيره عن على بن أبى طالب بلفظ: «مقعد مليكك على ثنيتك» وفى رواية أخرى عن معاذ: «إن الله لطف بالملكين الحافظين حتى أجلسهما على الناجذين». رواه أبو نعيم والديلمى كما فى الدر (٦/١٤).

وقوله: ﴿ مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ أى: رقيب حاضر.

قال الحسن: يكتب الملكان كل شيء حتى قوله لجاريته اسقينى الماء، وناولينى نعلى، أو أعطينى ردائى، ويقال: يكتب كل شيء حتى صفيره بشرب الماء .

وفى الخبر برواية أبى أمامة أن النبى ﷺ قال: «ملك اليمين أمير على ملك الشمال، فإذا عمل العبد حسنة كتبها ملك اليمين فى الحال عشرًا، وإذا عمل العبد سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتب، قال له صاحب اليمين: أمسك سبع ساعات، فإن تاب لم يكتب، وإن لم يتب قال: اكتبها واحدة»[١].

واعلم أن ملك اليمين يكتب الحسنات، وملك الشمال يكتب السيئات، واليمين محبوب الله ومختاره، ومنه ما روى عن النبى ﷺ «أنه كان يحب التيامن فى كل شيء، حتى فى ترجله وتنعله وطهوره»[٢] . ومن هذا إذا دخل المسجد يبدأ باليمين ليقدمها إلى موضع الخير، وإذا خرج يبدأ بالشمال ليكون مكث اليمين فى موضع الخير أكثر وإن قَل، وعلى عكس هذا دخول موضع الخلاء والخروج منه.

قوله تعالى: ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ﴾ السكرة هى (الغشية)[٣] والغمرة التى تلحق الإنسان عند القرب من الموت .

وقوله: ﴿ بالحق ﴾ فيه قولان :أحدهما: أن الحق هو نفس السكرة التى هى سكرة الموت، ويقال: الحق هو الله، وفى الموت لقاء الله، فهو معنى قوله: «بالحق» أى: بلقاء الحق. ويقال: هو إشارة إلى الجنة والنار؛ لأنه إذا مات إما أن يدخل الجنة، وإما أن

(١) رواه هناد فى الزهد (٢ / ٤٦٢ رقم ٩٢٠)، والطبرانى فى الكبير (٨ / ١٩١، ٢٤٧ رقم ٧٧٨٧، ٧٩٧١)، وفى مسند الشاميين (١ / ٢٦٩ رقم ٤٦٨)، والبغوى فى تفسيره (٤ / ٢٢٣)، وزاد الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣ / ٣٥٨): البيهقى فى الشعب، وإسحاق بن راهويه، والواحدى فى الوسيط. وزاد السيوطى فى الدر (٦ / ١١٤): ابن مردويه.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة، رواه البخارى (١ / ٣٢٤ رقم ١٦٨، وأطرافه: ٤٢٦، ٥٣٨٠، ٥٨٥٤، ٥٩٢٦)، ومسلم (٣ / ٢٠٥ - ٢٠٦ رقم ٦٢٨).

(٣) فى «ك» :الخشية.

وجاءَتْ كُلُّ نفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ

يدخل النار. وفى الأثر المعروف أن أبا بكر- رضى الله عنه -لما احتضر كانت عائشة عنده فأنشدت:

لعمرك مايغنى الثراء عن الفتى ... إذا حَشْرَجَتْ يومًا وضاق بها الصَّدْرُ

فقال أبو بكر- رضى الله عنه - لاتقولى هذا، ولكن قولى: وجاءت سكرة الحق بالموت» فيقال: إنه زلَّ لسانه، ويقال: هذه قراءته. قالت عائشة: فدعا بصحيفة يستخلف، وكتب وظننت أنه سيستخلف طلحة، وكنت أود ذلك؛ لأن طلحة من أقرباء أبى بكر ،فقال: اللهم إنى لم آل ولم أوال ، فعرفت أنه غير مستخلف إياه.

وقوله: ﴿ذلك ماكنت منه تحيد﴾ أى: تفر وتهرب، ويستحب للمؤمن حب الموت ؛ لأن به يتخلص من الأوزار، ويصل إلى محبوبه إن قدر له خير. وعن بعض السلف : لايكره الموت إلامريب. وإنما كره تمنى الموت بضُرٍّ نزل به على ما فى الخبر. فأما إذا تمنى الموت ليتخلص من الدنيا وفتنها وشوقًا إلى لقاء ربه فهو محبوب.

وقوله: ﴿ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد﴾ أى: يوم وعيد الكفار ووعد المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾ السائق: هو الملك، والشهيد: هو العمل، قاله قتادة ومجاهد والضحاك. ويقال: السائق: ملك السيئات، والشهيد: ملك الحسنات. ويقال: السائق: الشيطان، والشهيد: الملك. وقيل فى الشهيد: إنه الجوارح.

قوله تعالى: ﴿لقد كنت فى غفلة من هذا﴾ يقال: إن هذا فى الكفار؛ لأنهم فى الغفلة من الآخرة على الحقيقة. ويقال: فى كل غافلٍ.

وقوله: ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾أى: كشفنا عنك ماغشيك وغطى سمعك وبصرك وعقلك، حتى لم تسمع ولم تبصر ولم تعقل الحق، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿أسمع بهم وأبصر﴾(١) .

(١) مريم: ٣٨.

كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ

وقوله: ﴿فبصرك اليوم﴾ أى: نافذ، وقيل: شديد. ويقال: بصرك اليوم ﴿حديد﴾ إلى لسان الميزان، ومنه حدة البصر.

قوله تعالى: ﴿وقال قرينه﴾ أى: الملك.

﴿هذا مالدى عتيد﴾ أى: هذا الذى كتبته،وهو عندى ولَدَىّ عتيد أى: معد، ويقال:حاضر.

وقوله: ﴿ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد﴾ فإن قيل: مامعنى قوله :«ألقيا» ومَنْ المخاطب؟ والجواب: أن المخاطب ملك واحد، ولكنه قال: ألقيا على عادة العرب، فإنهم يخاطبون الواحد بخطاب الاثنين .

قال الشاعر:

فإن تَزْجُرَانِى يابنَ عفانَ أَنْزَجِرْ ... وإن تَدَعَانى أَحْمِ عِرضًا مُمنَّعًا .

وقال آخر:

خَلِيلَىَّ مُرَّابِى على أم جندب ... لنقضى حاجات الفؤاد المعذب

ألم ترأنى كلما جئت طارقا ... وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

وأراد بالخليلين الواحد. وكان الحجاج إذا أمر بقتل إنسان قال: ياحرسى اضربا.
وقال المبرد: معنى قوله: ﴿ألقيا﴾ أى: ألق ألق ،فلما ثنى خاطب كما يُخَاطَب اثنان.

عن بعضهم :أنه يقول للملكين حتى يلقياه فى النار.

وقوله: ﴿كل كفار عنيد﴾ أى: معاند، وعن إبراهيم النخعى قال: العنيد: هو الذى يكابر الحق كأنه يُقِرُّ به(١) وينكره.

وقوله: ﴿مناع للخير معتد مريب﴾ أى: ذى عدوان ذى ريبة، والمناع للخير: هو

(١) فى «ك»: له.

﴿فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا﴾

مانع الحقوق والصدقات والزكوات .

وقوله : ﴿ الذى جعل مع الله إلهًا آخر فألقياه فى العذاب الشديد ﴾ أى : عذاب النار . وذكر النحاس فى تفسيره قولا :أن ﴿ قرينه ﴾ فى الآية المتقدمة هو الشيطان . وقوله : ﴿ هذا مالدى عتيد ﴾ أى : هذا عمله وهو حاضر، والذى قلنا : أن المراد به الملك فهو أولى وأليق بقوله : ﴿ هذا ما لدى عتيد ﴾ يعنى : يقول الملك : هذا الذى كتبته عليه، وقد أحضرته . وقال النحاس فى قوله : ﴿ ألقيا فى جهنم ﴾ الأولى خطاب للملكين اللذين أحدهما يسوقه والآخر يشهد عليه، وهما اللذان كتبا الأعمال .

وقوله : ﴿ معتد مريب ﴾ أى : معتد فى سيرته ونطقه وخلقه .

يقال : أرابنى كذا فأنا مريب أى : شاك

قال الشاعر :

بثينة قالت ياجميل أربتنى ... فقلت كلانا يابثين مريب

ويقال فى قوله : ﴿ مناع للخير ﴾ أى : الزكاة المفروضة . وقال الضحاك : الآية وردت فى الوليد بن المغيرة المخزومى .

قوله تعالى : ﴿ قال قرينه ربنا ما أطغيته ﴾ القرين : هاهنا هو الشيطان باتفاق المفسرين . وقوله : ﴿ ربنا ماأطغيته ﴾ أى : ماأضللته .

وقوله : ﴿ ولكن كان فى ضلال بعيد ﴾ أى : وجدته وقد اختار الضلالة لنفسه، وهو معنى قوله تعالى حكاية عن إبليس : ﴿ وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى . . . ﴾[1] الآية .

قوله تعالى : ﴿ قال لاتختصموا لدى ﴾ أى : عندى .

---

(١) إبراهيم : ٢٢ .

وقوله: ﴿ وقد قدمت إليكم بالوعيد ﴾ أى: بعثت الرسل وأنزلت الكتب وبينت الأمر والنهى والوعد والوعيد. فإن قيل: قد قال فى موضع آخر: ﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾[1] [و]قال هاهنا ﴿ لاتختصموا لدى ﴾ فكيف وجه التوفيق؟ والجواب من وجهين: أحدهما: أن للقيامة مواطن ومواقف، فهذا فى موطن. وذلك فى موطن على مابينا.

والوجه الثانى: أن قوله: ﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾[1] للمؤمنين، وقوله: ﴿ لاتختصموا لدى ﴾ للكفار. ويقال: إنه يقول لهم لاتختصموا لدى بعد أن اختصموا، واختصامهم ماذكر فى سورة القصص والصافات.

قوله تعالى: ﴿ مايبدل القول لدى ﴾ أى: لايكذب عندى؛ فإنه لايخفى على حقيقة الأمور وبواطنها. ويقال: «ما يبدل القول لدى» أى: لايبدل قولى: إن السيئة بمثلها، والحسنة بعشر أمثالها.

وقوله: ﴿ وما أنا بظلام للعبيد ﴾ أى: لا أنقص ثواب المحسنين، ولا أزيد فى مجازاة المسيئين.

قوله تعالى: ﴿ يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معنى قوله: ﴿ هل من مزيد ﴾ أى: قد امتلأت، فلا مزيد فىّ، وحقيقته أنك قد وفيت بما وعدت، وملأتنى فلا موضع للزيادة. وهذا مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «وهل ترك لنا عقيل من دار»[2] أى: ما ترك.

والقول الثانى: أن معنى قوله: ﴿ هل من مزيد ﴾ أى: طلب الزيادة بقوله تغيظا على الكفار، وطلباً لزيادة الانتقام. والأول أحسن. وقد ثبت برواية أنس وأبى هريرة أن

---

(١) الزمر: ٣١.

(٢) متفق عليه من حديث أسامة بن زيد، رواه البخارى (٣/ ٥٢٦ رقم ١٥٨٨، وأطرافه: ٣٠٥٨، ٤٢٨٢، ٦٧٦٤)، ومسلم (٩/ ١٧٠ - ١٧٢ رقم ١٣٥١).

الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ

النبى ﷺ قال: «لاتزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط»[1] أى: حسبى.

وهذا الخبر يؤيد القول الثانى، والخبر من المتشابه، وقد بينا وجه الكلام فى المتشابه. وقال بعضهم :أن القول من جهنم هاهنا على طريق المجاز مثل قول الشاعر:

امتلأ الحوضُ وقال قَطْنِى ... مَهلا رويداً قد ملأتَ بَطْنِى

فقوله: قطنى أى: حسبى. ووجه المجاز فيه أنه لما امتلأ الحوض ولم يكن فيه مزيد وكأنه قال: قد امتلأت فحسبى. كذلك فى جهنم ،وهو على توسع الكلام. والأصح أن هذا النطق من جهنم على طريق الحقيقة، وهذا اللائق بمذهب أهل السنة فى الإيمان بتسبيح الجمادات، وما نزل فى ذلك من آى القرآن. وعن الحسن البصرى قال: لو لم يعص الله إلا رجل واحد لملأ الله منه جهنم يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ أى: قربت.

وفى الآثار: أن الناس إذا بعثوا من قبورهم رأوا الجنة والنار على قرب منهم. وقيل إن الجنة والنار يعرضان على المؤمنين والكفار قبل دخولهم فيهما.

وقوله: ﴿هذا ماتوعدون لكل أواب حفيظ﴾ الأواب هو الذى اعتاد الرجوع إلى الله تعالى فى كل أموره. والحفيظ هو الذى يحفظ الأمر والنهى. وعن بعضهم: أن الأواب هو المسبح.

وعن بعضهم: أنه الكثير الصلاة.

وعن بعضهم: أنه الدعاء.

---

(١) متفق عليه من حديث أنس وأبى هريرة. فحديث أنس، رواه البخارى (٨/ ٤٦٠ رقم ٤٨٤٨، وطرفاه: ٦٦٦١، ٧٣٨٤)، ومسلم (١٧/ ٢٦٨ - ٢٦٩ رقم ٢٨٤٨). وحديث أبى هريرة، رواه البخارى (٨/ ٤٦٠ رقم ٤٨٤٩، وطرفاه: ٤٨٥٠، ٧٤٤٩)، ومسلم (١٧/ ٢٦٤ - ٢٦٦ رقم ٢٨٤٦).

الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا

وعن بعضهم: أنه الذى يحفظ قوله وفعله فى مجلسه، فإذا أراد أن[يقوم][1] قال: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

ويقال: حفيظ أى: حافظ لعهد الله.

قوله تعالى: ﴿من خشى الرحمن بالغيب﴾ إنما قال بالغيب؛لأنهم آمنوا بالبعث والجنة والنار والثواب والعقاب، وذلك كله غيب.

وقوله: ﴿وجاء بقلب منيب﴾المنيب قد بينا معناه فيما سبق، والرجل هو المنيب؛ لكنه أضاف إلى القلب؛لأن الأكثر من أعمال الإيمان يعمله المؤمن بقلبه.

وقوله: ﴿ادخلوها بسلام﴾ يقال: إن الله تعالى يقول ذلك، ويقال: الملك يقولها.

وقوله: ﴿بسلام﴾ أى: بسلامةٍ.

وقوله: ﴿ذلك يوم الخلود﴾ هو الخلود فى الجنة والنار.

وقوله: ﴿لهم مايشاءون فيها﴾ أى: مايشتهون فيها.

قوله: ﴿ولدينا مزيد﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المزيد هو مالم يخطر ببالهم، ولم تصل [إليه][2] شهوتهم وإرادتهم. والآخر: أنه النظر إلى الله تعالى.

وقوله: ﴿وكم أهلكنا قلبهم من قرن﴾ قد بينا معنى القرن، والأصح أنه أقصى مدة عمر كل قوم فى عمرهم؛ فقرن نوح على ما كان فى زمانه، وقرن إبراهيم على ماكان فى زمانه، وكذا إلى زمانا، فعلى هذا قوله: «من قرن» أى: من أهل قرن.

وقوله: ﴿هم أشد منهم بطشا﴾ أى: قوة.

وقوله: ﴿فنقبوا فى البلاد﴾ أى: طوفوا وساروا.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) فى "الأصل وك" :إليهم.

فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ

قال امرؤ القيس .

وقد نقبتُ فى البلدان حتى رضيتُ من الغنيمة بالإياب

﴿ [هل من محيص][(١)] إن فى ذلك لذكرى ﴾ أى : موعظة وتذكير .

وقوله : ﴿ لمن كان له قلب ﴾ أى : عقل . يقول الإنسان لغيره : مالك من قلب أى : مالك من عقل، ويقول : أين قلبك أى : أين عقلك .

وعند بعض العلماء أن محل العقل هو القلب بدليل هذه الآية . وعن بعضهم :أن محله الدماغ . يقال : فلان خفيف الدماغ أى : خفيف العقل .

وقوله : ﴿ أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ أى : استمع بأذنه وهو حاضر بفؤاده، يقول الإنسان لغيره : ألق سمعك وارعنى سمعك أى : استمع إلىّ، والمعنى : أنه يستمع، ولايشغل قلبه بما يمنعه من السماع .

قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض ومابينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ أى : إعياء ونَصَب، وهو رد لما قالته اليهود أن الله تعالى خلق السموات والأرض فى ستة أيام واستراح يوم السبت .

قوله تعالى : ﴿ فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك ﴾ أى : صل حامداً لربك .

وقوله : ﴿ قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾ قبل طلوع الشمس هو صلاة الصبح . وقبل الغروب هو الظهر والعصر .

وقوله : ﴿ ومن الليل فسبحه ﴾ هو المغرب والعشاء .

---

(١) من « ك » .

من مَكانٍ قريبٍ ﴿٤١﴾ يومْ يسْمعُون الصّيْحة بالْحقّ ذلك يوْمُ الْخُرُوج ﴿٤٢﴾ إنّا نحْنُ نُحْيِي ونُميتُ وإليْنا الْمصيرُ ﴿٤٣﴾ يوْم تشقّقُ الأرْضُ عنْهُمْ سراعًا ذلك حشْرٌ عليْنا

وقوله: ﴿ وأدبار السجود ﴾ القول المعروف أنه الركعتان بعد المغرب، ورد القرآن به لزيادة التأكيد والندب إليه، وهو قول علي وأبي هريرة. وقيل: إنه جميع النوافل بعد الفرائض. وقيل: إنه الوتر؛ لأنه آخر مايفعله الإنسان عند فراغه من الصلوات، وقد ذكرنا الخبر فيما جرى من الرؤية، وقوله عليه الصلاة والسلام في آخر ذلك الخبر: «فإن استطعتم أن [لا](١) تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وعلى صلاة قبل غروبها فافعلوا»(٢) وقرأ هذه الآية .

قوله تعالى: ﴿ واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب ﴾ القول المعروف أنه إسرافيل - عليه السلام - ينادي الناس على صخرة بيت المقدس، فيقول: أيتها العظام البالية، والجلود المتمزقة، والأجساد المتفرقة، والأوصال المتقطعة، ارجعي إلى ربك، وقيل بلفظ آخر.

وفي الآية قول آخر: وهو أن قوله: ﴿ من مكان قريب ﴾ أي: من تحت أقدامهم. ويقال في صماخ آذانهم، وقيل: إن هذا النداء هو النفخة الأولى بهلاك الناس .

وقوله تعالى: ﴿ يوم يسمعون الصيحة بالحق ﴾ هو النفخة الثانية، والأصح أن [كليهما](٣) واحد، وذكره بلفظين .

وقوله: ﴿ ذلك يوم الخروج ﴾ أي: من القبور لحساب الأعمال ودخول الجنة والنار .

قوله تعالى: ﴿ إنانحن نحيي ونميت وإلينا المصير ﴾ أي: المرجع .

قوله تعالى: ﴿ يوم تشقق الأرض عنهم سراعًا ﴾ أي: لايلبثون بعد سماع الصيحة، والمعنى: أنهم إذا سمعوا الصيحة تشققت عنهم الأرض، وخرجوا من غير

---

(١) سقط من الأصل .

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) في الأصل ،وك : وكلاهما . والمثبت هو الصواب .

يسير ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

لبث ولا زمان .

قوله : ﴿ ذلك حشر علينا يسير ﴾ هو جواب لقولهم في أول السورة ذلك رجع بعيد .

قوله تعالى : ﴿ نحن أعلم بما يقولون ﴾ أى : بما يقولون من الشرك والكذب على الله وعلى رسوله .

وقوله : ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ أى : بمسلط ، وهو مثل قوله تعالى : ﴿ لست عليهم بمسيطر ﴾(١) والجبار فى صفات الله محمود ، وفى صفات الخلق مذموم ، وكذلك المتكبر ؛ لأن الخلق أمروا بالتواضع والخشوع والخضوع ولين الجانب وخفض الجناح ، وأما الرب - جل جلاله - فيليق به الجبروت والكبرياء : لأنه المتعالى عن إدراك الخلق ، القاهر لهم فى كل مايريده ، ولم يصفه أحد حق صفته ، ولاعظمه أحد حق تعظيمه ، ولاعرفه أحد حق معرفته . وقد قيل : إن الجبار فى اللغة هو القتال ، وهو فى معنى قوله تعالى فى قصة موسى عليه السلام ﴿ إن تريد إلا أن تكون جبارًا فى الأرض ﴾(٢) أى : قتالا .

وقال بعضهم : إن الآية منسوخة ، وهى قبل نزول آية السيف ، نسختها آية السيف . وفى بعض التفاسير : أن قوله : ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾(٣) نسخت سبعين آية من القرآن .

وقوله : ﴿ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ أى : عظ بالقرآن من يخافنى . فإن قيل : أليس يوعظ بالقرآن الكافر والمؤمن جميعًا ، فكيف معنى قوله : ﴿ من يخاف وعيد ﴾ . والكافر لايخاف وعيد الله ؟ والجواب : أنه لما لم ينتفع بالقرآن إلا المؤمن فكأنه لم يخوف بالقرآن إلا المؤمنون ، والله أعلم .

---

(١) الغاشية : ٢٢ .

(٢) القصص : ١٩ .

(٣) التوبة : ٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَات

تفسير سورة الذاريات

وهى مكية فى قول الجميع

قوله تعالى: ﴿والذاريات ذروا﴾ وروى أبو الطفيل أن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - خطب وقال: سلونى، فوالله لاتسألونى عن شىء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به، سلونى عن كتاب الله، مامن آية نزلت إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار، فى سهل أم فى جبل، وفيم أنزلت، فقام ابن الكوا وقال: ما الذاريات ذرواً فالحاملات وقراً فالجاريات يسراً فالمقسمات أمراً؟ فقال على - رضى الله عنه - سل تفقهاً، ولاتسأل تعنتًا، «والذاريات ذرواً» هى الرياح، «فالحاملات وقراً» هى السحاب، «فالجاريات يسراً» هى السفن، «فالمقسمات أمراً» هى الملائكة، ومثل هذا عن ابن عباس، وعلى هذا أكثر المفسرين .

فقوله: ﴿والذاريات﴾ هى من ذرت الريح التراب وأذرته إذا فرقته، ويقال: إن الذاريات هى النساء الحوامل تذرين الأولاد، والأول هو المختار .

وقوله: ﴿فالحاملات وقرا﴾ قيل: إنها الرياح تحمل السحاب، والوقر هو السحاب .

وقوله: ﴿فالجاريات يسراً﴾ يقال: إنها الرياح أيضا تجرى بسهولة ويسر، ويقال ﴿فالجاريات يسراً﴾ هى: الكواكب السبعة: الشمس، والقمر، والمشترى، وعطارد، والزهرة، وبهرام، وزحل، والقول الأول هو المختار .

وقوله: ﴿فالمقسمات أمراً﴾ يقال: إنها الرياح أيضًا. ومعنى قسمة الأمر: أن الرياح تقسم المطر فتَصُب البعض ولاتصب البعض، والقول الأول هو المختار، والمعنى من الملائكة هم أربعة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل؛ فجبريل على الوحى والعذاب، وميكائيل على الرزق والمطر والرياح، وإسرافيل على الصور، وعزرائيل على قبض الأرواح، وقال الأعشى فى وصف السحاب .

أمرا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾

كـأن مشيتهـا من بيت جارتها مشى السحاب لاريث ولاعجل

وقوله: ﴿إنما توعدون لصادق﴾ قال مجاهد معناه: أن القيامة كائنة .

وقوله: ﴿لصادق﴾ أي: ذو صدق، وكذلك قالوا في قوله: ﴿في عيشة راضية﴾(١) أي: ذات رضا، ويقال: سمى الوعد صادقًا؛ لأن الصدق يقع عليه، كما يقال: ليل نائم، وخبر كاذب، وسر كاتم، وماأشبه ذلك .

وقوله: ﴿وإن الدين لواقع﴾ قال قتادة: إن الجزاء لواقع. قال لبيد شعرًا:

قوم يدينون بالنوعين مثلهما بالسوء سوءًا وبالإحسان إحسانا

يعني: يجازون. فإن قيل: مامعنى القسم بالرياح والسفن والسحاب وما أشبه ذلك؟ فكيف يقسم الله بخلقه؟ والجواب معناه: ورب الذاريات، ورب الحاملات والجاريات. ويقال: إن قسمه بالشيء يدل على جلالة ذلك وعظم منفعة العباد به. وقيل: التقدير: أقسم بالذاريات .

قوله تعالى: ﴿والسماء ذات الحبك﴾ قال عكرمة: ذات الخلق الحسن، وقيل: ذات التأليف، المحكم: ويقال ذات الطرائق في الرمل والماء إذا ضربتها الرياح حبائك، ويقال: الحبك هو بهاؤها واستواؤها، ويقال: شدتها وإحكامها، قال الشاعر:

مكلل بأصول النبت تنسجه ريح خـريق مايـد حبـك

وقال أبو كثير الهذلي:

ممن حملن به وهن عـواقد حبك النطاق تشب غير مهبل

وعن الحسن البصري: والسماء ذات الحبك أي: النجوم .

وقوله: ﴿إنكم لفي قول مختلف﴾ يعني: مصدق ومكذب، ويقال معناه: أن

(١) الحاقة: ٢١، والقارعة: ٧.

يؤفك عنه من أفك ﴿٩﴾ قتل الخراصون ﴿١٠﴾ الذين هم في غمرة ساهون ﴿١١﴾

بعضهم يقول: هو ساحر، وبعضهم يقول: شاعر، وبعضهم يقول: مجنون، وعلى هذا وقع القسم، وقيل: ﴿إنكم لفى قول مختلف﴾ أى: مناقض، ذكره القفال الشاشى. ومعنى التناقض فى هذا: أنهم أقروا بالنشأة الأولى، وأنكروا النشأة الأخرى، وهذا تناقض؛ لأن من قدر على النشأة الأولى فهو على النشأة الأخرى أقدر.

وقوله: ﴿يؤفك عنه من أفك﴾ أى: يصرف عنه من صرف، وقيل: يصرف عن الإقرار به من صرف عنه فى علم الله وحكمه، ويقال: من صرف عن هذا الخير فقد صرف عن الخير كله، كما يقال: من حرم عن كذا فقد حرم. وفى التفسير: أن أمر النبى ﷺ لما انتشر فى قبائل العرب جعلوا يبعثون الواحد والاثنين يسألون عن خبره، فكان المشركون فى أيام الموسم يبعثون الناس فى الطرقات حتى إذا جاء السائل. [وسألهم](١) عن محمد ﷺ قالوا: هو مجنون كذاب، وذكروا أمثال هذا، [وكانوا](٢) يرجعون قبل أن يلقوه، ويقولون: قومه أعلم به.

وقوله: ﴿قتل الخراصون﴾ أى: لُعنَ الكذابون، وهذا هو المتفق عليه من أهل التفسير. وعن بعضهم: أنه لايعرف قُتلَ بمعنى لُعنَ فى اللغة، ومعناه: أن الخراصين قد أتوا بما يستحقون [به](٣) القتل، ولعنة الله إياهم إهلاك لهم، فهو قتلهم. والخارص هو الذى يقول بالحدس والظن.

وقوله: ﴿الذين هم فى غمرة ساهون﴾ قال السدى: فى غفلة لاهون، ويقال: فى حيرة وعمى، وقيل: فى شك وجهالة، كأن الجهل والعمى غمر حالهم، ومنه الماء الغمر إذا كان يغطى من ينزل فيه. ويقال: ساهون يتمادون يعنى: أن الشك والضلالة يتمادى بهم.

---

(١) من «ك»، وفى «الأصل»: وسألوهم.

(٢) من «ك»، وفى «الأصل»: وكان.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾

وقوله: ﴿ يسألون أيان يوم الدين ﴾ أى: متى يوم الجزاء، وكانوا يسألون عن ذلك تعنتًا وتكذيبا .

وقوله: ﴿ يوم هم على النار يفتنون ﴾ أى: يعذبون. قال أبوعبيدة: يحرقون، وذكره القتيبى وغيره. ويقال: يفتنون أى: يدخلون النار، ومنه فتنت الذهب، وقد بينا من قبل.

وقوله: ﴿ ذوقوا فتنتكم ﴾ أى: عذابكم.

وقوله: ﴿ هذا الذى كنتم به تستعجلون ﴾ ومعنى استعجالهم: أنهم كانوا يقولون متى يوم الدين، متى يوم الحساب، متى يوم القيامة، والمراد من الآية أنه يقال لهم ذلك.

قوله تعالى: ﴿ إن المتقين فى جنات وعيون ﴾ أى: بساتين وأنهار.

وقوله: ﴿ آخذين ما آتاهم ربهم ﴾ أى: آخذين ماأعطاهم ربهم، ومعنى الأخذ هو دخولهم الجنة ووصولهم إلى ماوعدوا من الثواب.

وقوله: ﴿ إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ﴾ أى: من قبل أن ينالوا مانالوا محسنين فى الدنيا. ومعنى الإحسان هاهنا هو طاعة الله تعالى، ثم فسر فقال: ﴿ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ﴾ قال إبراهيم النخعى: كانوا يقومون أكثر الليل. وعن الضحاك أن قوله: ﴿ قليلا ﴾ يقع على الناس، ومعناه: أن قليلا من الناس كانوا لايهجعون. وعن سعيد بن جبير أن معناه: قلما مرت عليهم ليلة لم يصلوا فيها. وقال الحسن البصرى: مدوا الصلاة إلى السحر، ثم استغفروا الله. وعن أنس بن مالك معناه: كانوا يصلون بين العشاء والعتمة، وهذا أثر مسند. ويقال: إنه فى أهل قباء كانوا يفعلون ذلك. وعن بعضهم أن معناه: كانوا لاينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة.

وبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وفي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ والْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وفي

وقوله: ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الاستغفار نفسه، والآخر أن معناه: الصلاة. وقد كان قيام الليل من دأب أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين من بعد. روى عن العباس بن عبد المطلب وكان جارا لعمر - رضى الله عنهما - قال: عجبًا لعمر نهاره صيام وحوائج الناس، وليله قيام. وعن على - رضى الله عنه - أنه كان يصلى أكثر الليل. وعن عثمان أنه كان يحيى الليل بركعة، وهى وتره. وعن ابن عمر أنه كان لاينام من الليل إلا القليل. وعن شداد بن أوس أنه كان إذا مال إلى فراشة يكون كالحية على المقلاة، ثم يقول: إن النار منعتنى النوم، ثم يقوم فيصلى حتى يصبح. وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص معروف «أنه كان يقوم الليل ويصوم النهار إلى أن سهَّل عليه رسول الله ﷺ بعض ذلك»(١).

وقوله: ﴿ وفى أموالهم حق ﴾ يقال: إنه الزكاة المفروضة، ويقال: ماسوى الزكاة من الحقوق، وذلك أن يحمل كَلا، أو يصل رحمًا، أو يعطى فى نائبة، أو يعين ضعيفًا.

وقوله: ﴿ للسائل ﴾ هو الطوَّاف على الأبواب. ويقال: كل من سأل.

وقوله: ﴿ والمحروم ﴾ فيه أقوال: قال ابن عباس: هو المحارَف، وهو الذى لايتيسر له كسب ولامعيشة. وعن بعضهم: هو الذى لاسهم له من الغنيمة، وقد ضعف هذا القول؛ لأن السورة مكية، والغنائم كانت بعد الهجرة.

ويقال: المحروم هو الذى لايسأل الناس، ولايفطن له فيعطى.

وعن الحسن بن محمد الحنفية: هو الذى أصابته (الجائحة)(٢) فى ماله، وهذا قول حسن يشهد له قوله تعالى فى سورة «ن» ﴿ فلما رأوها قالوا إنا لضالون بل نحن محرومون ﴾(٣) وكان قد هلك مالهم بالجائحة. ويقال: المحروم هو الكلب، ذكره النقاش فى تفسيره، ورواه عن محمد بن على بن الحسين، وعمر بن عبد العزيز. روى

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى «ك»: الحاجة.

(٣) ن: ٢٦ - ٢٧.

الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ

أن عمر بن عبد العزيز كان يأكل وثَمَّ كلب، فأمر أن يلقى له الطعام، وقال: إنى إخال أنه المحروم .

وقوله: ﴿وفى الأرض آيات للموقنين﴾ أى: دلالات وعبر .

وقوله: ﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾ قال عبد الله بن الزبير معناه: سبيل الخلاء والبول. ويقال: مايدخل فى جوفه ومايخرج منه. والأولى أن يقال: هو سائر الآيات التى فى النفس مما يدل على أن لها خالقًا وصانعًا.

وقوله: ﴿وفى السماء رزقكم﴾ أى: المطر، ويقال: إن مع كل قطرة مكتوب رزق فلان.

وقوله: ﴿وماتوعدون﴾ قال عطاء: الثواب والعقاب.

وقال الكلبى: الخير والشر. والمعروف أنه الجنة؛ لأنها فى السماء عند سدرة المنتهى، كما قال تعالى: ﴿عندها جنة المأوى﴾(١) وعن سعيد بن جبير قال: ﴿وفى السماء رزقكم﴾ الثلج، وكل ما نزل من السماء فهو مذاب من الثلج.

وعن بعضهم: أنه يحتمل «وفى السماء رزقكم» أى: تقدير رزقكم.

وقوله: ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق﴾ يعنى: أن الوعد حق، وما ذكرت أن فى السماء رزقكم وماتوعدون حق. وقال الكلبى: إنه لحق يعنى: ما سبق من أول السورة إلى هذا الموضع .

وقوله: ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾ روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ويل لقوم يقسم لهم ربهم ثم لايصدقونه» رواه الحسن مرسلا(٢) . ومعنى قوله: ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾ يعنى: أنه حق مثل نطقكم، كما يقول القائل لغيره: إنه لحق كما أنك

---

(١) النجم: ١٥.

(٢) رواه ابن جرير (٢٦/١٢٧)، وابن أبى حاتم كما فى الدر (٦/١٢٦).

أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾

هاهنا، أو كما أنك تتكلم .

قوله تعالى : ﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ﴾ قد ذكرنا هذا من قبل، وإكرامه إياهم هو خدمتهم بنفسه . وقد ثبت برواية أبى شريح الخزاعى وغيره أن النبى ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله اليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت »[1] .

قال رضى الله عنه : أخبرنا أبو على الشافعى بمكة، أخبرنا ابن فراس، أخبرنا أبو محمد المقرئ، أخبرنا جدى محمد بن عبدالله بن يزيد، عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن نافع بن جبير، عن [أبى][2] شريح، عن النبى ﷺ الحديث .

والكرامة إياهم هو تعجيل الطعام .

وقوله : ﴿ إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما ﴾ وقرئ : « فقالوا سلْما » فمعنى قوله : ﴿ سلاماً ﴾ أى : سلموا سلاماً، ومعنى قوله : « سلْما » أى : عن سلم .

وقوله : ﴿ قال سلام ﴾ هو جواب سلامهم .

وقوله : ﴿ قوم منكرون ﴾ إنما قال ذلك لأنه أنكر هيئتهم، ولم يكن رآهم من قبل .

قال الشاعر :

فَأَنْكَرَتْنى وما كان الذى (نَكِرَتْ)[3] من الحوادث إلا الشَّيْبَ والصَّلَعا

ويقال : ﴿ قوم منكرون ﴾ أى : يخافون، يقال : أنكرتُ فلانا إذا خفته .

وقوله : ﴿ فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين ﴾ فى القصة : أن أكثر أموال إبراهيم

(١) تقدم تخريجه .

(١) ليست فى « الأصل » ولا « ك » . وهو أبو شريح الخزاعى الكعبى، واسمه خويلد بن عمرو، وقيل : عمرو بن خويلد، وقيل غير ذلك، وهو من رجال التهذيب، انظر ترجمته فى الإصابة (٤ / ١٠١ - ١٠٢) .

(٣) فى « ك » : يكون .

فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا

كان هو البقر، وكان يسمى أبا الضيفان، ويقال: كان يمشى ميلا وميلين فى طلب (الضيف)[1]، فكان لايأكل إلا مع الضيف .

وقوله: ﴿ فراغ ﴾ أى: ذهب خفية .

وقوله: ﴿ فقربه إليهم قال ألا تأكلون ﴾ فى الآية حذف، وتقديره: فقربه إليهم فلم يأكلوا قال ألا تأكلون. وفى القصة: أن إبراهيم - عليه السلام - كان إذا قعد مع الضيف نكس رأسه، وجعل يأكل ولاينظر إلى الضيف، ففعل مثل ذلك مع الملائكة، وهم أربع: جبريل، وميكائيل، وروبيل، وملك آخر، فقالت سارة: ارفع رأسك فإنهم لايأكلون، فرفع رأسه وقال: ألا تأكلون.

قوله تعالى: ﴿ فأوجس منهم خيفة ﴾ أى: دخل فى نفسه منهم خيفة. وفى التفسير: أن السبب فى ذلك أن الرجل كان إذا طرقه ضيف (فقدم)[2] إليه شيئًا وأكله أمن منه، وإن لم يأكل خاف شره .

وقوله: ﴿ قالوا لاتخف ﴾ يعنى: نحن ملائكة الله فلا تخف .

وقوله: ﴿ وبشروه بغلام عليم ﴾ أجمع المفسرون على أنه إسحاق عليه السلام .

قوله تعالى: ﴿ فأقبلت امرأته فى صرة ﴾ أى: صيحة، كأنها ولولت مثل ما تفعل النساء، ويقال: فى صرة هو حكاية صوتها فى الضحك، وقد قال فى موضع آخر: ﴿ فضحكت ﴾ [3] وهو مثل: صرير الباب، وخرير الماء، والقهقهة غير ذلك، فالقهقهة أخذت من حكاية صوت الضاحك.

وقوله: ﴿ فصكت وجهها ﴾ أى: ضربت وجهها مثل ما تفعل النساء.

وقوله: ﴿ وقالت عجوز عقيم ﴾ وإنما فعلت ذلك؛ لأنها أنكرت ولادتها غلامًا وقد

---

(١) فى «ك»: الضيفان.

(٢) فى «ك»: يقدم. (٣) هود: ٧١ .

كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا

صارت عجوزا عقيماً، وقد ذكرنا سنها، أنها كانت بنت تسع وتسعين سنة.

وقوله: ﴿قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم﴾ أى: الحكيم فيما يدبر، العليم بأمور خلقه.

قوله تعالى: ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون﴾ أى: ما شأنكم؟ ولأى شيء أرسلتم؟

قوله تعالى: ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ أى: كافرين، وقيل: ذوى جرم.

وقوله: ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة﴾ أى: معلمة، ويقال: العلامات هى الخواتيم على الأحجار، وقيل: كان اسم كل من يهلك بذلك الحجر من الكفار مكتوبًا على ذلك الحجر. وعن ابن عباس قال: ﴿مسومة﴾ أى: حمرة فى بياض. ويقال: مخططة.

وقوله: ﴿عند ربك للمسرفين﴾ أى: المشركين، وهم الذين أسرفوا فى المعاصى، وكل مشرك مسرف فى المعصية. فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿حجارة من طين﴾ وكيف تكون الحجارة من طين؟ والجواب من وجوه: أحدها: أنه كان فى الأصل طينا فاستحجر بشروق الشمس عليه.

والثانى: أنه كان مطبوخًا من طين كما يطبخ الآجر.

والثالث: أن قوله: ﴿حجارة من طين﴾ ذكر الطين هاهنا لكى يعلم أنه لم يرد به البرد، والعرب تسمى البرد النازل من السماء حجارة.

وقوله تعالى: ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ فيه دليل لمن قال: إن الإسلام والإيمان واحد، وقد بينا من قبل. وعن

غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

قتادة أنه قال: لو كان فى قريات لوط بيت من المسلمين غير بيت لوط لم يهلكهم الله تعالى؛ ليعرف قدر الإيمان عند الله تعالى. واختلف القول أنه هل كان آمن بلوط عليه السلام أحد. فأحد القولين: أنه كان آمن به بضع [عشرة](١) نفساً.

والقول الثانى: أنه لم يكن آمن به أحد إلا ابنتاه.

قوله تعالى: ﴿وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم﴾ أى: عبرة، والعبرة فى قريات لوط بينة لمن مر بها، فإنها أرض سوداء (مبيئة)(٢). ويقال: معنى الآية المذكورة فى قريات لوط هو مابقى من الحجارة فيها.

وفى القصة عن ابن عباس: أن جبريل - عليه السلام - أدخل جناحه تحت الأرض السابعة، واقتلع مدائن قوم لوط من أصلها، ورفعها حتى بلغ بها السماء الدنيا، وحتى تسمع أهل السماء الدنيا نباح الكلاب وصوت الديكة منها، ثم قلبها وأرسل الله تعالى حجارة على مابينا، ويقال: أرسل الحجارة على الشذاذ والمسافرين منهم حتى أهلكهم كلهم.

وفى القصة أيضا: أن إبراهيم - عليه السلام - أصبح جالساً فى مسجده بعد أن ذهبت الملائكة - مكثوا عند إبراهيم عليه السلام حتى قالوا قيلولة، ثم راحوا إلى مدائن لوط، وكان بين قرية إبراهيم ومدائن لوط أربعة فراسخ - فلما أصبح إبراهيم رأى دخاناً ساطعاً فى السماء من مدائن لوط، فعرف أنهم قد عذبوا.

قوله: ﴿وفى موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين﴾ أى: وفى إرسال موسى آية وعبرة.

وقوله: ﴿بسلطان مبين﴾ أى: بحجة بينة.

---

(١) فى «الأصل، وك»: عشر، والصواب ما أثبتناه.

(٢) فى «ك»: مبنية.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فتولى بركنه﴾ قال ابن عباس: بجمعه وجنوده. وعن قتادة: بقوته فى نفسه. وعن بعضهم: برهطه الذين يتقوى بهم. وركن الشيء مايتقوى به الشيء، ومنه قوله تعالى مخبراً عن لوط عليه السلام ﴿أو آوى إلى ركن شديد﴾[1] أى: إلى رهط وقوم أتقوى بهم، وكذلك هاهنا أيضا معناه: أعرض معتمداً على رهطه وقومه الذين يتقوى بهم، وقيل: تولى بركنه أى: نأى بجانبه.

وقوله: ﴿وقال ساحر أو مجنون﴾ قال أهل العلم: هذا تناقض؛ لأن السحر لايكون إلا بعقل كامل، والمجنون هو الذى لاعقل له.

قوله تعالى: ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم﴾ أى: (طرحناهم)[2] وألقيناهم فى البحر.

وقوله: ﴿وهو مليم﴾ يقال: ألام الرجل فهو مليم، إذا أتى بما يلام عليه .

قوله تعالى: ﴿وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ الريح العقيم هى الريح التى لاخير فيها أصلا، كأنها لا تلقح شجرا، ولاتثير سحابا، ولا تأتى بمطر. وفى بعض التفاسير: أن الريح العقيم ريح محبوسة تحت الأرض السابعة أرسل منها على مقدار منخر ثور، حتى أهلكت عاداً ودمرتهم، ثم ردها إلى موضع حبسها. وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور»[3].

وعن سعيد بن المسيب والزهرى: أنهم أهلكوا بالجنوب، فقيل لسعيد: إن الجنوب تأتى بالرحمة، فقال: إن الله يصرفها كيف يشاء.

وعن على - رضى الله عنه - أنه قال: الريح العقيم هى النكباء.

---

(١) هود: ٨٠.

(٢) فى «ك»: خرجناهم.

(٣) تقدم تخريجه.

ما تذرُ من شيْءٍ أَتَتْ عليْه إلاَّ جعلَتْهُ كالرَّميم ﴿٤٢﴾ وَفي ثمُود إذْ قيلَ لَهُمْ تمتَّعُوا حَتَّىٰ حين ﴿٤٣﴾ فعتوْا عنْ أمْر ربِّهمْ فأَخذتْهُمُ الصَّاعقةُ وَهُمْ ينظُرُون ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا من قيَامٍ ومَا كَانُوا مُنتصرين ﴿٤٥﴾ وَقوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قوْمًا فَاسقين ﴿٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿ماتذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾ قال السدى: كالتراب. وعن مؤرج قال: كالرماد بلغة حضرموت. ويقال: كالعظم البالى المنسحق ومنه الرمة. ويقال كالنبت الذى يبس وديس بالرجل.

قوله تعالى: ﴿وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ أى: إلى ثلاثة أيام، وقد بينا هذا من قبل.

قوله تعالى: ﴿فعتوا عن أمر ربهم﴾ أى: عصوا، ويقال: خالفوا أمر ربهم.

وقوله: ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ وقرئ: «الصعقة» وهما بمعنى واحد، ويقال: الصعقة الصيحة، والصاعقة فاعلة من الصعقة.

وقوله: ﴿وهم ينظرون﴾ أى: نهاراً جهاراً، وهم يرون نزول العذاب، ومعناه: أنه لم يكن بليل وهم نيام لم يشعروا به.

قوله تعالى: ﴿فما استطاعوا من قيام﴾ أى: وقعوا وقوعًا لم يستطيعوا بعده القيام. ويقال: لم يستطيعوا أن يدفعوا عن أنفسهم العذاب أى: أن يقوموا بالدفع. يقول الرجل: أنا لا أستطيع أن أقوم بهذا الأمر أى: لا أستطيع دفع هذا الأمر عن نفسى.

وقوله: ﴿وما كانوا منتصرين﴾ أى: ممتنعين من نزول العذاب بهم.

قوله تعالى: ﴿وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قومًا فاسقين﴾ أى: خارجين عن طاعة الله تعالى.

وقوله: ﴿من قبل﴾ أى: من قبل عاد وثمود، أهلكناهم كما أهلكنا عاداً وثمود.

قوله تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ أى: بقوة وقدرة.

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ

وقوله: ﴿ وإنا لموسعون ﴾ قال مجاهد: معناه يسع قدرتنا أن تخلق سماءً مثلها، ويقال: ﴿ وإنا لموسعون ﴾ أى: فى وسعنا خلق ماهو أحكم وأرفع من هذه السماء التى ترونها، وحقيقة المعنى: أن هذا الذى خلقنا ليس هو جهد قدرتنا، فإن فى وسعنا أن نخلق أمثال هذا وأضعافه. ويقال: وإنا لموسعون أى: فى رزق العباد. ويقال: فى تدبير أمر العباد.

قوله تعالى: ﴿ والأرض فرشناها ﴾ أى: بسطناها. وفى تفسير النقاش: أنها مسيرة خمسمائة عام.

وقوله: ﴿ فنعم الماهدون ﴾ أى: الباسطون، والمعنى: أنا بسطنا الأرض على الهيئة التى يستقر عليها العباد، ولاتنكفئ بهم على مايبسط الإنسان فرشًا يمهد به لغيره موضع استقرار وسكون .

قوله تعالى: ﴿ ومن كل شىء خلقنا زوجين ﴾ أى: صنفين. ويقال: معناه زوجين زوجين، وذلك مثل: السماء والأرض، والليل والنهار، والنور والظلمة، والذكر والأنثى، والبر والبحر، وعن مجاهد قال: الكفر والإيمان، والشقاوة والسعادة، والهدى والضلالة. وعن الكلبى قال: السماء والأرض زوج، والليل والنهار زوج، والشمس والقمر زوج، وعدَّ به أشياء من ذلك، ثم قال: والله هو الوتر. وروى حذيفة عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله خالق كل شىء، صانع وصنعته»(١).

وفى بعض الأخبار أيضًا عن النبى ﷺ مخبرا عن الله تعالى: «لا إله إلا أنا،

(١) رواه البخارى فى خلق أفعال العباد (٧٣)، والبزار (٢/١٥٣ رقم ١٦٠٣ - مختصر الزوائد)، وابن أبى عاصم فى السنة (١/١٥٨ رقم ٣٥٧، ٣٥٨)، والحاكم (١/٣١) وصححه على شرط مسلم، وابن عدى فى الكامل (٦/٢٠) عن حذيفة به. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/٢٠٠): رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن عبد الله الكردى، وهو ثقة. وقال الحافظ ابن حجر فى تلخيص الزوائد: رواه البخارى فى كتاب خلق الأفعال ... وإسناده صحيح.

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾

خلقت الشر، وخلقت من يجرى على يده الشر، فويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يده، وخلقت الخير، وخلقت من يجرى الخير على يده، فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يده»(١) وذكر النقاش فى تفسيره برواية سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله خلق الإيمان وحفه بالسماحة والحياء، وخلق الكفر وحفه بالشح والجفاء»(٢).

وفى بعض الأخبار أيضًا: أن الله خلق الرفق فلو رأيته رأيت شيئًا حسنًا، وخلق الخرق فلو رأيته رأيت شيئًا قبيحا.

وقوله: ﴿لعلكم تذكرون﴾ أى: تتعظون .

قوله تعالى: ﴿ففروا إلى الله﴾ أى: من معصيته إلى طاعته، ويقال: من سخطه إلى رحمته، ومن عقابه إلى عفوه .

وقوله: ﴿إنى لكم منه نذير مبين﴾ قد بينا من قبل.

قوله تعالى ﴿ولاتجعلوا مع الله إلهًا آخر إنى لكم منه نذير مبين﴾ الآية. قد بينا.

قوله تعالى: ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾ ظاهر المعنى، وهذا تسلية للنبى ﷺ أى: كما قيل لك فقد قيل لمن قبلك من الرسل.

---

(١) عزاه فى الكنز (١/١٢٤ رقم ٥٨٧) لابن النجار، عن أبى أمامة.

(٢) رواه الجوزقانى فى الأباطيل (١/٤٩ رقم ٤٣) وقال: هذا حديث باطل لاشك فيه...، والديلمى فى الفردوس (٢/١٨٦ - ١٨٧ رقم ٢٩٣٥) عن ابن عباس مرفوعا بنحوه. ورواه الدارقطنى فى الغرائب - كما فى تنزيه الشريعة (٢/١٤١ - ١٤٢) عن ابن عمر مرفوعا بنحوه، وقال: منكر باطل، وفيه أحمد بن محمد السماعى وعمران بن زياد مجهولان.

أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿ أتواصوا به ﴾ أى: أوصى بعضهم بعضًا بهذا القول، ويقال: أوصى الأولُ الأخيرَ بالتكذيب.

قوله: ﴿ بل هم قوم طاغون ﴾ أى: عاصون يبالغون فى العصيان.

قوله تعالى: ﴿ فتول عنهم فما أنت بملوم ﴾ فى بعض الآثار عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - أنه لما نزلت هذه الآية حزن أصحاب رسول الله ﷺ حزنًا شديدًا، وظنوا أنه لاينزل الوحى بعد ذلك حيث أمر النبى ﷺ بالإعراض والتولى، وعذر بقوله: ﴿ فما أنت بملوم ﴾ فأنزل الله تعالى: ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ ففرحوا، وقيل: إن هذه الآية قبل نزول آية السيف، ثم نسخت بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿ وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ فى قراءة أبى بن كعب «وماخلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون» وهو تفسير القراءة المعروفة.

قال الضحاك: الآية عامة أريد بها الخاص، وهم المؤمنون، وهذا القول اختيار الفراء والقتيبى وغيرهما.

والقول الثانى: وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون أى: لآمرهم بالعبادة. وقال مجاهد: لآمرهم وأنهاهم، وحكى بعضهم هذا عن على.

والقول الثالث: وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون أى: لينقادوا ويخضعوا لى، وانقيادهم وخضوعهم هو استمرارهم على مشيئته وحكمه، وهو معنى خضوع السموات والأرضين وطواعيتها وانقيادها، والمختار هو القول الأول.

قوله تعالى: ﴿ ما أريد منهم من رزق ﴾ أى: أن يرزقوا عبادى، ويقال: أن يرزقوا أنفسهم.

﴿ وما أريد أن يطعمون ﴾ هو على المعنيين الأولين، أى: يطعموا عبادى، أو يطعموا أنفسهم، فإذا قلت فى الأول هو رزق أنفسهم فمعنى هذا إطعام العباد، وإذا

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾

قلت فى الأول رزق العباد فمعنى هذا طعامهم أنفسهم، وإنما قال: ﴿يطعمون﴾ لأن الخلق عباد الله، فإذا أطعمهم (فكأنه)[١] أطعم الله على المجاز.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال حاكيا عن الله تعالى فيما يقول لعبده يوم القيامة: «استطعمتك فلم تطعمنى، فيقول: يارب، وكيف أطعمك، وأنت رب العالمين؟ فيقول: استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه، ولو أطعمته لوجدته عندى... الخبر إلى آخره»[٢].

قوله تعالى: ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾، الرزاق بمعنى الرازق، ويقال: يقتضى مبالغة وتكثيراً.

وقوله: ﴿ذو القوة المتين﴾ أى: القوة البالغة.

قوله تعالى: ﴿فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم﴾ أى: نصيب من العذاب مثل نصيب أصحابهم، أى: أمثالهم من المشركين الذين تقدموا، فجعلهم أصحابهم لما اجتمعوا فى الكفر، وإن تفرقت بهم القرون. والذنوب فى اللغة: هو الدلو العظيم، ومنه أخذ النصيب.

وقوله: ﴿فلا يستعجلون﴾ أى: العذاب نازل بهم فلا ينبغى أن يستعجلوا، وقد تقدم ذكر استعجالهم فيما سبق.

قوله تعالى: ﴿فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون﴾ قد بينا معنى الويل. وقوله: ﴿من يومهم الذى الذى يوعدون﴾ هو يوم القيامة، وهو اليوم الموعود المنتظر لجزاء العباد، ونسأل الله حسن العاقبة بفضله ومَنِّه (آمين)[٣].

---

(١) فى «ك»: فكأنما.

(٢) رواه مسلم (١٦/١٨٩ - ١٩٠ رقم ٢٥٦٩)، والبخارى فى الأدب المفرد (١٥٢ - ١٥٣)، وابن حبان (١/٥٠٣ رقم ٢٦٩)، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٢٨٥) عن أبى هريرة مرفوعًا.

(٣) من «ك».

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾

تفسير سورة الطور

وهى مكية . وقد ثبت برواية جبير بن مطعم أنه قال : « سمعت النبى ﷺ يقرأ فى المغرب سورة الطور »[١] .

قوله تعالى : ﴿ والطور ﴾ قال مجاهد : هو بالسريانية اسم للجبل . والأصح أنه اسم الجبل بالعربية . وحكى عن ابن عباس أنه قال : كل جبل ينبت فهو طور ، وكل ما لا ينبت فليس بطور . وقال كعب الأحبار وغيره : هو الطور الذى كلم الله عليه موسى . وقد روى هذا القول عن قتادة وعكرمة . وعن نوف البكالى[٢] : أن الله تعالى أوحى إلى الجبال أنى منزل على جبل منكن ، فشمخت الجبال بأنفسها ، وتواضع الطور وقال : أنا راض بما قسم الله لى ، وكان عليه الأمر[٣] .

وقوله : ﴿ وكتاب مسطور ﴾ فيه أقوال : : أنه القرآن ، وهو مروى عن الحسن البصرى . والآخر : أنه التوراة كتبها الله تعالى فى الألواح . والثالث أنه الكتاب الذى أثبت الله[٤] فيه أعمال بنى آدم ، ويخرج يوم القيامة فيكون صحائف ، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله ، وآخذ وراء ظهره ، وهذا قول معروف ذكره الفراء وغيره .

ويقال : إن المراد منه الصحف التى تقرأ منها الملائكة فى السماء القرآن على ما قال تعالى : ﴿ فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة ﴾[٥] ويقال : إنه اللوح المحفوظ قد كتب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة .

---

(١) متفق عليه ، رواه البخارى (٢ / ٢٨٩ رقم ٧٦٥ ، وأطرافه : ٣٠٥٠ ، ٤٠٢٣ ، ٤٨٥٤) ، ومسلم (٤ / ٢٣٩ رقم ٤٦٣) .

(٢) فى « الأصل » و « ك » : نوفل الميكائى ، والصواب ما أثبتناه . وهو نوف بن فضالة البكالى ، وهو من رجال التهذيب . قال الحافظ فى التقريب : كذب ابن عباس ما رواه عن أهل الكتاب .

(٣) هذا الخبر من الإسرائيليات التى لايعتد بها ، بل هو غريب جدا .

(٤) من « ك » .

(٥) عبس : ١٣ – ١٥ .

فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾

وقوله: ﴿ فى رق منشور ﴾ والرق: هو الأديم الذى يكتب فيه الشيء.

وقوله: ﴿ منشور ﴾ أى: مبسوط، وهذا يؤيد القول الذى قلنا إن الكتاب هو صحائف الأعمال فى الآخرة، لأن الله تعالى قد قال فى موضع آخر: ﴿ وإذا الصحف نشرت ﴾(١) والمراد منه صحائف الأعمال فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ والبيت المعمور ﴾ قال بعضهم: هو الكعبة ،وعمارته بالحج والطواف. والقول المعروف أنه بيت(٢) فى السماء، قاله ابن عباس وعامة المفسرين - وهو مروى عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - أيضاً.

واختلفوا فى موضعه، فروى أنس عن مالك بن صعصعة عن النبى ﷺ فى قصة المعراج أنه قال: «رفع لى البيت المعمور فى السماء السابعة»(٣).

وعن على - رضى الله عنه - أنه فى السماء السادسة. وعن الربيع بن أنس وغيره أنه فى السماء الدنيا بحيال الكعبة لو سَقَطَ سَقَطَ عليه.

وفى القصة: أن البيت المعمور [أنزله](٤) الله تعالى من السماء لآدم، ووضعه مكان الكعبة فلما كان زمان نوح رفعه الله تعالى إلى السماء الدنيا فهو موضع حج الملائكة وحرمته كحرمة الكعبة فى الأرض.

قال على وغيره: اسمه الضراح يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً وقد أسند هذا اللفظ إلى الرسول ﷺ.(٥)

وعن بعضهم أنه فى السماء الرابعة. وفى بعض المسانيد «أن الله تعالى خلق نهراً

---

(١) التكوير: ١٠.

(٢) فى «ك»: ثبت.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) فى «الأصل، وك»: أنزلها.

(٥) تقدم تخريجه.

﴿ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ ﴾

تحت العرش يسمى نهر الحيوان فيدخله جبريل عليه السلام كل يوم حين تطلع الشمس ثم يخرج، وينتفض انتفاضة فيقطر منه سبعون ألف قطرة يخلق الله تعالى من كل قطرة منها ملكا فهم العباد فى البيت المعمور». وهذا خبر غريب.

قوله تعالى: ﴿ والسقف المرفوع ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه السماء، والآخر: أنه العرش.

وقوله: ﴿ والبحر المسجور ﴾ أشهر الأقاويل فيه أنه الممتلئ. وعن ربيع[1] بن أنس فى قوله تعالى: ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾[2] قال: إن الله تعالى جعل ذلك الماء نصفين حين خلق السموات والأرض، فجعل نصفًا منه تحت الأرض السابعة ونصفًا منه تحت العرش ،فإذا كان بين النفختين ينزل الله منه قطراً على الأرض، فينبت به الأجساد فى القبور.

والقول الثانى فى الآية: أن البحر المسجور هو المفجور على ما قال تعالى فى موضع آخر: ﴿ وإذا البحار فجرت ﴾[3] وتفجيرها هو بسطها وإرسالها على الأرض. وقد روى عن ابن عباس أنه قال: البحر المسجور هو المرسل، وذلك لمعنى ما بينا.

والقول الثالث: أن البحر المسجور هو الموقد ناراً، من قولهم: سجرت التنور. وعن على – رضى الله عنه – أنه قال لكعب الأحبار: أين جهنم؟ قال: هو البحر، فقال: ما أراك إلا صادقا، وقرأ قوله تعالى: ﴿ وإذا البحار سجرت ﴾[4]

والقول الرابع: أن البحر المسجور هو البحر الذى يبس ماؤه وذهب، كأن بحار الأرض تفرغ عن الماء يوم القيامة. وعبر بعضهم عن هذا البحر المسجور بالفارغ.

(١) فى «ك»: الربيع.

(٢) هود: ٧.

(٣) الانفطار: ٣.

(٤) التكوير: ٦.

إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿إن عذاب ربك لواقع﴾ على هذا وقع القسم، وإلى هذا الموضع كان قسمًا على التقدير الذى قلنا فى السورة المتقدمة.

وقوله: ﴿واقع﴾ أى: كائن.

وقوله: ﴿ما له من دافع﴾ أى: ماله دافع من الكفار. وعن جبير بن مطعم: «أنه أتى المدينة ليفدى بعض أسارى بدر، فسمع النبى ﷺ يقرأ فى الصلاة سورة الطور، فلما سمع قوله: ﴿إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع﴾ غَشِيَهُ وَجَلٌ وخوفٌ، وكان ذلك سبب إسلامه»[١].

قوله: ﴿يوم تمور السماء مورًا﴾ أى: تدور، ويقال: تجىء وتذهب. والمراد: سيرها. ويقال: تكفأ بأهلها.

وقوله: ﴿وتسير الجبال سيرًا﴾ أى: تجىء وتذهب على وجه الأرض، ويقال: سَيَّرها سير السحاب بين السماء والأرض على ما قال تعال: ﴿وهى تمر مر السحاب﴾[٢].

وقوله: ﴿فويل يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض يلعبون﴾ أى: فى باطل لاهون، ويقال: يخوضون فى أمر النبى ﷺ بالتكذيب، ويلعبون بما هو [الجد][٣]. وعن بعضهم: أنه رؤى فى المنام، فقيل له: كيف الأمر؟ فقال: الأمر جد فإياك أن تخلطه بالهزل. وقيل: إن الله تعالى جعل كل ما فيه الكفار لعبًا.

قوله تعالى: ﴿يوم يدعون إلى نار جهنم دعا﴾ أى: يدفعون فى نار جهنم.

وقوله: ﴿دعا﴾ أى: دفعًا. والدع فى اللغة: هو الدفع بشدة وعنف.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) النمل: ٨٨.

(٣) من «ك»، وفى الأصل: الحسد، تحريف.

يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ

وقوله: ﴿ هذه النار التى كنتم بها تكذبون ﴾ يقال لهم هذا على طريق التوبيخ والتقريع.

قوله تعالى: ﴿ أفسحر هذا ﴾ فى التفسير: أنهم لما كانوا يرون الآيات فى الدنيا ودلائل نبوة الرسول ﷺ فيقولون: إنها سحر(١) ونحن لا نبصر ما يقول - أى: لا نعلم - فإذا كان يوم القيامة وعاينوا العذاب يقال لهم: أفسحر هذا كما تزعمون فى الدنيا لما رأيتم من الآيات أم أنتم لا تبصرون، أى: هل أنتم لا تبصرون كما لم تبصروا فى الدنيا على زعمكم؟.

والقول الثانى فى قوله: ﴿ أم أنتم لا تبصرون ﴾ أى: معناه بل كنتم لا تبصرون، أى: لا تعلمون، وهذا قول معروف.

وقوله: ﴿ اصلوها ﴾ أى: ادخلوها. ويقال: قاسوا حرها.

وقوله: ﴿ فاصبروا أو لا تصبروا ﴾ هو مثل قوله تعالى: ﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ﴾(٢) والمعنى: أنكم سواء صبرتم أو جزعتم، فالعذاب واقع بكم ولا يخفف عنكم. وفى بعض الآثار: أن أهل النار يجزعون مدة مديدة ،وينادون على أنفسهم بالويل والثبور ثم يقولون: تعالوا نصبر، فيصبرون أيضاً مدة مديدة فلا ينفعهم واحد من الأمرين، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ سواء عليكم ﴾ أى: مستوٍ [كلتا](٣) الحالتين، والعذاب مستمر بكم فيهما.

وقوله: ﴿ إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ يعنى: أن هذا عملكم بأنفسكم.

قوله تعالى: ﴿ إن المتقين فى جنات ونعيم ﴾ أى: بساتين ونعمة.

---

(١) فى « ك »: لسحر.

(٢) إبراهيم: ٢١.

(٣) فى « الأصل،وك »: كلا، والمثبت هو الصواب.

مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

وقوله: ﴿فاكهين﴾ قال ابن عرفة - وهو نفطويه النحوى - فاكهين: ناعمين. ويقال: فاكهين ذوى فاكهة. يقال: فلان لابن أى: ذو لبن، وتامر أى: ذو تمر. وقرئ: ﴿فكهين﴾ أى: معجبين مسرورين بحالهم.

وقوله: ﴿بما آتاهم ربهم﴾ أى: أعطاهم ربهم.

وقوله: ﴿ووقاهم ربهم عذاب الجحيم﴾ أى: عذاب النار، والجحيم: معظم النار.

قوله تعالى: ﴿كلوا واشربوا هنيئًا﴾ أى: تهنئون هنيئًا.

وقوله: ﴿بما كنتم تعملون﴾ أى: تعملون من الطاعات.

قوله تعالى: ﴿متكئين على سرر﴾ هو جمع سرير.

وقوله: ﴿مصفوفة﴾ أى مضموم بعضها إلى بعض. ويقال: مصطفة.

وفى التفسير: أن ارتفاع السرير يكون كذا كذا ميلا، فإذا أراد المؤمن أن يصعده تطامن(١) حتى يرتفع عليه المؤمن، ثم يعود إلى ما كان.

وقوله: ﴿وزوجناهم﴾ أى: قَرَنَّاهم، قاله الفراء والزجاج وغيرهما من أهل المعانى. قالوا: وليس المراد منه التزويج المعروف الذى يكون فى الدنيا، فإن عقد التزويج من عقود الدنيا ليس من عقود الآخرة.

وقوله: ﴿بحور عين﴾ الحور: البيض، ومنه الحوارى، ومنه الحواريون، لأصحاب عيسى، وهم القصارون الذين يبيضون الثياب. والعرب تسمى نساء الأمصار حواريات لبياضهن.

وقال بعضهم:

فقل للحواريات يبكين غيرنا ... ولا تبكنا إلا الكلاب النوابح

وقوله: ﴿عين﴾ أى: حسان العين. ويقال: سميت الواحدة منهن حوراء؛ لشدة

(١) تطأمنت الأرض: إذا انخفضت. وطامن ظهره: إذا حنى ظهره. لسان العرب (١٣/ ٢٦٨).

مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم

بياضها، وسواد (حدقتيها)[١].

قوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم ﴾ وقرئ : « واتبعتهم ذريتهم » وفي الخبر موقوفًا على ابن عباس ومرفوعًا إلى رسول الله ﷺ : « أن الله تعالى يرفع ذرية المؤمن إلى درجته، وإن لم يبلغها عملهم؛ لتقر عينه بهم »[٢] وعن بعضهم أن هذا في الآباء مع الأولاد، والأولاد مع الآباء جميعا، كأن الله تعالى يبلغ الوالد درجة الولد إذا كان أرفع منه في الدرجة، ويبلغ الولد درجة الوالد إذا كان أرفع منه في الدرجة. وقد ورد في بعض الكتب : أن هذا يكون أيضًا للأخ مع أخيه في الإيمان يقول الأخ : يا رب، ارفعه إلى درجتي، فيقول : إنه لم يعمل مثل عملك، فيقول : إني عملت لنفسي وله.

وفي بعض الأخبار عن النبي ﷺ « أن أولاد المؤمنين يكونون مع آبائهم في الجنة وأولاد الكفار مع آبائهم في النار . »[٣]

---

(١) في « ك » : حدقتها.

(٢) رواه البزار (٢ / ١٠٨ رقم ١٥٠٨ – مختصر الزوائد)، وابن عدي في الكامل (٦ / ٤٢)، والطحاوي في المشكل (٢ / ١٥)، وأبو نعيم في الحلية (٤ / ٣٠٢) وقال : غريب من حديث عمرو ....، والبغوي في تفسيره (٤ / ٢٣٩) جميعهم من حديث ابن عباس مرفوعا به. وقال البزار، لانعلم أسنده إلا الحسن عن قيس – عن عمرو– وقد رواه الثوري عن عمرو موقوفا والثوري أحفظ من قيس وأوثق. وزاد الزيلعي في تخريج الكشاف (٣ / ٣٧٢) عزوه لابن مردويه، والثعلبي وقال الهيثمي في المجمع (٧ / ١١٧) رواه البزار وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري، وفيه ضعف.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (١ / ١٢٤ – ١٢٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١ / ٩٤ رقم ٢١٣)، والبغوي في تفسيره (٤ / ٢٣٩) من حديث علي مرفوعا به. قال ابن الجوزي في جامع المسانيد : في إسناده محمد بن عثمان، لايقبل حديثه، ولايصح في تعذيب الأطفال حديث. وقال الذهبي في الميزان (٣ / ٦٤٢ ترجمة محمد بن عثمان) : لايدرى من هو، فتشت عنه في أماكن، وله خبر منكر، فذكره. وفي الباب عن عائشة، وانظر تعليقنا عليه في جزء فيه من حديث لوين رقم(٣١).

وفى بعض الأخبار: «أن أولاد المشركين يكونون خدم أهل الجنة»[1]. وقد ثبت برواية عائشة - رضى الله عنها -: أنه مات صبى من الأنصار، فقالت عائشة: طوبى له عصفور من عصافير الجنة، فقال عليه الصلاة والسلام: «يا عائشة أو غير ذلك؟ إن الله تعالى خلق النار وخلق لها أهلا، وخلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم، وخلق الجنة وخلق لها أهلا، خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم»[2]. قال الشيخ الإمام رضى الله عنه: أخبرنا بذلك أبو على الشافعى رحمه الله بمكة، أخبرنا أبو الحسن بن فراس أخبرنا أبو محمد المقرئ أخبرنا جدى عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين، عن النبى ﷺ ... والخبر فى صحيح مسلم.

وقد قال أهل العلم: إن الأصح فى ذرارى المؤمنين أنهم فى الجنة، ويحتمل أن النبى ﷺ إنما قال ذلك على ما كان عرفه فى الأصل، ثم إن الله تعالى أخبره أن ذرارى المسلمين فى الجنة بهذه الآية وغيرها، وأما ذرارى الكفار: فالأصح أن الأمر فيهم على التوقف على ما روى عن النبى ﷺ «أنه سئل عن أطفال المشركين فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين»[3].

وقوله: ﴿بإيمان﴾ أى: بإيمانهم، إما بإيمانهم بأنفسهم ،أو بثبوت الإيمان لهم

---

(١) رواه الطيالسى (٢٨٢ رقم ٢١١١)، وأبو يعلى (٧/ ١٣٠ - ١٣١ رقم ١٣٣٥)، والبزار (٢/ ١٦٢ رقم ١٦٢٠، ١٦٢١ - مختصر الزوائد)، والطبرانى فى الأوسط (٥/ ٣٨٦ - ٣٨٧ رقم ٣٢٥٥، ٣٢٥٦)، وأبو نعيم فى الحلية (٦/ ٣٠٨)، وتمام فى فوائده (١/ ١٠٠ رقم ٢٣٠)، عن أنس مرفوعا به. وله شاهد عن سمرة ابن جندب. وانظر الصحيحة (١٤٦٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) متفق عليه عن أبى هريرة، رواه البخارى (٣/ ٢٨٩ رقم ١٣٨٤، وطرفاه: ٦٥٩٨، ٦٦٠٠)، ومسلم (١٦/ ٣٢٢ - ٣٢٣ رقم ٢٦٥٩). وعن ابن عباس، رواه البخارى (٣/ ٢٨٩ رقم ١٣٨٣، وطرفه: ٦٥٩٧)، ومسلم (١٦/ ٣٢٣ رقم ٢٦٦٠).

وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا

بإيمان الآباء.

﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ أى: فى الدرجة على ما قلنا.

وقوله: ﴿وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾ أى: ما نقصناهم من عملهم من شيء. وقرأ ابن كثير: «وما ألِتناهم» بكسر اللام، والأول هو الأولى. وقرأ ابن مسعود: «وما لتناهم» والكل بمعنى واحد.

قال الشاعر:

أبلغ بنى ثقل عنى مغلغلة ... جهد الرسالة لا ألتا ولا كذبا

قوله تعالى: ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ هذا فى المشركين، ومعناه: أن الكفار محبوسون فى النار بعملهم، وأما المؤمن فهو غير محبوس ولا مرتهن، فإن ارتهن بعمله فلابد أن يدخل النار. وفى الخبر المعروف أنه عليه الصلاة والسلام قال: «لن ينجى أحدا منكم عمله، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل له»[١].

قوله تعالى: ﴿وأمددناهم بفاكهة﴾ هذا رجوع إلى صفة أهل الجنة.

وقوله: ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿يتنازعون فيها كأسًا﴾ أى: يتعاطون، والمعنى: بعضهم يعطى بعضاً على ما يفعل الشراب فى الدنيا.

قال امرؤ القيس:

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت ... هصرت[٢] بغصنٍ ذى شماريخ ميال

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى «الأصل وك»: فصبرت. والهصر: شدة الغمر. وانظر لسان العرب: (٥/ ٢٦٥).

لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾

وقوله: ﴿لا لغو فيها ولاتأثيم﴾ أى: لا يجرى بينهم كلام باطل، ولا كلام يأثم به قائله، على ما يكون بين الشراب فى الدنيا. قال القتيبى: معناه: لا يسكرون فيكون منهم كلام لغو أو كلام يأثمون به.

قوله تعالى: ﴿ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون﴾ أى: مصون مستور من الشمس والريح، ومن كل ما يذهب صفاءه وبهاءه ويغيره.

قوله تعالى: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ فى الآية دليل على أن أهل الجنة يجتمعون، ويذكرون أحوال الدنيا ،ويسأل بعضهم بعضًا عن ذلك.

وقوله: ﴿قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين﴾ أى: وجلين خائفين،فيقال: إن خوفهم ووجلهم هو من يوم القيامة. ويقال: إن خوفهم ووجلهم من أن لا تقبل منهم أعمالهم، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾(١) قالت عائشة: عملوا ما عملوا من الطاعات، وخافوا أن لا تقبل منهم. ويقال: إن المؤمن فى بيته وجل؛ لأنه يحتاج إلى معاشرة أهله وولده، ولابد له مع ذلك أن يتقى الله تعالى، ولا يقول ولا يفعل ما لا يرضاه الله، وهذا هو أشد شىء على المؤمنين أن يكونوا على حذر من ربهم وعلى طلب رضاه منهم(٢) فيما بين أمورهم مع الخلق.

قوله تعالى: ﴿فمن الله علينا﴾ أى: أنعم الله علينا.

وقوله: ﴿ووقانا عذاب السموم﴾ أى: عذاب جهنم، فيقال: إن السموم اسم من أسماء جهنم. ويقال: عذاب السموم أى: عذاب سموم جهنم.

قوله تعالى: ﴿إنا كنا من قبل ندعوه﴾ أى: نوحده ونعبده، والدعاء هاهنا بمعنى

---

(١) المؤمنون: ٥٧.

(٢) كذا فى «الأصل» و «ك»!

فمنَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ

التوحيد، وعليه أكثر المفسرين. ويقال: إنه الدعاء المعروف.

قوله: ﴿إنه هو البر الرحيم﴾ قرئ بفتح الألف وكسرها، فمن قرأ بالكسر فهو على الابتداء والاستئناف، ومن قرأ بالفتح فمعناه: إنا كنا من قبل ندعوه بأنه هو البر الرحيم أى: لأنه. والبر: هو البار اللطيف بعباده، ولطفه بعباده هو إنعامه عليهم مع عظم جرمهم وذنبهم. والرحيم: هو العطوف على ما ذكرنا. وعن بعضهم :أن البر الذى يصدق وعده لأوليائه.

وعن ابن عباس فى عذاب السموم قال: السموم هو الطبق السابع من النار، وهو الطبق الأعلى. والسموم يكون بالحر ويكون بالبرد.

قال الشاعر:

اليوم يوم بارد سمومه ... من يجزع اليوم فلا ألومه

ويقال: السموم وهج النار.

قوله تعالى: ﴿فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون﴾ قوله: ﴿فذكر﴾ أى: فعظ، ويقال: ذكر عقاب الكافرين، ونعيم المؤمنين.

وقوله: ﴿بكاهن ولا مجنون﴾ الكاهن هو الذى يخبر عن الغيب كذبًا. يقال: تكهن كهانة إذا فعل ذلك. والمجنون: هو الذى زال عقله واختلط.

قوله تعالى ﴿أم يقولون شاعر﴾ يقال: إن «أم» هاهنا بمعنى الاستفهام يعنى: أتقولون شاعر. ويقال: المعنى: بل. قال النحاس: «أو» فى اللغة للخروج من حديث إلى حديث.

وقوله: ﴿شاعر نتربص به ريب المنون﴾ معناه: حوادث الدهر.

وقال الخليل: المنون هو الموت، ذكره ابن السكيت أيضًا. وقيل: هو صرف الدهر،

بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ

وقال الشاعر:

أَمِـنَ المنونِ وريبِها نتوجعُ ... والموتُ ليس بمُعْتِبٍ من يجزعُ

والمنون يؤنث ويذكر، فمن ذكَّر فعلى اللفظ، ومن أنث فهو على أنه بمعنى المنية. ويقال: (ريب)[1] المنون الدهر، مكاره الدهر، فقال: رابنى[2] كذا أى: أصابنى منه ما أكره. وفى التفسير :أن هذا القول قاله أبو جهل وعقبة بن أبى معيط وشيبة بن ربيعة والنضر بن الحارث وغيرهم. قالوا: هو شاعر ننتظر به حوادث الدهر، ونتخلص منه بها كما تخلصنا من فلان وفلان.

قوله تعالى: ﴿ قل تربصوا ﴾ أى: انتظروا.

﴿ فإنى معكم من المتربصين ﴾ أى: المنتظرين، وانتظاره كان [إما][3] أن يظفر بهم أو يسلموا.

وقوله تعالى: ﴿ أم تأمرهم أحلامهم بهذا ﴾ أى: عقولهم ،وكانوا يدعون أنهم ذوو عقول وأحلام. والعقل: هو الداعى إلى الحلم فسماه باسمه. ويقال: إن المعنى من هذا هو تسفيههم وتجهيلهم أى: ليس لهم حلم ولا عقل حيث قالوا مثل هذا القول، وحيث نسبوا إلى الشعر والجنون من دعاهم إلى التوحيد وأتاهم بالبراهين.

وقوله: ﴿ أم هم قوم طاغون ﴾ أى: بل هم قوم طاغون.

قوله تعالى: ﴿ أم يقولون تقوله ﴾ أى: افتراه واختلقه.

وقوله: ﴿ بل لا يؤمنون ﴾ أى: لا يصدقون.

قوله تعالى: ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ أى: بكتاب مثل ما أتى به

---

(١) فى «ك»: ركب.

(٢) فى «ك»: رابتنى.

(٣) زيارة يقتضيها السابق.

مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾

محمد ﷺ إن كانوا صادقين أنه اختلقه وافتراه. وهذا بمعنى التحدى على ما ذكره فى مواضع كثيرة.

قوله تعالى: ﴿أم خلقوا من غير شيء﴾ فيه قولان: أحدهما أن معناه: أم خلقوا من غير أن يكون لهم خالق وصانع أى: تَكَوَّنوا بأنفسهم.

وقوله: ﴿أم هم الخالقون﴾ أى: خلقوا أنفسهم، والمراد على هذا القول، أنهم إذا لم يدَّعوا أنهم تكَوَّنوا من غير خالق وصانع، ولا ادَّعَوا أنهم هم الذين خلقوا أنفسهم، وأقروا أن خالقهم هو الله، فلا ينبغى أن يعبدوا معه غيره. والقول الثانى أن معناه: أم خلقوا من غير شيء أى: لغير شيء، وهو مثل قوله تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا﴾(١) ومثل قوله تعالى: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾(٢) فإن قال قائل: هل يجوز أن يكون «من» بمعنى اللام؟ والجواب: أن بعضهم قد أجاز ذلك، ومن لم يجز قال معناه: أم خلقوا من غير شيء توجبه الحكمة يعنى: أن الحكمة أوجبت خلقهم. ذكره النحاس أيضاً، والأول أظهر فى المعنى.

قوله تعالى: ﴿أم خلقوا السموات والأرض﴾ معناه: أم يدعون خلق السموات والأرض للأصنام التى يعبدونها.

وقوله: ﴿بل لا يوقنون﴾ أى: لا يوقنون بما يدعون. وقيل: أم خلقوا السموات والأرض أى: أهم الذين خلقوا السموات والأرض. ومعناه: أنهم لم يخلقوا السموات والأرض.

وفى التفسير: أنهم كانوا مقرين بأن الله خالق السموات والأرض. فالمعنى: أنهم إذا كانوا مقرين بأن الله هو الخالق فلم يشركون معه غيره؟!.

---

(١) المؤمنون: ١١٥.

(٢) القيامة: ٣٦.

أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن

قوله تعالى: ﴿أم عندهم خزائن ربك﴾ أى: عطايا ربك، ويقال: خزائنه من الرزق والمطر، فهم يملكون ويعطون من شاءوا.

قوله ﴿أم هم المسيطرون﴾ أى: الأرباب المسلطون. قال أبو عبيدة والمعنى: أنهم ليسوا كذلك. يقال: تسيطر الرجل على فلان، إذا حمله على ما يحبه ويهواه.

قوله تعالى: ﴿أم لهم سلم﴾ أى: درج ومرقى.

وقوله: ﴿يستمعون فيه﴾ أى: عليه، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ولأصلبنكم فى جذوع النخل﴾(١) أى: على جذوع النخل.

وقوله: ﴿فليأت مستمعهم بسلطان مبين﴾ أى: فليأت من ادَّعى الاستماع منهم بحجة بينة. وفى بعض التفاسير: كما أتى جبريل بالحجة فى أنه قد سمع الوحى.

قوله تعالى: ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾ معناه: كيف تقولون أن له البنات وأنتم لا ترضون ذلك لأنفسكم؟ والمعنى: أنه ليس الأمر كما تزعمون.

قوله تعالى: ﴿أم تسألهم أجرًا﴾ أى: جُعْلًا على تبليغ الرسالة.

وقوله: ﴿فهم من مغرم مثقلون﴾ أى: فهم من المغرم الذى لحقهم مثقلون. يقال: لحق فلاناً دين فادح، أو دين ثقيل، فهو مثقل.

قوله تعالى: ﴿أم عندهم الغيب فهم يكتبون﴾ معناه: علم الغيب، ويقال: اللوح المحفوظ، فهم يكتبون منه ما يزعمونه ويدعونه، ومعناه: أنه ليس عندهم ذلك، فقد ادعوا ما ادعوا فقالوا ما قالوا زوراً وكذبًا. ويقال: أم عندهم الغيب أى: كتاب من الله فهم يقولون ما يقولون منه.

قوله تعالى: ﴿أم يُريدون كيداً﴾ أى: كيداً بك، وكيدهم: هو ما دبَّروه فى أمره

---

(١) طه: ٧١.

مَغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن

ﷺ ليخرجوه من مكة أو يقتلوه أو يحبسوه.

وقوله: ﴿ فالذين كفروا هم المكيدون ﴾ أى: هم المقتولون، وقد قتلوا ببدر. ويقال معناه: أن كيدنا ومكرنا نازل بهم.

قوله تعالى: ﴿ أم لهم إله غير الله ﴾ فإن قيل: قد كانوا يدعون أن لهم آلهة غير الله، فكيف يصح قوله أم لهم(١) إله غير الله يحى ويميت، ويعطى ويمنع، ويرزق ويحرم؟!.

وقوله: ﴿ سبحان الله عما يشركون ﴾ نزه نفسه عن شركهم، وعما كانوا يعتقدونه من عبادة غيره.

قوله تعالى: ﴿ وإن يروا كسفا من السماء ﴾ أى: جانبا من السماء، أو قطعة من السماء، وإنما قال ذلك لأن بعض الكفار قالوا: ﴿ فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين ﴾(٢). والمعنى أنه [لو](٣) سقط عليهم جانب من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا: إنما سكرت أبصارنا.

قوله تعالى: ﴿ فذرهم حتى يلاقوا يَوْمَهُم الذى فيه يَصعِقون ﴾ وقرئ:(٤) « يُصعَقون » يعنى: يموتون. ويقال: هو يوم القيامة، ويصعقون هو نزول العذاب بهم.

قوله تعالى: ﴿ يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا ﴾ أى: حيلتهم.

وقوله: ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ أى: لا يمنع منهم العذاب. ويقال: لا يكون لهم ناصر يدفع عنهم.

قوله تعالى: ﴿ وإن للذين ظلموا عذابًا دون ذلك ﴾ الأكثرون على أنه عذاب

(١) فى « ك »: معهم.
(٢) الشعراء: ١٨٧.
(٣) زيارة يقتضيها السياق.
(٤) النشر فى القراءات العشر (٢ / ٣٧٩).

يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ

لقبر. وعن مجاهد: أنه الجوع في الدنيا. ويقال ﴿أكثرهم لا يعلمون﴾ أى: لا يعلمون أن العذاب نازل بهم، فهذا دليل على أنه قد كان فيهم من هو متعنت يعرف وينكر.

قوله تعالى: ﴿واصبر لحكم ربك﴾ أى: لما حكم عليك، وهذا تعزية وتسلية له ﷺ فى الأذى الذى كان يلحقه من الكفار.

وقوله: ﴿فإنك بأعيننا﴾ قال ابن عباس: بمرأى منا، ويقال: نحن نراك ونحفظك ونرعاك. قال أهل المعانى: وهذا إنما قاله لتيسير الأمر عليه وتسهيله، لأنه إذا علم أن الأذى الذى يلحقه من الكفار بحكم الله ومرأى منه، سهل عليه بعض السهولة، فإنه لا يترك مجازاتهم على ذلك وإثابته على ما لحقه من الأذى.

وقوله: ﴿وسبح بحمد ربك﴾ أى: صل حامداً لربك.

وعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أن معناه: هو أنه إذا قام إلى الصلاة يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك.

وعن بعضهم أنه إذا قام إلى الصلاة يقول: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا، فهو المراد من الآية، قاله زر بن حبيش. وقال أبو الأحوص معناه: أنه يقول: سبحانك وبحمدك إذا قام [من](١) أى مجلس كان. وعن بعضهم أنه يقول: إذا قام من المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب إليك. فهو كفارة لكل مجلس جلسه الإنسان.

وقوله: ﴿حين تقوم﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ومن الليل فسبحه﴾ أى: صل له، ويقال: إنه صلاة المغرب

---

(١) زيارة يقتضيها السياق

لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

والعشاء. قال مجاهد: هو الليل كله.

وقوله: ﴿ وإدبار النجوم ﴾ قال على وابن عباس: هو الركعتان قبل الصبح. وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها»(١).

فعلى هذا معنى «أدبار السجود» ركعتا المغرب، قاله ابن عباس، «وإدبار النجوم» ركعتا الصبح، وإنما سماهما إدبار النجوم لأن الرجل يصليهما عندما يزول سلطان النجوم من الضوء، كالرجل يدبر عن الشيء فيزول سلطانه عنه. ويقال: معنى قوله: ﴿ وإدبار النجوم ﴾ هو التسبيح بعد صلاة الصبح.

---

(١) رواه مسلم (٦/٧-٨ رقم ٧٢٥)، والترمذى (٢/ ٢٧٥ رقم ٤١٦) وقال: حسن صحيح، والنسائى (٣/٢٥٢)، وأحمد (٦/٥٠ - ٥١، ١٤٩، ٢٦٥)، وابن أبى شيبة (٢/ ٢٤١)، وابن خزيمة (٢/ ١٦٠ رقم ١١٠٧)، وابن حبان (٦/ ٢١١ رقم٨ ٢٤٥)، والحاكم (١/ ٣٠٦ - ٣٠٧)، وأبو عوانه (٢/ ٢٧٣)، والبيهقى (٢/ ٤٧٠) عن عائشة مرفوعا به.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾

تفسير سورة والنجم

وهى مكية، وفى قول بعضهم إلا قوله تعالى: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم﴾(١) الآية. قال: هى نزلت بالمدينة.

وهذه السورة أول سورة أعلنها النبى ﷺ وقرأها جهراً عند المشركين.

قوله تعالى: ﴿والنجم﴾ قال ابن عباس فى رواية الوالبى هو الثريا، [وهى] إحدى الروايتين عن مجاهد. وروى أسباط عن السدى: أنه الزهرة. وعن ابن عباس فى رواية أخرى، وهو قول جماعة: أن المراد به القرآن أنزل نجماً نجماً فى عشرين سنة. وقيل: فى ثلاث وعشرين سنة.

والقول الرابع: قول قتادة وغيره أنه جميع النجوم فى السماء، عبر عنها باسم الجنس، وهذا أظهر الأقاويل؛ لأنه يطابق اللفظ من كل وجه. ويجوز أن يذكر النجم بمعنى النجوم.

قال [عمر](٢) بن أبى ربيعة:

أحسن [النجم](٣) فى السماء الثريا والثريا فى الأرض زَيْنُ النساءِ

ومعناه: أحسن النجوم.

وقوله: ﴿إذا هوى﴾ أى: غاب وغار هذا إذا حملناه على النجم المعروف، وأما إذا حملناه على نجوم القرآن؛ فمعناه: إذا نزل يعنى: نزل جبريل عليه السلام.

وعن بعضهم أنه قال: ﴿والنجم إذا هوى﴾ أى: تساقطت يوم القيامة أى:

(١) النجم: ٣٢.

(٢) فى «الاصل، وك»: عمرو، وهو تحريف.

(٣) من تفسير القرطبى (١٧ / ٨٢).

مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾

النجوم، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾[1] أى: انتثرت. وعن بعضهم: ﴿إذا هوى﴾ معناه: انقضاضها فى أثر الشياطين، وهو الرمى بالشهب على ما ورد به القرآن فى مواضع كثيرة.

قوله تعالى: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ الآية الأولى وردت على وجه القسم، ومعناه: ورب النجم.

وقوله: ﴿ما ضل صاحبكم﴾ على هذا وقع القسم، وكانت قريش يقولون: إن محمداً ضال غاوٍ، فأقسم الله تعالى أنه ما ضل وما غوى، أى: ما أخطأ [طريقًا][2] ﴿وما غوى﴾ أى: ما خرج عن الرشد فى أمر دينه ودنياه، والغى. ضد الرشد. ويقال: ما غوى أى: ما خاب سعيه فيما يطلبه. كأنه أشار إلى وجود ما هو فى طلبه.

قال الشاعر:

ومن يلقَ خيراً يَحْمَدَ الناسُ أمْرَه ومن يغوِ لا يَعْدَم على الغَيِّ لائما

أى: من خاب سعيه، ولم[3] يجد ما يطلبه.

قوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ قال أبو عبيدة: بالهوى. وقال غيره: ما ينطق عن هواه أى: ما ينطق بغير الحق؛ لأن من اتبع الهوى فى قوله قال بغير الحق.

وقوله: ﴿إن هو إلا وحى يوحى﴾ الوحى فى اللغة: إلقاء الشىء إلى النفس خُفْيَة، وهو فى عرف أهل الإسلام عبارة عما ينزله الله تعالى على الأنبياء، ومن الأنبياء التبليغ إلى الخلق.

قوله تعالى: ﴿علمه شديد القوى﴾ أكثر أهل التفسير على أن المراد به جبريل عليه السلام، وهو الذى علم الرسول ما أنزله الله تعالى عليه.

---

(١) التكوير: ٢.

(٢) فى «الأصل، وك»: طريق، وهو خلاف الجادة.

(٣) فى «ك»: ولا.

ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾

وروى عباد بن منصور عن الحسن البصرى أن قوله: «علمه شديد القوى» هو الله تعالى. والقوى جمع القوة. قال ابن عباس: من قوة جبريل أنه أدخل جناحه تحت الأرض السابعة، وقلع مدائن لوط، ورفعها إلى السماء، ثم قلبها. وعن كعب الحبر[1]: أن إبليس تعرض لعيسى -عليه السلام- على عقبة من الأعقاب، وقصده، فنفخه جبريل بجناحه نفخة ألقاه إلى الهند.

قوله تعالى: ﴿ذو مرة فاستوى﴾ قال الحسن: ذو مرة أى: ذو منظر حسن. وقال غيره -وهو الأولى- ذو قوة. يقال: حبل مرِّى أى: محكم الفتل.

وقوله: ﴿فاستوى﴾ أى: فاستوى جبريل فى أفق السماء على صورته التى خلق فيها. وكذا قول ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة وعلقمة وقرة بن شراحيل وأكثر أهل التفسير. وعن الحسن البصرى: أنه الله تعالى، والأصح هو الأول.

قوله تعالى: ﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ هو الأفق الذى تطلع من جانبه الشمس. وقيل: الذى يجىء منه النهار. والأفق: جوانب السماء. ويقال بالأفق الأعلى أى: بالسماء. وفى الأخبار: «أن جبريل -عليه السلام- أظهر نفسه للنبى ﷺ على صورته التى خلق عليها، وقد سد الأفق»[2].

وفى بعض الروايات: رأسه فى السماء ورجلاه فى الأرض، فقد ملأ بجناحيه ما بين المشرق والمغرب.

قوله تعالى: ﴿ثم دنا﴾ أى: دنا جبريل من النبى عليه الصلاة والسلام.

وقوله: ﴿فتدلى﴾ أى: زاد فى الدنو. وقال بعضهم: قوله: ﴿ثم دنا فتدلى﴾ على التقديم والتأخير.

وقوله: ﴿تدلى﴾ أى: هوى وأرسل نفسه من السماء، ثم دنا أى: دنا جبريل من

---

(١) فى «ك»: الأخبار.

(٢) تقدم تخريجه.

فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾

النبى ﷺ، وصار ما بينهما قاب قوسين أو أدنى، وهو معنى قوله: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ أى: كان (بينهما)[١] مقدار قوسين أو أقل من ذلك، وقاب لغة يمانية فى هذا المعنى، قال الشاعر:

(ألم تعلموا أن رشيمة لم تكن لتبخسنا من وراء قاب إبهام)[٢]

وعن عائشة -رضى الله عنه- قاب نصف الإبهام. وروى أسباط عن السدى أن قوله[٣] : ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ أى: قدر ذراعين. وقال مجاهد: من الوتر إلى المِقْبَض. وقيل: من السية[٤] إلى السية، فإن قيل: إذا حملتم هذا على جبريل، فكيف تقدير الآية؟ والجواب: أن معناه: «أن جبريل لما استوى فى الأفق الأعلى على صورته غشى على النبى ﷺ»[٥] وهو مروى فى الأخبار من عظم ما رأى، فانتقل جبريل من صورته إلى الصورة التى كان يلقى النبى ﷺ فيها، وهو صورة رجل، ودنا من النبى ﷺ، وهو معنى قوله: ﴿ثم دنا﴾ ثم نكس رأسه إليه، بمعنى قوله: ﴿فتدلى﴾ وضمه إليه، فسكنه من روعته.

فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ [و][٦]«أو» كلمة تشكيك، ولا يجوز الشك على الله تعالى. وإن كان بمعنى الواو، فكان ينبغى أن يقول: فكان منه أدنى[٧] من قاب قوسين، وأيضًا فقد قال:﴿ قاب قوسين أو أدنى﴾ وأىُّ معنى لذكر القوسين هاهنا وتخصيصهما بالذكر، وقد كان يمكنه تمثيله وتشبيهه بشىء واحد غير القوس فلا يحتاج إلى ذكر القوسين؟ والجواب: أن القرآن نزل بلغة العرب على ما كانوا يتخاطبون به، ويفهم بعضهم من بعض، فعلى هذا

---

(١) فى «ك»: ما بينهما.
(٢) كذا.
(٣) فى «ك»: أنه قال.
(٤) فى «ك»: الشية. وسية القوس: ما عطف من طرفيها، وجمعه: سيات. انظر ترتيب القاموس (٢/ ٦٦٠).
(٥) تقدم تخريجه.
(٦) زيادة يقتضيها السياق.
(٧) فى «ك» : أوفى، وهو خطأ.

نزلت الآية، إنكم لو رأيتموه لقلتم إن القُرْب الذى بينهما قاب قوسين أو أدنى أو أنقص، وقيل: أزيد أو أنقص، وأما ذكر القوس فهو على ما كانوا يعتادونه، وقرب القوس من الوتر معلوم. ويقال: إن القوسين هاهنا بمعنى القوس الواحد، وقد ذكرنا أن الشيء الواحد يذكر بلفظ التثنية. والظاهر أن المراد منه القوسان على الحقيقة، وهو غير مستنكر فى لغة العرب، ولا يستبعد.

القول الثانى فى الآية: أن قوله ﴿ ثم دنا ﴾ أى: دنا محمد ﷺ من ربه.

وقوله: ﴿ فتدلى ﴾ أى: زاد فى الدنو. وفى رواية مالك بن صعصعة(١) أن النبى ﷺ [قال]: « بينا أنا قاعد إذ أتانى جبريل فلكزنى بين كتفى، فقمت فإذا شجرة عليها شبه وكرين، فجلست فى أحدهما، وجلس جبريل فى الآخر، وارتفعنا إلى السماء، ورأيت نوراً عظيماً، ونظرت فإذا جبريل كالحلس فعرفت فضل خشيته على خشيتى، ولَطَّ دوننا الحجاب »(٢). وفى بعض الروايات قال: « فارقنى جبريل، وهدأت الأصوات، وسمعت من ربى: ادن يامحمد ». وقد ذكر هذا اللفظ فى الصحيح(٣)، وهو دنو محمد من ربه ليلة المعراج.

والقول الثالث: أن معنى قوله: ﴿ ثم دنا ﴾ أى: دنا الرب من محمد، وهو لفظ ثابت أيضاً، وهو على ما شاء الله.

وقوله: ﴿ فتدلى ﴾ أى: زاد فى الدنو، والمعروف عند الأكثرين القول الأول، وهو الأسلم.

---

(١) كذا، ولم نقف على الحديث إلا من رواية أنس، ونصَّ البزار على تفرده به.

(٢) رواه البزار (١/ ٩٤ - ٩٥ رقم ٣٤ - مختصر البزار)، والطبرانى فى الأوسط (١/ ٩٩ رقم ٥٩ مجمع البحرين)، وأبو الشيخ فى العظمة (رقم ٣٠٤ و ٣٦٢)، وأبو نعيم فى الحلية (٢/ ٣١٦)، والبيهقى فى الدلائل (٢/ ٣٦٨ - ٣٦٩)، وفى الشعب (١/ ٤٢٨ - ٤٣٠ رقم ١٥٣) جميعهم عن أنس مرفوعًا به.
وذكره الحافظ ابن حجر فى تلخيص البزار وقال: إنه من مناكير الحارث بن عبيد، وقال الحافظ ابن كثير فى تفسيره (٤/ ٢٢٨) بعد ما ذكر ما ضعف به الحارث: فهذا الحديث من غرائب رواياته؛ فإن فيه نكارة وغرابة ألفاظ وسياقا عجيبا.

(٣) تقدم، وهو من رواية شريك عن أنس.

فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾ فيه قولان: أحدهما: فأوحى جبريل إلى عبد الله ما أوحى، وهو محمد ﷺ.

والقول الثاني: فأوحى إلى عبده ما أوحى أى: أوحى الله تعالى إلى محمد ما أوحى. وفى الأخبار: أنه كان مما أوحى الله إليه أنه فرض على هذه الأمة خمسين صلاة فى اليوم والليلة ثم ردت إلى الخمس، [ومما] أوحى إليه أيضًا خواتيم سورة البقرة، ومما أوحى إليه تلك الليلة أنه غفر لأمته المقحمات ما لم يشركوا بالله»(١) يعنى: يغفر.

قوله تعالى: ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ قال المفسرون معناه: رأى شيئًا، وصدق فيما أخبر عن رؤيته. ويقال: ما كذب الفؤاد ما رأى أى: رأى الفؤاد ما رآه حقيقة، ولم يكن على تخييل وحسبان.

تقول العرب: كذبتْ فلاناً عينُه: إذا تخيل له الشىء على غير حقيقته.

قال أبو معاذ النحوى: يقال: ما كذب فلان الحديث. أى: ما كذب فيه.

وقرئ: ﴿ ما كذَّب الفؤاد ما رأى ﴾ من التكذيب، والأول أولى، قال الشاعر:

كذبتك عينك أو رأيت بواسطة ... غلس الظلام من الرباب(٢) خيالا(٣)

ويقال: ما كذب الفؤاد العين أى: لم توهمه أنه علم شيئًا ولم يعلمه. وقد ثبت عن ابن عباس -رضى الله عنه- أنه قال: رأى محمد ربه بفؤاده مرتين. فإن قال قائل: المؤمنون يرونه بفؤادهم، وليس ذلك إلا العلم به، فما معنى تخصيص النبى ﷺ؟

---

(١) رواه مسلم (٣/ ٣-٤ رقم ١٧٣)، والترمذى (٥/ ٣٦٦ - ٣٦٧ رقم ٣٢٧٦)، والنسائى (١/ ٢٢٣ - ٢٢٤رقم ٤٥١)، وأحمد (١/ ٣٨٧) من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعا بنحوه.

(٢) فى «ك»: غلس الذياب من الظلال خياما، وهوخطأ، والرباب هو السحاب (لسان العرب ١/ ٤٠٢).

(٣) كذا فى النسختين، والبيت للأخطل، ونصه كما أورده ابن منظور فى لسان العرب (١/ ٧٠٦):

كذبتك عينك أم رأيت بواسط ... غلس الظلام من الرباب خيالا

أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾

والجواب: أنهم قالوا: إن الله تعالى خلق رؤية لفؤاده، فرأى بفؤاده مثل ما يرى الإنسان بعينه. وعلى القول الأول الرؤية منصرفة إلى جبريل.

قوله تعالى: ﴿أفتمارونه على ما يرى﴾ يعنى: أفتجادلونه، وكانت مجادلتهم مجادلة الشاكين المكذبين. وقد روى أنهم استوصفوه مسجد بيت المقدس، واستخبروه عن عِيرِهم فى الطريق وقربها من مكة. وقرئ: «أَفَتَمْرُونَهُ على ما يرى» أى: أفتجحدونه، قال الشاعر:

لئِن هجرت أخا صِدقٍ ومَكْرُمَةٍ فقد مَرَيْتَ أخًا ما كان يَمْرِيكَا

أى: جحدت.

قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ أى: رأى جبريل -عليه السلام- نزلة أخرى أى: مرة أخرى. فإن قيل: قد كان رآه كثيرًا، فما معنى نزلة أخرى؟ والجواب: أنه لم ير جبريل فى [صورته التى خلق عليها][(1)] إلا مرتين: مرة بالأفق الأعلى، وكان ذلك عند ابتداء الوحى، وقال أهل المعانى: كان ذلك شبه آية أراها النبى ﷺ ليعلم أنه من الله. والمرة الثانية رآه عند سدرة المنتهى ليلة المعراج كما قال: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى﴾ والسدرة شجرة النبق. وفى التفسير: أنها فى السماء السابعة، ويقال: فى السادسة. وعن عكرمة :هى على يمين العرش.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «رُفعت لى سدرة المنتهى فإذا نبقها كقلال هَجَر، وأوراقها كآذان الفيلة، يخرج من أصلها أربعة أنهار: نهران ظاهران، ونهران باطنان»[(2)]. على ما بينا.

واختلف القول فى معنى المنتهى، قال بعضهم: ينتهى إليها علم الملائكة، ولا يعلمون ما وراء ذلك، وهو القول المعروف.

(١) فى «الأصل»: صورة التى خلق فيها. والمثبت من «ك».

(٢) تقدم تخريجه.

والقول الثانى : ينتهى إليها ما يصعد إلى السماء، وينتهى إليها ما يهبط من فوق .

وفى بعض الأخبار : أن الملائكة تصعد بأعمال بنى آدم حتى إذا انتهوا إلى سدرة قبضت منهم، ولم يعلموا ما وراء ذلك .

وقد ذكر أبو عيسى القول الثانى الذى ذكرنا مسنداً إلى النبى ﷺ [1] .

والقول الثالث : أن معنى المنتهى أنه ينتهى إليها مقام جبريل . وفى الآية قول آخر : وهو أن معنى قوله : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ أى : رأى محمد ربه نزلة أخرى، وقد ذكرنا قول ابن عباس من قبل .

واختلف أصحاب رسول الله ﷺ ورضى عنهم فى هذا، فقال ابن مسعود وجماعة : إنه رأى جبريل ولم ير الله تعالى .

وعن مسروق قال : قالت عائشة -رضى الله عنها- من زعم ثلاثاً فقد أعظم الفرية، من زعم أن محمداً يعلم ما فى غد فقد أعظم الفرية؛ قال الله تعالى : ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾[2] وذكرت الآية، ومن زعم أن محمداً كتم من الوحى فقد أعظم الفرية؛ قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾[3] ومن زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية، قال الله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار . . . ﴾[4] الآية[5] .

وروى عكرمة عن ابن عباس : « أن محمداً ﷺ رأى ربه ليلة المعراج بعينه »[6] . وهو قول أنس وكعب الأحبار وجماعة كثيرة من التابعين منهم : الحسن، وعكرمة : أن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى، فكلم موسى مرتين، ورأى محمد ربه

---

(١) هو حديث عبد الله بن مسعود المتقدم قبل حديث .

(٢) لقمان : ٣٤ .

(٣) المائدة : ٦٧ .

(٤) الأنعام : ١٠٣ .

(٥) تقدم تخريجه .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر (٦ / ١٣٧) لابن مردويه .

﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾

مرتين. وهذا قول جماعة من الأئمة منهم أحمد بن حنبل، وإسحاق، وغيرهما. وفى بعض الروايات: جعلت الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ.

فإن قيل: كيف تجوز الرؤية على الله تعالى فى الدنيا؟ والجواب: أنه لم يكن فى الدنيا، وإن كان فى الدنيا فكل ما فعل الله تعالى وأكرم به نبيًّا من أنبيائه فجائز بلا كيف.

وفى رواية [زرين][(١)] حبيش عن ابن مسعود فى معنى الآية «أن النبى ﷺ رأى جبريل وله ستمائة جناح» والخبر صحيح[(٢)]. وقد ثبت برواية عكرمة عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «رأيت ربى فى أحسن صورة[(٢)]» والله أعلم.

قوله: ﴿عندها جنة المأوى﴾ أى: يأوى إليها المؤمنون يوم القيامة، ويقال: تأوى إليها أرواح الشهداء. وقيل: [تأوى][(٣)] إليها الملائكة.

قال سفيان بن عيينة: كالغربان يقعن على الشجر. وفى الآية دليل على أن الجنة فى السماء وأنها مخلوقة، ومن زعم أنها غير مخلوقة فهو كافر بهذه الآية.

وعن على بن أبى طالب -رضى الله عنه- قال: جنة المأوى جنة المبيت. وعن بعضهم: جنة المثوى والمقام. وعن بعضهم: يأوى إليها جبريل والملائكة المقربون.

قال كعب الأحبار: هى جنة فيها طير خضر فى حواصلها أرواح الشهداء.

قوله تعالى: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ قال ابن مسعود: يغشاها فراش من ذهب. وعن الحسن: يغشاها نور الرب تعالى. فى بعض الأحاديث: أن الملائكة استأذنوا لربهم أن ينظروا إلى محمد ﷺ ليلة المعراج، فأذن لهم، فاجتمعوا على السدرة[(١)].

---

(١) سقط من «الأصل، وك»، والمثبت هو الصواب كما سبق فى تخريجنا للحديث.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) من «ك».

وفى هذا الحديث أن النبى ﷺ قال: «رأيت على كل ورقة منها ملكا قائما يسبح الله تعالى»[٢]. أورده أبو الحسن[٣] بن فارس قال: فهو معنى قوله: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ وفى بعض الروايات: يغشاها جراد من ذهب. واعلم أن السدرة شجرة تجمع ثلاثة أشياء: الظل المديد، والطعم اللذيذ، والرائحة الطيبة، كذلك الإيمان يجمع ثلاثة أشياء: النية، والقول، والعمل. واعلم أنا قد ذكرنا اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ ورضى عنهم فى أنه هل رأى ربه ليلة المعراج أو لا؟

وذكر أبو الحسين بن فارس فى تفسيره آثاراً سوى ما ذكرناها؛ فحكى عن ابن عمر أن الله تعالى احتجب عن خلقه بنور وظلمة ونار. وروى عن [أبى][٤] العالية الرياحى - رحمه الله - أن النبى ﷺ قال: «رأيت ليلة المعراج نهراً، ورأيت وراءه حجاباً، ورأيت وراء الحجاب نوراً، ولا أدرى ماوراء ذلك»[٥]. وروى عن محمد بن كعب القرظى «أن النبى ﷺ رأى ربه بفؤاده كما يرى بالعين».

وفى رواية أبى ذر «أن النبى ﷺ سئل هل رأيت ربك؟ فقال: نور أنى أراه»[٦]. فالروايات مختلفة فى الباب، والله أعلم بالصواب من ذلك. وينبغى أن يقال: إن ثبت النقل أنه رأى ربه نحكم بالرؤية ونعتقدها، وإن لم يثبت النقل فالأمثل أنه لم ير.

قوله تعالى: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ فى التفسير أن معناه: لم يلتفت يميناً ولا

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر (٦/ ١٣٩) لعبد بن حميد من حديث سلمة بن وهرام قوله.

(٢) رواه ابن جرير فى تفسيره (٢٧/ ٣٣) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مرسلا.

(٣) كذا فى النسختين، والصواب أبو «الحسين»، وهو أحمد بن فارس بن زكريا القزوينى اللغوى المعروف بالرازى وصاحب كتاب جامع التأويل فى تفسير التنزيل، وسيأتى على الصواب بعد أسطر قليلة، وانظر ترجمته من السير (١٧/ ١٠٣ - ١٠٦)، وهدية العارفين (٦٨ - ٦٩) وغيرهما.

(٤) من «ك»، وفى «الأصل»: ابن، وهو تحريف.

(٥) عزاه السيوطى فى الدر (٦/ ١٣٨) لابن المنذر وابن أبى حاتم فى تفسيريهما.

(٦) رواه مسلم (٣/ ١٥ - ١٦ رقم ١٧٨)، والترمذى (٥/ ٣٦٩ رقم ٣٢٨٢) وقال: حسن، وأحمد فى مسنده (٥/ ١٥٧، ١٧١، ١٧٥)، وابن خزيمة فى التوحيد (٢٠٥ - ٢٠٧)، وابن أبى عاصم فى السنة (١/ ١٩٢ رقم ٤٤١)، وأبو نعيم فى الحلية (٩/ ٦١)، والبغوى فى تفسيره (٤/ ٢٤٧) من حديث أبى ذر مرفوعا بنحوه.

مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾

شمالا. ويقال معناه: ما قصر عما أمر بالنظر إليه، وما جاوز بصره فى النظر إلى غير ما أمر به بالنظر. ومعنى الزيغ فى اللغة: هو الميل به، ومعنى الطغيان: هو التجاوز.

قوله تعالى: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ قال ابن مسعود: أى: جبريل وله ستمائة جناح قد سد الأفق. وفى رواية ينتثر من ريشه الدر والياقوت (والتعاويذ)[1]. وفى رواية أخرى عن ابن مسعود: أنه رأى رفرفاً أخضر قد ملأ الأفق.

وتقدير الآية: «رأى من آيات ربه الآية الكبرى». وقيل: رأى من آيات ربه الكبرى، أى: النور الذى رآه فى تلك الليلة.

قوله تعالى: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ معناه: أفرأيتم هذه الأصنام التى تعبدونها، هل تملك شيئًا مما ذكر الله تعالى؟ أو هل لها من العلو والرفعة والقدرة مثل ما ذكرنا؟.

وأما تفسير هذه الأصنام: «فلات» صنم كانت ثقيف تعبده، وقيل: إنه كان صخرة. وأما «العزى» فشجرة كانت تعبدها غطفان وجشم وسُلَيم. ويقال: كان بيت عليه سدنة، وكانت العرب قد علقوا عليه السوار، وزينوه بالعهن وما يشبهه. وقد روى عن النبى ﷺ «أنه بعث خالد بن الوليد ليهدم العزى فقطع شجرات ثم، وهدم بعض الهدم، فرجع إلى النبى ﷺ وأخبره، فقال: هل رأيت شيئًا؟ فقال: لا. قال: إنك لم تفعل، عد، فعاد وبالغ فى الهدم وقتل السدنة، وكانوا يقولون: يا عزى عوزيه، يا عزى خبليه. قال: فخرجت امرأة عريانة من جوف العزى، ناشرة شعرها، تدعو بالويل والثبور، وتحثو التراب على رأسها، فعمها خالد بالسيف وقتلها، ورجع

(١) كذا فى النسختين، والصواب. التهاويل، وهى الأشياء المختلفة الألوان. النهاية فى غريب الحديث (٥/٢٨٣). وهو كذلك عند أحمد وغيره كما تقدم.

إلى النبى ﷺ وذكر له ذلك. فقال: تلك العزى لا تعبد بعد اليوم»[١]. وهذا خبر معروف. وأما «مناة» صنم كان «بقُدَيد» بين مكة والمدينة. ويقال: بالمُشَلَّل.

قال أهل التفسير: وإنما قال: ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾ لأنهم كانوا يعتقدون أن مناة دون اللات والعزى. وفى التفسير: أن «اللات» كان رجل يلت السويق على حجر، فكان كل من يأكل منه سمن، فلما مات عبدوه، واتخذوا حجرًا (بصورته)[٢].

قال الشاعر:

لا تعبدوا اللات إن الله مهلكها ... وكيف ينصركم من ليسَ ينْتَصِرُ

واعلم أنا قد ذكرنا فى سورة الحج: «أن النبى ﷺ قرأ هذه السورة على المشركين، فلما بلغ هذه الآية ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى»[٣]. رواه سعيد بن جبير. وغيره عن ابن عباس قال: «فلما قرأ (كذلك)[٤] فخرج المشركون وقالوا: ما كنا نطلب منك إلا هذا، وهو أن لا تعيب آلهتنا ولا تسبها، وتعلم أن لها شفاعة يوم القيامة. لما بلغ آخر السورة سجد النبى ﷺ وسجد المسلمون والمشركون جميعًا، ثم إن جبريل أتاه وأمره أن يقرأ عليه السورة، فقرأ كما قرأ على المشركين، فقال: إن هذا لم أنزله عليك، واستخرج ذلك من قراءته، وحزن النبى ﷺ بذلك حزنًا شديدًا حيث عمل الشيطان على لسانه ما عمل، فأنزل الله تعالى مسليًّا ومعزيا له: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته...﴾[١] الآية. ثم إن الرسول لما رجع عما سمع منه، وعاد إلى

---

(١) رواه النسائى فى الكبرى (٦/٤٧٤ رقم ١١٥٤٧)، وأبو يعلى (٢/١٩٦ - ١٩٧ رقم ٩٠٢)، ومن طريقه رواه البيهقى فى الدلائل (٥/٧٧) عن أبى الطفيل عامر بن واثلة به.

وقال الهيثمى فى المجمع (٦/١٧٩): رواه الطبرانى، وفيه يحيى بن المنذر، وهو ضعيف.

وفى الباب أحاديث عن ابن عباس وغيره، وانظر تخريج الكشاف (٣/٣٨٢ - ٣٨٤).

(٢) فى «ك»: لصورته.

(٣) وهذا حديث باطل، وقد تقدم تخريجه.

(٤) فى «ك»: ذلك.

أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم

سب آلهتهم وعيبها، عاد المشركون إلى ما كانوا عليه»(٢).

وفى القصة: أنه كان قد وصل ذلك الخبر إلى الحبشة، أن المسلمين والمشركين قد اتفقوا، وأن الكفار قد سجدوا بسجود النبى ﷺ حتى الوليد بن المغيرة، وقد كان شيخهم وكبيرهم فرفع التراب إلى جبهته وسجد عليه، فرجع المسلمون من الحبشة، فلما صاروا فى بعض الطريق بلغهم الخبر فرجعوا إلى الحبشة.

قوله تعالى: ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾ هذا على طريق الإنكار عليهم، لأنهم كانوا يقولون: هذه الأصنام على صور الملائكة، والملائكة بنات الله، وهذا قول بعضهم.

وقوله: ﴿تلك إذاً قسمة ضيزى﴾ أى: جائرة. وحقيقة المعنى: أنكم إذا كرهتم البنات لأنفسكم فأولى أن تكرهوها لله تعالى.

وقد حكى أهل اللغة هذه الكلمة عن العرب على أربعة أوجه: ضيزى، وضوزى بغير همزة، وضأزَى، وضازِى بغير همزة، وهذه اللغات وراء ما ورد به التنزيل.

قوله تعالى: ﴿إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾ أى: حجة. وعن ابن عباس: أن كل سلطان فى القرآن فهو بمعنى الحجة.

وقوله: ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ فى بعض الآثار: أن المؤمن أحسن العمل فحسن ظنه، وأن المنافق أساء العمل فساء ظنه. وفى بعض الأخبار: «أكذب الحديث هو الظن».

---

(١) الحج: ٥٢.

(٢) وهذا حديث باطل، وقد تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾ إِنَّ

وقوله: ﴿وما تهوى الأنفس﴾ أى: ما تدعوا إليه هو النفس.

وقوله: ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ أى: طريق الرشد والحق.

وقوله تعالى: ﴿أم للإنسان ما تمنى﴾ معناه: أللإنسان ما تمنى؟ أى: ليس له ما تمنى. واعلم أن الأمنية مذمومة، والإرادة محمودة، والفرق بينهما أن الأمنية شهوة لا يصدقها العمل، والإرادة هو ما يصدقه العمل. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والفاجر من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله المغفرة»(١). وعن بعضهم: الأمانى رأس مال المفاليس.

وقوله: ﴿فلله الآخرة والأولى﴾ أى: الملك فى الآخرة والأولى.

قوله تعالى: ﴿وكم من ملك فى السموات﴾ روى عن كعب الأحبار أنه قال: ما من موضع شبر فى السماء إلا وفيه ملك قائم أو ساجد.

وقد روى مثل هذا فى الأرض أيضًا عن غيره. وكم فى اللغة للتكثير.

وقوله: ﴿لا تغنى شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾ والمعنى: أنهم لا يملكون الشفاعة لأحد حتى يأذن الله فيه ويرضاه. وفى بعض التفاسير: أن هذا جواب لقول المشركين: إن الغرانقة تشفع يوم القيامة عند الله تعالى، وهى الأصنام، فأخبر الله تعالى أن أحداً لا يملك الشفاعة إلا بإذن الله تعالى ورضاه فى ذلك.

قوله تعالى: ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى﴾ هو قولهم للأصنام وتسميتهم إياها - اللات، والعزى، ومناة - تسمية الإناث. وكانوا يقولون: إن هذه الأصنام على صورة الملائكة.

---

(١) تقدم تخريجه.

الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن

وقوله: ﴿ وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً ﴾ أى: لا ينوب على الحق أبداً.

قوله تعالى: ﴿ فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ﴾ يقال: إن هذه الآية نزلت قبل نزول آية السيف، ثم نسختها آية السيف.

وقوله: ﴿ ذلك مبلغهم من العلم ﴾ أى: لا يعلمون إلا أمر المعاش فى الحياة الدنيا. وعن الحسن البصرى قال: رب رجل ينقر درهماً بظفره - فيذكرونه - ولا يخطئ فيه، وهو لا يحسن يصلى.

وقوله: ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ﴾ أى: يعلم المهتدى والضال، والمؤمن والكافر، ولا يخفى عليه شيء من أمرهم.

وقوله: ﴿ ولله ما فى السموات وما فى الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ أى: بالجنة.

قوله تعالى: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش﴾ وقرئ: «كبير الإثم» وقد بينا معنى الكبائر من قبل. وقيل: إنه كل ما أوعد الله عليه بالنار. والفواحش: المعاصى.

وقوله: ﴿إلا اللمم ﴾ قال ابن عباس وغيره: وهو أن يلم بالذنب ثم يتوب منه. أى: يفعل ذلك مرة ولا يصر عليه. وعنه أيضاً أنه قال: ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما رواه أبو هريرة أن النبى ﷺ قال: «إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اليد اللمس، والنفس تمنى وتشتهى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»(١). وهو حديث صحيح.

---

(١) متفق عليه، رواه البخارى (١١/ ٢٨ رقم٦٢٤٣، وطرفه:٦٦١٢)، ومسلم (١٦/ ٣١٥ - ٣١٦ رقم٢٦٥٧).

سَبيله وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّه مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ

.فعلى هذا القول: اللمم هو النظر واللمس وما يشبه ذلك. وفيه حديث نبهان التمار الذى ذكرنا فى سورة هود.

وفى الآية قول ثالث: أن اللمم هو الصغائر. وفيه قول رابع: أن اللمم هو ما فعله المسلمون فى الجاهلية قبل إسلامهم، فلما أسلموا وقع العفو عنها.

وقيل: إن اللمم هو النظر فجأة ،ثم يغض بصره فى الحال. وعن بعضهم:

إن تغفر اللهم فاغفر جما فأى عبد لك لا ألمـــا.

وقد روى بعضهم هذا مسنداً إلى النبى ﷺ[1] وأما معنى «إلا» فى الآية، فقال بعضهم: هو منقطع، فكأنه قال: لكن اللمم. ومنهم من قال: الاستثناء على حقيقته، واللمم: فواحش إلا أن الله تعالى يعفو عنها بمشيئته.

وقوله: ﴿إن ربك واسع المغفرة﴾ أى: كثير المغفرة.

وقوله: ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض﴾ معناه: هو ابتداء خلقكم من تراب ثم من نطفة.

وقوله تعالى: ﴿وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم﴾ يعنى: أنه كان عالماً بأحوالكم وأنتم أجنة فى بطون الأمهات جاهلون بأحوالكم.

وقوله: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ أى: لا تمدحوا أنفسكم.

وقوله: ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾ أى: هو أعلم بالمتقين. وعن عطاء بن أبى رباح: أن اللمم أن يعزم على الذنب ثم لا يفعل. ذكره القفال الشاشى فى تفسيره. وحُكِى عن أبى هريرة أنه قال: اللمم: الغَمْزَة والقُبْلَة.

(١) رواه الترمذى (٥/ ٣٧٠ رقم ٣٢٨٤) وقال: حسن صحيح غريب، وابن جرير (٢٧/ ٣٩)، والبزار (٢/ ١٠٩ - ١١٠ رقم ١١٥١ - مختصر الزوائد)، والحاكم (٢/ ٤٦٩) وصححه على شرطهما، جميعهم من حديث ابن عباس مرفوعا به. وصححه الحافظ ابن حجر فى مختصر الزوائد.
وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١١٨): رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح.

أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي

وأما قوله: ﴿ فلا تزكوا أنفسكم ﴾ قد بينا. وفي تفسير النقاش: أن الرجل من اليهود كان إذا مات له طفل يقول: هو صِّديق، فأنزل الله تعالى هذه الآية ردًا عليهم. ويقال: إن الآية فى الرجل يخبر بصومه وصلاته وفعله الخير بين الناس، وقد كان منهم من يقول كذلك فعلنا كذا، وصنعنا كذا، فنهاهم الله تعالى عن ذلك. واعلم أن مدح الرجل نفسه مكروه، وكذلك مدح الرجل غيره فى وجهه.

وفى الخبر المعروف: أن رجلا مدح رجلاً عند النبى ﷺ فقال: «ويلك قطعت عنق أخيك فإن كنت قائلا شيئا، فقل: أحسب فلانا كذا، ولا أزكى على الله أحداً»(١).

وفى خبر آخر «احثوا التراب فى وجوه المداحين»، رواه المقداد عن النبى ﷺ(٢).

وقوله: ﴿ هو أعلم بمن اتقى ﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ أفرأيت الذى تولى ﴾ أى: أعرض عن الإيمان بالله.

وقوله: ﴿ وأعطى قليلا وأكدى ﴾ معنى قوله أكدى: أى: قطع عطاءه.

ويقال: أكدى معناه: أجبل. ومنه الكدية، وهى إذا حفر الرجل بئرًا فبلغ موضعًا لا يمكنه العمل فيه من صخرة وما يشبهها، يقال له: الكدية. ومعنى قوله أجبل أى: بلغ جبلاً. وفى التفسير: أن الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة، ويقال: فى العاص بن وائل، كان يحضر مجلس النبى ﷺ ويستمع إلى القرآن، ثم إن المشركين عيَّروه فقال: إنى أخشى العذاب، فقال له بعضهم: أعطنى شيئًا أتحمل عنك العذاب يوم القيامة، فأعطاه وتحمل عنه، فعلى هذا قوله: «أعطى قليلا» أى: استمع ورغب فى الإسلام.

---

(١) متفق عليه من حديث أبى بكرة، رواه البخارى (٥/ ٣٢٤ رقم ٢٦٦٢، وطرفاه: ٦٠٦١، ٦١٦٢)، ومسلم (١٨/ ١٧١ - ١٧٢ رقم ٣٠٠٠).

(٢) رواه مسلم (١٨/ ١٧٢ - ١٧٤ رقم ٣٠٠٢)، والبخارى فى الأدب المفرد (١٠٣)، وأبو داود (٤/ ٢٥٤ رقم ٤٨٠٤)، والترمذى ٤/ ٥١٨ رقم ٢٣٩٣) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢/ ١٢٣٢ رقم ٣٧٤٢)، وأحمد (٦/ ٥)، والطبرانى فى الكبير (٢٠/ ٣٣٩ رقم ٥٦٥، ٥٦٦)، وأبو نعيم فى الحلية (٤/ ٣٧٧)، والبيهقى (١٠/ ٢٤٢) من حديث المقداد.

تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ

وقوله: ﴿ أكدى ﴾ أى: قطع ما أعطى. وقال مقاتل: أعطى بلسانه وقطع بقلبه. وحكى بعضهم عن ابن عباس أن معنى الآية: أطاع ثم عصى. وذكر بعضهم: أن رجلا من جهلاء الأعراب، وكان قد أسلم وقدم المدينة فجعل يقول: من يشترى حسناتى بصاع من تمر، فقال أبو خيثمة الأنصارى، وكان رجلا فيه خير: أنا أشتريها منك بوسق من تمر. والوسق: ستون صاعاً، فباع الأعرابى منه حسناته وأخذ الوسق، فأنزل الله تعالى فى الأعرابى هذه الآية. والمعروف هو القول الأول.

قوله تعالى: ﴿ أعنده علم الغيب فهو يرى ﴾ أى: يعلم. والرؤية تكون بمعنى رؤية البصر، وتكون بمعنى العلم. تقول العرب: رأيت فلانا عالماً أى: علمت. ومعنى الآية: أكان عند من (تحمل)[١] الذنوب عن الوليد علم الغيب فهو يعلم أنه يتحملها عنه يوم القيامة؟.

قوله تعالى: ﴿ أم لم ينبأ بما فى صحف موسى ﴾ معناه: أم لم يخبر.

وقوله: ﴿ بما فى صحف موسى ﴾ ذكر وهب بن منبه: أن الله تعالى أنزل مائة [وأربعة][٢] كتب؛ ثلاثون صحيفة على شيث، وخمسون على إدريس، وعشرون على إبراهيم، وأربعة على موسى وداود وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

قوله: ﴿ وإبراهيم الذى وفى ﴾ قرأ الحسن البصرى «وفى» مخفَفا أى: بما أمر به. ويقال: [وفَّى فى ذبح ابنه][٣].

وأما القراءة المعروفة بالتشديد فيجوز أن تكون بمعنى «وفَّى» إلا أنه أكده بالتشديد ويقال: وفَّى [بسهام][٤] الإسلام. قال الحسن: لم يؤمر بأمر إلا عمل به.

---

(١) فى «ك»: يحمل.

(٢) فى «الأصل، وك»: أربع، وهو خلاف الجادة.

(٣) من «ك»، وفى «الأصل»: وفى بذبح ابنه.

(٤) من «ك»، وفى الأصل»: سهام.

﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ

وعن ابن عباس أنه قال: الإسلام ثلاثون سهمًا، لم يتم جميعها غير إبراهيم ومحمد عليهما السلام. وقال الفراء: «وفَّى» معناه: بلغ. وعن الهذيل بن شرحبيل قال: كان بين نوح وإبراهيم قرون يأخذون الجار بذنب الجار، وابن العم بذنب ابن العم، والصديق بذنب الصديق، فجاء إبراهيم وبلغ عن الله تعالى: ﴿ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أى: لا يؤخذ أحد بذنب غيره.

قوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ معناه: إن سعى فى الخير يلق الخير، وإن سعى فى الشر يلق الشر.

وقوله: ﴿وأن سعيه سوف يرى﴾ أى: يراه على معنى أن الله تعالى يريه إياه، وهو الجزاء الذى يجازيه عليه، وهو معنى قوله: ﴿ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ أى: الأكمل الأتم.

قوله تعالى: ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ أى: مصير العباد ومرجعهم إليه. قال محمد بن على الباقر: تاه فيه العقول أى: تحيرت. فعلى هذا معنى الآية: أن العقول إذا انتهت إلى أوصافه تحيرت، يعنى: أنها لا تدرك أوصافه على الكمال. وفى بعض التفاسير: أن بعض الملائكة تفكر فى الله تعالى فصيحت عليه صيحة، فتاه عقله، فهو يسمى بين الملائكة التائه.

قوله تعالى: ﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾ قال ابن عباس: أضحك أهل الجنة، وأبكى أهل النار. ويقال: أضحك بالوعد، وأبكى بالوعيد. ويقال: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر. والأصح من الأقاويل أنه أضحك الخلق وأبكاهم.

قوله تعالى: ﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾ يقال: أمات الآباء، وأحيا الأبناء وقيل: أمات قوما بالضلالة، وأحيا قوما بالهداية. والأصح أنه أمات الخلق وأحياهم.

قوله تعالى: ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى﴾ أى: الصنفين. قال الضحاك:

هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ

آدم وحواء. والأصح أنه الذكر والأنثى من بنى آدم.

وقوله: ﴿من نطفة إذا تمنى﴾ أى: تُقَدَّر. تقول العرب: ما تمنى تلك [الأمانى](١) أى: يُقدر ذلك المقدر. وقيل: إذا تمنى، هو عبارة عن الوطء أى: من نطفة تحصل بالجماع.

قوله تعالى: ﴿وأن عليه النشأة الأخرى﴾ أى: البعث يوم القيامة، وإنما قال: «الأخرى» لأنها ثانية النشأة الأولى، والنشأة الأولى ابتداء الخلق.

قوله تعالى: ﴿وأنه هو أغنى وأقنى﴾ معناه: أعطى وأوسع، فقوله: ﴿أقنى﴾ أى: أعطى القنية، والقنية: هى أصل مال يتخذ. قالوا: وهو مثل الإبل والبقر والضياع والنبات وما أشبه. ويقال: أغنى بالذهب والفضة، وأقنى بغيرهما من الأموال. ويقال: أغنى وأقنى: أى: أعطى وقنع بما أعطى. قال القتيبى: أغنى أى: أعطى المال، وأقنى أى: أخدم كأنه أعطاه من يخدمه. وقال أغنى: أى: أعطى بما أعطى. وعن بعضهم أغنى: أى: أغنى نفسه، كأنه وصف نفسه بالغنى. وقوله: ﴿وأقنى﴾ أى: أفقر خلقه إلى نفسه، ويقال: أغنى وأقنى: أى: وسع وقتر.

قوله تعالى: ﴿وأنه هو رب الشعرى﴾ فى التفسير: أنه كان رجل من خزاعة خالف دين آبائه وعبد الشعر العَبُور، وهو كوكب خلف الجوزاء تسمى المرزم، وهما الشعريان: [إحداهما](٢): الغميصاء، والأخرى: العبور، فالغُمَيْصاءُ فى المجرة، والعبور خلف الجوزاء وتسمى كلب الجوزاء. وكان ذلك الرجل يعبد الشعرى، ويقول: إنها تقطع الفلك عرضا دون سائر الكواكب، فإنها تقطع أموالا(٣)، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وذكر أنه خالق الشعرى التى تعبدونها. [قاله](٤) مجاهد وقتادة وغيرهما. وعن بعضهم: أنها الزهرة، وهذا مخالف لظاهر الآية.

(١) فى «الأصل» و«ك»: المافى. (٢) فى الأصل: إحديهما، وهو خلاف الجادة.

(٣) كذا! والصواب: أطوالا، وانظر تفسير البغوى (٤ / ٢٥٧) وغيره. (٤) فى «الأصل وك»: قاله.

الشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾ فإن قيل: ما معنى قوله: «عادا الأولى»، وعاد كانت واحدة لا اثنين؟ والجواب: أن ثمود وعاداً كانا من ولد آدم بن سام بن نوح، فعاد هم قوم هود، وهم عاد الأولى، وثمود هم قوم صالح وهم عاد الأخرى.

وقوله: ﴿وثمود فما أبقى﴾ أى: أبادهم وأفناهم.

قوله تعالى: ﴿وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى﴾ أى: أكبر وأشد طغيانا. وفى القصة: أن الرجل منهم كان يأتى بابنه إلى نوح فيقول: احذر هذا الشيخ، وإياك أن يضلك، فإن أبى حملنى وأنا فى مثل سنك إليه وحذرنى منه كما حذرتك منه.

قوله تعالى: ﴿والمؤتفكة أهوى﴾ المؤتفكة هى مدائن لوط، ائتفكت بهم الأرض أى: انقلبت بهم.

وقوله: ﴿أهوى﴾ يقال: هوى إذا سقط، وأهوى إذا أسقط. وقد بينا أن جبريل عليه السلام قلعها من أصلها، وبلغ بها السماء الدنيا حتى سمع أهل السماء الدنيا نباح الكلاب وأصوات ديكتهم، وكان فيها أربعمائة ألف رجل. وقد قيل أكثر من ذلك، ثم إن جبريل قلبها فجاءت تهوى فهو معنى قوله: ﴿والمؤتفكة أهوى﴾ قال عكرمة: فهى تتجلجل فى الأرض إلى قيام الساعة. والعرب تقول: أهوى أى: وقع فى هوة، والهوة: الحفرة.

قوله تعالى: ﴿فغشاها ما غشى﴾ أى: غشاها من الحجارة ما غشى. يقال: من عذاب الله ما غشى. والتغشية: التغطية. وفى القصة: أن الحجر يتبع شرادهم حتى أهلكهم جميعاً، وكان فى الحرم رجل منهم فوقف حجر فى الهواء سبعة أشهر، ثم خرج، فلما خرج وخطا خطوة سقط عليه الحجر وأهلكه، وكان اسمه أبو رُغال.

قوله تعالى: ﴿فبأى آلاء ربك تتمارى﴾ أى: تتشكك، ومعناه: تشك، وقيل:

فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلا

تكذب. والمرية: هى الشك فى اللغة. والخطاب للكافر يعنى: فبأى آلاء ربك تتمارى أيها الكافر.

وقوله: ﴿ هذا نذير من النذر الأولى ﴾ أى: نبى يشبه الأنبياء المتقدمين.

وقوله: ﴿ أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة ﴾ فإن قيل: ما معنى قوله: «كاشفة»؟ ولم أدخل هاء التأنيث؟ والجواب: أن بعضهم قال: لموافقة رءوس الآى. وقال بعضهم معناه: ليس لها من دون الله نفس كاشفة. وهذا أحسن. ومعنى الآية: أنه لا يعلم علمها سوى الله تعالى، وهو علم قيامها وتجليها. ويقال: لا يأتى بها أحد سوى الله تعالى.

يقال: كشف عن الشىء إذا أظهره أى: لا يكشف عن القيامة ولا يظهرها غير الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ أفمن هذا الحديث تعجبون ﴾ أى: القرآن.

وقوله: ﴿ تعجبون ﴾ أى: تتعجبون، وتعجبهم أنهم قالوا: كيف أنزل على واحد مثلنا. ويقال: تعجبهم من قوله إن الله واحد على ما قال فى موضع آخر ﴿ أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشىء عجاب ﴾[1].

وقوله: ﴿ وتضحكون ولا تبكون ﴾ يعنى: من حقكم أن تبكوا لا أن تضحكوا. وفى التفسير: «أن النبى ﷺ لما نزلت هذه الآية لم يُرَ ضاحكًا إلى أن خرج من الدنيا، غير أنه كان يتبسم»[2]. وفى بعض الأخبار: عجبت من ضاحك (ملء فيه والموت يطلبه)[3].

(١) ص: ٥.

(٢) رواه وكيع فى الزهد (١/ ٢٦٦ رقم ٣٦)، وهناد فى الزهد (١/ ٢٧١ رقم ٤٧٣)، وابن أبى شيبة (١٣/ ٢٣٤ رقم ١٦٢٠٣) عن صالح أبى الخليل مرسلا.

وعزاه السيوطى فى الدر (٦/ ١٤٥) لأحمد فى الزهد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم.

(٣) فى «ك»: ملاقيه الموت.

تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾

وقوله: ﴿ وأنتم سامدون ﴾ أى: لاهون غافلون، ويقال: متكبرون. قال مجاهد: السمود هو الغناء بلغة حِمّير. يقولون: يا جارية سمدى لنا: أى غنى. ويقال له: البرطمة أيضاً وأنشد بعضهم:

رمى الحدثان نسوة آل حرب بداهية سمدن لها سموداً

ويروى:

بمقدار سمدن له سمودًا.

فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودًا

وقوله: ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾ حمل بعضهم هذا على الصلوات الخمس. وقيل: إن الآية نزلت بمكة قبل فرض الصلوات الخمس، والسورة مكية، فعلى هذا معناه: فاسجدوا لله واعبدوا أى: اخضعوا لله ووحدوا. ويقال: المراد منه أصل السجود، والمراد من العبادة هى الطاعة، وهو موضع سجود[1] عند أكثر الفقهاء إلا مالك حيث قال: ليس فى المفصل سجود أصلا. وقد ثبت عن النبى ﷺ برواية عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – «أنه عليه الصلاة والسلام قرأ سورة والنجم فسجد فيها، فما بقى من القوم أحد إلا سجد غير رجل واحد أخذ حصى ووضعه على جبهته، وقال: يكفينى هذا. وقال عبد الله: فرأيته قتل كافرًا»[2]. والله أعلم.

---

(١) زاد فى «الأصل، وك» بعد كلمة سجود: الملائكة، وهو زيادة مقحمة.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٢/٦٤١ رقم ١٠٦٧، وأطرافه: ١٠٧٠، ٣٨٥٣، ٣٩٧٢، ٤٨٦٣)، ومسلم (٥/١٠٣ – ١٠٤ رقم ٥٧٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ ﴾

تفسير سورة القمر

وهى مكية إلا قوله تعالى: ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾(١) والآية التى بعدها.

قوله تعالى: ﴿ اقتربت الساعة ﴾ أى: دنت القيامة، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ أزفت الآزفة ﴾(٢)، ومثل قوله: ﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾(٣)، وقد روى أنس أن النبى ﷺ خطب عند مُغَيْرِبَانِ الشمس حتى كادت تغرب، فقال: «مابقى من الدنيا فيما مضى إلا كما بقى من هذا اليوم فيما مضى منه»(٤). وعن كعب ووهب: أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، والذى يمضى هو الألف السابع.

وقوله ﴿ وانشق القمر ﴾ روى ابن مسعود - رضى الله عنه - قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى فانشق القمر فلقتين، فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه، وأنزل الله تعالى ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾. وعن ابن عباس: أن المشركين سألوا من النبى ﷺ آية. وروى أنهم قالوا له إن كنت صادقًا فشق القمر لنا حتى نرى قطعة منه على أبى قُبَيس، وقطعة منه على (قُعَيْقَعَان)(٥)، فدعا الله تعالى وانشق القمر على ما أرادوا، فقال النبى ﷺ: «اشهدوا اشهدوا»(٦).

---

(١) القمر: ٤٥.

(٢) النجم: ٥٧.

(٣) الأنبياء: ١.

(٤) رواه ابن عدى فى الكامل (٦ / ٣٤٥)، والبزار - كما فى المجمع (١٠ / ٣١٤) - وقال الهيثمى: رواه البزار من طريق خلف بن موسى عن أبيه، وقد وثقا، وبقية رجاله رجال الصحيح.

ومعنى الحديث رواه ابن عمر أيضا، كما فى البخارى (٢ / ٤٦ رقم ٥٥٧، وأطرافه: ٢٢٦٨ ....) وغيره، وفى الباب أحاديث عن عدة من الصحابة.

(٥) فى «ك»: قيقعان، وهو خطأ. انظر معجم البلدان (٤ / ٤٣٠ - ٤٣١).

(٦) تقدم تخريجه.

وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾

فإن قيل: ابن عباس لم يكن رأى انشقاق القمر، فكيف تصح روايته؟ وأما ابن مسعود فقد تفرد بهذه الرواية، ولو كان قد انشق القمر لرواه جميع أصحاب رسول الله ﷺ، وأيضًا لو كان ثابتا لرواه جميع الناس، ولأرخوا له تاريخًا؛ لأنهم قد أرخوا مادون هذا من الحوادث، وإنما معنى الآية: انشق القمر أى: ينشق، وذلك يوم القيامة. ويقال: معنى انشق القمر أى: انكسف.

والجواب: أنه قد ثبت انشقاق القمر بالرواية الصحيحة. رواه ابن مسعود وجبير بن مطعم شهدا بالرؤية، ورواه ابن عباس وابن عمر وأنس، وروى بعضهم عن بعضهم عن عبد الله بن عمرو، ومن المحتمل أنه روى عن رؤية، وقد كان ابن مسعود روى هذا عن [رؤيته](١)، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة، فكان ذلك اتفاقًا منهم، ثم الدليل القاطع على ثبوته الآية .

وقوله إن معناه سينشق القمر. قلنا: هذا عدول عن ظاهر الآية، ولايجوز إلا بدليل قاطع، ولأن الله تعالى قال: ﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾ وهذا دليل على أنهم قد رأوها، ولأنه سماه آية، وإنما يكون آية إذا كانت فى الدنيا؛ لأن الآية هاهنا بمعنى الدلالة والعبرة.

وقوله: إن الناس لم يروا. قلنا: يحتمل أنه كان فى زمان غفلة الناس، أو تستر عنهم بغيم، وقد رد الله تعالى الشمس ليوشع بن نون، ولم ينقل أنه أرخ لذلك أيضًا. وقد ذكر فى بعض التفاسير أن أهل مكة قالوا: سحرنا ابن أبى كبشة، فقال بعضهم: سلوا السُّفَّار الذين يقدمون، فإنه إن كان سحرنا فلايقدر أن يسحر جميع الناس، فقدم السُّفَّار وسألوهم وأخبَروُا أنهم قد رأوا.

وقوله تعالى: ﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾ قال الفراء: أى: يشبه بعضه بعضًا، فيحتمل أن يكون معناه: فعله هذا فى السحر يشبه سائر أفعاله فى

(٣) فى «الأصل»: رؤية.

وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾

السحر، ويحتمل أن معناه: سحره يشبه سحر موسى وعيسى وغيرهما. وعن بعضهم: أن قوله: ﴿مستمر﴾ أى: ذاهب باطل، يبطل ويذهب بمضى الزمان، ذكره أبوعبيدة. ويقال: سحر مستمر: أى: شديد محكم. ويقال: استمر من الأرض إلى السماء أى: ظهر سحره فى السماء.

وقوله: ﴿وكذبوا واتبعوا أهواءهم﴾ أى: اتبعه مادعته نفوسهم إليه من الباطل.

قوله: ﴿وكل أمر مستقر﴾ قال مجاهد: الخير لأهل الخير، والشر لأهل الشر. ويقال: الجنة لمن يعمل بالطاعة، والنار لمن يعمل بالمعصية. وقيل: كل أمر مستقر: أى واقع. وقيل: لكل قول حقيقة وغاية ونهاية فى وقوعه وحلوله، ذكره السدى. وعن بعضهم: ويحتمل أن يكون معناه: الإشارة إلى دوام ثواب المؤمنين فى الجنة، وعقاب الكافرين فى النار.

قوله تعالى ﴿ولقد جاءهم من الأنباء﴾ أى: من الأخبار، وهى الأقاصيص وأخبار الأنبياء.

وقوله: ﴿مافيه مزدجر﴾ أى: متعظ. يقال: زجرته فانزجر، وكففته فكف، ووعظته فاتعظ.

وقوله: ﴿حكمة بالغة﴾ معناه أى: القرآن، وما بلغه الرسول عن الله حكمة بالغة، أى: تامة كاملة، ويقال معناه: أنه صواب كله. وقد بينا أن الحكمة هى الإصابة قولا وفعلا.

وقوله: ﴿فما تُغْنِ النذر﴾ أى: أَىُّ شىء تغنى النذر. ويقال: «ما» بمعنى «لا» أى: لاتغنى النذر عنهم شيئًا، وهذا فى أقوام بأعيانهم، علم الله منهم أنهم لايؤمنون، (وأنه)(١) لاينفعهم إنذار الرسل وإقامة الآيات.

---

(١) فى «ك»: وأنهم.

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ

قوله تعالى: ﴿فتول عنهم﴾ منهم من قال: قوله: ﴿فتول عنهم﴾ عليه الوقف، وبه تم الكلام ثم ابتدأ، وقال: ﴿يوم يدع الداع﴾، ومنهم من قال: معناه: فتول عنهم يوم يدعو الداعى. وأما معنى دعاء الداعى: فى التفسير أنه قيام إسرافيل - عليه السلام - على صخرة بيت المقدس، ونفخه فى الصور. ويقال: هو دعاء الناس إلى الحساب.

وقوله: ﴿إلى شىء نُكُر﴾ أى: فظيع شديد هائل. وكل ما يهول الإنسان فهو منكر عنده. ويقال: نكر أى: لايطاق حمله. وعن مجاهد أنه قرأ: ﴿يوم يدع الداع إلى شىء نُكِرَ﴾ بخفض الكاف وفتح الراء، أى: جحد وكفر به، وهذه قراءة شاذة. وعن ابن عمر أنه قرأ: ﴿إلى شىء نكْر﴾ بتسكين الكاف، وأنشدوا فى هذا شعراً:

أبى اللـه إلا عـدله ووفـاءه   فلا النكر معروف ولا العرف ضائع

وقوله: ﴿خشعا أبصارهم﴾ أى: خاشعة أبصارهم، يعنى: ذليلة، وقرئ: «خاشعا أبصارهم» ويجوز التوحيد إذا تقدم فعل الجماعة دون ما إذا تأخر، يقال: مررت بشباب حسان وجوههم، وحسن وجوههم، وحسنة وجوههم.

قال الشاعر:

فى شباب حسن أوجههم   مـن إيادِ بن نِزارِ بن مَعَد

وقوله: ﴿يخرجون من الأجداث﴾ أى: من القبور، واحدتها جدث. وفى لغة تميم هو الجذف. وفى الخبر عن النبى ﷺ أنه قال: «مواتهم أجداثهم» أى: قبورهم.

وقوله تعالى: ﴿كأنهم جراد منتشر﴾ أى: داخل بعضهم فى بعض كالجراد، وقال تعالى فى موضع آخر: ﴿كالفراش المبثوث﴾(١) هو المنتشر والمختلط أيضاً، لايقصدون جهة واحدة، بل ينتشر فى جهات مختلفة بخلاف الجراد، فإن الكل يتبعون جملة واحدة.

---

(١) القارعة: ٤.

الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾

وروى أن مريم - عليها السلام - سألت ربها أن يطعمها لحمًا بغير دم، فقالت: اللهم أعشها بغير [رضاع][1]، وتابع بينها بغير شياع. ثم ذكر أن التوفيق بين الآيتين هو أن الناس إذا خرجوا من قبورهم يختلط بعضهم ببعض، ولا يتبعون جملة واحدة، فهم كالفراش المبثوث، ثم يدعون إلى المحشر أو إلى الحساب فيتبع كلهم الجهة التى يدعون إليها، فهم كالجراد المنتشر.

وقوله: ﴿مهطعين إلى الداعِ﴾ أى: مسرعين مقبلين، ويقال: مهطعين الإهطاع: هو النسلان، ويقال: الخبب[2].

وقوله: ﴿يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾ أى: غير سهل.

قوله تعالى: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا﴾ أى: نوحًا عليه السلام .

وقوله: ﴿وقالوا مجنون وازدجر﴾ أى: زجر بالشتم والسب.

ويقال: زجرا بالتخويف بالقتل، قاله سعيد بن جبير وقتادة وغيرهما. ويقال: ازدجر، أى: استطر عقله، كأنهم قالوا: مجنون ومعتوه.

وقوله: ﴿فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر﴾ أى: انتصر لدينك بالانتقام من أعدائك.

وقوله: ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾ قال على بن أبى طالب - رضى الله عنه - (فتح)[3] موضع المجرة، وهى شَرَج[4] السماء. وفى القصة: أن الله تعالى أرسل الماء من السماء بدون سحاب، ولم يكن أرسل المطر قبله ولا بعده إلا من

---

(١) فى «الأصل، وك» : رضا، والتصويب من النهاية لابن الأثير (٢ / ٥٢٠).

(٢) الخبب : ضرب من العدو، وقيل: مثل الرمل. (لسان العرب ١ / ٣٤١).

(٣) فى «ك» : ففتح.

(٤) الشرج: هو مسيل الماء. النهاية فى غريب الحديث (٢/ ٤٥٦).

﴿وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾

سحابة، وقيل: إن الأبواب هاهنا بطريق المجاز، والمعنى: أرسلنا من السماء بماء منهمر أى: كثير.

قال الشاعر:

أعينى جودا بالدموع الهوامر (على حىّ باد من بعد وضامر)[1]

ويقال: منهمر أى: منصب سائل.

وقوله: ﴿وفجرنا الأرض عيونا﴾ أى: فتحنا عيون الأرض بالماء.

قوله: ﴿فالتقى الماء على أمر قد قدر﴾ أى: التقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قدر كونه، وهو تغريق أهل الأرض سوى أصحاب السفينة. ويقال: على أمر قد قدر: هو تقدير الماء، يعنى: أن الماء أنزل من السماء وفجر من العيون على كيل وتقدير معلوم.

وقوله تعالى: ﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر﴾ أى: على السفينة ذات ألواح، ودسر أى: مسامير، ويقال: ودسر أى: معاريض السفينة، وهى الخشب التى تعرض عليها. ويقال: دسر أى: صدر السفينة، كأنها قد تَدْسُر الماء بصدرها، أى: تدفع.

وقوله: ﴿تجرى بأعيننا﴾ أى: بمرأى منا وحفظ منا.

وقوله تعالى: ﴿جزاء لمن كان كفر﴾ أى: جزاء على ماصُنِعَ بمن كفر به، وهو نوح عليه السلام. ويقال: جزاء النوع وهو الذى كفر به، ذكره الزجاج وغيره. وقيل: جزاء لمن كان كفر أى: جزاء عمن كفر به وهو الله تعالى. وقرئ فى الشاذ: «جزاء لمن كان كَفَرَ» وهو ظاهر.

---

(٣) كذا! وفى تفسير القرطبى (١٧ / ١٣١): على خير باد من معد وحاضر.

وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ

قوله تعالى: ﴿ولقد تركناها آية﴾ أى: تركنا السفينة آية وعبرة، قال قتادة: بقيت سفينة نوح بباقِرْدَى من بلاد الجزيرة حتى أدركها أوائل هذه الأمة.

وقوله: ﴿فهل من مدكر﴾ أى: متعظ متذكر.

وقوله: ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ أى: كيف كان تعذيبى وإنذارى.

قوله تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ أى: متفكر، ومعنى تيسر القرآن للذكرى: هو قراءته عن ظهر قلب، ولم يعط هذا فى كتاب الله غير هذه الأمة، فإن أهل الكتابين إنما يقرءوا فهمًا عن الصحف.

قوله تعالى: ﴿كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر﴾ أى: تعذيبى وإنذارى لهم.

وقوله: ﴿إنا أرسلنا عليهم ريحًا صرصرًا﴾ أى: باردة، ويقال: شديدة الهبوب.

وقوله: ﴿فى يوم نحس﴾ أى: فى يوم مشئوم، وعن جعفر بن محمد قال: كان فى أربعاء لاتدور، ذكره النقاش. ويقال: كان زحل راجعًا هابطًا، وهو ضعيف متروك.

وقوله: ﴿مستمر﴾ أى: دائم الشؤم، ودوام الشؤم أن الريح استمرت بهم سبع ليال وثمانية أيام. ويقال: مستمر أى: استمر بهم العذاب حتى أوقعهم فى جهنم.

قوله تعالى: ﴿تنزع الناس﴾ أى: تقلع الناس. وفى القصة: أن الريح كانت تقلعهم، وتجعل أعلاهم أسفلهم وأسفلهم أعلاهم. قال الحسن البصرى: لما جاءت الريح أخذ بعضهم بيد بعض، وجعلوا دست، وضربوا بأقدامهم على الحجر حتى رسخت فيه، وقالوا: من الذى يزيلنا عن أماكننا؟ وفى القصة: أن طول الواحد منهم كان ستمائة ذراع وخمسمائة، والأقصر ثلاثمائة ذراع بذراعهم، فلما فعلوا ذلك خرجت من تحت أقدامهم وقلعتهم.

كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ

وقوله: ﴿كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾ أى: أصول نخل منقلع. فإن قيل: قد قال فى موضع آخر: ﴿كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾[1] وقال ها هنا: ﴿منقعر﴾ ولم يقل منقعرة. قلنا: النخل يذكر ويؤنث. فإن قيل: فلم شبه بأصول النخل لا بجميعه؟ قلنا فى القصة: أن الريح كانت تقلع رءوسهم أولا، ثم تخرب أجسادهم وتجعلها (كأصول)[2] النخل، فهو معنى الآية.

وقوله: ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾.

﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ أى: بالرسل. ويجوز أن يكون أراد به صالحًا وحده، وذكر الواحد باسم الجمع.

قوله تعالى: ﴿فقالوا أبشرًا منا واحدًا نتبعه﴾ أى: نتبع بشرًا منا واحدًا. قالوا على طريق الإنكار، أى: لا نتبعه.

وقوله: ﴿إنا إذًا لفى ضلال وسعر﴾ أى: فى ضلال وعناء، ويقال: فى ضلال وجنون. يقال: ناقة مسعورة، أى: كالمجنونة من النشاط.

قوله تعالى ﴿أؤلقى الذكر عليه من بيننا﴾ أى: النبوة.

وقوله: ﴿بل هو كذاب أشر﴾ أى: كذاب متكبر. والأشرُ: البَطِرُ الفَرِحُ، كأنه يتكبر بطرًا وفرحًا.

---

(١) الحاقة: ٧.

(٢) فى «ك»: كرءوس.

كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ

وقوله: ﴿ سيعلمون غداً من الكذاب الأشر ﴾ أى: يوم القيامة حتى يلقون جزاء أعمالهم. وقرئ فى الشاذ: «من الكذاب الأشَر» وقرئ أيضاً: «الأشُر» بضم الشين. والأشَر والأشِر بمعنى واحد، وهو مثل حذَر وحذِر.

قوله تعالى ﴿ إنا مرسلو الناقة فتنة لهم ﴾ فى القصة: أن قوم صالح طلبوا منه أن يخرج من هذه الصخرة - وأشاروا إلى صخرة بعينها - ناقة حمراء عشراء، والعشراء: هى الناقة الحامل التى أتى على حملها عشرة أشهر، وتلد سقباً فى الحال، ثم ترد ماءهم وتشرب جميع ما فيها، وتعطى لبنا بقدر ماشربت من الماء، فأعطاهم الله تعالى هذه الآية. وروى أن الصخرة تمخضت كما تتمخض الناقة عند الولادة، ووضعت ناقة فى الحال كأعظم مايكون. وروى أن عظم الناقة كان بحيث إذا مشت بين الوادى أخذ بطنها مابين الجبلين.

وقوله ﴿ فتنة لهم ﴾ أى: اختباراً لهم.

وقوله: ﴿ فارتقبهم واصطبر ﴾ أى: انتظرهم واصبر.

وقوله: ﴿ ونبئهم أن الماء قسمة بينهم ﴾ أى: للناقة يوم ولهم يوم.

وقوله: ﴿ كل شرب محتضر ﴾ أى: كل نصيب بحضرة مَنْ له.

قوله تعالى: ﴿ فنادى صاحبهم ﴾ يعنى: قُدَار بن سالف، وهو أحمر ثمود. وفى المَثَل: أشأم من أحمر عاد. يعنى: على قومه. وإنما قيل: عاداً لأن ثمود من نسب عاد. وفى الخبر أن النبى ﷺ قال: «انبعث له - يعنى لقتل الناقة -رجل عزيز فى قومه مثل [أبى](١) زمعة»(٢).

---

(١) فى «الأصل، وك»: ابنى، وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه، كذا رواه البخارى ومسلم كما سيأتى.

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن زمعة، رواه البخارى (٨/ ٥٧٥ رقم ٤٩٤٢)، ومسلم (١٨/ ٢٧٤ رقم ٢٨٥٥).

﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾

وقوله: ﴿فتعاطى فعقر﴾ أى: ارتكب المعصية فعقر الناقة. والعقر: هو القتل. وفى الخبر: «أفضل الجهاد من أُريق دَمُه وعُقِرَ جَوَادُه».

وقوله: ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة﴾ فى القصة: أن جبريل - عليه السلام - قام فى جانب قريتهم، وصاح عليهم صيحة واحدة، فماتوا جميعًا.

وقوله: ﴿فكانوا كهشيم المحتظر﴾ الهشيم مايبس من النبات والشجر، والهشيم هاهنا: ماتناثر من التراب عن الجواد، يعنى: صاروا كذلك.

وقوله ﴿المحتظر﴾ وقرئ: «المحتظَر» بفتح الظاء. قال أهل المعانى: هو أن يأخذ الراعى حظيرة حوالى غنمه من شوك وشجر، فإذا يبس وتناهى فى اليبس تكسر وتشتت، فشبههم حين هلكوا بذلك. وأما المحتظِر هو الذى يتخذ الحظيرة، والمحتظَر بالفتح هو المُتَخَذُ.

قوله تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ أى: متعظ. قال قتادة: هل من طالب خير فيعان عليه.

قوله تعالى: ﴿كذبت قوم لوط بالنذر﴾ فإن قيل: كيف قال: ﴿بالنذر﴾ ولوط كان واحداً؟ قلنا: لأن من كذب واحداً من الرسل، فكأنه كذب جميع الرسل .

قوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا عليهم حاصباً﴾ أى: ريحًا ذات حصباء، وهى الحجارة.

قوله: ﴿إلا آل لوط نجيناهم بسحر﴾ هو لوط وابنتاه. وفى الخبر: أنه وأعنزة بين

نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾

يديه، وهى أربعون يسوقها، وهو آخذ بيد ابنته الكبرى بيمينه، وبيد ابنته الصغرى بيساره، وامرأته خلفه، فلما سمعوا الوصية فى هلاك القوم سجد هو وابنتاه شكراً، والتفتت المرأة فأصابتها الحجارة وهلكت.

وقوله: ﴿ نعمة من عندنا ﴾ أى: إنعاماً من عندنا.

وقوله: ﴿ كذلك نجزى من شكر ﴾ أى: شكر نعم الله .

وقوله: ﴿ ولقد أنذرهم بطشتنا ﴾ أى: خوفهم بطشتنا بهم فى الإهلاك .

وقوله: ﴿ فتماروا بالنذر ﴾ أى: شكوا برسالة الرسل.

قوله تعالى: ﴿ ولقد راودوه عن ضيفه ﴾ أى: طلبوا من لوط أن يسلم إليهم أضيافه. وفى القصة: أن جبريل - عليه السلام - جاء ومعه ملكان، وكان قوم لوط قد قالوا له: إنا لانمتنع من عملنا، فإياك أن تضيف أحداً من الغرباء، فلما جاء جبريل - عليه السلام - مع الملكين فى صورة البشر، مرت العجوز الخبيثة وأخبرتهم بورودهم، وذكرت لهم حسن وجوههم، فجاءوا يطلبون الفاحشة، فهو معنى قوله تعالى: ﴿ راودوه عن ضيفه ﴾ .

وقوله: ﴿ فطمسنا أعينهم ﴾ روى أن جبريل - عليه السلام - صفق أعينهم صفقة بجناحه، فصاروا عميانا يلتمسون الجدار بالأيدى. وروى أن وجوههم صارت سطحاً واحداً ما بقى عليها أثر شىء.

وقوله: ﴿ فذوقوا عذابى ونذر ﴾ أى: فذوقوا عذابى وعاقبة إنذارى.

قوله تعالى: ﴿ ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر ﴾ أى: نزل بهم العذاب واستقر بكرة. ومعنى الاستقرار هو هلاكهم بذلك العذاب.

فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾

وقوله: ﴿فذوقوا عذابى ونذر﴾ قد بينا.

وقوله تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ قد ذكرنا.

وقوله: ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر﴾ يعنى: موسى وهارون، ويقال: جاءهم الإنذار.

وقوله: ﴿كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر﴾ أى: قوى قادر، وقد بينا معنى العزيز القادر.

قوله تعالى: ﴿أكفاركم خير من أولئكم﴾ معناه: أكفاركم خير من الكفار الذين كانوا قبلكم، يعنى: ليسوا بخير منهم، فكما أهلكناهم فسنهلك هؤلاء.

وقوله: ﴿أم لكم براءة فى الزبر﴾ أى: براءة من الكتب أنا لانهلككم[1] كما أهلكنا مَنْ قبلكم .

وقوله: ﴿أم يقولون نحن جميع منتصر﴾ يعنى: أيقولون نحن جميع ينصر بعضنا بعضًا، أو ننتصر من أعدائنا. وفى المغازى أنه لما كان يوم بدر خرج أبو جهل على قدميه، وهو يقول: نحن جميع منتصر، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾، قال عمر: فرأيت النبى ﷺ يَثِبُ فى درعه، ويقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر». وفى بعض التفاسير: أن عمر - رضى الله عنه - قال: نزل قوله تعالى: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ ولم أعرف تأويله، حتى كان يوم بدر فرأيت النبى

---

(١) فى «ك»: لانهلكهم.

بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ

ﷺ يثب فى درعه ويقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر»[١] . وهذا الخبر دليل أيضًا أن هذه الآية مكية، وقد بينا فى رواية آخرى أنها مدنية . والدبر بمعنى الأدبار .

وقوله: ﴿بل الساعة موعدهم﴾ أى: القيامة موعدهم، وسميت الساعة لقرب كونها . وقيل: سميت ساعة؛ لأنها كائنة لامحالة كالوقت، وهو كائن لامحالة فسمى ساعة .

وقوله: ﴿والساعة أدهى وأمر﴾ أى: أقطع وأشد . والداهية: كل أمر لايهتدى إلى الخروج منه . «وأمر»: هو من المرارة .

قوله تعالى: ﴿إن المجرمين فى ضلال وسعر﴾ قد بينا . وعن الأخفش: أن السعر جمع السعير، ويقال معناه: فى نار يحترقون فيها ولايعلمونها، وهذا إشارة إلى العاقبة، ومايصير إليه حالهم .

قوله تعالى: ﴿يوم يسحبون فى النار على وجوههم﴾ قال ابن مسعود: «يوم يَسْحَبُونَ فى النار» . والمعروف الأول، وهو من السحب والجر .

وقوله: ﴿ذوقوا مس سقر﴾أى: يقال لهم ذلك، وهو على طريق المجاز، كما يقول القائل لغيره وهو يضربه: ذق وبال أمرك، أى: عمله، ومثله كثير فى العربية وكلامهم .

قوله تعالى: ﴿إنا كل شىء خلقناه بقدر﴾ نصب كل بتقدير فعلٍ محذوف، وكأنه قال: إنا خلقنا كل شىء خلقناه بقدر . وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «كل

(١) رواه ابن جرير (٢٧ / ٦٤)، وعبد الرزاق فى تفسيره، وابن راهويه، وابن أبى حاتم وابن مردويه فى تفسيريهما – كما فى تخريج الكشاف ٣ / ٣٩١ – عن عكرمة مرسلا عن عمر. ووصله الطبرانى فى الأوسط عن أنس (٥ / ٩١ – ٩٢ رقم ٢٧٤٧ مجمع البحرين) وفى الباب عن أبى هريرة، رواه الطبرانى فى الأوسط (٥ / ٩٢ – ٩٣ رقم ٢٧٤٨).

شيء بقدر حتى الكَيْس والعَجْز»(١) . وعن ابن عباس: كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك. وعن على: ماطن ذباب إلا بقدر.

وعن أبى أمامة الباهلى قال: أشهد أن هذه الآية نزلت فى القدرية ردًا عليهم وتلا هذه الآية: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ وهو خبر غريب.

وعن الحسن البصرى – رحمه الله – أنه قال: لو صام إنسان حتى يصير كالحبل هزلا، وصلى حتى يصير كوتد، وذبح ظلمًا بين الركن والمقام، ثم كان مكذبًا بقدر الله، لأدخله الله النار، ويقال له: ذق مس سقر.

وفى رواية عائشة أن النبى ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين خصماء الرحمن؟ فيقوم القدرية ثم تلا قوله: ﴿إن المجرمين فى ضلال وسُعر﴾ ومابعدها»(٢). وخصومتهم أنهم يقولون: قدرت علينا المعاصى وكيف تعذبنا؟

وقوله: ﴿وما أمرنا إلا واحدة﴾ يعنى: إلا مرة واحدة .

وقوله: ﴿كلمح بالبصر﴾ أى: كسرعة اللمح بالبصر فى النفوذ والوقوع، وفى بعض التفاسير فى قوله تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ أى: جعلنا لكل شيء مايصلح له، مثل ثياب الرجال للرجال، وثياب النساء للنساء، والسرج للفرس، والإكاف للحمار، ومأشبه ذلك، والمعنى: أى: قدرنا لكل شيء مايصلح له، ذكره

(١) رواه مسلم (٢٦/٣١٣ رقم ٢٦٥٥)، وأحمد (٢/١١٠)، ومالك فى الموطأ (٢/٨٩٩)، وابن بطة فى الإبانة (٢/٢/ ١٧٣ رقم ١٦٦٣،١٦٦٤) من حديث ابن عمر مرفوعا به.

(٢) روى ابن أبى عاصم فى السنة (١ / ١٤٦ رقم ٣٣١) من حديث عائشة مرفوعا: «مجوس هذه الأمة القدرية، وهم المجرمون الذين سماهم تعالى: ﴿إن المجرمين فى ضلال وسعر﴾. وقد روى عمر مرفوعا بنحو رواية المصنف. رواه ابن أبى عاصم (١/١٤٨ رقم ٣٣٦)، والطبرانى فى الأوسط (٥/٣٩٦ رقم ٣٢٧١)، وابن الجوزى فى العلل المتناهية (١/١٤٩ رقم ٢١٩). وقال أبو حاتم (٢/٤٣٥ رقم ٢٨١٠ علل الرزاى): حديث منكر، وحبيب بن عمر ضعيف الحديث، مجهول لم يرو عنه غير بقية. وقال الدارقطنى فى علله (٢/٧١ رقم ١١٥): هذا حديث مضطرب ... والحديث غير ثابت. وقال الذهبى فى تلخيصه للعلل (ص٣٦): لم يصح هذا ... وروى بسند آخر مظلم.

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٥١) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ (٥٣) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾

بن فارس فى تفسيره.

وقوله تعالى: ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ أى: أشابهكم ونظراءكم من الكفار.

وقوله: ﴿فهل من مدكر﴾ أى: متعظ.

وقوله: ﴿وكل شيء فعلوه فى الزبر﴾ أى: مسطور مكتوب فى الزبر. ويقال: كل شيء محفوظ فى الزبر.

وقوله: ﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾ أى مسطور مكتوب فى اللوح المحفوظ. وفى الآثار المروية عن ابن عباس أنه قال: خلق الله اللوح المحفوظ من درة بيضاء ودفتاه(١) من ياقوت أحمر، قلمه ذهب وكتابة(٢) نور، ينظر الله كل يوم فيه ثلاثمائة وستين نظرة، يخلق، ويحى، ويميت، ويرزق، ويفعل مايشاء. وهذا أثر معروف.

قوله تعالى: ﴿إن المتقين فى جنات ونهر﴾ فى بعض الآثار: أن الرجل لايكون متقيا حتى يدع ماليس به بأس حذرًا مما به بأس، وقد روى بعضهم هذا مرفوعًا إلى النبى ﷺ، وهو غريب(٢).

وقوله تعالى: ﴿فى جنات ونهر﴾ أى: بساتين وأنهار، واحد بمعنى الجمع، والأنهار هذه ماذكرها الله تعالى فى «سورة محمد» ﷺ.

والقول الثانى: أن معنى قوله: ﴿فى جنات ونهر﴾ أى: ضياء وسَعة.

قال قيس بن الخطيم:

ملكتُ بها كفى فأنهرتُ فتقَها ... يَرى قائما من دونها ما وراءها

أى: أوسعت. وقرئ: «فى جنات ونُهُر» بضم النون والهاء، وهو بمعنى النهار.

وقال الشاعر:

(١) فى «ك»: وقتادة، وهو تحريف. (٢) رواه الترمذى (٤ / ٥٤٧ رقم ٢٤٥١) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢ / ١٤٠٩ رقم ٤٢١٥)، وعبد بن حميد (١٧٦ رقم ٤٨٤) وغيرهم من حديث عطية السعدى مرفوعًا به.

لولا الثريدانِ هَلكنا بالضُّمُمْ ثريدُ ليــلٍ وثريدٌ بالنُّهُــرْ

وعن أبى عمران الجونى قال: ليس فى الجنة ليل، هو نهار كله، ويعرف مجىء النهار بفتح الأبواب ورفع الستور، ويعرف مجىء الليل برد الأبواب وإرخاء الستور.

وقوله: ﴿فى مقعد صدق﴾ أى: مجلس حسن، ويقال: فى مقعد لا لغو فيه ولا تأثيم. وكل مكان ليس فيه لغو ولاتأثيم، فهو مقعد صدق.

وقوله: ﴿عند مليك مقتدر﴾ يقال: إن الملك والمليك بمعنى واحد.

قال ابن الزبعرى:

يارسول المليك إن لسانى رائق مافتقت إذ أنا بــورُ

أى: رسول الملك. وقيل: إن المليك هو المستحق للملك، والملك: القائم بالملك. ومعنى الآية: ذكر كرامة المؤمنين وقربهم من الله تعالى، وهو النهاية فى الإكرام.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ

تفسير سورة الرحمن

وهى مكية فى قول الأكثرين, وقال بعضهم: هى مدنية.

قوله تعالى: ﴿الرحمن﴾ قال الحسن: هو اسم لا يستطيع أحد أن ينتحله. ويقال: اسم ممتنع، وإنما (لم)(١) يصح أن يقال لغيره، وصح أن يقال: راحم ورحيم؛ لأن معنى الرحمن أن رحمته وسعت كل شيء، وهذا لا يصح فى غير الله جل وعلا. وحكى بعضهم: أن الرحمن هو مجموع فواتح ثلاث سور «الر - حم - ن».

وقوله: ﴿علم القرآن﴾ أى: يسر وسهل تعلمه.

وقوله: ﴿خلق الإنسان﴾ قال قتادة: هو آدم - صلوات الله عليه - وقال الضحاك: هو محمد ﷺ. وعن بعضهم: هو جنس الناس، واحد بمعنى الجمع، مثل قوله تعالى: ﴿والعصر إن الإنسان لفى خسر﴾(٢) أى: الناس.

وقوله: ﴿علمه البيان﴾ فعلى القول الذى قلنا إن المراد به آدم، فمعنى تعليم البيان: تعليم الأسماء. وعلى القول الذى يقول: إنه محمد ﷺ، فمعنى تعليم البيان: هو أنه بيَّن له الحلال والحرام. ويقال: بيَّن له طريق الهدى وطريق الضلالة. ويقال: بين الخير والشر. وإذا حملنا على جنس الناس فمعنى البيان: هو المنطق والكلام. وكل عاقل مميز له بيان يعقله وتمييزه.

قوله تعالى: ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ أى: بحساب. قاله مجاهد وغيره ويقال(٣): بحسبان، أى بجرى معلوم فى منازل معلومة. وقال السدى: بأجل معلوم، فإذا بلغا أجلهما هلكا. وقيل: الحسبان قطب الرحا. والمعنى: أنهما يدوران كما يدور

---

(١) فى «ك»: لا.

(٢) العصر: ١-٢.

(٣) فى «ك»: وقوله.

وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ ﴿١٠﴾

الرحا على القطب.

وقوله ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ قال أهل اللغة: النجم كل ما نبت لا على ساق، والشجر ما نبت على ساق. ويقال: النجم نجم السماء، والشجر جميع الأشجار. وأما سجودهما، قال ابن عباس: يسجدان إذا طلعت الشمس وإذا قالت الشمس إلى أن تغرب. ويقال: سجودهما هو ما سخرهما الله تعالى على مشيئته وأمره. والأولى هو أن يقال: إن سجود الموات ثابت بنص الكتاب، هو على ما أراد الله تعالى، والعلم بحقيقته موكول إليه، وهو مذهب أهل السنة. ويقال: سجودهما بدوران الظل يمينا وشمالاً.

قوله تعالى: ﴿ والسماء رفعها ﴾ أى: أعلاها بحيث لا تنالها الأيدى.

وقوله: ﴿ ووضع الميزان ﴾ فيه قولان، أحدهما: أنه الميزان المعروف، والآخر: أن المراد منه العدل.

وقوله: ﴿ أن لا تطغوا فى الميزان ﴾ قرأ ابن مسعود: «لا تطغوا فى الميزان» أى: لا تجوروا فيه، ولا تجوزوا الحد. والطغيان: مجاوزة الحد.

وقوله: ﴿ وأقيموا الوزن بالقسط ﴾ أى: بالعدل. وإقامة الوزن: إقامة لسان الميزان من غير ميل وجور.

قوله: ﴿ ولا تخسروا الميزان ﴾ أى: لا تنقصوا ولا تبخسوا. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: يا معشر الموالى - يعنى: العجم - إنكم وليتم أمر من فيهما هلك كثير من الأمم قبلكم المكيال والميزان.

قوله تعالى: ﴿ والأرض وضعها للأنام ﴾ أى: بسطها. وفى الأنام ثلاثة أقوال، أحدها: ذكره الحسن البصرى أنه الجن والإنس. والآخر: أنه الإنس خاصة. والثالث:

فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ

كل ما دب ودرج.

قوله تعالى: ﴿ فيها فاكهة ﴾ الفاكهة كل ما يتفكه به.

وقوله ﴿ ذات الأكمام ﴾ جمع الكِمِّ، والكَمُّ: كل ما يغطى شيئًا، ومنه الكم المعروف، فلأنها تغطى اليد. والقلنسوة تسمى الكُمَّة؛ لأنها تغطى الرأس. ومعنى الكم هاهنا: هو الغلاف الذى يكون لثمرة النخل، ويقال: الكم هو الطلع.

قوله تعالى: ﴿ والحب ذو العصف والريحان ﴾ العصف: ورق الزرع، فإذا يبس صار تبنًا، ويقال: العصف هو البقل الذى ينبت من الأرض.

وقوله: ﴿ والريحان ﴾ أى: الثمرة. قال ابن كيسان: إذا نبت الزرع فأوله يكون عصفًا، ثم يظهر فيه الريحان، وهو ثمرته. وقيل: إن الريحان هو الرزق، قال الشاعر:

سلامُ الإلهِ وريحانُه ورحمتُه وسماء درر

قال الحسن البصرى: هو الريحان الذى يشم. وأولى الأقاويل أن العصف هو التبن، والريحان هو الحب الذى خلق فيه للأكل، سماه ريحانا؛ لأن منه رزق العباد. وفى المصاحف: «والحب والعصف» ومعناه: وخلق الحب ذا العصف.

وقوله: ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ معناه: بأى نعم ربكما تكذبان أيها الإنس والجن؟ والمراد من الآلاء النعم التى عدها من قبل. وقد ثبت برواية محمد بن المنكدر عن جابر أن النبى ﷺ قرأ سورة الرحمن على أصحابه، فلم يجيبوا بشىء، فقال: «ما لى أراكم سكوتا! للجن كانوا أحسن منكم ردًّا، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ إلا قالوا: ولا بشىء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد»[1].

---

(١) رواه الترمذى (٥/ ٣٧٢ - ٣٧٣ رقم ٣٢٩١)، وقال: غريب، وابن أبى الدنيا فى الشكر (رقم ٦٨)، وأبو الشيخ فى العظمة (٤٢٥ رقم ١١١٨)، والحاكم (٢/ ٤٧٣) وصححه على شرطهما، وابن عدى فى الكامل (٣/ ١١٨ - ١١٩)، وأبو نعيم فى تاريخ أصبهان (١/ ١٨١)، والبيهقى فى الشعب (٥/ ٤٣٤ رقم ٢٢٦٤)، وفى الدلائل (٢/ ٢٣٢)، والإسماعيلى فى معجمه (١/ ٣٨٨ - ٣٩٨ رقم ٢٥)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (٦/ ٣٦٨، ١٩/ ١١٧) عن ابن المنكدر به. وفى الباب عن ابن عمر. أخرجه البزار (٢/ ١١٠ - ١١١ رقم ١٥١٤ مختصراً)، وابن جرير (٢٧/ ٧٢)، وزاد السيوطى فى الدر (٦/ ١٥٥): ابن المنذر، والدارقطنى فى الأفراد، وابن مردويه، والخطيب فى تاريخه بسند صحيح عن ابن عمر مرفوعا، فذكره بنحوه.

آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ الصلصال: الطين اليابس الذى يصوت إذا نقر وحرك.

وقوله: ﴿كالفخار﴾ أى: الخزف. فإن قيل: قد قال فى موضع آخر: ﴿من طين لازب﴾(١)، وقال فى موضع: ﴿من حمأ مسنون﴾(٢)، وقال هاهنا: ﴿من صلصال﴾ فكيف وجه التوفيق؟

الجواب عنه: أن الجميع صحيح على القطع، فالله تعالى خلق آدم من تراب جعله طينا لازبا، ثم جعله حمأ مسنونا، ثم جعله صلصالا كالفخار، ثم صوره. قال قتادة: هو الماء يصيب الأرض، ثم يذهب الماء فيجف موضع الماء وييبس وينشق، فهو الصلصال كالفخار. وذكر أبو الحسين بن فارس فى تفسيره: أنه ورد فى بعض الحديث أن الله تعالى حين أراد أن يخلق آدم - عليه الصلاة والسلام - جعل التراب طينا لازبا، وتركه أربعين سنة، ثم جعله صلصالا كالفخار، وتركه أربعين سنة، ثم صوره وتركه جسداً لا روح فيه أربعين سنة، وكانت الملائكة يمرون عليه فيقولون: سبحان الذى خلقك، لأمر ما خلقك. وقد ثبت عن النبى ﷺ «أن إبليس عليه اللعنة لما رأى الصورة فوجده أجوف، فعلم أنه خلق لا يتمالك»(٣).

قوله تعالى: ﴿وخلق الجان من مارج من نار﴾ أى: من لهب النار. ويقال: خالص النار. وإن الجان هو أبو الجن.

وقوله: ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ قد بينا معناه. وقال الحسن: الجان هو

---

(١) الصافات: ١١.

(٢) الحجر: ٢٦، ٢٨، ٣٣.

(٣) رواه مسلم (١٦/٢٤٨ رقم ٢٦١١)، وأحمد (٣/١٥٢، ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٥٤)، والطيالسى (٢٧٠ رقم ٢٠٢٤)، وابن حبان (١٤/٣٥ رقم ٦١٦٣)، والحاكم (١/٣٧) وصححه، وأبو الشيخ فى العظمة (٣٧٣، ٣٧٥ رقم ١٠٣٣، ١٠٤٠).

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾

إبليس.

وقوله: ﴿من مارج من نار﴾ قد ذكرنا. وقال سعيد بن جبير: المارج: الخضرة التى تكون بين النار وبين الدخان. ويقال: المارج نار مختلطة بسواد. وقال الفراء فى قوله: ﴿من نار﴾: هى نار دون الحجاب، ومنها الصواعق التى يراها الناس.

قوله تعالى: ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ معناه: مشرق الصيف، ومشرق الشتاء. والذى قال فى موضع آخر: ﴿رب المشرق والمغرب﴾(١) هو مشرق كل يوم فى الصيف والشتاء. ويقال: المشرقان: الشمس والفجر، والمغربان: الشمس والشفق.

قوله تعالى: ﴿مرج البحرين يلتقيان﴾ أى: خلاهما وأرسلهما، قاله الفراء والزجاج وغيرهما، وعن بعضهم: مرج البحرين أى: لاقى بينهما .

وقوله: ﴿البحرين﴾ فيه أقوال: قال مجاهد: بحر السماء والأرض. وقال الحسن: بحر فارس والروم. ويقال: بحر المشرق والمغرب. ويقال: بحر الملح والعذب.

وقوله: ﴿يلتقيان﴾ أى: يلقى أحدهما صاحبه.

وقوله: ﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾ أى: حاجزه.

وقوله: ﴿لا يبغيان﴾ أى: لا يختلط أحدهما بالآخر، لا يختلط الملح بالعذب [فيفسده](١)، ولا العذب بالملح فيختلج. ويقال: الحاجز حاجز من القدرة.

والآية وردت فى موضع مخصوص من بحر فارس والروم. وقيل: فى موضع مخصوص من العذب والملح. والعذب هو النيل، والملح هو بحر الروم، يلتقيان ولا يختلطان.

(١) الشعراء: ٢٨، والمزمل: ٩.

(٢) فى «الأصل، وك»: ويفسده.

يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾

وقال بعضهم: الحاجز هو الأرض من بحر السماء وبحر الأرض. وعن بعضهم: أن الحاجز هو جزيرة العرب.

قوله تعالى: ﴿يُخْرَجُ منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ وقرئ: «يُخْرِجُ» و«يَخرج» أى: يخرج الله. وأما اللؤلؤ، فهو الحب المعروف منه الصغار والكبار، وأما المرجان، قال ابن مسعود: هو خرز أحمر. ويقال: إنه [البُسَّدُ](١) جوهر معروف. وقال قتادة وغيره: المرجان كبار اللؤلؤ، واللؤلؤ صغاره، وقيل على العكس: المرجان صغار اللؤلؤ، واللؤلؤ كباره. فإن قيل: قد قال: ﴿يخرج منهما﴾ وأجمع أهل العلم بهذا الشأن أنه يخرج من الملح دون العذب. والجواب: أنه ذكرهما والمراد أحدهما، كما تقول العرب: أكلت خبزًا ولبنًا، وإنما الأكل فى أحدهما دون الآخر. قال الزجاج: لما ذكر البحرين ثم ذكر اللؤلؤ والمرجان، وهو يخرج من أحدهما، صحب الإضافة إليهما على لسان العرب. وذكر القفال الشاشى فى تفسيره: أن اللؤلؤ والمرجان لا يكون إلا فى ملتقى البحرين فى أول ما يخلق، ثم حينئذٍ موضع الأصداف هو البحر الملح دون العذب، فصح قوله: ﴿يخرج منهما﴾ لأنهما فى ابتداءٍ عند ملتقى البحرين، وهذا قول حسن إن كان كذلك. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن السماء إذا أمطرت ارتفعت الأصداف إلى وجه البحر وفتحت أفواهها، فما وقع من قطر السماء فى أفواهها يكون الدر.

قوله تعالى: ﴿وله الجوار المنشآت﴾ وقرئ بكسر الشين، والأول أشهر؛ فمعنى الكلمة على الفتح أى: المرفوعات الشُّرُع، ويقال: المخلوقات. ومعنى الكلمة بالكسر أى: المقبلات، ويقال: المبتدئات فى السير، فعلى هذا المعنى إذا قرئ بالفتح فمعناه: أبتدئ بهن فى السير، ذكره الأزهرى. والجوارى: هى السفن.

وقوله: ﴿فى البحر كالأعلام﴾ أى: الجبال، قال الشاعر:

---

(١) فى «الأصل، وك»: الند، كذا. والمثبت من لسان العرب، مادة: مرج.

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ

إذا قطعن علماً بدا علم

وقالت الخنساء:

وإن صخراً ليأتم الهداة به　　　كأنه علم في رأسه نار

أى: جبل. ويقال: كالأعلام أى: كالقصور. وعن بعضهم: أن السفن فى البحر كالجبال فى البر.

قوله تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾ أى: كل من على الأرض هالك.

وقوله: ﴿ويبقى وجه ربك﴾ أى: يبقى ربك، وروى الضحاك عن ابن عباس: أنه يبقى ما أريد به وجه ربك.

وقوله: ﴿ذو الجلال والإكرام﴾ أى: الكبرياء والعظمة. وأما الإكرام: هو ما أكرم أولياءه، وأصفياءه.

قوله تعالى: ﴿يسأله من فى السموات والأرض﴾ فى الآية أقوال: أحدها: يسأله من فى السماء الرحمة، ومن فى الأرض الرزق والمغفرة. قال الكلبى: لا يستغنى عنه أحد من أهل السماء وأهل الأرض. وقال قتادة: يسأله أهل السماء وأهل الأرض المغفرة. وعن بعضهم: يسأله من فى السماء - أى: الملائكة - لأهل الأرض المغفرة والرزق، ويسأله من فى الأرض لأنفسهم المغفرة والرزق، وهذا قول الحسن البصرى. فالمسئول له فى السؤالين أهل الأرض. والجملة أن معنى الآية: أن كل أهل السماء وأهل الأرض يسألونه حوائجهم، ولا غنى لأحد عنه.

وقوله: ﴿كل يوم هو فى شأن﴾ روى أبو الدرداء عن النبى ﷺ قال: «يغفر ذنباً،

ويفرج كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين»[١].

وعن بعضهم: يعطى سائلا، ويجيب داعيا، ويفك عانيا. وعن بعضهم: يحيى ويميت، ويعز ويذل، ويخلق ويرزق. وعن بعضهم: يعتق رقابا، ويعطى رِغابًا، ويفحم خطابا.

قوله تعالى: ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾ أى: الجن والإنس.

والثقل فى كلام العرب: كل ما يتنافس فيه، ويسمون بيض[٢] النعامة ثقلا؛ لأنه يتنافس فيها. وفى الخبر أن النبى ﷺ قال: «تركت فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتى»[٣]. وهو إخبار عن عظم قدرهما. فإن قيل: قد قال: ﴿سنفرغ﴾ والفراغ لا يكون إلا عن شغل، ولا يجوز الشغل على الله تعالى، فكيف معناه؟

والجواب: أن هذا على طريق التهديد والوعيد، كالإنسان يقول لغيره: سأفرغ لك، وإنه لم يكن فى الحال فى شغل. وقال الزجاج: والفراغ يكون على وجهين: أحدهما: الفراغ من الشغل. والآخر: بمعنى القصد، كالرجل يقول لغيره: قد تفرغْتَ لأذاى ومكروهى أى: أخذت فى مكروهى وأذاى. ويقول الرجل لغيره: اصبر حتى أتفرغ

---

(١) رواه ابن ماجه (١/٧٣ رقم ٢٠٢)، وابن أبى عاصم فى السنة (١/١٢٩ - ١٣٠ رقم ٣٠٠)، وأبو الشيخ فى العظمة (٦٨ رقم ١٥٠)، وابن حبان فى صحيحه (٢/٤٦٤ رقم ٦٨٩)، وأبو نعيم فى الحلية (٥/٢٥٢ - ٢٥٣)، والبيهقى فى الشعب (٣/٣٠١ - ٣٠٢ رقم ١٠٦٦)، وذكره الدارقطنى فى العلل (٦/٢٢٨ - ٢٢٩ رقم ١٠٩٣)، وذكر الاختلاف فى رفعه ووقفه، وصوَّب الموقوف. وعزاه السيوطى فى الدر (٦/١٥٨) للحسن بن سفيان، والبزار، وابن جرير، والطبرانى، وابن مردويه، وابن عساكر أيضا. وفى الباب عن ابن عمر، وابن عباس، وعبد الله بن منيب. وانظر الدر المنثور.

(٢) فى «الأصل»: ببعض.

(٣) رواه مسلم (١٥/٢٥٥ - ٢٥٨ رقم ٢٤٠٨)، وأحمد (٤/٣٦٦ - ٣٦٧، ٣٧١)، وابن أبى عاصم فى السنة (٢/٦٢٩ رقم ١٥٥١)، والطبرانى فى الكبير (٥/١٨٣ رقم ٥٠٢٨)، والحاكم (٣/١٠٩) وصححه على شرطهما، جميعهم عن زيد بن أرقم مرفوعا به.

مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ

لك أى: أقصدك وأعمدك، فمعنى قوله: ﴿سنفرغ لكم﴾ أى: سنقصد ونعمد بالمؤاخذة والمجازاة.

وأنشد المبرد فى هذا المعنى قول جرير:

لما اتقى القين العراقى [باسته][1] فرغت إلى العبد المقيد فى الحجل

قوله تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض﴾ أى: جوانب السموات والأرض.

وقوله: ﴿أن تنفذوا﴾ أى: تخرجوا.

وقوله: ﴿فانفذوا﴾ أى: اخرجوا، وهذا على طريق التهديد.

وقوله: ﴿لا تنفذون إلا بسلطان﴾ أى: حجة. ويقال: لا تنفذون إلا فى سلطان، والباء بمعنى فى، حيثما كنتم فأنتم فى سلطانى وملكى. واختلفوا أن هذا القول متى يكون؟ فالأكثرون على أنه يوم القيامة يكون، وينزل الله تعالى الملائكة حتى ينفذوا على أقطار السموات والأرض، فإذا رأى الجن والإنس أهوال القيامة هربوا، فتردهم الملائكة.

وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: بينما يكون الناس فى أسواقهم إذ رأوا السماء قد تشققت، ونزلت الملائكة، فيهرب الناس، فتتبعهم الملائكة ويردونهم إلى أمر الله تعالى وهو الهلاك. وهذا قول غريب. ويقال: إن المراد هو الهرب من الموت، يعنى: إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض هَرَبًا من الموت فانفذوا.

وقوله: ﴿لا تنفذون إلا بسلطان﴾ يعنى: حيث ما كنتم أدرككم.

قوله تعالى: ﴿يرسل عليكما شواظ من نار﴾ أى: لهب من نار، قاله ابن عباس.

---

(١) فى «الأصل، وك»: يأتيه. والتصويب من لسان العرب (٨/٤٤٥).

وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ

وقال مجاهد: قطعة من النار فيها خضرة. والمراد بالإرسال هو إرسال العذاب.

وقوله: ﴿عليكما﴾ منصرف إلى الجن والإنس.

وقوله: ﴿ونحاسٍ﴾ يقرأ بكسر السين وضمها، والنحاس من الدخان، وفى قول الأكثرين، قال الشاعر:

يضىء كضوء سراج السليطـ ـة لم يجعلِ اللهُ فيه نُحَاسَا

وقال مجاهد: النحاس: الصُّفْر المذاب على رءوس الكفار.

وقوله: ﴿فلا تنتصران﴾ أى: لا تمتنعان، ويقال: لا يكون لكما قوة دفع العذاب.

قوله تعالى: ﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة﴾ أى: حمراء.

وقوله: ﴿كالدهان﴾ وقال ابن عباس: كالأديم الأحمر، وفى رواية أخرى عنه: أن الوردة وردة النبات، وهى تكون حمراء فى الأغلب، قال عبد بنى الحساس:

فلو كنت وردًا لونه [لعشقننى](١) ولكن [ربى شاننى](٢) بسواديا

وذكر الفراء والزجاج وغيرهما أن الوردة هاهنا: لون الفرس الورد، وهو الكميت. وذلك يتلون فى فصول السنة، فيكون أصفر فى فصل، وأحمر فى فصل، وأغر فى فصل. والدهان جمع الدهن، وهى مختلفة الألوان. فمعنى الآية: أن السماء يختلف لونها يوم القيامة كاختلاف لون الورد، واختلاف لون الدهن. وقال تعالى فى موضع آخر ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾(٣) قالوا: هو دُرْدِىُّ الزيت، أى: فى اللون.

وقال بعضهم: يصير مثل الدهن الأصفر، وهذا كله من فزع القيامة وهولها.

قوله تعالى: ﴿فيومئذٍ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ أى: لا يسأل سؤال

(١) فى «الأصل، وك» : يعشقنى، والتصويب من ديوان سحيم (ص٢٦).

(٢) فى «الأصل، وك»: زين شانى، والتصويب من الديوان السابق.

(٣) المعارج: ٨.

إِنسٌ وَلا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾

استعلام، وإنما يسأل سؤال تقريع وتوبيخ، ولا يقال لهم: هل فعلتم؟ بل يقال لهم: لم فعلتم؟

وعن بعضهم: أن معناه: لا يسأل بعضهم بعضا. وعن بعضهم: أن الملائكة لا يسألون عن ذنوب بنى آدم؛ لأنهم قد رفعوا الصحف، وأدوا الأمانة فيها. والقول الأول هو الصحيح.

قوله تعالى: ﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾ قال الحسن البصرى وغيره: بسواد الوجوه وزرقة العيون.

وقوله: ﴿فيؤخذ بالنواصى والأقدام﴾ أى: يجرون بنواصيهم وأقدامهم إلى النار، ويقال: يجمع بين نواصيهم وأقدامهم ويشد، ثم يلقى (فى)[1] النار.

قوله تعالى: ﴿هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون﴾ يقال لهم هذا حين يرون جهنم، وهذا على طريق التقريع والتوبيخ، يعنى: ما أنكرتموه وجحدتموه فأبصروه عيانًا.

وقوله: ﴿يطوفون بينها وبين حميم آن﴾ أى: يطاف بهم مرة إلى الحميم، ومرة إلى الجحيم.

وقوله: ﴿آن﴾ هو الحميم الذى انتهى حره. وقيل: آنٍ أى: آنَ وحضر وقت عذابهم به وشربهم إياه.

قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ لما ذكر عذاب الكفار أتبع ذكر نعيم المؤمنين.

---

(١) فى «ك»: إلى.

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾

وقوله: ﴿ خاف مقام ربه ﴾ أى: قيامه بين يدى ربه للسؤال والحساب، ويقال: هو من قَدَرَ على الذنب فذكر ربه فخاف منه وتركه. وعن عطية بن قيس: «أن الآية وردت فى الرجل الذى أوصى بنيه، وقال: إذا مت فأحرقونى واسحقونى وذرونى فى الريح، لعلى أضل الله، ففعلوا، فأحياه الله تعالى وقال: لم فعلت ذلك؟ قال: مخافتك، فغفر الله له». وهذا خبر صحيح(١).

وعن ابن الزبير أن الآية نزلت فى أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - وهذا محكى عن عطاء بن أبى رباح. قال الضحاك: شرب أبو بكر - رضى الله عنه - لبنا، ثم سأل عنه، وكان من غير وجهه، فاستقاءه، فأنزل الله هذه الآية.

وقوله: ﴿ جنتان ﴾ أى: بستان. ويقال: بستان لمسكنه، وبستان لخدمه وحشمه. ويقال: مسكن له، وبستان له. وعن بعضهم معناه: جنة عدن، وجنة النعيم، وهذا قول حسن. وقال مجاهد فى قوله: ﴿ خاف مقام ربه ﴾ أى: هَمَّ بالمعصية فتركها خوفا من الله تعالى.

وقال الفراء: الجنتان هاهنا بمعنى الجنة الواحدة، وقد ورد هذا فى الشعر.

قال الشاعر:

ومهمهين فرقدين مرتين(٢)

وأراد به الواحدة. وقد أنكر عليه ذلك. وقيل: هذا ترك الظاهر، وإنما الجنتان بستانان. وفى الخبر المشهور أن النبى ﷺ قال: «جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما»(٣) رواه أبو موسى.

---

(١) رواه البخارى (٦/ ٥٧٠ رقم ٣٤٥٢ وطرفاه: ٣٤٧٩، ٦٤٨٠)، والنسائى (٤/ ١١٣ رقم ٢٠٨٠) عن حذيفة مرفوعا به.

(٢) انظر لسان العرب (٢/ ٤٦ مادة: السمت).

(٣) متفق عليه، رواه البخارى (٨/ ٤٩١ رقم ٤٨٧٨ وطرفاه: ٤٨٨٠، ٧٤٤٤)، ومسلم (٣/ ٢٠ - ٢١ رقم ١٨٠).

ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ

قوله تعالى ﴿ذواتا أفنان﴾ فيه قولان: أحدهما أن معناه: ذواتا ألوان من الفاكهة، كأن الأفنان بمعنى الفنون. والقول الثاني: أن الأفنان بمعنى الأغصان، وهو الأظهر. قال عكرمة: ظل الأغصان على الحيطان. وأما الأول قاله الضحاك، وجمع عطاء بين القولين فقال: على كل غصن أنواع من الفواكه.

قوله تعالى: ﴿فيهما عينان تجريان﴾ فقال: هما التسنيم والسلسبيل، وعن[(١)] بعضهم: تجريان بكل خير وبركة.

قوله تعالى: ﴿فيهما من كل فاكهة زوجان﴾ أي: نوعان وصنفان، وهو الرطب من الفواكه وما يشبهها، كالعنب والزبيب، والرطب والتمر، ونحو ذلك. وعن[(١)] ابن عباس: ليس مما وصف في الجنة في الدنيا شيء إلا الأسماء. كأنه ذهب إلى أن شيئا مما في الدنيا لا يماثل ما في الجنة.

قوله تعالى: ﴿متكئين على فرش بطائنها من إستبرق﴾ قال الحسن البصري: بطائنها أي: ظواهرها، تقول العرب: هذه بطن السماء، وهذه ظهرها، لما يرى من السماء، وهذا القول ذكره الفراء أيضًا، وأما سائر أهل التفسير قالوا: إن المراد من البطائن حقيقة البطانة. والإستبرق: هو الديباج الغليظ، مثل ما يعلق من الديباج على الكعبة. وقيل: إنها فارسية معربة من قولهم: إستبر. وعن بعضهم: أنه مثل الحرير الصيني. قال أبو هريرة: هذه البواطن، فما ظنكم بالظواهر، ومثله عن ابن مسعود. وعن سعيد بن جبير قال: ظواهرها نور يتلألأ. وعن بعضهم: ظواهرها مما قال الله تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾[(٢)].

---

(١) في «ك»: وقال.

(٢) السجدة: ١٧.

وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾

وقوله: ﴿ وجنى الجنتين دان ﴾ أى: ثمار الجنتين دانية، ومنه قول العرب: هذا جناى[١] خياره فيه، إذ كل جان يده إلى فيه، وهو يحكى عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - حين دخل بيت المال بالكوفة، ورأى ما فيه من الذهب والفضة فقال: يا صفراء، ويا بيضاء غُرّا غيرى، ثم قال: هذا جناى... إلى آخره.

وقوله: ﴿ دان ﴾ أى: قريب المتناول. قال قتادة: لا يرده عنها بُعْدٌ ولا شوك. وقال غيره: يتناولها قائماً وقاعداً ومضطجعاً.

قوله تعالى: ﴿ فيهن قاصرات الطرف ﴾ فإن قيل: كيف قال: ﴿ فيهن ﴾ وإنما ذكر الجنتين؟

والجواب: قال بعضهم: إن الاثنين يذكران بلفظ الجمع، فيجوز أن يرد الكلام إليهما بلفظ الجمع. والأصح أن قوله: ﴿ فيهن ﴾ ينصرف إلى الفرش[٢]، ومعناه: عليهن، مثل قوله: ﴿ ولأصلبنكم فى جذوع النخل ﴾[٣] أى: على جذوع.

وقوله: ﴿ قاصرات الطرف ﴾ أى: قصرن أطرافهن على أزواجهن لا يرون غيرهم، وهذا أحسن خصلة من خصال النساء. قال ابن مسعود: لسن بمتبرجات، ولا ضماخات، ولا دفرات. وقال بعضهم: لسن بمتشرفات، ولا بمتطلعات، ولا صياحات، ولا صخابات. وقال الحسن: لسن بالطوافات فى الأسواق.

وقوله: ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾ أى: لم يمسسهن إنسى ولا جنى. قال الفراء: الطمث: هو الوطء بالتدمية، وهو الافتضاض.

قال الفرزدق:

---

(١) فى «الأصل، وك»: جنانى، وهو خطأ، والتصويب من مجمع الأمثال لأبى الفضل الميدانى (٢/٣٩٧ رقم ٤٥٦٧)، ولسان العرب (١٤/١٥٥)، وسيأتى على الصواب من قول على بن أبى طالب - رضى الله عنه - بعده.

(٢) فى «ك»: الفراش.

(٣) طه: ٧١.

كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾

رفعن إليّ لم يطمثن قبلى وهن أصح من بيض النعام

وعن الحسن البصرى: أن المراد من قوله: ﴿فيهن قاصرات الطرف﴾ هن المؤمنات من الآدميات. فعلى هذا قال بعضهم: يجوز أن يطأ الجنى الإنسية، واستدل بظاهر الآية. وأما الأكثرون أنكروا هذا، وقالوا: معنى الآية: لم يطمثهن، الجنية جنى، ولا الإنسية إنسى، وقوله: ﴿فيهن قاصرات الطرف﴾ يتناول الإنسيات والجنيات. فإن قال قائل: هل يقولون إن الجن يدخلون الجنة، ويكون لهم أزواج مثل الإنس؟

والجواب: أن العلماء اختلفوا فيه، فقال بعضهم: يدخل الله المؤمنين منهم الجنة كما يدخل الكافرين منهم النار، وهو قول ضمرة بن جندب وغيره. وقال بعضهم: ليس لهم ثواب. قال ليث بن أبى سُلَيْم: مؤمنو الجن يحاجزون من النار ثم يجعلون ترابًا، وأما الكفار منهم يخلدون فى النار.

وأما على الأول إذا حملنا الآية على الحور العين لا يرد شىء من هذه الأسئلة.

قوله تعالى: ﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ أى: فى صفاء الياقوت وبياض المرجان، وقد بينا أن المرجان هو اللؤلؤ الصغار، وقيل: الكبار.

قوله تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ معناه: هل جزاء الطاعة إلا الثواب. ويقال: هل جزاء من قال لا إله إلا الله إلا الجنة. وفى رواية ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال حاكيا عن الله تعالى: «جزاء ما أنعمت عليه بالتوحيد إلا أن أدخلته جنتى»[1]. وقيل: الآية على الجملة، ومعناها: هل جزاء من أحسن إلا أن يحسن إليه. وعن بعضهم: أنه يحتمل أن معنى الآية: هل جزاء إحسان الله إليكم إلا أن تحسنوا بالطاعة.

(١) كذا، والحديث رواه ابن أبى حاتم، وابن مردويه، والبيهقى فى الشعب – وضعفه – عن ابن عمرمرفوعًا: «ماجزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة»، كما فى الدر (٦ / ١٦٥)، وذكر له شواهد عن عدة من الصحابة.

وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾

قوله تعالى: ﴿ومن دونهما جنتان﴾ أى: من دون الجنتين جنتان، فيقال: الجنتان المذكورتان أولا للمقربين، والمذكورتان آخراً لأصحاب اليمين، ويقال: المذكورتان أولا للسابقين، والمذكورتان آخراً للتابعين. واختلف القول فى قوله: ﴿ومن دونهما جنتان﴾ قال بعضهم معناه: أن الجنتين المذكورتين آخراً دون الجنتين المذكورتين أولا فى النعيم والكرامة. وقال بعضهم: هو مأخوذ من الدنو على معنى القرب، كأن هاتين الجنتين أقرب إلى المؤمن - يعنى: إلى مسكنه ومنزله - من الجنتين الأولتين. فإن قال قائل: أىُّ كرامة فى ذكر الجنتين، وهنا ذكر جنة واحدة؟

والجواب: أن التنقل من بستان إلى بستان من الاستلذاذ والتنعم ما لا يخفى، فذكر الجنتين للزيادة والكرامة والنعمة.

قوله تعالى: ﴿مدهامتان﴾ أى: خضراوتان من الرِّىِّ. قال مجاهد: مسودتان من شدة الخضرة، وهذا قول صحيح؛ لأنه ما من أخضر إلا وإذا اشتدت خضرته يضرب إلى السواد، والعرب كانت تسمى قرى العراق سواداً لشدة خضرتها، وكثرة أشجارها.

قوله تعالى: ﴿فيهما عينان نضاختان﴾ أى: فوارتان، والنضخ فوق النضح ودون الجرى. ويقال: نضاختان بالعنبر والمسك.

قوله تعالى: ﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾ حكى عن ابن عباس أنه قال: الرمان ليس من الفاكهة، وكذلك الرطب؛ لأنهما أفردا بالذكر عن الفاكهة، وذكر الفراء هذا أيضاً. و[هذا](١) عن ابن عباس قول غريب، والأكثرون على أن الجميع فاكهة؛ لأن الفاكهة ما يتفكه به، والإفراد بالذكر للتنبيه على نوع فضل، لا أنه ليس من الفاكهة، وهو مثل قوله تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾(٢) ومثل قوله

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.
(٢) البقرة: ٢٣٨.

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ

تعالى: ﴿من كان عدوًا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال﴾(١).

والرمان نوع فاكهة يمص ويرمى بثفله. وعن الحسن البصرى قال: لو قال رجل لامرأته: إن أكلت فاكهة فأنت طالق، فأكلت الرمان أو الرطب وقع الطلاق. وهذا قول أكثر أهل العلم، وهو المختار. وعند أبى حنيفة - رضى الله عنه - لا يقع الطلاق. قال سعيد بن جبير: نخل الجنة جذوعها من ذهب، وأغلافها من ذهب، وكرانيفها من زمرد، وسعفها كسوة أهل الجنة، وثمرها كالدلاء، أحلى من كل شيء، وألين من كل شيء.

قوله تعالى: ﴿فيهن خيرات حسان﴾ قرئ فى الشاذ: «خيِّرات حسان» وهما بمعنى واحد، مثل: هين وهيِّن، ولين وليِّن. ومعنى الآية: خيرات الأخلاق، حسان الوجوه.

قوله تعالى: ﴿حور مقصورات فى الخيام﴾ أى: محبوسات، وليس هذا الحبس إهانة، إنما هو حبس الكرامة، قال عمر - رضى الله عنه - الخيمة مجوفة. وعن ابن مسعود قال: كل خيمة لها أربعة أبواب، يدخل عليه من كل يوم هدية جديدة من الله تعالى. وعن ابن عباس: الخيمة فرسخ فى فرسخ من درة واحدة، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب. وقال بعضهم: الخيمة بمعنى القبة، وهى قباب العرب التى كانوا يسكنونها فى البادية، فذكر لهم مثل ما كانوا يستلذونها ويستطيبونها، وقد كانوا يستطيبون السكنى فى الخيام فى البوادى، وقد قيل: إن هذه الخيام خارج الجنة كالبوادى للحاضرة.

وقوله: ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿متكئين على رفرف﴾ قال الفراء: هو رياض الجنة. وقال أبو عبيدة:

---

(١) البقرة: ٩٨.

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾

فُرُش الجنة. وعن ابن مسعود فى قوله: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾[1] أى: رفرفاً أخضر قد سد الأفق، وهو البساط. وعلى الجملة: الرفرف كل فرش يرتفع، مأخوذ من الرَّف، وهو المرتفع فى الجدار.

وقوله: ﴿وعبقرى حسان﴾ وقرئ فى الشاذ: «عباقرى حسان» قال الحسن البصرى: عبقرى حسان هو الوسائد.

وقال أبو عبيدة: الطَّنَافس، وعن بعضهم: الزَّرَابى، وعبقرى: قرية باليمن[2] ينسج بها الوَشْى، وهم ينسبون إليها كل شىء حسن. وفى «كتاب الغريبين»: أن عبقر قرية يسكنها الجن، والعرب ينسبون كل شىء فائق إليها، قال الشاعر:

بِخَيْلٍ عليها جِنَّةٌ عبقرية ... جديرون يوماً أن ينالوا ويستعلوا[3]

وقد ذكر بعضهم أن العبقرى هاهنا: هو الوَشْى. قال مجاهد: هو الديباج. وعن بعضهم: هو الديباج الذى عُمل فيه بالذهب. وأما الخبر الذى روى عن النبى ﷺ أنه قال فى عمر: «فلم أرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِى فَرِيَّه[4]»[5]. معناه: فلم أر سيد قوم وجليلهم يعمل عمله.

قوله تعالى: ﴿تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام﴾ وقرئ: «ذى الجلال والإكرام» معناه: ذو العظمة والمهابة. ويقال: ذو الجلال والإكرام أى: يجل المؤمنين ويكرمهم، والقول الأول أولى؛ لأنه[6] ينصرف إلى عظمة الله وعلو شأنه.

---

(١) النجم: ١٨.

(٢) فى «ك»: فى اليمن.

(٣) فى «ك»: وتشغلوا، وفى لسان العرب (٤/٥٣٥): أن ينالوا فَيَسْتَعلُوا.

(٤) فى النهاية فى غريب الحديث: أى يعمل عمله، ويقطع قطعه. قال: ويروى «يَفْرِى فَرْيَةُ» بسكون الراء والتخفيف، وحكى عن الخليل أنه أنكر التثقيل وغلط قائله.

(٥) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٧/٢٣ رقم ٣٦٦٤، وأطرافه: ٧٠٢١، ٧٠٢٢، ٧٤٧٥)، ومسلم (١٥/٢٢٨ - ٢٣٠ رقم ٢٣٩٢).

(٦) فى «الأصل و ك»: أنه.

وقوله: ﴿ ذو الجلال ﴾ ينصرف إلى الاسم، وقوله: ﴿ ذى الجلال ﴾ ينصرف إلى الرب، والاسم والمسماة واحد عند أكثر أهل السنة. وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام»(١) أى: الزموا وداموا عليه.

فإن قال قائل: ما معنى تكرير قوله: ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ فى هذه السورة؟ وكان يوقف على المعنى بالمرة الواحدة؟

والجواب: أن القرآن نزل على لسان العرب على ما كانوا يعتادونه ويتعارفونه فى كلامهم، ومن عادتهم أنهم إذا ذكروا النعم على إنسان، يكررون التنبيه على الشكر أو ذكر التوبيخ عند عدم الشكر، والله تعالى عد النعم فى هذه السورة، وذكر عند كل نعمة هذه الكلمة؛ لئلا ينسوا شكرها، ويعرفوا إحسان الله عليهم، ويجددوا الحمد عليها. تمت السورة.

---

(١) رواه النسائى فى الكبرى (٦/ ٤٧٩ رقم ١١٥٦٣)، والبخارى فى تاريخه (٣/ ٢٨٠)، وأحمد (٤/ ١٧٧)، والطبرانى فى الكبير (٥/ ٦٤ رقم ٤٥٩٤)، والحاكم (١/ ٤٩٨ - ٤٩٩) وصححه، والقضاعى فى مسند الشهاب (١/ ٤٠٢ - ٤٠٣ رقم ٦٩٣)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (١٨/ ٦٦ - ٦٨ رقم ٤١٨٢، ٤١٨٣، ٤١٨٤)، وابن الأثير فى أسد الغابة (٢/ ٢١٣) جميعهم عن ربيعة بن عامر به. ونقل ابن عساكر عن ابن منده قوله: هذا حديث غريب، لم نكتبه إلا من هذا الوجه. ونقل الزيلعى عن ابن طاهر فى تخريج الكشاف (٣/ ٣٩٦) قوله: إسناده لابأس به. وحسنه الحافظ ابن حجر فى مختصر الكشاف. وفى الباب عن أنس، وابن عمر، وأبى هريرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ

تفسير سورة الواقعة

وهى مكية، وعن مسروق أنه قال: من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين، ونبأ أهل الجنة وأهل النار، ونبأ الدنيا والآخرة، فليقرأ سورة الواقعة. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ معناه: إذا كانت القيامة، وهذا قول عامة المفسرين. وسميت القيامة واقعة؛ لأنه لابد من وقوعها. والعرب تسمى كل متوقع لابد منه واقعًا، وقال الضحاك: الواقعة ها هنا هى الصيحة لموت الخلائق. وقيل: سميت القيامة واقعة؛ لكثرة ما يقع فيها من الشدة. وعن بعضهم: لأنها تقع على غفلة من الناس. فإن قيل: أين جواب قوله: ﴿إذا﴾؟ ولابد لهذه الكلمة من جواب، والجواب: أن جوابه قوله: ﴿فأصحاب الميمنة﴾(1).

وقوله: ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ قال قتادة: ليس مثنوية ولا رد ولا رجعة. ويقال معناه: هى صدق ولا كذب فيها. وقيل: ليس لوقوعها من نفس كاذبة، حكى هذا عن سفيان، ومعناه: ليس عند وقوعها مكذب بها.

وقوله: ﴿خافضة رافعة﴾ قال ابن عباس: تخفض أقواما، وترفع آخرين، وعنه فى رواية أخرى: تخفض أقواماً ارتفعوا، وترفع أقواماً خفضوا فى الدنيا. وعن السدى: ترفع أقواما فى الجنة، وتخفض أقواماً فى النار. ومعنى هذا: تخفض أهل المعصية بإيجاب النار لهم، وترفع أهل الطاعة بإيجاب الجنة لهم. قال ابن جريج: خافضة رافعة بالحسنات والسيئات.

قوله تعالى: ﴿إذا رجت الأرض رجًّا﴾ قال المبرد: الرجة حركة يسمع منها صوت،

---

(1) الواقعة: ٨.

الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنْبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا

وهى أكثر من الصيحة. فعلى هذا معنى الآية: حركت الأرض بمن فيها، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾[1].

قوله: ﴿وبست الجبال بسا﴾ قال ابن عباس: فتتت فتا. وعن الحسن البصرى: قلعت من أصلها. وقال السدى: كسرت كسراً. قال مجاهد: بست كما يُبَسُّ السويق أى: دقت، والبسيسة هى الدقيق، والسويق يُلَتُّ ويتخذ منه الزاد. وقال قتادة: بست أى: جعلت كبيس الشجرة تذروه الرياح، وقال الشاعر فى البس بمعنى اللت:

لا تَخْبِزَا خُبْزًا وبُسَّا بسًّا

أورده النحاس. وقال بعضهم: بست أى: سُيِّرت، ومنه قوله عليه السلام: «يخرج من المدينة قوم يَبُسُّون والمدينة خير لهم»[2] أى: يسيرون.

وقوله: ﴿فكانت هباءً منبثًا﴾ قال على - رضى الله عنه - هو ما سطع من سنابك الخيل من المرضح والغبار، ثم يذهب.

وعن بعضهم: إن الهباء المنبث هو الذى يرى فى الكوَّة من ضوء الشمس كالعمود الممدود.

والأصح هو الأول هو الهباء المنبث[3]. وعن بعضهم: أن الهباء المنبث هو الرماد.

وقوله: ﴿وكنتم أزواجًا ثلاثة﴾ أى: أصنافًا ثلاثة.

قوله تعالى: ﴿فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة﴾ قال يزيد بن أسلم: هم الذين أخذوا من الشق الأيمن من آدم عليه السلام،

---

(١) الزلزلة: ١.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٤/ ١٠٧ رقم ١٨٧٥)، ومسلم (٩/ ٢٢٤ - ٢٢٥ رقم ١٣٨٨).

(٣) كذا، وفى الكلام سقط.

أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي

وأصحاب المشأمة هم الذين أخذوا من الشق الأيسر. وعن محمد بن كعب القرظى قال: أصحاب الميمنة هم الذين يعطون الكتاب بأيمانهم، وأصحاب المشأمة هم الذين يعطون الكتاب بشمالهم. وقال السدى: أصحاب الميمنة: جمهور أهل الجنة، وأصحاب المشأمة: جمهور أهل النار. ويقال: أصحاب الميمنة هم الميامين على أنفسهم، وأصحاب المشأمة هم المشائيم على أنفسهم. والعرب تسمى الجانب الأيسر الجانب الأشأم، وتسمى اليسار الشؤمى، واليمين اليمنى(١).

وقوله ﴿ما أصحاب الميمنة﴾ و﴿ما أصحاب المشأمة﴾ هذا فى كلام العرب للتعجيب، وهو فى كلام الله مع عباده للتنبيه على عظم شأن الأمر.

وقوله: ﴿والسابقون السابقون﴾ قال كعب: هم الأنبياء عليهم السلام. وعن بعضهم: هو كل من صلى إلى القبلتين. وعن ابن عباس فى بعض الروايات: مؤمن آل فرعون سبق إلى موسى، ومؤمن آل ياسين سبق إلى عيسى، وعلىٌّ سبق إلى محمد ﷺ بالإيمان، أورده أبو الحسين بن فارس. ويقال: السابقون هم المبادرون إلى الطاعات.

وقوله: ﴿السابقون﴾ تقدير الآية: والسابقون إلى الخيرات والطاعات هم السابقون فى الدرجات. وقيل: هو على طريق التأكيد.

وقوله: ﴿أولئك المقربون﴾ أى: المقربون من المنزلة والكرامة والوصول إلى رضا الله تعالى. وذكر فى موضع آخر أصنافا ثلاثة فقال: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾(٢) فذهب بعض أهل التفسير إلى أن الأصناف المذكورين فى سورة الواقعة [كلهم](٣) من المؤمنين مثل الأصناف المذكورين فى تلك السورة، وأن أصحاب المشأمة هم

(١) فى «ك»: اليومى.

(١) فاطر: ٣٢.

(٣) فى «الأصل، وك»: كله.

جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴿١٤﴾

الظالمون لأنفسهم، وأصحاب الميمنة هم المقتصدون، والسابقون هم السابقون بالخيرات. والقول الأول هو الأصح، وأن أصحاب المشأمة هم الكفار؛ ولأن الله تعالى قال بعده: ﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فى سموم وحميم ﴾(١) ووصفهم بالكفر على ما سيأتى.

وقوله: ﴿ فى جنات النعيم ﴾ ذكر النقاش فى تفسيره عن النبى ﷺ فى وصف جنة النعيم: «أن لبنة منها فضة، ولبنة ذهب، وطينها المسك، وترابها الزعفران، وحصباءها الدر والياقوت»(٢).

قوله: ﴿ ثلة من الأولين ﴾ أى: جماعة من الأولين، ولفظ الثلة مأخوذ من الثل وهو القطع.

وقوله: ﴿ وقليل من الآخرين ﴾ اختلف أهل التفسير فيه على القولين: أحدهما: أن المراد من الأولين هم أتباع الأنبياء المتقدمين قبل نبينا محمد ﷺ.

وقوله: ﴿ وقليل من الآخرين ﴾ هم من أمة محمد ﷺ.

والقول الثانى: أنهما جميعًا من هذه الأمة، وقد روى هذا فى خبر مرفوع، وهو قول الحسن وابن سيرين. فإن قيل على القول الأول: كيف يستقيم هذا، وأتباع الرسول من المؤمنين أكثر من أتباع الأنبياء؟ والجواب: أن المراد من الأولين هو من رأى جميع الأنبياء وآمن بهم، ومن الآخرين من رأى محمداً ﷺ وآمن به، وعلى القطع

(١) الواقعة: ٤١ - ٤٢.

(٢) رواه الترمذى (٤/ ٥٨٠ رقم ٢٥٢٦)، وأحمد (٢/ ٣٠٤-٣٠٥)، وابن المبارك فى الزهد (٣٨٠ رقم ١٠٧٥)، والطيالسى (٣٣٧ رقم ٥٨٣)، وهناد (١/ ١٠٦ رقم ١٣٠)، والحميدى (٢/ ٤٨٦ رقم ١١٥٠)، والدارمى (٢/ ٤٢٩ رقم ٢٨٢١)، وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (١١ -١٢ رقم ٤)، وابن حبان فى صحيحه (١٦/ ٣٩٦ - ٣٩٧ رقم ٧٣٨٧)، وأبو نعيم فى صفة الجنة (٥٢ رقم ١٣٦)، والبيهقى فى البعث (١٦٢ - ١٦٣ رقم ٢٨٤). وقال الترمذى: هذا حديث ليس إسناده بذاك القوى وليس هو عندى بمتصل، وقد روى هذا الحديث بإسناد آخر عن أبى مدلة عن أبى هريرة مرفوعا. وفى الباب عن ابن عمر، وانظر الدر (١/ ٤٢).

﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾

يعلم أن أولئك ممن رأى نبينا وآمن به، فإن الله تعالى قال فى يونس عليه السلام: ﴿ وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ﴾[1] هذا فى نبى واحد، فكيف فى جميع الأنبياء؟ وإنما كثرت هذه الأمة بعد وفاة الرسول ﷺ، وقد روى «أنه لما نزلت هذه الآية حزن أصحاب رسول الله ﷺ حزنا شديداً لقوله: ﴿ وقليل من الآخرين ﴾ فقال النبى ﷺ: «إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، بل ثلث أهل الجنة، بل نصف أهل الجنة، وتقاسمونهم فى النصف الثانى»[2]. وفى بعض الأخبار: أن أهل الجنة مائة وعشرون صفًّا[3]، ثمانون من هذه الأمة»[4].

قوله تعالى: ﴿ على سرر ﴾ فالسرر جمع سرير. وفى بعض الأخبار: أن ارتفاعه سبعون ذراعًا، وقيل: أكثر من ذلك، والله أعلم.

وقوله: ﴿ موضونة ﴾ أى: مرمولة بقضبان الذهب. وقيل: مشبكة منسوجة بالدر والياقوت. والوضين فى كلام العرب هو الحزام الذى يشد به بطن الدابة، سمى وضينا لنسجه وإدخال بعضه فى بعض، قال الشاعر:

إليك تعدو قلقا وضينها

معترضا فى بطنها جنينها

مخالفًا دين النصارى دينها

---

(١) الصافات: ١٤٧.

(٢) رواه الإمام أحمد، وابن أبى حاتم من حديث أبى هريرة مرفوعا بنحوه كما فى تفسير ابن كثير (٤ / ٢٨٤)، وزاد السيوطى فى الدر (٦ / ١٧١): ابن المنذر، وابن مردويه.

(٣) فى «ك»: صنفا، خطأ.

(٤) رواه الترمذى (٤ /٥٨٩ رقم ٢٥٤٦) وحسنه، وابن ماجه (٢ /١٤٣٣ - ١٤٣٤ رقم ٤٢٨٩)، وأحمد (٥ /٣٤٧)، والدارمى (٢ / ٤٣٤ رقم ٢٨٣٥)، والحاكم (١ / ٨١ - ٨٢) وصححه على شرط مسلم، وابن عدى (٤ / ١٠٠)، وأبو نعيم فى أخبار أصبهان (١ /٢٧٥). وانظر علل الحديث (٢ / ٢١٥ رقم ٢١٣٤ لابن أبى حاتم). وفى الباب عن عدد من الصحابة.

مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لا يُصَدَّعُونَ عَنهَا

وقال آخر:

ومن نسجِ داودَ مَوضونة تُساقُ مع الحى عِيراً فعيرا

والسرير المرمول أوطأ من السرير الذى هو غير مرمول. وقيل: موضونة أى: مصفوفة.

وقوله: ﴿متكئين عليها﴾ الاتكاء هو الاستناد على طريق التنعم.

وقوله ﴿عليها متقابلين﴾ هو مثل قوله: ﴿إخوانا على سرر متقابلين﴾[1] أى: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، ووجوههم إلى وجوه إخوانهم.

قوله تعالى: ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون﴾ أى: غلمان.

وقوله: ﴿مخلدون﴾ أى: لايموتون. وقيل: مخلدون مسرورون. وقيل: مُقرَّطون، قال الشاعر:

ومخلدات باللُّجين كأنما أعجازُهُنَّ [أقاوز][2] الكُثْبَانِ

وقوله: ﴿بأكواب﴾ قال أبو عبيدة: الأكواب هى الأوانى المستديرة الرءوس، وليست لها خراطيم، والأباريق التى لها خراطيم. وفى الخبر فى وصف الكوثر أكاويبه عدد نجوم السماء.

وقوله: ﴿وكأس من معين﴾ فى التفسير: أن العرب لا تسمى الإناء كأسًا حتى يكون فيه الخمر.

وقوله: ﴿معين﴾ أى: خمر جار. ويقال: إن خمر أهل الجنة تكون بيضاء، وقيل: حمراء، والله أعلم.

---

(١) الحجر: ٤٧.

(٢) من لسان العرب (٥/٣٩٩ مادة: قوز)، وفى «الأصل، وك»: أقاول، وهو كثب من الرمل صغير مستدير تشبه به أرداف النساء.

وَلاَ يُنْزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا ﴿٢٦﴾

وقوله: ﴿لا يصدعون عنها﴾ أى: لا يلحقهم من شربها صداع مثل ما يصيب شارب الخمر فى الدنيا.

وقوله: ﴿ولا ينزفون﴾ أى: ولا تذهب عقولهم. وقيل: لا يسكرون. وقيل: لا تتغير ألوانهم، وقيل: لا يقيئون مثل ما يقىء شارب الخمر فى الدنيا. وفى اللغة يسمى ذاهب اللون منزوفًا ، وذاهب العقل نزيفا، وكذلك العطشان، قال الشاعر:

فلثمت فاها آخذًا بقرونها ... شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

وقرأ ابن مسعود : «ولا ينزِفون» بكسر الزاى، ومعناه: لا تفنى خمرهم.

قوله تعالى: ﴿وفاكهة مما يتخيرون﴾ أى: يختارون.

وقوله تعالى: ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ أى: يريدون.

وقوله: ﴿وحور عين﴾ بالرفع فيهما، وقرئ بالكسر فيهما، وقرئ بالفتح فيهما فى الشاذ، فعلى الرفع معناه: ولهم حور عين، وعلى الكسر معناه: ويطاف عليهم بحور عين، وعلى النصب معناه: ويعطون حوراً عيناً. والمشهور بالرفع والخفض، وسميت الحور حوراً؛ لبياضهن وشدة سواد أعينهن، وقيل: سمين حوراً؛ لأن الطرف يحار فيهن.

وقوله: ﴿عين﴾ أى: حسان الأعين، وهو ما ذكرنا من بياض البشرة وسواد الحدقة.

وقوله: ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ أى: اللؤلؤ المكنون فى أصدافه لم تنله يد.

وقوله: ﴿جزاءً بما كانوا يعملون﴾ أى: ثوابًا لهم لعملهم.

قوله تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما﴾ أى: كلاما باطلا، وكلامًا يأثم به قائله، واللغو كل ما يُلغى.

وقوله: ﴿إلا قيلا سلامًا سلامًا﴾ معناه: إلا قولهم السلام بعد السلام، والتحية بعد

التحية. وقد قالوا: إن الاستثناء هاهنا من غير جنس المستثنى منه، فهو منقطع، وهو بمعنى لكن. وقيل: إنه من جنس المستثنى منه؛ لأن اللغو كلام مسموع، والسماع كلام مسموع. واختلفوا فى نصب قوله: ﴿ سلامًا ﴾ قال بعضهم: انتصب لأن معناه: سلمك الله سلامًا أى: يقول بعضهم لبعض، ومنهم من قال: انتصب تبعًا لقوله: ﴿ قيلا ﴾ لأن سلاما هو الفعل المذكور.

وقوله تعالى: ﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ﴾ قد بينا، وعن ميمون بن مهران قال: لهم منزلة دون منزلة المقربين. وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده: أنهم الذين خلطوا عملا صالحًا وآخر سيئًا ثم تابوا.

وذكر الضحاك عن ابن عباس: أن الله تعالى مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فاستخرج منها ذرية شبه الذر بيضًا؛ وقال لهم: ادخلوا الجنة برحمتى، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى واستخرج منها ذرية كالحمم سوداء، وقال لهم: ادخلوا النار ولا أبالى.

وفى رواية: أخذ بيمينه كل طيب، وأخذ بشماله كل خبيث.

وفى الصحيح «أن كلتا يديه يمين»[1]. فعلى هذا معنى قوله: ﴿ وأصحاب اليمين ﴾ هم الذين أخذوا من صفحة ظهر آدم اليمنى.

وقوله: ﴿ فى سدر مخضود ﴾ أى: قد قطع شوكه ونزع. والسدر: شجر النبق، قال السدى: ثمرة أحلى من العسل. وقيل: مخضود أى: موقر حملا. ويقال: لا عجم فى ثمره. وفى اللغة الخضد هو القطع. قال النبى ﷺ فى صفة مكة: «لا يخضد شجرها»[1] أى: لا يقطع.

وقوله: ﴿ وطلح منضود ﴾ قرأ علىٌّ رضى الله عنه: «وطلع منضود» وهو مثل قوله

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ق: ١٠.

﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لا مَقْطُوعَةٍ وَلا

في موضع آخر: ﴿لها طلع نضيد﴾[٢] وقال أبو هريرة وأبو سعيد الخدرى وابن عباس والحسن وغيرهم: هو الموز.

قوله: ﴿منضود﴾ أى: متراكم بعضه على بعض، وذكر النحاس أن العرب تقول: عسى يا فلان تطلح، أى: بنعمة، قال الشاعر[١]:

كم رأينا من أناس هلكوا ورأينا المرء عمراً بطلح

أى: بنعمة .ويقال: إن الطلح هاهنا هو شجر العضاه، وهو أكثر شجر العرب، وله منظر حسن. وروى أن أصحاب رسول الله ﷺ ورضى الله عنهم لما ذهبوا إلى الطائف أعجبهم طلح وَجٍّ[٢]، فذكر الله تعالى أن لهم فى الجنة طلحاً. فإن قال قائل: كيف يكون لهم فى الجنة شجرة شوك؟: قلنا: لا يكون ثَمَّ شوك، إلا أنه شجر يشبه شجر الطلح فى الكبر وحسن المنظر، ويجوز أن يكون فى الجنة شجراً؛ لأكل الثمر منه، وشجر يحسن النظر إليه، والأصح أنه الموز.

وقوله تعالى: ﴿منضود﴾ قالوا معناه: أن ثمره وورقه من أوله إلى آخره ليست لها ساق بارزة.

وقوله: ﴿وظل ممدود﴾ قال الحسن: لا ينقطع. وعن يحيى بن أبى كثير: أن ساعات الجنة تشبه الغداة الباردة فى الصيف. ويقال: إنها مثل سجسج ليس فيه حر ولا برد. وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعه، واقرءوا إن شئتم: ﴿وظل ممدود﴾»[٣].

وقوله: ﴿وماء مسكوب﴾ أى: مصبوب، ومعناه: أنه ينصب إليهم من العلو. قال الحسن: مسكوب أى: جار لا ينقطع أبداً.

وقوله تعالى: ﴿وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾ قال الزجاج: لا مقطوعة

---

(١) هو الأعشى. لسان العرب (٢/ ٥٣١ - ٥٣٢)، وفيه: ورأينا الملك عمراً بطلح.

(٢) قال القرطبى فى تفسيره: وهو واد بالطائف مخصب (القرطبى ١٧/ ٢٠٧).

(٣) تقدم تخريجه.

مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾

أى: لا يكون فى حين دون حين، ولا ممنوعة أى: لا يُخْطَر عليها كما يخطر على البساتين فى الدنيا، وقيل: لا مقطوعة: لا ينقطع أبداً، والمعنى على هذا أنها إذا جنيت ظهر مكانها فى الحال مثلها أو خير منها.

وقوله: ﴿ولا ممنوعة﴾ أى: لا يمنع الأخذ منها، وقيل: لا يمنع الأخذ بُعْدٌ ولا شوك. وعن ابن شوذب قال: رأيت الحجاج بن فرافصة واقفا فى سوق الفاكهة بالبصرة، فقلت: ما تصنع هاهنا؟ فقال: أنظر إلى هذه المقطوعة الممنوعة.

وقوله تعالى: ﴿وفرش مرفوعة﴾ أى: عالية، ويقال: بعضها فوق بعض. وروى أبو سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال: «ارتفاعها ما بين السماء والأرض، ومسيرة ما بينهما[(١)] خمسمائة عام»[(٢)]. وذكر أبو عيسى الترمذى هذا الحديث فى كتابه، وقال: هو غريب. وذهب جماعة من التابعين أن الفرش المرفوعة هاهنا هى النساء، والعرب تسمى المرأة فراش الرجل ولحافه. وسماهن مرفوعة؛ لأنهن رفعن بالفضل والجمال والكمال. والعرب تسمى كل فاضل رفيعا. ويقال: سماهن فرشا؛ لأنهن على الفرش، فكنى بالفرش عنهن.

قوله تعالى: ﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهن الحور، ومعنى الإنشاء فيهن أن الله تعالى يجعل الصبايا والعجز على سن واحدة فى الصورة والشباب. وعن بعض التابعين أنه قال فى هذه الآية: هن العجز الرمص العمش. وفى بعض الروايات عن النبى ﷺ أنه قال: «تفضل المرأة الصالحة فى الحسن على الحور

---

(١) فى «الأصل، وك»: وإنما مسيرة خمسمائة، والمثبت من الترمذى (٥/٣٧٤ رقم ٣٢٩٤) وغيره، كما سيأتى فى تخريجه.

(٢) رواه الترمذى (٤/٥٨٦ رقم ٢٥٤٠، ٥/٣٧٤ رقم ٣٢٩٤) وقال: غريب، وأحمد (٣/٧٥)، وأبو يعلى (٢/٥٢٨ رقم ١٣٩٥)، وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (رقم ١٥٤)، وابن جرير فى تفسيره (٢٧/١٠٦)، وابن حبان فى صحيحه (١٦/٤١٨ - ٤١٩ رقم ٧٤٠٥)، وأبو الشيخ فى العظمة (رقم ٢٧٤، ٥٩٥)، وأبو نعيم فى صفة الجنة (رقم ٣٥٧)، والبيهقى فى البعث (١٨٤ رقم ٣٤٢)، والبغوى فى تفسيره (٤/٢٨٣) عن أبى سعيد به.

فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴿٤٠﴾

سبعين ضعفًا » ذكره النقاش، وهو غريب جدا.

وقوله: ﴿ فجعلناهن أبكاراً ﴾ أى: عذارى. قال الضحاك: أهل الجنة لا يأتون النساء من مرة إلا وجدوهن عذارى.

وقوله تعالى: ﴿ عربا ﴾ أى: محببات إلى أزواجهن. وعن ابن عباس: عواشق لأزواجهن. وعن بعضهم: غنجات. وعن بعضهم: شكلات. وعن بعضهم: مغتلمات. تقول العرب للناقة إذا كانت تشتهى الفحل: عروبة.

وعن زيد بن أسلم: حسنات الكلام. وعن بعضهم: عربًا أى: يتكلمن بالعربية. والمعروف الأول، [و](١) يمكن الجمع بين هذه الأقوال كلها، فكأنها تتحبب(٢) إلى زوجها بغَنج، وشكِل، وكلام حسن، وميل شديد، وبلفظ عربى.

وقوله: ﴿ أترابا ﴾ أى: لِدَاتٍ، كأنهن على سن واحد وميلاد واحد.

ويقال: أترابا: أشكالا لأزواجهن فى الجسم والمقدار، قال الشاعر:

أبرزوها مثل المهاة تهادى ... بين جنس كواعب أتراب

وقوله: ﴿ لأصحاب اليمين ﴾ أى: هذا الذى قلنا لأصحاب اليمين.

وقوله تعالى: ﴿ ثلة من الأولين وثلة من الآخرين ﴾ أى: جماعة من الأولين، وهم الذين اتبعوا الأنبياء والمتقدمين - صلوات الله عليهم أجمعين - وجماعة من الآخرين، وهم الذين اتبعوا نبينا ﷺ، والثلة: القطعة.

وقد روى أبان بن أبى عياش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبى ﷺ قرأ هذه

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) فى «ك»: وانتخبت.

(٣) رواه ابن جرير (٢٧ / ١١) وضعفه، وابن عدى فى الكامل (١ / ٣٨٧)، والبغوى (٤ / ٢٨٥ - ٢٨٦). وزاد الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣ / ٤٠٤): ابن مردويه، والواحدى، والثعلبى، وقال الحافظ فى تلخيصه لتخريج الكشاف: وأبان هو ابن أبى عياش متروك. وقال السيوطى فى الدر (٦ /١٧٦): أخرج الفريابى، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن عدى، وابن مردويه بسند ضعيف فذكره.
وله شاهد عن أبى بكرة، انظر تخريج الكشاف والدر.

وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾

الآية: ﴿ ثلة من الأولين وثلة من الآخرين ﴾ وقال: «الثلتان من أمتى». (٣) فعلى هذا الثلة الأولى هم الذين عاينوا النبى ﷺ وآمنوا به، والثلة الثانية هم الذين آمنوا به ولم يروه.

فإن قيل: كيف وجه الجمع بين هذه الآية وبين الآية التى تقدمت، وهى قوله: ﴿ وقليل من الآخرين ﴾(١) والجواب: قد روينا أن تلك الآية لما نزلت حزن أصحاب رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وذكرنا معنى القليل، وهم من عاين النبى ﷺ واتبعه، فعلى هذا معنى الثلة هاهنا جميع من اتبعه، عاينه أولم يعاينه.

قوله تعالى: ﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ﴾ فقد ذكرنا معناه.

قوله: ﴿ فى سموم ﴾ هى الريح الحارة. وقيل: إنه اسم جهنم.

وقوله: ﴿ وحميم ﴾ أى: الماء الذى انتهى حره. وفى التفسير: أنه يخرج من صخرة فى جهنم. وفى التفسير أيضا عن ابن مسعود: أن أنهار الجنة تخرج من جبل من الكافور فى الجنة.

وقوله: ﴿ وظل من يحموم ﴾ أى: دخان أسود يغشى أهل النار، ويصيبهم من حره مايغلى دماغهم. وعن بعضهم: أن اليحموم اسم من أسماء جهنم. وعن (ابن البريدة)(٢): أن اليحموم جبل فى النار يظل أهل النار مدة أن يستظلوا بظله، فيؤذن لهم بعد مدة، فيصيبهم من حره ما يستغيثون منه، ويكون ذلك أشد عليهم مما كانوا فيه.

وقوله: ﴿ لا بارد ولا كريم ﴾ أى: لا بارد المدخل، ولا كريم المنظر. قال الفراء: العرب تجعل الكريم تابعًا فى كل مايبقى عنه، وصف يراد به الذم. يقول: هذه الدار ليست بواسعة ولا كريمة، وهذا الفرس ليس بجواد ولا كريم.

---

(١) الواقعة: ١٤.

(٢) كذا، وفى تفسير القرطبى: ابن زيد.

وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ

قوله تعالى: ﴿إنهم كانوا قبل ذلك مترفين﴾ أى: منعَّمين، والترفة: النعمة. وفى بعض الأخبار: أن عباد الله ليسوا بالمتنعمين. والمعنى: التوسع فى الحُرُمِ ومالايحل؛ لأن التوسع فى الحلال والتنعم منه جائز، ولايستحق عليه عقوبة.

وقوله: ﴿وكانوا يصرون على الحنث العظيم﴾ قال مجاهد وقتادة: الشرك. ويقال: هو الإثم العظيم. ويقال للصبى إذا بلغ: قد بلغ الحنث أى: بلغ زمان الإثم. وعن على - رضى الله عنه - قال: الحنث العظيم: اليمين الفاجرة. وعن الشعبى: هو اليمين الغموس.

وقوله تعالى: ﴿يصرون﴾ أى: يقيمون عليه إلى أن ماتوا.

وقوله: ﴿وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾ أى: بعث القيامة، قالوا ذلك على طريق الإنكار.

وقوله: ﴿أو آباؤنا الأولون﴾ أى: أو يبعث آباؤنا الأولون بعد أن صاروا ترابا ورممًا[1].

قوله تعالى: ﴿قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم﴾ وهو يوم القيامة.

وقوله: ﴿ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم﴾ والزقوم كل طعام يصعب على الإنسان أكله ويشق عليهم، وقد بينا معناه من قبل.

وقوله: ﴿فمالئون منها البطون﴾ قال أهل اللغة: الشجر يؤنث ويذكر، وذكره على بن عيسى.

---

(١) فى «ك»: ورميما.

(٢) فى «الأصل»: غدا، وفى «ك»: خلا، وما أثبته هو الأنسب للسياق.

الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ

وقوله: ﴿ فشاربون عليه من الحميم ﴾ قال ذلك لأن من أكل شيئا و[وغص](٢) منه عطش وشرب.

وقوله: ﴿ فشاربون شرب الهيم ﴾ قال ابن عباس: الإبل العطاش. وعند أهل اللغة أن الهيم داء يصيب الإبل، فتعطش، ولا تروى أبدا حتى لاتزال تشرب فتهلك. ويقال: شرب الهيم: الرمل كلما يصب عليه الماء لم يظهر عليه ويشربه.

وقوله: ﴿ هذا نزلهم يوم الدين ﴾ أى: رزقهم وعطاؤهم. فإن قيل: النزل إنما يستعمل فى الإكرام والإحسان، والجواب: أنه لما جعل هذا فى موضع النزل لأهل الجنة سماه نزلا، وهو كما أنه سمى عقوبتهم ثوابا، ووعيدهم بشارة، والمعنى فيه مابينا.

وقوله: ﴿ نحن خلقناكم فلولا تصدقون ﴾ أى: هلا تصدقون مع ظهور هذه الدلائل أى: صدقوا.

قوله تعالى: ﴿ أفرأيتم ماتمنون ﴾ الإمناء: إلقاء المنى.

وقوله: ﴿ أأنتم تخلقونه ﴾ أى: تخلقون منه الإنسان.

وقوله: ﴿ أم نحن الخالقون ﴾ أى: بل نحن الخالقون. قال الأزهرى فى هذه الآية: إن الله تعالى احتج عليهم بأبلغ دليل فى البعث والإحياء بعد الموت فى هذه الآية، وذلك لأن المنى الذى يسقط من الإنسان ميت، ثم يخلق الله منه شخصا حيا، وقد كانوا مقرين أن الله خلقهم من النطف، وكانوا منكرين للإحياء بعد الموت، فألزمهم أنهم لما أقروا بخلق حى من نطفة ميتة يلزمهم أن يقروا بإعادة الحياة فى ميت. ومعنى الآية: كما أقررتم بذلك فأقروا بهذا.

وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا

قوله تعالى: ﴿ نحن قدرنا بينكم الموت ﴾ يعنى: إنا نميتكم أى: لوكنا نعجز عن إحيائكم بعد الموت لعجزنا عن إماتتكم بإخراج أنفسكم.

وقوله تعالى: ﴿ وما نحن بمسبوقين ﴾ أى: بمغلوبين. قال الفراء معناه: إذا أردنا أن نعيدكم لم يسبقنا سابق، ولم يفتنا شىء. ويقال: لو أراد غيرنا أن يفعل مثل فعلنا لعجز عنه،تقول العرب: ماأسبق فى هذا الفعل أى: لايفعل مثل فعلى أحد.

وقوله: ﴿ على أن نبدل أمثالكم ﴾ أى: لو شئنا أن نميتكم ونخلق أمثالكم لقدرنا عليه.

وقوله: ﴿ وننشئكم فيما لاتعلمون ﴾ من الهيئة والصورة أى: لوشئنا فعلنا ذلك. ويقال: أن نجعلكم فى صورة القردة والخنازير. ويقال: ننشئكم من مكان لاتعلمون أى: فى عالم لاتعلمونه.

قوله تعالى: ﴿ ولقد علمتم النشأه الأولى ﴾ أى: الخلق الأول، استدل عليهم بالنشأة الأولى على النشأة الثانية.

وقوله تعالى: ﴿ فلولا تذكرون ﴾ أى: هلا تتعظون وتعتبرون.

قوله تعالى: ﴿ أفرأيتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾ أى: تنبتونه. يقال للولد: زرعه الله أى: أنبته الله .

قوله: ﴿ أم نحن الزارعون ﴾ أى: نحن المنبتون.

وقوله: ﴿ لو نشاء لجعلناه حطاما ﴾ أى: يابسا يتفتت وينكسر لا شىء فيه.

وقوله: ﴿ فظلتم تفكهون ﴾ أى: تتعجبون. ويقال: تندمون وتتحسرون.

لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا

وقوله: ﴿إنا لمغرمون﴾ أى: معذبون. قاله مجاهد. وقال قتادة: ملقون بالشر، وعن بعضهم: أنه من الغرام، وهو الهلاك. وقيل: من الغُرْم؛ لأنهم غرموا ولم يصيبوا شيئا.

وقوله: ﴿بل نحن محرمون﴾ أى: حرمنا الجد، ولم نصل إلى ماكنا نأمله ونرجوه. وعن تغلب: أن المُغْرَم هو المولع، يقال: فلان مغرم أى: مولع به، فعلى هذا معنى قوله: ﴿إنا لمغرمون﴾ أى: ولع بنا المصيبة والحرمان. ويقال: إنا لمغرمون أى: غرمنا كما غرمنا ولم نصب شيئا، وقال الشاعر فى الغرم بمعنى العذاب:

ويوم النيار(1) ويوم الجفا ... ر كانا عذابا فكانا غراما

قوله تعالى: ﴿أفرأيتم﴾ هذا مذكور للتنبيه على مافيه من الدليل.

وقوله: ﴿الماء الذى تشربون﴾ معلوم.

وقوله: ﴿أأنتم أنزلتموه من المزن﴾ أى: من السحاب. قال نفطويه: المزن هو السحاب الملآن من الماء، قال جرير:

كأنها مزنة غراء رائحة أو ... درة لا يوارى لونها الصدف

وقوله: ﴿أم نحن المنزلون﴾ أى: نحن أنزلنا الماء من المزن، ولم تنزلوه أنتم، ينبههم بذلك على عظيم قدرته.

قوله تعالى: ﴿لو نشاء جعلناه أجاجا﴾ أى: مرًّا شديد المرارة. وقيل: ملحا شديد الملوحة. يقال: أج الماء تأج إذا ملح. والمعنى: أنا لونشاء جعلناه أجاجا بحيث لا يمكن شربه، ينبههم بذلك على الشكر. وفى بعض الأخبار: أن النبى ﷺ كان إذا

---

(١) كذا فى النسختين، وفى لسان العرب (١٢/ ٤٣٧، ٤/ ١٤٤، ٢٠٥: النسار) ويوم النسار ويوم الجفار.

وهما يومان من أيام العرب مشهوران، وكانا بهما شدة وقتال.

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى الشكر (رقم ٦٩)، والطبرانى فى الدعاء (٢/ ١٢١٨ رقم ٨٩٩) كلاهما عن أبى جعفر الباقر مرسلا به. وزاد السيوطى فى الدر (٥/ ٢٦٩). البيهقى فى الشعب.

﴿فَلَوْلا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾

شرب قال: «الحمد الله الذى جعله عذبا فراتا، ولم يجعله ملحًا أجاجا»[٢]. أو لفظ هذا معناه.

قوله: ﴿فلولا تشكرون﴾ أى: فهلا تشكرون.

قوله تعالى: ﴿أفرأيتم النار التى تورون﴾ أى: تقتدحون.

يقال: أورت الزند إذا استخرج النار منه. ويقال: زند وزندة للحجر الذى يقدح منه النار.

وقوله: ﴿أأنتم أنشأتم شجرتها﴾ أى: خلقتم شجرتها.

وقوله: ﴿أم نحن المنشئون﴾ يعنى: أم نحن خلقنا الشجرة. وشجرة النارشجرة معروفة، ويقولون: فى كل شجر نار، واسْتَمْجدَ [المَرْخُ والعَفَار][١].

وقوله تعالى: ﴿نحن جعلناها تذكرة﴾ أى: جعلنا النار تذكرة من النار الكبرى، وهى نار جهنم. وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»[٢]. وفى بعض الروايات: «ضربت بالماء مرتين»[٣].

وقوله ﴿ومتاعًا للمقوين﴾ أظهر الأقاويل فيه: أن المقوين المسافرين، وهم الذين ينزلون فى الأرض القفر الخالية. والقول الثانى: أنه لجميع الناس المقيمين والمسافرين. وعلى القول الأول خص المسافرين؛ لأن منفعتهم بالنار أكثر؛ لأجل الاصطلاء من

---

(١) فى «الأصل، وك»: المدح والغناء، والمثبت هو الصواب كما فى مجمع الأمثال لأبى الفضل الميدانى (٢/ ٧٤) رقم (٢٧٥٢)، ومعنى: استمجد المرخ والعفار أى: استكثرا وأخذا من النار ما هو حسبهما، ولأنهما يسرعان الورى، والمرخ والعفار نوعان من الشجر يتخذ منه الزناد.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٦/ ٣٨٠ - ٣٨١ رقم ٣٢٦٥)، ومسلم (١٧/ ٢٦١ - ٢٦٢ رقم ٢٨٤٣).

(٣) رواه أحمد (٢/ ٢٤٤)، والحميدى (٢/ ٤٧٩ رقم ١١٢٩)، وابن حبان (١٦/ ٥٠٤ رقم ٧٤٦٣)، والبيهقى فى البعث (٢٧٢ رقم ٥٥٠).



البرد، والاستضاءة بالليل، وفى إيقاد النار رد السباع، ومنفعة الاستضاءة الاهتداء عند ضلال الطريق.

قال أبو عبيدة: ومتاعا للمقوين أى: منفعة لكل من ليس له (زاد)(١) ولامال.

ويقال: أقوى المكان إذا خلا عن الشىء. وأنكر القتيبى وغيره هذا القول، وقالوا: منفعة الغنى بالنار أكثر من منفعة الفقير، والعرب تقول للفقير مقوى ،وللغنى مقوى؛ تقول للفقير مقوى؛ لنفاد مامعه وخلوه عنه،وللغنى مقوى لقوته وقدرته على مالا يقدر عليه الفقير، فعلى هذا معنى الآية: أن النار منفعة لجميع الناس من الفقراء والأغنياء والمقيمين والمسافرين.

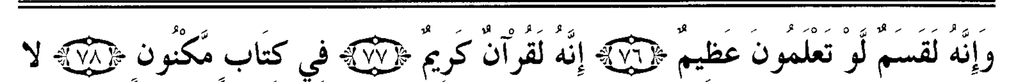
وقوله: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ لما ذكر الله الدلائل على الكفار فى هذه الآيات المتقدمة ،ووجه الدليل فيها أنهم كانوا مقرين أن فاعل هذه الأشياء هو الله، وأنهم عاجزون عنها، وينكرون البعث والنشأة الآخرة؛ فقال الله تعالى لهم: لما لم تنكروا قدرة الله تعالى على هذه الأشياء ومافيها من عجيب الصنع، فكيف تنكرون قدرته على بعثكم وإحيائكم بعد موتكم؟ فلما ألزمهم الدليل قال لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ كأنه أرشده إلى الاشتغال بتنزيه الرب وتسبيحه وتقديسه حين لزم الكفار الحجة، وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: «أفضل الكلام سبحان الله وبحمده»(٢).

قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ أى: أقسم، و«لا» صلة. وقيل: إن معنى «لا» أى: ليس الأمر كما قالوا من أن القرآن شعر وسحر وكهانة، بل أقسم بمواقع النجوم. وعن ابن عباس :أن معنى مواقع النجوم أى: مساقط النجوم. ويقال: مساقطها ومطالعها أقسم بها لما علق بها من مصالح العباد. وعن ابن عباس فى رواية أخرى - وهو قول جماعة كثيرة من التابعين (منهم)(٣): الحسن، وقتادة، وعكرمة،

(١) فى «ك»: دار.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) فى «ك»: فيهم.



وغيرهم – أن مواقع النجوم هاهنا نجوم القرآن، ومعنى المواقع نزوله نجما نجما. وفى الخبر: أن الله تعالى أنزل القرآن جملة إلى السماء الدنيا، ثم أنزل نجما نجما فى ثلاث وعشرين سنة إلى النبى ﷺ.

وفى الآية قول ثالث: وهو أن المراد من مواقع النجوم انتشارها وتساقطها يوم القيامة.

وقوله: ﴿ وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ قال ذلك لأن قسم الله عظيم، وكل ماأقسم به. ويقال: إن تخصيصه هذا القسم بالعظم؛ لأنه أقسم بالقرآن على القرآن؛ قاله القفال الشاشى.

وقوله: ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾ هو موضع القسم، وهو المقسم [عليه][1].

وقوله: ﴿ كريم ﴾ أى: كثير الخير والبركة. تقول العرب: هذه الناقة كريمة، وهذه النخلة كريمة، إذا كثرت فوائدها ومنافعها.

قوله: ﴿ فى كتاب مكنون ﴾ أى: مصون، وقد فسر باللوح المحفوظ، وفسر أيضا بكتاب فى السماء عند الملائكة فيه القرآن.

وقوله: ﴿ لايمسه إلا المطهرون ﴾ أكثر المفسرين على أن المراد به أنه لايمس ذلك الكتاب إلا الملائكة المطهرون. قال قتادة: فأما المصحف يمسه كل أحد، وإنما المراد ذلك الكتاب فى السماء. والقول الثانى :أن المراد به المصحف، وقوله: ﴿ لايمسه إلاالمطهرون ﴾ خبر بمعنى النهى أى: لا تمسوه إلا على الطهارة. وقد ورد أن النبى ﷺ كتب فى كتاب عمرو بن حزم «ولايمس القرآن إلا طاهر»[2]. وعن علقمة والأسود

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه (١٤/ ٥٠١ – ٥١٠ رقم ٦٥٥٩)، والدارقطنى فى السنن (١/ ١٢٢، ٢/ ٢٨٥)، والحاكم (١/ ٣٩٥ – ٣٩٧)، والبيهقى فى سننه (١/ ٨٧ – ٨٨، ٣٠٩، ٤/ ٨٩ – ٩٠)، وفى الخلافيات (١/ ٥٠١ – ٥٠٢ رقم ٢٩٧)، وغيرهم، وراجع ما سطره محقق كتاب الخلافيات الأستاذ مشهور على تخريجه لهذا الحديث.

وفى الباب أحاديث عن حكيم بن حزام، وعمرو بن حزام، وابن عمر، وعثمان بن العاص، وثوبان، وانظر نصب الراية (١/ ١٩٦ – ١٩٩)، وتلخيص الحبير (١/ ٢٢٧ – ٢٢٨)، وإرواء الغليل (١/ ١٥٨ – ١٦١).

يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

أنهما دخلا على سلمان ليقرآ عليه القرآن، فجاء من الغائط ،فقالا له: توضأ لنقرأ عليك القرآن، فقال: اقرآني، لا أريد أن أمسه، ثم قرأ: ﴿لايمسه إلا المطهرون﴾.

وقوله: ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ أى: القرآن نزله رب العالمين.

قوله تعالى: ﴿أفبهذا الحديث أنتم مدهنون﴾ أى: مكذبون تكذيب منافق. والمدهن والمداهن بمعنى واحد، والمداهن هو ذو الوجهين،وهو الذى يكون قلبه خلاف لسانه ،ولسانه خلاف قلبه. ويقال: المدهنون: هم الذين يدفعون الصدق والحق بأحسن وجه يقدر عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾(١) يعنى :تكذب فيكذبون، وترائى فيراءون .

وقوله: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ قرأ على: «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون» وهو معنى القراءة المعروفة يعنى: تضعون التكذيب موضع الشكر/ ومنه قول الشاعر:

تحية بينهم ضرب وجيع

أى: يضعون الضرب الوجيع موضع التحية. ويقال معنى الآية: تجعلون شكر رزقكم أنكم تكذبون، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، مثل قوله تعالى: ﴿واشتعل الرأس شيبا﴾(٢) أى: شعر الرأس.

وعن الحسن البصرى: أن الرزق هاهنا بمعنى الهداية التى أعطاهم الله تعالى بالقرآن، فكأن الله تعالى لما أنزل القرآن، وبيَّن لهم طريق الحق به فكذبوه وأنكروا، سمى ذلك البيان رزقًا، وجعل تكذيبهم كفرانا لهذا الرزق. وروى عن الحسن البصرى أنه قال: خسر قوم جعلوا حظهم من القرآن التكذيب. والقول الثالث - وهو

(١) القلم: ٩.

(١) مريم: ٤.

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾

المعروف في الآية – أن الرزق هاهنا هو المطر، والتكذيب هو قولهم: مطرنا بنوء كذا. وقد ثبت برواية أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ألا ترون إلى ما قال ربكم؟ قال: ماأنعمت على عبادي نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين يقولون: الكوكب وبالكوكب..» أورده مسلم في صحيحه(١). وفي خبر آخر برواية (معاوية)(٢) الليثي أن النبي ﷺ قال: «يصبح القوم مجدبين، فيأتيهم الله برزق من عنده، فيصبحوا مشركين يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا»(٣).

قوله تعالى: ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم﴾ أي: بلغت النفس الحلقوم. والآية في بيان عجزهم، وذكر قدرته عليهم.

وقوله: ﴿وأنتم حينئذ تنظرون﴾ الخطاب لأهل الميت.

وقوله: ﴿ونحن أقرب إليه منكم﴾ أي: بالقدرة. وقد قيل: ملك الموت وأعوانه يعني: أنهم أقرب إلى الميت منكم.

وقوله: ﴿ولكن لاتبصرون﴾ أي: لا ترون.

وقوله تعالى: ﴿فلولا إن كنتم﴾ أي: فهلا إن كنتم، [وقوله](٤): ﴿غير مدينين﴾ أي: غير مدبرين مملوكين مقهورين يعني: إن كنتم قادرين على ماشئتم، ولم تكونوا في ملكنا وقهرنا [فردوا](٥) روح الميت إلى مكانه، وهو معنى قوله:

---

(١) رواه مسلم (٢/٨١ رقم ١٢٦)، والنسائي (٣/١٦٤ رقم ١٥٢٤)، وأحمد (٢/٣٦٨). والحديث متفق عليه من حديث زيد بن خالد، وقد تقدم.

(٢) في «ك»: أبي معاوية، وهو خطأ، ومعاوية الليثي له ترجمة في الإصابة (٣/٤٣٨) وذكر له هذا الحديث، وعزاه للطيالسي في مسنده.

(٣) رواه الإمام أحمد (٣/٤٢٩)، والطيالسي (١٧٨ رقم ١٢٦٢)، والبخاري في تاريخه (٧/٣٢٩)، والطبراني في الكبير (١٩/٤٣٠ رقم ١٠٤٣)، وابن الأثير في أسد الغابة (٥/٢١٤) من حديث معاوية الليثي به. وزاد الحافظ في الإصابة: ابن أبي خيثمة، والبغوي.

(٤) من «ك».

(٥) في «الأصل، وك»: في رد، وما أثبته يقتضيه السياق.

تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ

﴿ ترجعونها إن كنتم صادقين ﴾ ينبئهم بذلك على عجزهم. ويقال: غير مدينين أى: غير محاسبين ومجزيين.

والقول الأول هو الوجه فى معنى الآية.

قوله تعالى: ﴿ فأما إن كان من المقربين ﴾ ذكر الله تعالى فى هذه الآيات حال الأصناف الثلاثة عند الموت، وهى الأصناف التى ذكرهم فى أول السورة، فقال تعالى: ﴿ فأما إن كان من المقربين ﴾ أى: السابقين إلى الخيرات، المبرزين فى الطاعات.

وقوله تعالى: ﴿ فرَوح ﴾ قراءة عائشة رضى الله عنها: «فرُوح» واختاره يعقوب الحضرمى، والأشهر: «فَرَوْح» بفتح الراء، ومعناه: الرحمة. ويقال: [الروح](١) الاستراحة، ومن قرأ بضم الراء فهو بمعنى الحياة الدائمة التى لافناء بعدها. وفى الخبر: «أنه إذا وضع المؤمن فى قبره، وأجاب بجواب الحق يقال له: نم نومة العروس، لا هَمٌّ ولا بؤس»(٢). وفى خبر آخر: «يفتح له باب إلى الجنة، ويقال له: هذا موضعك»(٣).

وقوله تعالى: ﴿ وريحان ﴾ أى: رزق، وهو الرزق الذى يدر عليه من الجنة فى القبر. وقد بينا من قبل الريحان بمعنى الرزق فى شعر العرب:

سلام الإله وريحانه ... ورحمته وسماء درر

وقال الحسن البصرى: هو الريحان الذى يشم. قال أبو الجوزاء: يؤتى بضَبَائِر من ريحان الجنة فتجعل روحه فيها.

وقوله: ﴿ وجنة نعيم ﴾ هى الجنة الموعودة. قال أهل التفسير: الروح والريحان فى القبر، وجنة نعيم يوم القيامة. ويقال: الروح عند الموت، والريحان فى القبر، وجنة نعيم فى القيامة عند البعث. وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، وقيل: يارسول الله،لكنا نكره الموت قال:

---

(١) من «ك»، وفى «الأصل»: الفرح، وهو تحريف.

(٢) تقدم فى حديث البراء الطويل.

(٣) متفق عليه من حديث ابن عمر رواه البخاري (٣ / ٢٨٦ رقم ١٣٧٩ وطرفاه: ٣٢٤٠، ٦٥٥) ومسلم (١٧ / رقم ٢٨٦٦).

وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

لا، إن المؤمن إذا بشر برحمة الله أحب لقاء الله ،فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بالنار كره لقاء الله وكره الله لقاءه» وقرأ هذه الآية(١).

قوله تعالى: ﴿وأما إن كان من أصحاب اليمين﴾ قد بينا أصحاب اليمين.

وقوله: ﴿فسلام لك من أصحاب اليمين﴾ أى: تسلم الملائكة عليهم. وقيل: يسلم الله عليهم ،فيقول: سلام عليك. ولك بمعنى عليك.

وقوله تعالى: ﴿من أصحاب اليمين﴾ أى: لأنك من أصحاب اليمين. وهذا قول كثير من المفسرين. وقال بعضهم: الخطاب للنبى ﷺ ومعناه: أبشر بالسلامة لأصحاب اليمين ،كأنه يقول: لاتشغل قلبك بهم، فإنهم قد نالوا السلامة. وقيل: المراد من الآية تسليم بعضهم على بعض، كأن بعضهم يسلم على بعض، ويهنئ بالسلامة .

قوله تعالى: ﴿وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم﴾ أى: المعد له شراب من حميم.

وقوله: ﴿وتصلية جحيم﴾ أى: دخول الجحيم يقال: أصلى كذا أى: قاسه، فعلى هذا تصلية جحيم أى: مقاساة الجحيم.

قوله تعالى: ﴿إن هذا لهو حق اليقين﴾ أى: محض اليقين، يشير إلى أنه كائن لاخلف فيه. ويقال معناه: إنه يقين أحق اليقين، كما يقال: حق عالم أى: عالم حق.

وقوله: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أى: نزه ربك وعظمه، كأنه أرشده إلى الاشتغال بثنائه وتسبيحه وتقديسه ليصل إلى درجة المقربين.

---

(١) متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت، رواه البخارى (١١/ ٣٦٤ رقم ٦٥٠٧)، ومسلم (١٧/ ١٥ رقم ٢٦٨٣ مختصراً) وليس فيه قراءة الآية عند أحدهما.
وفى الباب أحاديث عن عائشة، وأبى هريرة، وأبى موسى.

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ

تفسير سورة الحديد

وهى مكية فى قول الكلبى وجماعة. وقال بعضهم: إنها مدنية. وعن سعيد بن جبير أنه قال: اسم الله الأعظم فى ست آيات من أول سورة الحديد. وعن أبى التياح أنه قال: من أراد أن يعرف كيف وصف الجبار نفسه فليقرأ ست آيات من أول سورة الحديد. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ سبح لله ما فى السموات والأرض ﴾ أى: صلى وتعبد، ويقال: نزَّه وقدس. وقد ذكر بعضهم أن تسبيح الجمادات هو أثر الصنع فيها. والأصح أنه التسبيح حقيقة، وهو قول أهل السنة؛ لأنه لو كان المراد منه أثر الصنع لم يكن لقوله: ﴿ ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾[١] معنىً، لأن أثر الصنع يعلمه ويفهمه كل واحد.

وقوله ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ أى: الغالب الحكيم فى أمره.

قوله تعالى: ﴿ له ملك السموات والأرض يحيى ويميت ﴾ أى: له الملك فى السموات والأرض محييا ومميتا. قال الزجاج: يحيى من النطفة الميتة، ويميت الشخص الحى.

وقوله تعالى: ﴿ وهو على كل شىء قدير ﴾ أى: قادر.

قوله تعالى: ﴿ هو الأول والآخر ﴾ أى: الأول قبل كل شىء، والآخر بعد كل شىء. وقيل: الأول فلا أول له، والآخر فلا آخر له، وهو فى معنى الأول. وقيل: الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء.

(١) الإسراء: ٤٤.

وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ

وقوله: ﴿والظاهر والباطن﴾ أى: الظاهر بالدلائل والآيات، والباطن لأنه لا يرى بالأبصار، ولا يدرك بالحواس. وقيل: الظاهر هو الغالب؛ وهذا يحكى عن ابن عباس. والباطن المحتجب عن خلقه. (وعن)(١) بعضهم: العالم بما ظهر وبطن.

وقوله: ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ أى: عالم.

قوله تعالى: ﴿هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام﴾ فى التفسير: أن كل يوم ألف سنة. وقيل: أسامى الأيام: أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت.

وقوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ قد بينا. وعن وهب بن منبه قال: خلق العرش من نوره. وعن بعضهم: هو ياقوتة حمراء. وسمى العرش عرشًا لارتفاعه.

وقوله: ﴿يعلم ما يلج فى الأرض﴾ أى: يدخل فيها من مطر وحب وميت.

وقوله: ﴿وما يخرج منها﴾ أى: من نبات وشجرة ونحوه.

وقوله تعالى: ﴿وما ينزل من السماء﴾ أى: من المطر والرزق والملائكة.

وقوله تعالى: ﴿وما يعرج فيها﴾ أى: من الملائكة وأعمال بنى آدم.

وقوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ أى: بعلمه وقدرته، ذكره ابن عباس وغيره. وقال الحسن: هو معكم بلا كيف.

وقوله: ﴿أينما كنتم﴾ أى: حيثما كنتم.

وقوله: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ أى: خبير.

قوله تعالى: ﴿له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور﴾ أى: ترد الأمور.

(١) فى «ك»: وألحق.

وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ

قوله تعالى: ﴿يولج الليل فى النهار﴾ أى: ينقص من الليل، ويزيد فى النهار.

وقوله: ﴿ويولج النهار فى الليل﴾ أى: ينقص من النهار ،ويزيد فى الليل.

وقوله: ﴿وهو عليم بذات الصدور﴾ أى: بما فيها.

قوله تعالى: ﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ أى: أنفقوا من الأموال التى خلفتم فيها من قبلكم. وقيل: مستخلفين فيه أى: معمرين بالرزق.

وقوله: ﴿فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير﴾ أى: عظيم.

قوله تعالى: ﴿وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم﴾ أى: العهد منكم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أى: مصدقين.

قوله تعالى: ﴿هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ أى: من الكفر إلى الإيمان.

وقوله: ﴿وإن الله بكم لرءوف رحيم﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله﴾ معناه: أى فائدة لكم إذا تركتم الإنفاق فى سبيل الله ،وأموالكم تصير إلى غيركم؟والمعنى: هو الإنكار، كأنه قال: ولم لا تنفقون أموالكم لتصلوا بها إلى ثواب الله، وهى لا تبقى لكم إذا لم تنفقوا؟

وقوله: ﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾ هو إشارة إلى ما بينا من قبل.

أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ

وقوله: ﴿لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل﴾ أى: لا يستوى من أنفق وقاتل قبل فتح مكة، ومن أنفق وقاتل بعد فتح مكة. وإنما لم يستويا؛ لأن أصحاب النبى ﷺ نالهم من التعب والمشقة والمكروه والشدة قبل الفتح ما لم ينلهم بعده. وذكر الكلبى أن الآية نزلت فى أبى بكر الصديق -رضى الله عنه- وقد ورد فى بعض المسانيد عن ابن عمر «أن النبى ﷺ كان جالسًا وعنده أبو بكر الصديق، وعليه عباءة قد خَلَّلها فى صدره؛ فجاء جبريل -عليه السلام- وقال للنبى ﷺ: يقول الله تعالى: سلم على أبى بكر، وقل له: أراضٍ أنت عنى فى فقرك أم ساخط؟ فقال النبى ﷺ لأبى بكر: هذا جبريل يقرئك من ربك السلام ،ويقول كذا، فبكى أبو بكر وقال: بل أنا راضٍ عن ربى، بل أنا راضٍ عن ربى»(١).

وذكر النقاش أن الآية نزلت فى عثمان بن عفان -رضى الله عنه- وكان قد جهز جيش العسرة، وأعطى سبعمائة وثلاثين بعيراً، وأعطى سبعين فرسًا، وكان أعطاها بآلاتها.

وفى رواية :جاء بخمسة آلاف دينار وصبها بين يدى النبى ﷺ ،فجعل النبى عليه الصلاة والسلام يقلبها بيده ويقول :« ما ضر عثمان ما يفعل بعد هذا »(٢).

وقوله: ﴿أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾ قد بينا المعنى فى ذلك.

---

(١) رواه ابن حبان فى المجروحين (٢/ ١٨٥)، وابن شاهين فى شرح مذاهب أهل السنة (١٧٣ رقم ١٢٤)، وأبو نعيم فى الحلية (٧/ ١٠٥)، والواحدى فى أسباب النزول (٣٠٣)، والبغوى فى تفسيره (٤/ ٢٩٥).
وقال الذهبى فى الميزان (٣/ ١٠٣): هذا كذب. وقال ابن طاهر فى التذكرة (١٦١ رقم ٣٨٠): وهذا موضوع.

(٢) رواه الترمذى (٥/ ٥٨٥ رقم ٣٧٠١) وقال: حسن غريب، وأحمد (٥/ ٦٣)، وابن أبى عاصم فى السنة (٢/ ٥٧٣ رقم ١٢٧٩)، والحاكم (٣/ ١٠٢) وصححه، وابن شاهين فى شرح مذاهب أهل السنة (٧٢ رقم ٧٨)، والبيهقى فى الدلائل (٥/ ٢١٥) عن كثير مولى ابن سمرة عن عبد الرحمن بن سمرة به، وفيه: «فجاء بألف دينار». وفى الباب عن عبد الرحمن بن خباب، وحذيفة، وأنس.

وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا

وقوله: ﴿ وكلا وعد الله الحسنى ﴾ أى: الجنة.

وقوله: ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ أى: عالم، والمعنى: أن الله تعالى وعد جميع المتقين الجنة ،وإن تفاضلوا فى الدرجة.

قوله تعالى: ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ﴾ قال عكرمة: لما أنزل الله تعالى هذه الآية تصدق أبو الدحداح بحائط فيه ستمائة نخلة. وفى رواية: تصدق بنصف جميع ماله حتى نعليه تصدق بأحدهما ،ثم جاء إلى أم الدحداح وقال: إنى بعت ربى، فقالت: ربح البيع. فقال رسول الله ﷺ: «كم من نخلة مدلاة لأبى الدحداح فى الجنة، عروقها من زبرجد وياقوت»(١).

وعن بعضهم: أنه لما نزلت هذه الآية جاء اليهود إلى النبى ﷺ، وقالوا: أفقير ربنا فيستقرضنا؟ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾(٢).

وقال الزجاج: العرب تقول لكل من كل فعل فعلا حسنًا: قد أقرض، قال الشاعر:

وإذا جُوزِيتَ قرضًا فاقضِه　　　إنما يَجزِى الفتى ليس الإبل

فمعنى الآية على هذا :من الذى يفعل فعلا حسنا فيجازيه الله بذلك .وهو على العموم.

---

(١) عزاه الحافظ ابن كثير لابن أبي حاتم عن ابن مسعود بطوله (٤/ ٣٠٧ تفسير ابن كثير).

وعن جابر بن سمرة مرفوعًا: «كم من عذق معلق – أو مدلي – في الجنة لأبي الدحداح». رواه مسلم (٧/ ٤٦ – ٤٨ رقم ٩٦٥)، وأحمد (٥/ ٩٠، ٩٥، ٩٨، ٩٩)، وابن حبان (١٦/ ١١١ – ١١٢ رقم ٧١٥٧)، والبيهقي (٤/ ٢٢ – ٢٣).

ورواه سعيد بن منصور في تفسيره (٣/ ٩٣٤ رقم ٤١٧)، وأبو يعلي (٨/ ٤٠٤ رقم ٤٩٨٦)، والبزار (١/ ٣٩٣ رقم ٦٤٩)، وابن جرير (٢/ ٣٧١)، والطبراني (٢٢/ ٣٠١ رقم ٧٦٤) عن ابن مسعود مرفوعا مختصرًا. وفي الباب عن أنس. وانظر الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٢٧).

(٢) آل عمران: ١٨١

فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن

وقوله تعالى: ﴿ فيضاعفُه له ﴾ قرئ برفع الفاء ونصبها، فبالرفع هو معطوف على قوله: ﴿ يقرض ﴾ وبالنصب يكون على جواب الاستفهام بالفاء.

وقوله: ﴿ وله أجر كريم ﴾ أى: حسن.

قوله تعالى: ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم ﴾ قال الحسن البصرى: على الصراط. وعن ابن مسعود قال: نور كل إنسان على قدر عمله، فمنهم من نوره كالجبل العظيم، ومنهم من نوره كنخلة، ومنهم من نوره على إبهامه ينطفى مرة ويتقد أخرى. وفى بعض الأخبار: أن نورهم ما بين صنعاء إلى عدن. يعنى: فى القدر. وعن ابن عباس فى رواية الضحاك قال: الصراط فى دقة الشعرة، وحدة (الشفرة)[1]، والمؤمنون يمرون عليه نورهم من بين أيديهم، بعضهم كالبرق، وبعضهم كالريح، وبعضهم كالطير، وبعضهم (كحضرة)[2] الفرس.

وقوله تعالى: ﴿ وبأيمانهم ﴾ أى: النور بأيمانهم.

وقوله: ﴿ بشراكم اليوم ﴾ أى: بشارتكم اليوم ﴿ جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴾.

وقوله: ﴿ خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ﴾ أى: النجاة [العظيمة][3].

قوله تعالى: ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا ﴾ من الإنظار، وأشهر القراءتين هى الأولى ،ومعناه: انظرونا. وأما بنصب الألف فمعناه: اصبروا لنا، قال الشاعر:

أبا هندٍ فلا تعجلْ علينا وأَنْظِـرنا نُخَبِّرْكَ الْيقِينَا

(١) فى «ك»: السيف.
(٢) فى «ك»: كجرية. والحُضْر بالضم، يعنى العدو. النهاية لابن الأثير (١/٣٩٨).
(٣) فى «الأصل وك»: العظيم.

نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ

وقوله: ﴿ نقتبس من نوركم ﴾ في الأخبار: أن الناس يحشرون والمنافقون مختلطون بالمؤمنين، ثم إن الله تعالى يرسل نوراً للمؤمنين فيمشون في نورهم ،فيتبعهم المنافقون ويقولون: انظرونا نقتبس من نوركم ، وكانوا قد بقوا في الظلمة ، وفي رواية أخرى :أن الناس يحشرون فيغشاهم أمر من أمر الله ،فيبيض وجوه المؤمنين، ويسود وجوه الكفار، ثم يغشاهم أمرٌ آخر،فيقسم بين المؤمنين النور على قدر أعمالهم، ويبقى الكفار والمنافقون في الظلمة، فيقولون للمؤمنين: «انظرونا نقتبس من نوركم».

وقوله: ﴿ نقتبس ﴾ أي: نأخذ شيئًا من نوركم.

وقوله: ﴿ قيل ارجعوا وراءكم ﴾ أي: إلى الموضع الذي قسم فيه النور.

وقوله: ﴿ فالتمسوا نوراً ﴾ أي: اطلبوا نوراً ثَمَّ، فيرجعون فلا يجدون شيئا. وقال بعضهم معناه :فارجعوا إلى الدنيا ،واطلبوا النور بالأعمال الصالحة، وهذا على التعيير والتبكيت ،وهو قول غريب،والمعروف هو الأول.

وقوله: ﴿ فضرب بينهم بسور له باب ﴾ في التفسير: أنهم إذا رجعوا إلى ذلك الموضع ولم يجدوا النور، عادوا ليتبعوا نور المؤمنين، فيغشاهم عذاب من عذاب الله، ويضرب بينهم وبين المؤمنين بسور، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ فضرب بينهم بسور له باب ﴾ وقيل: هو الأعراف الذي [ذكر][1] في سورة الأعراف. وعن عبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو بن العاص أن السور حائط مسجد بيت المقدس الشرقي منه، فالذي يلي المسجد هو الذي قال: ﴿ باطنه فيه الرحمة ﴾ والذي يلي وادي جهنم هو الذي قال: ﴿ وظاهره من قبله العذاب ﴾ وثَمَّ واد يقال له: وادي جهنم ، وهو معروف.

(١) من ك وفي «الأصل»: ذكرت.

﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ منكُمْ فدْيَةٌ وَلا منَ الَّذينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا

قوله تعالى: ﴿ ينادونهم ألم نكن معكم ﴾ يعنى : أن المنافقين ينادون المؤمنين أَلَمْ نكن معكم؟ معناه: ألم نكن معكم فى صلاتكم وصيامكم ومساجدكم ،وما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿ قالوا بلى ﴾ أى: بلى كنتم فى الظاهر.

وقوله: ﴿ ولكنكم فتنتم أنفسكم ﴾ أى: استعملتم أنفسكم فى الفتنة، ويقال: فتنتم أنفسكم أى: اتبعتم المعاصى والشهوات.

وقوله: ﴿ وتربصتم ﴾ أى: تربصتم بالنبى ﷺ وبالمؤمنين دوائر الدهر. ويقال: تربصتم بالتوبة أى: أخرتموها .

وقوله: ﴿ وارتبتم ﴾ أى: شككتم فى الدين.

وقوله: ﴿ وغرتكم الأمانى ﴾ أى: أمنيتكم أن محمدا يهلك، ويبطل أمره.

وقوله: ﴿ حتى جاء أمر الله ﴾ أى: أمر الله بنصر نبيه والمؤمنين. ويقال: النار.

وقوله: ﴿ وغركم بالله الغرور ﴾ أى: الشيطان، وإنما سمى الشيطان غروراً؛ لأن الناس تغر الناس بتمنية الأباطيل.

وعن سعيد بن جبير أنه قال: الغرور: أن تعمل بالمعصية ،وتتمنى على الله المغفرة.

قوله تعالى: ﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ﴾ فى قراءة أبى بن كعب: « جزية » ومعنى الفدية: هو ما يفتدى به نفسه من العذاب.

وقوله: ﴿ ولا من الذين كفروا مأواكم النار ﴾ أى: [منزلتكم][1] النار.

وقوله: ﴿ هى مولاكم ﴾ أى: النار أولى بكم.

---

(١) فى «الأصل» : منزلكم.

يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ

وقوله: ﴿ وبئس المصير ﴾ أى: بئس المنقلب النار.

قوله تعالى: ﴿ ألم يأن للذين آمنوا ﴾ معناه: ألم يحن، من الحين وهو الوقت.

يقال: آنَ يئين وحان يحين بمعنى واحد.

وقوله: ﴿ أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ أى: تلين وترق.

قال ابن عباس: فى الآية حث لطائفة من المؤمنين على الرقة عند الذكر. وعن ابن مسعود قال: ما كان بين إسلام القوم وبين أن عاتبهم الله على ترك الخشوع والرقة إلا أربع سنين. وعن مقاتل: أن أصحاب رسول الله ﷺ أخذوا فى نوع من المرح، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وعن بعضهم :أن أصحاب رسول الله ﷺ أصابتهم ملة فقالوا: (حدثنا)[1] يا رسول الله ،فأنزل الله تعالى: ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾[2]، ثم أصابتهم ملة، فأنزل الله: ﴿ الله نزل أحسن الحديث ﴾[3] ثم أصابتهم ملة ،فأنزل الله تعالى: ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾.

وقال مقاتل بن حيان: إن قوله: ﴿ ألم يأن للذين آمنوا ﴾ هو فى مؤمنى أهل الكتاب ،حثهم على الإيمان بالرسول. وعن بعضهم: هو فى المنافقين؛ آمنوا بألسنتهم ،ولم يؤمنوا بقلوبهم ﴿ وما نزل من الحق ﴾ [أى][4]: القرآن.

وقوله: ﴿ ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ﴾ أى: اليهود والنصارى.

وقوله ﴿ فطال عليهم الأمد ﴾ أى: المدة. ويقال: الأجل. وعن ابن مسعود أنه قال:

---

(١) فى «ك»: خذ بنا.

(٢) يوسف: ٣.

(٣) الزمر: ٢٣.

(٤) فى "الأصل،وك" :أيها ، والمثبت هو الصواب.

تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ

لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فقد طال عليهم الأمد فقست قلوبهم ،ولكن ما أمركم به القرآن فائتمروا به، وما نهاكم عنه فانتهوا.

وقوله: ﴿فقست قلوبهم﴾ أى: يبست.

وقوله: ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ أى: خارجون عن طاعة الله. ويقال: هو فى ابتداعهم الرهبانية.

قوله تعالى: ﴿اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها﴾ فى الخبر عن [أبى](١) رزين العقيلى أنه قال: يا رسول الله، كيف يحيى الله الموتى؟ فقال: «أرأيت أرضا مخلاء ثم أرأيتها خضراء، قال: نعم. قال: هو كذلك»(٢). وعن صالح المزنى قال: يحيى القلوب بتليينها بعد قساوتها .فهو المراد بالآية.

وقوله: ﴿قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿إِن المصدقين والمصدقات﴾ قرئ: بتشديد الصاد وتخفيفها، فعلى تخفيف الصاد يعنى: المؤمنين، وعلى تشديد الصاد يعنى :المتصدقين.

وقوله: ﴿وأقرضوا الله قرضًا حسنا﴾ قيل: لا تكون الصدقة قرضا حسنا حتى تجتمع فيها خصال: أولها :أن تكون من حلال، وأن يعطيها طيبة بها نفسه، وأن لا يتبعها منًّا ولا أذى، وأن يتيمم الجيد من ماله لا الخبيث والردىء، وأن يعطيها ابتغاء وجه الله لا مراءاة للخلق، وأن يخرج الأحب من ماله إلى الله تعالى، وأن يتصدق وهو صحيح يأمل العيش ويخشى الفقر، وأن لا يستكثر ما فعله بل يستقله، وأن يتصدق بالكثير.

وقوله: ﴿يضاعف لهم ولهم أجر كريم﴾ أى: كثير حسن.

---

(١) فى «الأصل» : «ابن» وهو تحريف، وأبو رزين العقيلى هو لقيط بن صبرة صحابى مشهور.

(٢) تقدم.

لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ

قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون﴾ الصديق هو كثير الصدق، كالسكيت كثير السكوت.

وعن أبى هريرة قال: كلكم صديق وشهيد. فقيل له: كيف يا أبا هريرة؟ فقرأ قوله فى هذه الآية. واختلف القول فى قوله: ﴿والشهداء﴾ فأحد الأقوال: أنهم الشهداء المعروفون، وهم الذين استشهدوا فى سبيل الله.

والقول الثانى: أنهم النبيون، ذكره الفراء.

والقول الثالث: أنهم جميع المؤمنين. فعلى هذا يكون الشهداء معطوفا على قوله: ﴿أولئك هم الصديقون﴾ وعلى القولين الأولين تم الوقف والكلام على قوله: ﴿أولئك هم الصديقون﴾، وقوله: ﴿والشهداء عند ربهم﴾ ابتداء كلام. وفى قوله: ﴿عند ربهم﴾ إشارة إلى منزلتهم ومكانتهم عند الله.

وقوله: ﴿لهم أجرهم ونورهم﴾ أى: ثوابهم وضياؤهم.

وقوله: ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾ معلوم المعنى، والجحيم معظم النار.

وقوله تعالى: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة﴾ أى: هى ما يلعب به ويلهى ويتزين به. والمراد به: كل ما أريد به غير الله، أو كل ما شغل عن الدين. ويقال: لعب ولهو: أكل وشرب. ويقال: اللعب الأولاد، واللهو النساء.

وقوله تعالى: ﴿وتفاخر بينكم﴾ أى: تفاخر من بعضكم على بعض.

وقوله: ﴿وتكاثر فى الأموال والأولاد﴾ أى: تطاول بكثرة الأولاد والأموال. والفرق بين التفاخر والتكاثر: أن التفاخر قد يكون ممن له ولد ومال مع من لا ولد له

عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ

ولا مال، وأما التكاثر لا يكون إلا ممن له ولد ومال مع من له ولد ومال.

وقد ورد فى بعض الأخبار أن النبى ﷺ قال: «من طلب الدنيا تعففا عن السؤال، وصيانة للولد والعيال ،جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلبها تفاخراً وتكاثراً ورياء للناس، فليتبوأ مقعده من النار»(١) أو لفظ هذا معناه.

وقوله: ﴿كمثل غيث أعجب الكفار نباته﴾ أى: الزراع، وذلك حين ينبت ويحسن فى أعين الناس.

وقوله: ﴿ثم يهيج فتراه مصفراً﴾ أى: ييبس ويجف.

وقوله: ﴿مصفرا﴾ أى: أصفر يابسا.

وقوله: ﴿ثم يكون حطاما﴾ أى: يتكسر ويتهشم. وقيل: يكون نبتا لا قمح فيه.

وقوله: ﴿وفى الآخرة عذاب شديد﴾ يعنى: لمن آثر الدنيا على الآخرة.

وقوله ﴿ومغفرة من الله ورضوان﴾ يعنى لمن آثر الآخرة على الدنيا.

قال قتادة: رجع الأمر إلى هذه الكلمات الثلاث ﴿وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ ومتاع الغرور قد بينا من قبل، وهو كل ما لا أصل له، أو كل ما لا بقاء عليه.

قوله تعالى: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم﴾ أى: سارعوا، يقال: إن المسابقة بالإيمان. ويقال: بالتكبيرة الأولى والصف الأول ،حكى هذا عن رباح بن عبيدة. وعن وكيع بن الجراح قال :كنا إذا رأينا الرجل يتهاون بالتكبيرة الأولى علمنا أنه لا يفلح.

---

(١) رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه (٧/ ١٦ - ١٧)، وأبو نعيم فى الحلية (٣/ ١١٠، ٨/ ٢١٥) كلاهما عن أبى هريرة مرفوعا به.

وعزاه العراقى فى المغنى (٢/ ٥٦) لأبى الشيخ فى الثواب، وأبى نعيم فى الحلية، والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بسند ضعيف.

وَرُسُلِه ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ

وقوله: ﴿ وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ﴾ المراد منه :ألصق بعضه ببعض فما يبلغ عرض الجميع ،فهو عرض الجنة . وقيل: المراد من المسابقة :المسابقة إلى التوبة . وقيل: إلى النبى ﷺ .

وقوله: ﴿ عرضها كعرض السماء والأرض ﴾ أى: سعتها، قال الشاعر:

كأن بلادَ اللهِ وهى عريضةٌ　　　على الخائفِ المطلوبِ كِفَّةُ حابلِ

وقوله تعالى: ﴿ أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ﴾ أى: صدقوا الله ،وصدقوا له رسله.

وقوله: ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم ﴾ المصيبة فى الأرض: ما يصيب الأرض من الجدب والقحط وهلاك الثمار وما أشبه ذلك، والمصيبة فى الأنفس هى الأسقام والأمراض وما يشبهها.

وقوله: ﴿ إلا فى كتاب ﴾ قد ثبت أن النبى ﷺ قال: «لما خلق الله القلم قال له: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»(١). والكتاب هو اللوح المحفوظ.

وقوله: ﴿ من قبل أن نبرأها ﴾ أى: من قبل أن نخلقها. والكتابة يجوز أن ترجع إلى النقوش ، ويجوز أن ترجع إلى المصيبة.

وقوله: ﴿ إن ذلك على الله يسير ﴾ أى: هين.

قوله تعالى: ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ﴾ الأسى: هو الحزن والتندم.

---

(١) تقدم تخريجه.

فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ

وقوله: ﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ أى: لا تبطروا ولا تأشروا. وعن ابن عباس قال: ما من أحد إلا ويحزن ،ولكن المراد بالآية هو أن نشكر عند النعمة ،ونصبر عند المصيبة. وعن بعضهم معناه: لا يجاوز ما حده الله تعالى يعنى: لا يجزع عند المصيبة جزعا يخرجه إلى ترك الرضا ،ولا يفرح عند النعمة فرحا يخرجه عن طاعة الله ،أو يمسكها عن حقوقها ،ولكن إذا علم أن الكل بقضاء الله وقدره ،وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ،وما أصابه لم يكن ليخطئه ،هان عليه ما فات ،ولم يفرح بما أصاب. وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال: إذا استأثر الله عليك بشيء [ما فاتك](١) ذلك عن ترك ذكره.

ومن المعروف قول النبى ﷺ «لله ما أخذ، ولله ما أعطى»(٢).

وقوله: ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ أى: متكبر منَّان بما أعطى.

قوله تعالى: ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ قال أهل العلم: البخل حقيقته هو منع المال عن حق الله تعالى. وقال بعضهم: إذا وضعه فى غير موضعه فهو بخيل ،وإن أعطى وأكثر، وإذا وضعه فى موضعه فليس ببخيل وإن أقل. وعن بعضهم أنه قال: من أدى زكاة ماله فقد برىء من البخل.

وفى الآية قول آخر ذكره السدى وغيره :أن الآية فى اليهود؛ وبخلهم هو كتمان صفة الرسول، وأمرهم بالبخل أمرهم بالكتمان.

وقوله: ﴿ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد﴾ أى: الغنى عن طاعة خلقه، الحميد فى فعاله. وقيل: الغنى عن صدقات الخلق، الحميد فى إفضاله عليهم.

وعن سعيد بن جبير قال: يبخلون أى: لا يتصدقون، ويأمرون الناس بالبخل، أى:

---

(١) فى «الأصل، وك» من نالك.

(٢) متفق عليه من حديث أسامة بن زيد، رواه البخارى (٣/ ١٨٠ رقم ١٢٨٤ وأطرافه: ٥٦٥٥، ٦٦٠٢، ٦٦٥٥، ٧٣٧٧، ٧٤٤٨)، ومسلم (٦/ ٣١٨ - ٣١٩ رقم ٩٢٣).

وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ

بترك الصدقة. والفرق بين البخيل والسخى: أن السخى هو الذى يلتذ بالإعطاء، والبخيل هو الذى يلتذ بالإمساك. وقيل: البخيل هو الذى يعطى ما يعطى ونفسه غير طيبة، والسخى هو الذى يعطى ما يعطى طيبة بها نفسه.

قوله تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب﴾ أى: الكتب.

وقوله: ﴿والميزان﴾ قال قتادة: العدل. وقال الكلبى: الميزان المعروف الذى توزن به الأشياء. ومعناه: وضعنا الميزان، وعلى القول الأول معناه: أمرنا بالعدل.

وقوله: ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾ أى: بالعدل فى الميزان.

وقوله: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ قوله: ﴿أنزلنا الحديد﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: وخلقنا الحديد وأحدثناه.

والقول الثانى: أن المراد به هو الإنزال من السماء حقيقة،« وأن الله تعالى لما أنزل آدم إلى الأرض أنزل معه العَلاة والكلبتين والمِيقَعَة »(١) – وهى المطرقة – وقيل: أنزل معه الحجر الأسود وعصا موسى من آس الجنة وما ذكرنا من الحديد.

وقوله: ﴿فيه بأس شديد﴾ أى: هو سلاح وجُنة. فالسلاح يقاتل به، والجُنة يتقى بها.

وقوله: ﴿ومنافع للناس﴾ هى ما يتخذ من الآلات من الحديد مثل: الفأس، والقدوم ،والمنشار، والمسلة ،والإبرة ،ونحوها.

وقوله: ﴿وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب﴾ ذكر هاهنا هذا؛ لأن نصرة الله تعالى ونصرة رسله بالقتال، والقتال بآلات الحديد، وإنما قال: ﴿بالغيب﴾ لأن كل ما يفعله العباد من الطاعات إنما يفعلونه بالغيب، على ما قال الله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾(٢).

وقوله: ﴿إن الله قوى عزيز﴾ ظاهر المعنى.

(١) رواه ابن عباس مرقوفاً كما فى النهاية لابن الأثير (٤ / ٣٨١) ولفظه: «نزل مع آدم عليه السلام الميقعة والسندان والكبتان». ثم قال: الميقعة التى يضرب بها الحديد وغيره، والجمع: المواقع.

(٢) البقرة: ٣.

فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ

قوله تعالى: ﴿ ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد ﴾ أى: مسلم. ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ أى: كافرون.

قوله تعالى: ﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا ﴾ أى: أتبعنا.

وقوله: ﴿ وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل ﴾ أى: أعطيناه الإنجيل جملة.

وقوله: ﴿ وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ﴾ الرأفة: أشد الرحمة، والمراد بهؤلاء: هم الذين بقوا على دين الحق ،ولم يغيروا ولم يبدلوا بعد عيسى عليه السلام.

وقوله: ﴿ ورهبانية ابتدعوها ﴾ أى: وابتدعوها رهبانية من تلقاء أنفسهم، والرهبانية هى ما ابتدعوها من السياحة فى البرارى (والمفاوز)[1]. قيل: هو التفرد فى الديار والصوامع للعبادة. وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «لا رهبانية فى الإسلام»[2]. وفى رواية قال: «رهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله»[3]. وفى الأخبار: أن سبب ابتداعهم الرهبانية أن الملوك بعد عيسى -عليه السلام - بدلوا دين عيسى، وقتلوا العباد والأخيار من بنى إسرائيل حين دعوهم إلى الحق؛ فقال الأخيار فيما بينهم - وهم الذين بقوا إنهم وإن قتلونا لا يسعنا المقام فيما بينهم والسكوت، فلحق بعضهم بالبرارى وساحوا ،وبنى بعضهم الصوامع وتفردوا فيها للعبادة ،فكان أصل الرهبانية بهذا السبب.

وقوله: ﴿ ما كتبناها عليهم ﴾ أى: ما فرضناها عليهم.

---

(١) فى «ك»: والمبارزة.

(٢) قال الحافظ ابن حجر: لم أره بهذا اللفظ، لكن في حديث سعد بن أبى وقاص عند البيهقى: «إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة».

(٣) تقدم.

أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِئَلاَّ

وقوله: ﴿ إلا ابتغاء رضوان الله ﴾ انتصب لمحذوف، والمحذوف: ما ابتدعوها إلا ابتغاء رضوان الله.

وقوله: ﴿ فما رعوها حق رعايتها ﴾ أى: ما قاموا كما يجب القيام بها.

وقوله: ﴿ فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم ﴾ أى: ثوابهم، وهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ بعد أن ترهبوا.

وقوله: ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ أى: الذين بقوا على الكفر.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ﴾ أى: نصيبين. وقيل: أجرين من رحمته. وفى التفسير: أن سبب نزول الآية أن الله تعالى لما أنزل عليهم قوله: ﴿ وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا ﴾ إلى قوله: ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين ﴾(١) تفاخر الذين آمنوا من أهل الكتاب على سائر المؤمنين من الصحابة، وقالوا: إنكم تؤتون أجوركم مرة، ونحن نؤتى مرتين، فأنزل الله تعالى هذه الآية بشارة لسائر المؤمنين. وقد ثبت عن النبى ﷺ برواية أبى موسى الأشعرى أنه قال عليه الصلاة والسلام: « ثلاثة يؤتون أجورهم مرتين: رجل آمن بالكتاب الأول ثم آمن بالكتاب الثاني، ورجل اشترى جارية فأدبها وأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها، وعبد أطاع ربه ونصح لسيده »(٢). وقيل: قوله: ﴿ يؤتكم كفلين من رحمته ﴾ وهو أجر السر وأجر العلانية. وقيل: أجر أداء حق الله تعالى وأداء حق العباد.

وقوله: ﴿ ويجعل لكم نوراً تمشون به ﴾ هو النور الذى بينا من قبل يضيئهم على الصراط. وقيل: هو نور الإسلام.

وقوله: ﴿ تمشون به ﴾ أى: تسلكون طريق الإسلام بنوره.

---

(١) القصص: ٥٣ – ٥٤.

(٢) تقدم تخريجه

يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ .

وقوله: ﴿ ويغفر لكم والله غفور رحيم ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ﴾ وهما بمعنى واحد[1]، وهو تفسير القراءة المعروفة. وقد قال الأخفش والفراء وغيرهما: إن «لا» صلة هاهنا، وهو مثل قول الشاعر:

ولا ألزم البيض أن لا تسحروا[2]

أى: أن تسحروا.

وقوله: ﴿ ألا يقدرون على شيء من فضل الله ﴾ معناه: إنا أعطينا ما أعطينا من الكفلين من الرحمة للمؤمنين؛ ليعلم أهل الكتاب أن ليس بأيديهم إيصال فضل الله الواحد، ويعلم المؤمنون أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، وهو معنى قوله: ﴿ وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ﴾ أى: يعطيه من يشاء، وقيل معنى الآية: ليعلم أهل الكتاب أن من لم يؤمن بمحمد ﷺ ليس له نصيب من فضل الله يوم القيامة.

وقوله: ﴿ ألا يقدرون على شيء من فضل الله ﴾ أى: لا يصلون إلى شيء من فضل الله حين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ، والفضل بيد الله يوصله إلى المؤمنين بمحمد ﷺ بمشيئته، والفضل هاهنا هو الجنة.

وقوله: ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ أى: له الفضل العظيم، وهو القادر على إيصال الفضل العظيم - يعنى: إلى من يشاء من عباده - والله أعلم بالصواب.

---

(١) كذا فى النسختين، والكلام فيه سقط فليتنبه.

(٢) كذا!.

بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ

تفسير سورة المجادلة

وهى مدنية

قوله تعالى: ﴿قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله﴾ نزلت الآية فى خولة بنت ثعلبة، وهى امرأة أوس بن الصامت، ويقال: خولة بنت خويلد. وقيل: خولة بنت الصامت، والأصح هو الأول، وعليه أكثر أهل التفسير منهم :مجاهد، وقتادة ،ومحمد بن كعب القرظى ،وغيرهم. وكان أوس بن الصامت ظَاهر منها. وفى رواية عن خولة أنها قالت: «كان بأوس بن الصامت لَممَ، فراجعته فى بعض الأمر فظاهر منى»(١). قال محمد بن كعب القرظى: أتت خولة بنت ثعلبة رسول الله ﷺ وقالت: إن أوس بن الصامت زوجى وابن عمى وأحب الناس إلىَّ وقد ظاهر منى، فقال عليه السلام: «ما أراك إلا وقد حرمت عليه»، فجعلت تشتكى وتقول: أبو ولدى وزوجى ولا أستطيع فراقه، ورسول الله ﷺ يقول: «ماأراك إلا وقد حرمت عليه»، وهى تراجعه مرة بعد أخرى ، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها﴾»(١) قالت عائشة رضى الله عنها: سبحان الذى وسع سمعه الأصوات، كنت فى جانب البيت ولا أسمع ماتقول خولة، فأنزل الله تعالى: ﴿قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها﴾.

وقوله: ﴿وتشتكى إلى الله﴾ اشتكى وشكا بمعنى واحد.

وقوله: ﴿والله يسمع تحاوركما﴾ أى: تراجعكما.

وقوله: ﴿إن الله سميع بصير﴾ ظاهر.

---

(١) رواه ابن جرير (٢٨ / ٤) عن محمد بن كعب القرظى مرسلا.

اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ

قوله تعالى: ﴿الذين يظاهرون منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم﴾ أى: ليس هن بأمهاتهم، والمعنى: أنه ليس أزواجهن كما قالوا: إن ظهورهن كظهر أمهاتهم.

وقوله: ﴿إن أُمهاتهم إلا اللائى ولدنهم وإنهم ليقولون منكرًا من القول وزورًا﴾ قال قتادة: أى: كذبا. والكذب هو قوله لها: أنت علىَّ كظهر أمى.

وقوله: ﴿وإن الله لعفو غفور﴾ أى: لمن ندم على قوله، وهذا قوله تعالى: ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير﴾ قال الحسن وطاوس والزهرى: العود هو الوطء، وهذا قول مالك. وعن ابن عباس: هو أن يندم على ما قال ويرجع إلى الألفة. ومذهب الشافعى فى العود أنه[1] يمسكها على النكاح عقيب الظهار ولايطلقها، قال: وإنما يكون هذا عودًا ؛لأن الظهار قصد التحريم ،فإذا مضى وقت عقيب الظهار، ولم يحرمها على نفسه بالطلاق ،فهو عائد عما قال. ويجوز أن يكون على هذا قول ابن عباس الذى ذكرنا.

وأما مذهب أبى حنيفة - رضى الله عنه - فإنه قال: العود هو أن يعزم على إمساكها، فإذا فعل ذلك فقد تحقق العود. والفرق بين هذا وبين قول الشافعى أنه إذا مضى عقيب الظهار وقت يمكنه أن يطلقها فيه ولم يطلق فهو عائد، وإن لم يعزم على إمساكها.

وعند أبى حنيفة مالم يعزم على إمساكها لايكون عائدًا.

وفى الآية قول رابع، وهو قول أبى العالية وبكير بن عبدالله الأشج: أن العود هو أن يكرر لفظ الظهار وأوَّلا العود لما قالوا بهذا. وقال القتيبى: ثبت الظهار بنفس القول وتجب الكفارة. ومعنى العود فى هذا هو العود إلى ماكان عليه أهل الجاهلية من فعل

(١) فى «الأصل، وك»: أنه إن.

تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ

الظهار، وكأنه قال: «ويعودون لما قالوا» يعني: إلى ما قاله أهل الجاهلية. وقال الأخفش سعيد بن مسعدة: في الآية تقديم وتأخير ،وتقديرها: والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون فتحرير رقبة بما قالوا.

وقوله: ﴿من قبل أن يتماسا﴾ يعني :الوطء ،وأما اللمس فيما دون الفرج اختلفوا فيه، فحكى عن الحسن البصري أنه قال: يجوز .

وقال الزهري: لايجوز، والأصح أنه لايجوز حتى يكفر.

وقوله: ﴿ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿فتحرير رقبة﴾ قال ابن عباس: مؤمنة. وعن الشعبي قال: رقبة قد صلَّت وعرفت الإيمان. وفي الخبر أن النبيﷺ دعا أوس بن الصامت وقال: «اعتق رقبة. فقال: لاأجدها. فقال: صم شهرين متتابعين، قال: لاأستطيع -وكان شيخا قد أسن وكبر- فقال: أطعم ستين مسكينا، فقال: نعم». وروى أنه قال: «لا أجد إلا أن تعينني، فأعانه رسول الله ﷺ بفرق من تمر ،وأعانته المرأة بفرق من تمر». وفي رواية: «أنه لما أعطاه رسول الله ﷺ التمر قال: ليس في المدينة أحد أحوج إليه مني، فقال: كله أنت وعيالك»(١).

قوله تعالى:﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا﴾ قد بينا. وعن سعيد بن المسيب قال: إذا أفطر بعذر يقضي يوما مكانه ولا يستقبل. وقال إبراهيم النخعي: يستقبل .وعليه أكثر الفقهاء.

(١) رواه أبو داود (٢/ ٢٦٦ - ٢٦٧ رقم ٢٢١٤ ، ٢٢١٥)، وأحمد (٦/ ٤١٠)، وابن جرير (٢٨/ ٥)، والطبراني في الكبير (١/ ٢٢٥ - ٢٢٦ رقم ٦١٦)، وابن الجارود في المنتقى (٢٨٢ رقم ٧٤٦)، وابن حبان في صحيحه (١٠/ ١٠٧ - ١٠٨ رقم ٤٢٧٩)، والبيهقي في سننه (٧/ ٣٨٩، ٣٩١) جميعهم من حديث خولة، وبعضهم ببعض الروايات دون البعض.

اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ

وقوله: ﴿فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا﴾ قد بينا،والأصح أنه يطعم مداً مداً، وهو قول ابن عباس.

وقوله: ﴿ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله﴾ أى: سنة الله، ويقال: أوامر الله.

وقوله: ﴿وللكافرين عذاب أليم﴾ أى: مؤلم.

قوله تعالى: ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ أى: يكونون فى حد غير حد المؤمنين. ويقال: إن الذين يحادون الله ورسوله أى: يعادون الله ورسوله. وقوله فى موضع آخر: ﴿ومن يشاقق الله ورسوله﴾(١) أى: يكون فى شق غير شق المؤمنين.

وقوله: ﴿كبتوا﴾ أى: أخزوا، قاله قتادة. ويقال: أهلكوا.

قال أبو عبيدة: ويقال: لعنوا،قاله السدى.

وقوله: ﴿كما كبت الذين من قبلهم﴾ أى: كما أخزى وأهلك ولعن الذين من قبلهم.

وقوله: ﴿وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين﴾ أى: يهينهم، وهو من الهوان، ومن عذبه الله فقد أهانه.

قوله تعالى: ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا﴾ أى: يخبرهم.

وقوله: ﴿أحصاه الله ونسوه﴾ أى: أحاط به علم الله، ونسوه أى: نسيه من عمل به.

وقوله: ﴿والله على كل شىء شهيد﴾ أى: شاهد.

قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يعلم مافى السموات ومافى الأرض مايكون من نجوى

---

(١) الأنفال: ١٣

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ

ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ ذكر الزجاج أن السِّرَار والنجوى بمعنى واحد. وعن بعضهم: أن السرار يكون بين اثنين، والنجوى [تكون](١) بين ثلاثة وأكثر إذا أخفى.

وقوله: ﴿ إلا هو رابعهم ﴾ يعنى: بالعلم والقدرة.

وقوله: ﴿ ولا خمسة إلا هو سادسهم ﴾ هو كما بينا.

وقوله: ﴿ ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ﴾ هو كما بينا.

وقوله: ﴿ ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴾ أى: عالم.

قوله تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ﴾ نزلت الآية فى قوم من المنافقين كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية قالوا فيما بينهم: قد أصاب السرية، وكذا قد أسروا وقتلوا ومايشبه ذلك إرجافاً بالمسلمين ،فنهاهم النبى ﷺ عن ذلك، فكانوا يقولون قد نبئنا. [قوله](٢) : ﴿ ثم يعودون [لما نهوا عنه](١) ﴾.

قوله: ﴿ ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﴾ وهو بالمعنى الذى بيناه من قبل.

وقوله: ﴿ وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ﴾ هذا فى اليهود. ويقال: إن أول الآية فى اليهود أيضا، وتحيتهم أنهم كانوا يقولون: السام عليك يامحمد، وكان السام فى لغتهم الموت والهلاك، وكان رسول الله ﷺ يقول: «وعليكم». فروى فى بعض الأخبار: «أن عائشة سمعتهم يقولون ذلك، فجعلت تسبهم وتلعنهم، فزجرها النبى ﷺ عن ذلك وقال لها: «يا عائشة،إن الله لايحب الفحش والتفحش، وقالت:

---

(١) من «ك».

يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

يارسول الله، ألم تسمع ماقالوا؟! فقال رسول الله: ألم تسمعي ماقلت، قلت: وعليكم، وإنا نستجاب فيهم، ولايستجابون(١) فينا»(٢).

وقوله: ﴿ويقولون فى أنفسم لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ المعنى: أنهم كانوا يقولون: لوكان محمد نبيا لعذبنا الله بما نقول.

وقوله: ﴿حسبهم جهنم﴾ أى: كافيهم عذاب جهنم.

وقوله: ﴿يصلونها﴾ أى: يدخلونها.

وقوله: ﴿وبئس المصير﴾ أى: المنقلب والمرجع.

قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى﴾ أى: وما تتقون به.

قوله: ﴿واتقوا الله الذى إليه تحشرون﴾ يوم القيامة. وإذا حملنا الآية على المنافقين فقوله: ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ أى: آمنوا بألسنتهم، والأصح أن الخطاب للمؤمنين، أمرهم الله تعالى ألا يكونوا كالمنافقين وكاليهود.

قوله تعالى: ﴿إنما النجوى من الشيطان﴾ يعنى: أن النجوى بينهم على ما بينا [هى] من الشيطان.

وقوله: ﴿ليحزن الذين آمنوا﴾ أى: ليحزنوا بمايسمعون من الإرجاف بالسرية.

(١) فى «ك»: وأنا يستجاب لى فيهم، ولا يستجاب لهم فيَّ.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة، رواه البخارى (١١/ ٤٤ رقم ٦٢٥٦، وطرفه: ٦٩٢٧)، ومسلم (٢٦/ ٢٠٧ – ٢٠٩ رقم ٢١٦٥). وقوله: «إنا نستجاب فيهم ولا يستجابون فينا»، تفرد بها مسلم.

﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي

وقوله تعالى: ﴿ وليس بضارهم شيئا ﴾ يعنى: أن الإرجاف لايضر السرية.

وقوله تعالى: ﴿ إلا بإذن الله ﴾ أى: بعلم الله. وقوله: ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ أى: فليتق المؤمنون.

قوله تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس[١] فافسحوا يفسح الله لكم ﴾ معناه: إذا قيل لكم توسعوا فى المجلس أى: فى مجلس رسول الله ﷺ فوسعوا يوسع الله لكم. أى: فى الجنة.

وفى التفسير: أن الآية نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس ،وكان به صمم، فجاء يوما وقد (جلس)[٢] الناس عند النبى ﷺ، فطلب أن يوسعوا له ليقرب من النبى ﷺ ويسمع، فوسعوا له إلارجلا واحداً- وكان قريبا من النبى ﷺ- لم يوسع له، وقال له: قد أصبت موضعاً فاقعد، فَعَيَّره ثابت بن قيس بأم كانت له فى الجاهلية، فسمع النبى ﷺ ذلك فقال: «ياثابت، انظر من القوم فليس لك على أحد منهم فضل إلا بالتقوى»[٣]. وأنزل الله تعالى هذه الآية، وأمر المسلمين أن يتوسعوا فى المجلس. قال الحسن البصرى: نزلت الآية فى صفوف الجهاد. والمراد من التفسح هاهناهو القعود فى المكان من (اختباء)[٤] لاللحرب. والقول الأول أظهر.

وقوله: ﴿ وإذا قيل انشزوا فانشزوا ﴾ قال قتادة معناه: إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا. وقال الحسن :هو فى الحرب. وقيل: هو النهوض فى جميع الأشياء بعد أن يكون من الخيرات، وذلك مثل :الجهاد، وصفوف الجماعات، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وماأشبه ذلك.

---

(١) فى قراءة عاصم : المجالس، بألف على الجمع. وقرأ الباقون بغير الألف على التوحيد. النشر فى القراءات العشر (٢/٣٨٥).

(٢) فى «ك» : حبس.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) فى «ك» : اختيار.

الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا

وفى الآية قول ثالث: أن قوله: ﴿فانشزوا﴾ هو إذا فرغ النبى ﷺ فاخرجوا من عنده، ولاتلبثوا عنده فتثقلوا عليه، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿فإذا طعمتم فانتشروا ولامستأنسين لحديث﴾(١).

وقوله: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ أى: بإيمانهم وعلمهم. وقيل: كان النبى ﷺ يستحب أن يكون بالقرب منه أولوا العلم والنهى من أصحابه، فكان غيرهم يأتى ويقرب من النبى ﷺ، ثم إذا حضر الأكابر وأولوا العلم من أصحابه كان يقول: «يافلان، قم، ويافلان، قم وتأخر؛ ليقعد أولوا العلم والنهى بالقرب منه، فعلى هذا معنى قوله: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ إشارة إلى ماكان يرفعهم النبى ﷺ ويقعدهم بالقرب. يعنى: أنهم أصابوا ما أصابوا من الرفعة والرتبة بالإيمان والعلم.

وقوله: ﴿والله بما تعملون خبير﴾ أى: عليم.

قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة﴾ سبب نزول الآية أن الناس كانوا يستكثرون من السؤال على النبى ﷺ، وكان الواحد منهم يتناجى مع رسول الله ﷺ طويلا، فأراد الله أن يخفف عن نبيه، فأنزل هذه الآية . وعن مجاهد عن على - رضى الله عنهما - أنه قال: لم يعمل بهذه الآية غيرى ،كان عندى دينار فتصدقت به،وانتجيت مع الرسول ﷺ . وفى رواية: أنه صارف الدينار بعشرة دراهم، فكان كلما أراد أن يتناجى مع الرسول عليه الصلاة والسلام تصدق بدرهم.

وذكر النقاش فى تفسيره :أن المنافقين قالوا: قد طال نجوى محمد مع ابن عمه

(١) الأحزاب: ٥٣

فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا

فقال النبي ﷺ: «ما انتجيته أنا ولكن الله انتجاه»(١).

في بعض التفاسير: أن هذا الأمر لم يبق إلاساعة من النهار حتى نسخ.

وفي التفسير أيضا: أن النبي ﷺ قال لعلي: «كم تقدر في الصدقة؟ فقال: شعيرة، فقال: إنك لزهيد»(٢)، «وكان الرسول قد قال: «يتصدقون بدينار. فقال علي: إنهم لا يطيقونه»(٢).

وذكر بعضهم: أن المنافقين كانوا يأتون النبي ﷺ [ويتناجون](٣) معه طويلا تصنعا ورياء، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فبخلوا بأموالهم وكفوا عن النجوى.

وقوله تعالى: ﴿ذلك خير لكم وأطهر﴾ أي: أزكى.

وقوله: ﴿فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم﴾ أي: إن لم تجدوا ما تتصدقون به فإن الله غفر لكم، ورحمكم بإسقاط الصدقة عنكم.

وقوله تعالى: ﴿أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات﴾ معناه: أأشفقتم على أموالكم وبخلتم بها؟

وقوله: ﴿فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله﴾ نسخ ذلك الأمر بهذه الآية، كأنه قال: فإذا لم تفعلوا ونسخناه منكم ﴿فأقيموا الصلاة﴾ أي: حافظوا عليها ﴿وآتوا الزكاة﴾ أي: أدوها ﴿وأطيعوا الله

---

(١) رواه الترمذي (٥/٥٩٧ رقم ٣٧٢٦) وقال: حسن غريب، وابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٨٤ رقم ١٣٢١)، والطبراني في الكبير (٢/١٨٦ رقم ١٧٥٦)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/١٤١)، والخطيب في تاريخه (٧/٤٠٢).

(٢) رواه الترمذي (٥/٣٧٩ رقم ٣٣٠٠) وقال: حسن غريب، والنسائي في الكبرى (٥/١٥٢ - ١٥٣ رقم ٨٥٣٧)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٨١ - ٨٢)، وعبد بن حميد (٥٩ - ٦٠ رقم ٩٠)، وأبو يعلى (١/٣٢٢ - ٣٢٣ رقم ٤٠٠)، وابن جرير (٢٨ / ٢١)، وابن حبان (١٠/ ٣٩٠ - ٣٩٢ رقم ٦٩٤١، ٦٩٤٢)، والعقيلي (٣/٢٤٣)، وابن عدى (٥/٢٠٤) عن علي بن أبي طالب به.

(٣) في "الأصل وك": ويناجون.

تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَن

ورسوله ﴾ فيما يأمران من الأمر ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾ أى : عليم بأعمالكم .

قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ﴾ نزلت فى المنافقين كانوا[يتولون](١) اليهود، وقالوا لهم : نحن معكم فى السر .

وقوله : ﴿ ماهم منكم ولامنهم ﴾ أى : المنافقين .

وقوله : ﴿ ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ﴾ روى « أن النبى ﷺ دعا عبد الله ابن نبتل - وكان أحد المنافقين - فقال له : مالك تشتمنى وتؤذينى وقومك وأصحابك، فذهب وجاء بأصحابه يحلفوا أنهم لم يقولوا له إلا خيرا »(٢)، فهو معنى قوله : ﴿ ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ﴾ .

قوله : ﴿ أعد الله لهم عذابا شديداً إنهم ساء ماكانوا يعملون ﴾ أى : ساءت أعمالهم .

قوله تعالى ﴿ اتخذوا أيمانهم جنة ﴾ معناه : اتقوا بأيمانهم كما يتقى المحارب

(١) فى الأصل :تولوا، وفى ك :يتولوا ، وكلاهما خطأ و الصواب ما أثبتناه .

(٢) ذكره الواحدى فى أسباب النزول (٣٠٩) هكذا عن مقاتل والسدى ولم يسنده . وقال الحافظ فى تلخيص الكشاف : لم أجده هكذا .

قلت : وقد ذكر نحو هذا الحديث بدون تسمية ذلك المنافق من رواية سماك، عن سعيد بن جبير ،عن ابن عباس مرفوعا بنحوه . رواه الإمام أحمد (١ / ٢٤٠، ٢٦٧، ٣٥٠)، وابن جرير (٢٨ / ١٧)، والطبرانى (١٢ / ٧-٨ رقم ١٢٣٠٧)، والحاكم (٢ / ٤٨٢) وصححه على شرط مسلم، والواحدى فى أسباب النزول (٣٠٩).

وزاد فى تخريج الكشاف (٣ / ٤٣١ - ٤٣٢) : ابن أبى شيبة، والبيهقى فى الدلائل، وابن أبى حاتم، وابن مردويه . وقال الزيلعى : وهذا سند جيد .

ونسبه الهيثمى فى المجمع (٧ / ١٢٥) لأحمد والبزار والطبرانى وقال : ورجال الجميع رجال الصحيح .

ونسبه ابن كثير فى تفسيره (٤ / ٣٢٨) لابن أبى حاتم، وأحمد، والطبرى وقال : إسناد جيد .

تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

بجنته ،وهى ترسه.

وقوله: ﴿فصدوا عن سبيل الله﴾ أى: أعرضوا عن سبيل الله.

وقوله: ﴿فلهم عذاب مهين﴾ ظاهر المعنى.

قوله: ﴿لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا﴾ أى: لن تدفع عنهم أموالهم ولاأولادهم من عذاب الله شيئا.

وقوله: ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ أى: دائمون .قوله تعالى: ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم﴾ أى: يحلفون لله كذبا كما حلفوا لكم كذبا.

وقوله: ﴿ويحسبون أنهم على شىء﴾ أى: يظنون أنهم على شىء.

وقوله: ﴿آلا إنهم هم الكاذبون﴾ أى: الكاذبون على الله وعلى رسوله.

قوله: ﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾ أى: غلب عليهم الشيطان. وفى صفات عمر- رضى الله عنه- أنه كان أحوذيا نسيج وحده. وفى رواية أحوزيا[1]. ومعناه بالذال أى: غالبًا على الأمور.

وقوله: ﴿فأنساهم ذكر الله﴾ أى: أنساهم الشيطان ذكر الله.

وقوله: ﴿أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ أى: خسروا رضا الله تعالى والجنة.

قوله تعالى: ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ قد بينا .

---

(١) قال ابن الأثير فى النهاية (١ /٤٥٧): ومنه حديث عائشة تصف عمر «كان أحوزيا نسيج وحده» الأحوزى: الجاد المنكمش فى أموره، الحسن السياق للأمور.

أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ

وقوله: ﴿ أولئك فى الأذلين ﴾ أى: الأقلين. وكل كافر ذليل، وكل مؤمن عزيز. ومعناه: هم أقل درجة ورتبة.

وقوله: ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ﴾ أما غلبة الله معلومة ؛لأن كل الأشياء على مراده ومشيئته، وأما غلبة رسله فهى بالنصر تارة وبالحجة أخرى.

وقوله: ﴿ إن الله قوى عزيز ﴾ أى: قوى فى الأمور، غالب عليها.

قوله تعالى: ﴿ لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ أى: لايكون من صفة المؤمنين أن يوادوا من حاد الله ورسوله ﴿ ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ فى نزول الآية قولان: أحدهما: أنها نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة حين كتب إلى مكة يؤذنهم بغزو النبى ﷺ؛ وستأتى قصة ذلك فى سورة الممتحنة. والقول الثانى: أن الآية نزلت فى غيره .

وقوله: ﴿ ولو كانوا آباءهم ﴾ نزل فى أبى عبيدة بن الجراح ،وكان قتل أباه الكافر وجاء برأسه إلى النبى ﷺ .وقد قيل: إن أباه مات قبل أن يسلم أبو عبيدة، والله أعلم.

وقوله: ﴿ أو أبناءهم ﴾ نزل فى أبى بكر- رضى الله عنه- أراد أن يخرج إلى ابنه عبدالرحمن فيبارزه، فمنعه النبى ﷺ عن ذلك وقال: « نبله منه غيرك ».

وقوله: ﴿ أو إخوانهم ﴾ نزل فى عمر بن الخطاب -رضى الله عنه -قتل أخاه هشام بن العاص يوم بدر، وكان أخاه من أمه.

وقوله: ﴿ أو عشيرتهم ﴾ نزل فى حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث -رضى الله عنهم- بارزوا مع عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، وقد كانوا عشيرتهم وقرابتهم.

وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ .

وقوله: ﴿ أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان ﴾ أى: أدخل فى قلوبهم الإيمان. وقيل: كتب أى: جعل فى قلوبهم علامة تدل على إيمانهم.

وقوله: ﴿ وأيدهم بروح منه ﴾ أى: قواهم بنصر منه. وقيل: بنظر منه. وقيل: برحمة منه.

وقوله: ﴿ ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ معلوم المعنى.

وقوله: ﴿ أولئك حزب الله ﴾ أى: جند الله. وقيل: خاصة الله وصفوته. وتقول العرب: أنا فى حزب فلان أى: فى شق فلان وجانبه .

وقوله: ﴿ ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ أى: هم السعداء الباقون فى نعيم الأبد. وقيل: هم الذين نالوا رضا الله تعالى ،والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ

تفسير سورة الحشر

وهى مدنية

وعن ابن عباس: أنه سماها سورة النضير ،والله أعلم

قوله تعالى: ﴿سبح لله مافى السموات ومافى الأرض﴾ أى: صلَّى وتعبد لله. والتسبيح لله تعالى: هو تنزيهه من كل سوء. وذكر بعضهم عن ابن عباس أنه قال: كل تسبيح ورد فى القرآن فهو بمعنى الصلاة. ومنه قوله: سبحة الضحى أى: صلاة الضحى.

وقوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ أى: الغالب على الأشياء، الحكيم فى الأمور.

قوله تعالى: ﴿هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم﴾ قال جماعة المفسرين: هم بنو النضير من اليهود ،وكان رسول الله ﷺ وادعهم وشرط عليهم أن لاينصروا مشركى قريش ، فنقضوا العهد. وروى أن نقضهم العهد كان هو أن النبى ﷺ أتاهم يستعين بهم فى دية التلاديين – وقيل العامريين – قتلى عمرو بن أمية الضمرى، فجاء وقعد فى أصل حصنهم فقالوا: ماجاء بك يامحمد؟! فذكر لهم ماجاء فيه ،واستعان بهم، فدبروا ليلقوا عليه صخرة ويقتلوه؛ فجاء جبريل –عليه السلام –وأخبره، فرجع إلى المدينة ثم حاصرهم وأجلاهم»(١).

وقوله: ﴿لأول الحشر﴾ قال الحسن: معنى أول الحشر: هو أن الشام أرض المحشر والمنشر،وكان رسول الله ﷺ أجلاهم إلى الشام، فإجلاؤه إياهم كان هو الحشر الأول، والحشر الثانى يوم القيامة ، وهو قول عكرمة أيضا . وقال عكرمة: من شك أن الشام أرض المحشر فليقرأ قوله تعالى: ﴿لأول الحشر﴾. وقيل: إن بنى النضير كانوا أول من

(١) تقدم تخريجه.

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلا أَن

أجلوا عن بلادهم من اليهود فقال: ﴿لأول الحشر﴾ بهذا المعنى. ثم إن عمر -رضى الله عنه- أجلى باقى اليهود عن جزيرة العرب استدلالا بقوله عليه الصلاة والسلام: «لايجتمع دينان فى جزيرة العرب» قال أبو عبيدة: وجزيرة العرب من حفر أبى موسى إلى أقصى حجر باليمن طولا، ومن رمل يبرين[١] إلى منقطع السماوة عرضا. والقول الثانى قول مجاهد وغيره.

وقوله: ﴿ماظننتم أن يخرجوا﴾ معناه: ماظننتم أيها المؤمنون أن يخرجوا؛ لأنهم كانوا أعز اليهود بأرض الحجاز وأمنعهم جانبا.

قوله: ﴿وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله﴾ أى: من عذاب الله.

وقوله: ﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾ قال السدى: هو بقتل كعب بن الأشرف، قتله محمد بن مسلمة الأنصارى حين بعثه رسول الله ﷺ- وكان صديقا لكعب فى الجاهلية - فجاءه ليلا ودق عليه باب الحصن، فنزل فاغتاله وقتله، وروى أن محمد بن مسلمة قال لكعب: ألست كنت تعدنا خروج هذا النبى؟ وتقول: هو الضحوك القتَّال يركب البعير، ويلبس الشملة، يجترئ بالكسرة، سيفه على عاتقه، له ملاحم وملاحم. فقال: نعم، ولكن ليس هو بذاك. فقال: كذبت ياعدو الله، بل حسدتموه.

وقوله: ﴿وقذف فى قلوبهم الرعب﴾ أى: الخوف، وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: «نُصرت بالرُّعب مسيرة شهر»[٢].

وقوله: ﴿يُخْربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين﴾ وقرئ: «يُخَرِّبون» من

(١) فى «ك»: بعل أبرين. والصواب: رمل يبرين أو أبرين. انظر معجم البلدان (٥ / ٤٩٠).

(٢) تقدم تخريجه.

كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ

الإخراب، فمنهم من قال: هما واحد ،والتشديد للتكثير. وقال أبو عمرو: يُخَرِّبُون من فعل التخريب، ويُخْرِبُون بالتخفيف أى: يتركوها خرابا. فإن قيل: كيف قال: ﴿ يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ﴾ ولايتصور أن يخربوا بيوتهم بأيدى المؤمنين؟ والجواب: إنما أضاف إليهم ؛لأنهم هم الذين ألجأوا المؤمنين إلى التخريب، وحملوهم على ذلك بامتناعهم عن الإيمان. فإن قال قائل: لم خربوا بيوتهم؟ قلنا: طلبوا من ذلك توسيع موضع القتال. وعن الزهرى: أن المسلمين كانوا يخربون من خارج الحصن ،واليهود كانوا يخربون من داخل الحصن، وكان تخريبهم ذلك ليحملوا ما استحسنوه من سقوف بيوتهم مع أنفسهم. وقيل: لئلا تبقى للمؤمنين.

وقوله: ﴿ فاعتبروا يا أولى الأبصار ﴾ والاعتبار هو النظر فى الشيء ليعرف به جنسه ومثله. وقيل معناه: فانظروا وتدبروا ياذوى العقول والفهوم ،كيف سلط الله المؤمنين عليهم ،وسلطهم على أنفسهم؟ وقد استدل بهذه الآية على جواز القياس فى الأحكام ،لأن القياس نوع اعتبار؛ إذ هو تعبير شيء بمثله بمعنى جامع بينهما ليتفقا فى حكم الشرع.

قوله تعالى: ﴿ ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ﴾ أى: بالسيف. واستدل بعضهم بهذه الآية على أن الإخراج من الدار بمنزلة القتل؛ وعليه يدل قوله تعالى: ﴿ أن اقتلوا أنفسكم أو أخرجوا من دياركم ﴾(١) .

وقوله: ﴿ ولهم فى الآخرة عذاب النار ﴾ أى: عذاب جهنم.

وقوله تعالى: ﴿ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ﴾ أى: خالفوا الله ورسوله. وقد ذكرنا أن معناه: صاروا فى شق غير شق المؤمنين.

وقوله: ﴿ ومن يشاق الله ﴾ أى: يخالف الله ﴿ فإن الله شديد العقاب ﴾ .

---

(١) النساء: ٦٦.

أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ

قوله تعالى: ﴿ ماقطعتم من لينة ﴾ قال سعيد بن جبير: اللينة كل تمر سوى البَرْنِى والعجوة، وأهل المدينة يسمون التمور الألوان. وقيل: اللينة: النخلة. وعن بعضهم أن اللينة: جمع الأشجار، سميت لينة للينها بالحياة. وعن سفيان قال: اللينة كرائم النخيل. وقيل: هو الفسيل، سمى لينة لأنه لايكون فى شدة الحر. ومن المشهور أن النبى ﷺ قال: «العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم»(١).

وفى القصة: أن أصحاب رسول الله ﷺ لما حاصروا بنى النضير كان بعضهم يقطع النخيل وبعضهم يتركها.

وفى رواية: «أن النبى ﷺ أمرهم بقطع النخيل، فخرج اليهود حين رأوا ذلك وقالوا: يامحمد، ألست تنهى عن الفساد، وهذا من الفساد، فأنزل الله تعالى هذه الآية»(٢).

وقد ثبت برواية نافع عن ابن عمر «أن النبى ﷺ حرق نخيل بنى النضير وقطعها، فأنزل الله تعالى: ﴿ ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ﴾»(٣) أى: بأمر الله، قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الخبر المكى بن عبد الرزاق، أخبرنا جدى، أخبرنا الفربرى، أخبرنا البخارى، عن قتيبة، عن الليث بن سعد، عن نافع. الخبر. وفى رواية: أن النبى ﷺ حرق البُوَيْرة، وقال شاعرهم شعرا:

وهان على سراة بنى لؤى ... حريق بالبويرة مستطير

والبويرة: موضع بنى النضير

---

(١) رواه الترمذى (٤/ ٣٥٠ رقم ٢٠٦٦) وقال: حسن غريب، (٤/ ٣٥١ رقم ٢٠٦٨) وقال: حسن، وابن ماجه (٢/ ١١٤٣ رقم ٣٤٥٥)، وأحمد (٢/ ٣٠١، ٣٠٥، ٣٢٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٤٢١، ٤٨٨)، وابن أبى شيبة (٧/ ٣٧٦)، والدارمى (٢/ ٤٣٦ رقم ٢٨٤٠) جميعهم من حديث أبى هريرة مرفوعا به. وفى الباب عن سعيد بن زيد، وأبى سعيد الخدرى، وجابر، وابن عباس.

(٢) ذكره ابن هشام فى السيرة (٣/ ١٠٧) من قول ابن إسحاق به. وعزاه السيوطى فى الدر (٦/ ٢٠٨) لابن إسحاق عن يزيد بن رومان مرسلا.

(٣) متفق عليه، رواه البخارى (٧/ ٣٨٣ رقم ٤٠٣١)، ومسلم (١١/ ٧٦-٧٧ رقم ١٧٤٦).

﴿رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾

وقوله: ﴿وَلِيُخْزِيَ الفاسقين﴾ هم اليهود، وإخزاؤهم هورؤيتهم كيف يتحكم المؤمنون فى أموالهم.

قوله تعالى: ﴿وما أفاء الله على رسوله منهم﴾ أى: من بنى النضير، والفىء كل مال رد الله تعالى من الكفار إلى المسلمين ،وهو مأخوذ من الفىء بمعنى الرجوع يقال: فاء إذا رجع، ومنه فىء الظل ،والفرق بين الفىء والغنيمة: أن الغنيمة هى ماأخذه المسلمون من الكفار بإيجاف الخيل والركاب ،والفىء ماصار إلى المسلمين من أموال الكفار من غير إيجاف خيل وركاب.

وقوله: ﴿فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب﴾ الركاب: الإبل، والمعنى: أن أموالهم صارت إلى رسول الله ﷺ من غير إيجافكم بخيل أو إبل. والإيجاف :الإسراع. فجعل الله تعالى أموال بنى النضير للنبى خاصة ،لأن النبى ﷺ ظهر عليهم من غير قتال من المسلمين، وكان يدخر منها قوت سنة لعياله، والباقى يتخذ منه الكُرَاع وعدة فى سبيل الله»(١).

وفى تفسير قتادة: أن المسلمين طلبوا أن يقسم بينهم ،فأنزل الله تعالى هذه الآية، وجعل ما أصابوه للرسول خاصة، وكان رسول الله ﷺ لما أجلاهم شرط أن لهم ماتحمله إبلهم إلا الحلقة، يعنى: السلاح.

وقوله: ﴿ولكن الله يسلط رسله على من يشاء﴾ أى: رسوله على من يشاء.

وقوله: ﴿والله على كل شىء قدير﴾ أى: قادر.

قوله تعالى: ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ فى الآية بيان مصارف الخُمس، وقد بينا من قبل،

(١) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب، رواه البخارى (٦ / ١١٠ رقم ٢٩٠٤، وأطرافه: ٣٠٩٤، ٤٠٣٣، ٤٨٨٥، ٥٣٥٧، ٥٣٥٨، ٦٧٢٨، ٧٣٠٥)، ومسلم (١٢/ ١٠٣ - ١٠٩ رقم ١٧٥٧).

وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ

والقرى هى القرى العربية مثل: خيبر، ووادى القرى، وفيماء، وغيرها. ومن المشهور فى التفسير أيضا :أن النبى ﷺ قسم أموال بنى النضير بين المهاجرين ،ولم يعط الأنصار منها شيئا إلا ثلاثة نفر: سهل بن حُنيف ،وأبا دُجَانة ،والحارث بن الصمة، وهذا قول غير القول الأول الذى ذكرنا، وهو الأشهر، فعلى هذا لما جعل الله أموال بنى النضير للرسول خاصة قسمها بين المهاجرين ليكفى الأنصار مؤنتهم.

وقوله تعالى: ﴿كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾ أى: لئلا يتداوله الأغنياء منكم. والتداول هو النقل من يد إلى يد .

وقوله: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ حثَّ الله تعالى المسلمين فى هذه الآية على التسليم لأمر الله تعالى ونهيه؛ لأن المعنى وما أتاكم الرسول عن الله فخذوه ،وما نهاكم عن الله فانتهوا.

وقوله: ﴿واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ أى: العقوبة.

قوله تعالى: ﴿للفقراء المهاجرين﴾ يعنى: ما أفاء الله على رسوله للفقراء المهاجرين ﴿الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم﴾ فديارهم مكة وغيرها، وأموالهم ماخلفوها عند هجرتهم.

وقوله: ﴿يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾ أى: يطلبون فضل الله ورضاه.

وقوله: ﴿وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾ أى: الصادقون عقداً وقولا وفعلا.

قوله تعالى: ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم﴾ أجمع أهل التفسير على أن المراد بهم الأنصار.

وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

وقوله: ﴿ تبوءوا الدار والإيمان ﴾ أى: استوطنوا المدينة، وقبلوا الإيمان. وقيل: تبوءوا الدار أى: أعدوا الديار للمهاجرين وواسوهم فى كل مالهم.

وقوله: ﴿ والإيمان ﴾ أى: جعلوا دورهم دور الإيمان، وذلك بإظهارهم الإيمان فيما بينهم، فإن قيل: كيف يستقيم قوله: ﴿ من قبلهم ﴾ والأنصار إنما آمنوا من بعد المهاجرين؟ والجواب أن قوله: ﴿ من قبلهم ﴾ ينصرف إلى تبوّء الدار لا إلى الإيمان. والثانى :أن قوله: ﴿ من قبلهم ﴾ وإن انصرف إلى الإيمان فالمراد منه قبل هجرتهم؛ لأن الأنصار كانوا قد آمنوا قبل هجرتهم.

وقوله: ﴿ يحبون من هاجر إليهم ﴾ أى: من أهل مكة وغيرهم .

وقوله: ﴿ ولايجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ﴾ قال قتادة: وعند كثير من المفسرين معناه: حسداً مما أُعطوا، وقيل: ضيقاً فى قلوبهم مما أعطى المهاجرين ،وهو بمعنى الأول. وقد ذكرنا ماأعطى رسول الله المهاجرين من أموال بنى النضير، فالمعنى ينصرف إليهم .

وقوله: ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ﴾ أى: يقدمون المهاجرين على أنفسهم.

وقوله: ﴿ ولو كان بهم خصاصة ﴾ أى: فقر وحاجة. ومن المعروف برواية أبى هريرة أن بعض الأنصار أضاف رجلا من الفقراء ،ولم يكن عنده فضل عما يأكله ويأكل أهله وصبيانه. وفى رواية :أن ذلك الرجل كان جاع ثلاثة أيام ولم يجد شيئا، وطلب رسول الله ﷺ له شيئا فى بيوت أزواجه ولم يجد، فأضافه هذا الأنصارى، حمله إلى بيته وقال لأهله: نومى الصبية وأطفئى السراج[بعلة](١) الإصلاح، ففعلت ذلك، وجعلا يمدان أيديهما ويضربان على (الصحفة)(٢)؛ ليظن الضيف أنهما يأكلان، ولايأكلان ففعلا ذلك وأكل الضيف حتى شبع، فلما غدا

(١) فى « ك »:بعد.

(٢) فى« الأصل، وك »: الصفحة، والمثبت هو الصواب.

الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا

على النبى ﷺ قال: «لقد عجب الله من صنيعتكم البارحة»[1] فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ومن المعروف أن النبى ﷺ قال للأنصار: «إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلون عند الطمع»[2].

وقوله: ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ أى: بخل نفسه ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ أى: السعداء الفائزون. وعن ابن مسعود أن رجلا قال له: إنى لاأستطيع أن أعطى من مالى شيئا أفتخش البخل[3]. قال: ذلك البخل، وبئس الشىء البخل ،وإنما الشح أن تأخذ المال من غير حقه. وقيل: البخل أن يبخل بمال نفسه ،والشح أن يبخل بمال غيره. وقال مقاتل بن سليمان: ومن يوق شح نفسه أى :حرص نفسه. وقيل: هوى نفسه. وقال سعيد بن جبير: هو منع الزكاة. وعن ابن زيد: هو أن يأخذ ماليس له أن يأخذ، ويمنع مالايجوز له منعه.

قوله تعالى: ﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾ هم التابعون. وقيل: الذين يؤمنون إلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا﴾ أى: خيانة وحقدا، وفى الآية دليل على أن الترحم للسلف

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٧/ ١٤٩ رقم ٣٧٩٨، وطرفه: ٤٨٨٩)، ومسلم (١٤/ ١٧- ١٩ رقم ٢٠٥٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) كذا! وقد أخرج هذا الأثر الفريابى، وسعيد بن منصور، وابن أبى شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والطبرانى، والحاكم وصححه، والبيهقى فى الشعب عن ابن مسعود: أن رجلا قال له: إنى أخاف أن أكون قد هلكت. قال: وما ذاك؟ قال: إنى سمعت الله يقول: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ وأنا رجل شحيح لايكاد يخرج منى شىء. قال له ابن مسعود: ليس ذاك بالشح، ولكنه البخل ... وذكر الحديث. الدر المنثور (٦/ ٢١٧).

بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى

والدعاء لهم بالخير وترك ذكرهم بالسوء من علامة المؤمنين. وروى أن رجلا جاء إلى مالك بن أنس فجعل يقع فى جماعة من الصحابة مثل :أبى بكر ،وعمر ،وعثمان، وغيرهم، فقال له: أنت من الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم؟ قال: لا. قال: أنت من الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم؟ قال: لا. فقال: أشهد أنك لست من الذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان.

وعن ابن عباس أنه قال: ليس لمن يقع فى الصحابة ويذكرهم بالسوء فى الفىء نصيب ،وتلا هذه الآيات الثلاث. وروى أن عمر بن عبدالعزيز سئل عما جرى بين الصحابة من القتال وسفك الدماء فقال: تلك دماء طهر الله يدى عنها، فلا أحب أن أغمس لسانى فيها.

من المعروف أن النبىﷺ قال: «إذا ذكر أصحابى فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا»(١) والمراد به الإمساك عن ذكر المساوئ لاعن ذكر المحاسن. وفى بعض الروايات :« إذا ذكر النجوم فأمسكوا»(٢).

وقوله: ﴿ربنا إنك رءوف رحيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا﴾ هم عبد الله بن أبى بن سلول ،وعبدالله بن نفيل، وزيد بن رفاعة وغيرهم.

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير (١٠/ ١٩٨ رقم ١٠٤٤٨)، وابن عدى فى الكامل (٧/ ٢٥)، والخرائطى فى مساوئ الأخلاق (٢٧١ - ٢٧٢ رقم ٧٨٢)، وأبو نعيم فى الحلية (٤/ ١٠٨) -وقال: غريب من حديث الأعمش- جميعهم من حديث ابن مسعود مرفوعا به. وعزاه الحافظ فى المطالب (٣/ ٧٩ رقم ٢٩٣٢) للحارث بن أبى أسامة، وضعّف البوصيرى إسناده فى زوائده. وقال العراقى فى المغنى (١/ ٢٦): رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود بإسناد حسن. وفى الباب عن ثوبان ،وابن عمر، وعن طاوس، والحسن كلاهما مرسلا. وانظر السلسلة الصحيحة رقم ٣٤.

(٢) تقدم فى الذى قبله.

الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ

وقوله: ﴿ يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم بنو النضير، قال لهم المنافقون ذلك قبل أن أجلوا.

والقول الآخر: أنهم بنو قريظة ،قال لهم المنافقون ذلك بعد أن أجلى بنو النضير .

وقوله: ﴿ لئن أخرجتم لنخرجن معكم ﴾ أى: لئن أخرجتم من المدينة لنخرجن معكم فى القتال.

وقوله : ﴿ ولانطيع فيكم أحدا أبدا ﴾ أى: لانطيع محمداً فيكم.

وقوله: ﴿ وإن قوتلتم لننصرنكم ﴾ معناه: ولئن قاتلكم [محمداً] (١) لنكونن معكم فى القتال.

وقوله: ﴿ والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾ أى: فى هذا القول.

قوله تعالى: ﴿ لئن أخرجوا لايخرجون معهم ﴾ يعنى: لئن أخرج اليهود لايخرج معهم المنافقون.

وقوله: ﴿ ولئن قوتلوا لاينصرونهم ﴾ أى: لئن قوتل اليهود لاينصرهم المنافقون.

وقوله: ﴿ ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لاينصرون ﴾ فإن قيل: كيف قال ﴿ لاينصرونهم ﴾ ثم قال ﴿ ولئن نصروهم ﴾ وإذا أخبر الله تعالى أنهم لاينصرونهم كيف يجوز أن ينصروهم؟ والجواب من وجوه: أحدها: أن قوله: ﴿ لاينصرونهم ﴾ فى قوم من المنافقين، وقوله: ﴿ ولئن نصروهم ﴾ أى: فى قوم آخرين منهم، وهم الذين لم يقولوا ذلك القول.

والوجه الثانى :أن قوله: ﴿ لاينصرونهم ﴾ أى: طائعين.

(١) فى "الأصل ،وك" : محمد ،والمثبت هو الصواب.

الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن

وقوله: ﴿ولئن نصروهم﴾ أى: مكرهين.

والوجه الثالث :أن قوله: ﴿لاينصرونهم﴾ أى: لايدومون على نصرهم. وقوله: ﴿ولئن نصروهم﴾ أى: نصروهم فى الابتداء.

والوجه الرابع كما قاله الزجاج: هو أنهم(١) لاينصرونهم على ما قال الله تعالى، وقوله: ﴿ولئن نصروهم﴾ أى: قصدوا نصرتهم، لولوا الأدبار أى: انهزموا، وذلك بما يلقى الله تعالى فى قلوبهم من الرعب .

وقوله: ﴿ثم لاينصرون﴾ أى: لاينصر اليهود.

قوله تعالى: ﴿لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله﴾ قال ابن عباس: يعنى: أنتم[أشد](٢) رهبة فى صدورهم من الله إذ يخافون منكم مالايخافون منه.

وقوله: ﴿ذلك بأنهم قوم لايفقهون﴾ أى: لايعلمون عظمة الله وقدرته فيخافون منه.

قوله تعالى: ﴿لايقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر﴾ يعنى: أنهم لايمكنهم أن يصافوكم فى القتال [ويواجهوكم](٣) به، وإنما يقاتلونكم فى الحصون ووراء الجدر لقلتهم ودخول الرعب عليهم.

قوله: ﴿بأسهم بينهم شديد﴾ قال مجاهد: يعنى أنهم يقولون فيما بينهم :لنفعلن كذا ولنفعلن كذا.

وقوله: ﴿تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى﴾ يعنى: أن المنافقين قط لايخلصون لليهود،ولا اليهود للمنافقين.

وقوله: ﴿ذلك بأنهم قوم لايعقلون﴾ أى: لايتدبرون بعقولهم، فهم بمنزلة من

(١) فى «ك»: أنه.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) فى "الأصل ، وك" : ويواجهونكم.

قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا

لاعقل له.

قوله تعالى: ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر﴾ أى: مثل هؤلاء المنافقين مع اليهود كمثل الشيطان مع الكافر. وأكثر المفسرين على أن هذا الكافر هو رجل من بنى إسرائيل يعبد الله تعالى فى صومعة دهراً طويلا، وكان اسمه برصيصا العابد، وكان فى بنى إسرائيل ثلاثة إخوة لهم أخت حسناء بها شيء من اللَمَم، وقيل: كانت مريضة ،فعرض لهم سفر فقالوا :نسلم أختنا إلى فلان العابد فيحفظها إلى أن نرجع - وفى رواية: يدعو لها ويقوم عليها- فإن ماتت دفنها ،وإن برأت فكانت عنده إلى أن نرجع، فسلموها إليه بجهد، فقام عليها حتى برأت. ثم إن الشيطان جاءه وزين له أن يواقعها فواقعها وحبلت منه، ثم جاء الشيطان وقال: إنك تفضح إذا قدم إخوتها فاقتلها وادفنها وقل إنها ماتت ،ففعل ذلك ودفنها فى أصل صومعته، فلما رجع الإخوة وجاءوا [إليه](1) ذكر لهم أنها قد ماتت فصدقوه، ثم إن الشيطان أراهم فى المنام أن العابد قد قتل أختكم ودفنها فى موضع كذا، فجاءوا إلى ذلك الموضع، وحفروا واستخرجوا أختهم مقتولة، فذهبوا وذكروا ذلك للملك، فجاء الملك والناس واستنزلوا العابد من صومعته ليقتلوه، فجاءه الشيطان وقال: أنا الذى فعلت بك مافعلت فأطعنى حتى أنجيك، فقال: أيش أفعل؟ فقال: تسجد لى سجدة ففعل، وقتل على الكفر، ونزلت هذه الآية فى هذه القصة .وقد روى عطية عن ابن عباس قريبا من هذا. وذكر بعضهم هذه القصة مسندة إلى الرسول ﷺ برواية سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار بألفاظ قريبة من هذا فى المعنى(2). قال الشيخ: أخبرنا بذلك أبو على الشافعى بمكة ،أخبرنا ابن فراس، أخبرنا أبو جعفر الديبلى، أخبرنا سعيد بن

---

(١) من «ك»، وفى «الأصل»: إليهم.

(٢) رواه ابن أبى الدنيا فى مكائد الشيطان (٨٠ - ٨١ رقم ٦١) من طريق عمرو بن دينار ،عن عبيد بن رفاعة مرسلا. وعزاه السيوطى فى الدر (٦ / ٢٢١) لابن مردويه، والبيهقى فى الشعب.

أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلا تَكُونُوا

عبدالرحمن المخزومى ،عن سفيان.

وقوله: ﴿فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين﴾ هذا مثل قوله تعالى: ﴿فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى ما لاترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب﴾(١) وقيل: إن خوفه من العقوبة فى الدنيا لامن العقوبة فى الآخرة. وقيل: هو الخوف من العقوبة فى الآخرة إلا أن خوفه لاينفعه لعدم الإيمان. وقيل: إن الآية نزلت فى جميع الكفار لا فى كافر مخصوص، والمشهور هو القول الأول.

قوله تعالى: ﴿فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها﴾ يعنى: عاقبة الكافر وإبليس ﴿خالدين فيها﴾ أى: دائمين فيها.

وقوله: ﴿وذلك جزاء الظالمين﴾ أى: الكافرين.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد﴾ قال قتادة: مازال يقرب الساعة حتى جعل كالغد.

وقوله: ﴿واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ الأمر بالتقوى على طريق التأكيد .

قوله تعالى ﴿ولاتكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ أى: تركوا أمر الله فتركهم من نظره ورحمته. وقيل معناه: تركوا طلب الحظ لأنفسهم فى الآخرة بماتركوا من أمر الله ،ونسب إلى الله تعالى؛ لأن تركهم طلب الحظ لأنفسهم وفواته إياهم كان لأجل ماتوجه عليهم من أمر الله ،وقيل معناه: أغفلهم عن حظ أنفسهم عقوبة لهم. قال النحاس: ويستقيم فى العربية أن يقال: نسيهم فلان بمعنى تركهم. ولايستقيم أنساهم بمعنى تركهم.

---

(١) الأنفال: ٤٨.

كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ

وقوله: ﴿أولئك هم الفاسقون﴾ أى: الخارجون عن طاعة الله.

قوله تعالى: ﴿لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ أى: الناجون.

قوله تعالى: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله﴾ أى: إذا جعلنا له مايميز ويعقل. قيل: هو مذكور على طريق التمثيل لاعلى طريق الحقيقة، وعند أهل السنة: إن لله تعالى فى الموات والجمادات علما (لا)[1] يقف عليه الناس. وقد قال فى موضع آخر: ﴿ولكن لاتفقهون تسبيحهم﴾ [2] وهو دليل على ماذكرنا من قبل.

وقوله: ﴿خاشعا﴾ أى: ذليلا، وقيل: متصدعا أى: متشققا من خشية الله.

وقوله: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ أى: يتدبرون.

قوله تعالى: ﴿هو الله الذى لاإله إلا هو عالم الغيب والشهادة﴾ أى: السر والعلانية ،وقيل: عالم الغيب والشهادة أى: ماكان ومايكون.

وقوله: ﴿هو الرحمن الرحيم﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿هو الله الذى لاإله إلا هو الملك﴾ أى: المقتدر على الأشياء.

وقوله: ﴿القدوس﴾ أى: الطاهر، وقيل: المنزه من كل نقص وعيب ،وقيل القدوس: المقدس، يعنى: يقدسه الملائكة ويسبحونه،وفى تسبيح الملائكة: سبوح

---

(١) فى «ك»: لم.

(٢) الإسراء: ٤٤.

﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ

قدوس رب الملائكة والروح. ومنه بيت المقدس، ومنه حظيرة القدس، وهى الجنة. قال رؤبة:.

دعوت رب العزة القدوسا   دعاء من لايقرع الناقوسا

وقوله: ﴿السلام﴾ قال قتادة: معناه: مسلم من الآفات والعيوب. وقال مجاهد: سلم الناس من ظلمه. وفى بعض الأخبار: أن النبى ﷺ قال: «السلام اسم من أسماء الله تعالى [وضعه][1] بينكم فأفشوه»[2].

وقوله: ﴿المؤمن﴾ فيه أقوال: أحدها: أنه يؤمن المؤمنين من النار والعذاب. والآخر: أن المؤمنين أمنوا من ظلمه فهو مؤمن. والقول الثالث: أنه شهد لنفسه بالوحدانية، فهو مؤمن بهذا المعنى، وشهادته لنفسه بالوحدانية هو قوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لاإله إلاهو﴾[3]

وقوله: ﴿المهيمن﴾ قال قتادة: أى: الشهيد. وقال بعضهم: هو الأمين، ومعنى كونه أمينا: أنه لايضيع أعمال العباد، فكأن أعمال العباد فى أمانته لايضيعها. وقيل: هو الرقيب. وقيل: إن المهيمن أصله المؤيمن إلا أنه قد قلبت الهمزة هاء مثل قولهم: أرقت الماء وهرقته.

وقوله ﴿العزيز﴾ أى الغالب. وقيل: القاهر. وقيل: المنيع.

وقال الشاعر فى المهيمن.

---

(١) فى الأصل: وصفته، وفى «ك»: وضعته، والمثبت من الأدب المفرد.

(٢) رواه البخارى فى الأدب المفرد (٢٩١) عن أنس مرفوعا به. وفى الباب عن ابن مسعود، وأبى هريرة، وانظر السلسلة الصحيحة (١٨٤).

(٣) آل عمران: ١٨.

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ .

مليك على عرش السماء مهيمن [لعزته][(١)] تعنو الوجوه وتسجد

وقوله: ﴿الجبار﴾ أى: جبر الخلق على مراده ومشيئته. وقيل: الجبار أى: العظيم. وقيل: هو الذى يفوت عن[(٢)] الأوهام والإدراك .

يقال: نخلة جبارة إذا كانت طويلة لايوصل إليها بالأيدى.

قوله: ﴿المتكبر﴾ أى: الكبير. وقيل: المتكبر هو الذى أعلى نفسه وعظمها[(٣)]، وهذا ممدوح فى صفات الله، مذموم فى صفات الخلق؛ لأن الخلق لايخلون عن نقيصة، فلا يليق بهم إعظامهم أنفسهم وإعلاؤهم إياهم، والله تعالى لايجوز عليه نقص فيصح مدحه لنفسه وإعظامه.

وقيل: مدح نفسه ليعلم خلقه مدحهم إياه ليثيبهم عليه ،إذ لايجوز أن يعود إليه ضر ولانفع.

وقوله: ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ قد بينا فى كثير من المواضع.

قوله تعالى: ﴿هو الله الخالق البارئ﴾ أى: مقدر الأشياء ومخترعها .

وقوله: ﴿البارئ﴾ قيل: هو فى معنى الخالق على طريق التأكيد، وقيل: إن معناه المحيى بعد الإماتة. قال الشاعر:

وكل نفس على سلامتها يميتها الله ثم يبرؤها

ذكره أبو الحسن بن فارس.

وقوله: ﴿المصور﴾ هو التصوير المعلوم يصور كل خلق على مايشاء. وقيل:

---

(١) فى "الأصل،وك" :يعز به ،والمثبت من تفسير القرطبى (١٨ / ٢٤٨)، و الميت لأمية بن أبى الصلت .

(٢) فى «ك»: على.

(٣) فى «الأصل وك»: وعظمه.

التصوير هو تركيب مخصوص فى محل مخصوص من الخلق .

وقوله تعالى : ﴿ له الأسماء الحسنى ﴾ الحسنى : هو تأنيث الأحسن ،وهى هاهنا بمعنى العليا .

وقوله : ﴿ يسبح له مافى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ ظاهر المعنى . وقد ورد فى بعض المسانيد برواية ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال : « إن اسم الله الأعظم فى ثلاث آيات من آخر سورة الحشر »[1] . والله أعلم .

(١) عزاه السيوطى فى الدر (٦ / ٢٢٤) للديلمى عن ابن عباس، وهو فى الفردوس (١ / ٤١٦ رقم ١٦٨٦) وفيه : « ... فى ست آيات ... » .

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا

تفسير سورة الممتحنة

وهى مدنية، والله أعلم

قوله تعالى: ﴿ ياأيها الذين آمنو لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ﴾ نزلت الآية فى حاطب بن أبى بلتعة حين كتب كتابا إلى المشركين يخبرهم ببعض أمر النبى ﷺ، والخبر فى ذلك ما أخبرنا به أبو على الحسن بن عبد الرحمن بن الحسن الشافعى، أخبرنا أبو الحسن بن فراس، أخبرنا أبو محمد المقرئ، أخبرنا جدى محمد بن عبدالله ابن يزيد المقرئ(١) ،أخبرنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن الحسن بن محمد بن الحنفية، عن عبيد الله بن أبى رافع قال: سمعت عليا -رضى الله عنه- يقول: «بعثنى رسول الله ﷺ والزبير والمقداد بن الأسود فقال: انطلقوا إلى روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب، فخرجنا [تتعادى](٢) بنا خيلنا حتى بلغنا روضة خاخ، فوجدنا بها ظعينة وقلنا لها: أخرجى الكتاب. فقالت: ما معى كتاب. فقلنا: لتُخرِجَنَّ الكتاب أو لَنُقَلِّبَنَّ ثيابك. فأخرجت كتابا من عقاص شعرها، فأخذناه وأتينا به النبى ﷺ ،فإذا هو كتاب من حاطب بن أبى بلتعة إلى المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبى ﷺ، فدعا حاطباً وقال له: «ماهذا؟» فقال: يارسول الله، لاتعجل علىَّ، إنى كنت امرأً مُلْصَقاً فى قريش - يعنى حَليفاً - ولم أكن من أنفسهم ،وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها قراباتهم ،ولم يكن لى بمكة قرابة، فأحببت إذ فاتنى ذلك أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى، والله مافعلته شكًّا فى الإسلام،ولا رضا بالكفر، فقال النبى ﷺ: «لقد صدقكم» فقال عمر: يارسول الله، دعنى أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبى ﷺ: «إنه قد شهد بدراً،ولعل الله

(١) فى «الأصل، وك»: المقبرى، وهوتحريف، وهو محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ أبو يحيى المكى، وهو من رجال التهذيب، وهذا الإسنادمن الأسانيد الدائرة للمصنف .

(٢) أي: تجرى .

بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ

اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم»[(١)].

قال أهل التفسير: «وكان عليه الصلاة والسلام إذا أراد غزواً وَرَّى بغيره»[(٢)]. وكان يقول: «الحرب خدعة»[(٣)] فلما أراد أن يغزو مكة كتم أمره أشد الكتمان، وكتب حاطب بن أبى بلتعة على يدى امرأة تسمى سارة كتابا إلى أهل مكة يخبرهم بمسير النبى ﷺ، فأطلع الله نبيه على ذلك ،وكان الأمر على مابينا،وأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ ياأيها الذين آمنوا ﴾ فى الآية دليل على أن حاطب لم يخرج من الإيمان بفعله ذلك.

وقوله: ﴿ لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ﴾ أى: أعدائى وأعداءكم ،وهم مشركو قريش.

وقوله: ﴿ تلقون إليهم بالمودة ﴾ أى: تلقون إليهم أخبار النبى ﷺ وسره بالمودة التى بينكم وبينهم. ويقال: تلقون إليهم بالمودة أى: بالنصيحة، قاله مقاتل. وقيل: تلقون إليهم بالمودة أى: بالكتاب. وسمى ذلك مودة وكذلك النصيحة؛ لأن ذلك دليل المودة.

وقوله: ﴿ وقد كفروا بما جاءكم من الحق ﴾ الواو واو الحال قاله الزجاج. ومعناه: وحالهم أنهم كفروا بما جاءكم من الحق.

وقوله: ﴿ يخرجون الرسول وإياكم ﴾ أى: أخرجوا الرسول وأخرجوكم، ومعنى الإخراج هاهنا هو الإلجاء إلى الخروج.

---

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٧/ ٥٩٢ رقم ٤٢٧٤)، ومسلم (١٦/ ٨٠-٨٣ رقم ٢٤٩٤).

(٢) متفق عليه، وهو جزء من حديث كعب بن مالك الطويل، رواه البخارى (٧/ ٧١٧ - ٧١٩ رقم ٤٤١٨)، ومسلم (١٧/ ١٣٦-١٥٧ رقم ٢٧٦٩).

(٣) متفق عليه من حديث جابر، رواه البخارى (٦/ ١٨٣ رقم ٣٠٣٠)، ومسلم (١٢/ ٦٧ رقم ١٧٣٩).

جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ

وقوله تعالى: ﴿أن تؤمنوا بالله ربكم﴾ أى: لأنكم آمنتم بالله ربكم.

وقوله: ﴿إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى﴾ قالوا: فى الآية تقديم وتأخير، والمعنى: إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى فلا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء. وقيل معناه: لا تسروا إليهم بالمودة إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى، فهو معنى قوله: ﴿تسرون إليهم بالمودة﴾ خبر بمعنى النهى.

وقوله: ﴿وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم﴾ أى: بما أسررتم وما ظهرتم.

وقوله: ﴿ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل﴾ أى: أخطأ طريق الحق.

قوله تعالى: ﴿إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء﴾ معناه: إن يظفروا بكم، والعرب تقول: فلان ثَقِفٌ لَقِفٌ، إذا كان سريع الأخذ.

وقوله: ﴿يكونوا لكم أعداء﴾ أى: يعاملونكم معاملة الأعداء.

وقوله: ﴿ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء﴾ أى: أيديهم بالسيف، وألسنتهم بالشتم.

وقوله: ﴿وودوا لو تكفرون﴾ أى: وأحبوا لو تكفرون كما كفروا.

قوله تعالى: ﴿لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم﴾ يعنى: أنكم فعلتم ما فعلتم لأجل قراباتكم وأرحامكم،ولن ينفعكم ذلك يوم القيامة.

وقوله: ﴿يوم القيامة يفصل بينكم﴾ أى: يفصل بينكم يوم القيامة؛ فيبعث أهل الطاعة إلى الجنة، وأهل المعصية إلى النار.

وقوله تعالى: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ ظاهر المعنى.

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ

قوله تعالى: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة﴾ أى: قدوة حسنة.

وقوله: ﴿فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا﴾ المعنى فى الكل: أنه أمرهم بأن تأسوا بإبراهيم فى التبرؤ من المشركين وترك[1] الموالاة معهم.

وقوله: ﴿إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك﴾ قال قتادة معناه: اقتدوا بإبراهيم إلا فى هذا [الموضع][2]، وهو استغفاره لأبيه المشرك، وقد بينا سبب استغفار إبراهيم لأبيه من قبل. وقوله: ﴿وما أملك لك من الله من شىء﴾ أى: لا أدفع عنك من الله من شىء، وهو قول إبراهيم لأبيه.

وقوله: ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾ إخبار عن إبراهيم وقومه من المؤمنين يعنى: إنهم ذلك.

قوله تعالى: ﴿ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا﴾ قال مجاهد وغيره: أى: لاتعذبنا بأيدى الكفار ولابعذاب من عندك، فيظن الكفار أنا على غير الحق حيث عذبنا، فيصير فتنة لهم فى دينهم، ويظنون أنا كنا على الباطل؛ لأنهم يقولون لوكان هؤلاء على الحق لم يعذبوا ولم يظفر بهم.

وقوله: ﴿واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة﴾ كرر المعنى الأول على طريق التأكيد.

---

(١) فى «الأصل، وك»: تركوا.

(٢) من «ك».

أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

وقوله: ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ أى: يخاف الله، ويخاف يوم القيامة.

وقوله: ﴿ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد﴾ أى: المستغنى عنهم،الحميد فى فعاله. والمعنى: أنهم إذا خالفوا أمره،وتولوا الكفار لم يعد إلى الله من ذلك شيء.

قوله تعالى: ﴿عسى الله﴾ قد بينا أن عسى من الله واجب.

وقوله تعالى: ﴿أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة﴾ أكثر المفسرين على أن المراد منه تزويج أم حبيبة بنت أبى سفيان من رسول الله ﷺ. وقيل: هو إسلام أبى سفيان بن حرب، وأبى سفيان بن الحارث ،وسهيل بن عمرو ،وحكيم بن حزام، وصفوان بن أمية وغيرهم. وفى بعض التفاسير: أن النبى ﷺ توفى وأبو سفيان بن حرب أمير على بعض اليمن، فلما ارتدت العرب قاتل هودا الحمار وقومه على ردتهم، فكان [هو](١) أول من يجاهد مع المرتدين.

وقوله: ﴿والله قدير﴾ أى: قادر على أن يجعل بينكم وبينهم مودة.

وقوله: ﴿والله غفور رحيم﴾ أى: لما كان منهم قبل إسلامهم ،وقبل حدوث المودة بينكم وبينهم.

قوله تعالى: ﴿لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم﴾ فيه أقوال :أحدها: أن المراد منه قوم كانوا على عهد النبى ﷺ من الكفار من خزاعة ،و هى مدلج وغيرهم. والقول الثالث(٢) :أن قتيلة [كانت كافرة،و](٣) كانت

---

(١) من «ك».

(٢) كذا فى "الأصل،وك" :أن سقط القول الثانى .

(٣) فى "الأصل،وك" :أن قتيلة كافرة ، وقيل :كانت .

الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ

أم أسماء ،فلم تقبل أسماء هديتها حتى سألت النبىﷺ ، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ورخص فى القبول والمكافأة، قاله عبد الله بن الزبير.

والقول الرابع : أن هذا قبل نزول آية السيف،ثم نسخت بآية السيف، قاله قتادة وغيره.

وقوله : ﴿ أن تبروهم وتقسطوا إليهم ﴾ أى : تحسنوا إليهم،وتستعملوا العدل معهم أى : المكافأة.

وقوله : ﴿ إن الله يحب المقسطين ﴾ أى : الفاعلين للعدل.

قوله تعالى : ﴿ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم ﴾ أى : عاونوا على إخراجكم.

وقوله : ﴿ أن تولوهم ﴾ معناه : أن تتولوهم.

وقوله : ﴿ ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾ أى : وضعوا الموالاة فى غير موضعها.

قوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ﴾ سماهن مؤمنات قبل وصولهن إلى النبىﷺ ؛لأنهن على قصد الإيمان وتقديره، ذكره الأزهرى.

وقوله : ﴿ فامتحنوهن ﴾ أى : اختبروهن. قال أهل التفسير : نزلت الآية « فى العهد الذى كان بين النبىﷺ وبين المشركين،وهو عهد الحديبية، وكان النبىﷺ عاهد مع المشركين على أن من جاءه منهم يرده (عليهم)[١]، ومن لحق بهم من المؤمنين لم يردوا »[٢]، وأن الله تعالى نسخ هذا العهد ،ورفعه فى النساء وأمره بالامتحان . وقال

---

(١) فى « ك » : إليهم.

(٢) تقدم تخريجه.

عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ

بعضهم: كان العهد مطلقا ،ولم يكن نص فى النساء بردهن عليهم. وقال بعضهم: كان قد نص فى النساء أن يردهن عليهم وإن جئن مؤمنات، ثم نسخ، وهو الأشهر، فكانت التى أتت مؤمنة مهاجرة بعد العهد: أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ،وأما الامتحان ،قال ابن عباس: هو أن يحلفها أنها ماهاجرت إلا حبًّا لله ورسوله ،ورغبة فى الإسلام، وأنها لم تهاجر بحدث أحدثته،ولا لبغض زوج،ولا لرغبة فى مال، ولا حبًّا لإنسان .

وقوله: ﴿ الله أعلم بإيمانهن ﴾ يعنى: إخلاصهن فى إيمانهن.

وقوله: ﴿ فإن علمتوهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار ﴾ فإن قال قائل: كيف التوفيق بين قوله: ﴿ فإن علمتوهن مؤمنات ﴾ وبين قوله: ﴿ والله أعلم بإيمانهن ﴾؟ والجواب عنه: أن معنى قوله: ﴿ فإن علمتموهن مؤمنات ﴾ أى: إيمان الإقرار والامتحان ،كأنهن أقررن بالإيمان، وحلفن عند الامتحان.

وقوله: ﴿ فلاترجعوهن إلى الكفار ﴾ أى: لاتردوهن.

وقوله تعالى: ﴿ لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن ﴾ أى: لاهن حل للكفار نكاحًا ولاهم يحلون للمؤمنات نكاحًا.

وقوله: ﴿ وآتوهم ما أنفقوا ﴾ أوجب الله على المسلمين أن يردوا على أزواجهن ما أعطوهن من المهور.

وقوله: ﴿ ولاجناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ﴾ أى: مهورهن، وفيه دليل على أن النكاح لايكون إلا بمهر.

وقوله: ﴿ ولاتمسكوا بعصم الكوافر ﴾ أى: لاتمسكوا بنكاح الكوافر، والكوافر جمع الكافر، والمعنى: أن الرجل إذا أسلم وهاجر إلينا، وخلف امرأته فى دار الحرب

الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ

كافرة لم يعتد بها،ولم يبق نكاح بينه وبينها. وروى أن عمر- رضى الله عنه -لما هاجر خلف امرأتين بمكة مشركتين، فتزوج(إحديهما)[1] معاوية، والأخرى صفوان بن أمية.

وقوله: ﴿واسألوا ماأنفقتم﴾ أى: ماأعطيتم، وهذا فى المرأة من المسلمات إذا لحقت بالمشركين،فطالب زوجها المشركين بالمهر الذى أعطاها.

وقوله: ﴿وليسألوا ماأنفقوا﴾ أى: ماأعطوا من المهر وهو ماقدمنا، وليس هذا معنى الأمر والواجب أن يسألوا لا محالة، ولكن معناه: إن سألوا أُعطوا،وكل هذا منسوخ، وقد كان ذلك عهدا بين الرسول وبينهم، وقد ارتفع ذلك.

وقوله: ﴿ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم﴾ ظاهرالمعنى.

قوله تعالى: ﴿وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار﴾ أى: [التحقت][2] واحدة من أزواجكم إلى الكفار، يعنى: النساء ﴿فعاقبتم﴾ أى: غنمتم. قال القتيبى: معناه: كانت لكم عقبى خير فى الغنيمة والظفرة. وقرئ: «فعقبتم». وهو (بذلك)[3] المعنى أيضا.

قوله: ﴿فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا﴾ أى: مثل الذى أعطوا من المهر. ومعنى الآية :أن امرأة المسلم إذا التحقت بالمشركين ولم يردوا المهر ،وظفر المسلمون بهم وغنموا، يردون من الغنيمة التى أخذوا مهر الزوج الذى أعطاه.

وقوله: ﴿واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون﴾ أى: مصدقون، وهذا الحكم منسوخ أيضا.

---

(١) فى «ك»: أحدهما.

(٢) فى «الأصل،ك» التحق.

(٣) فى «ك»: ذلك.

أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ

قوله تعالى: ﴿ يأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لايشركن بالله شيئا ولايسرقن ولايزنين ولايقتلن أولادهن ﴾ الآية وردت فى بيعة النساء،وكان قد بايع الرجال على الإيمان والجهاد فحسب، وبايع النساء على هذه الأشياء كلها، فروى «أن النبى ﷺ قعد على الصفا حين فتح مكة،وقعد دونه عمر، وجاءته النساء يبايعنه، وفيهن هند بنت عتبة منتقبة متنكرة، فلما قال النبى ﷺ: «إنا نبايعكن على أن لاتشركن بالله شيئا» قالت هند: ما جئنا إليك وقد بقى فى قلوبنا شرك، فلما قال: «وعلى أن لاتسرقن» قالت هند: إنى قد أخذت من مال أبى سفيان هنات وهنات ولا أدرى أتحللها لى أو لا؟ وكان أبو سفيان حاضرا،فقال: حللتك عما مضى وعما بقى. وفى رواية:أنها لما قالت ذلك عرفها النبى ﷺ فقال: «أو هند بنت [عتبة](١)؟» قالت: نعم ،اعف عما سلف يانبى الله ،عفا الله عنك، فقال: «إن الإسلام يجب ماقبله»، فلما قال النبى ﷺ: «وعلى أن لاتزنين» قالت هند: أو تزنى الحرة؟! فضحك عمر -رضى الله عنه- فلما قال: «وعلى ألا تقتلن أولادكن - والمعنى: لاتئدن أولادكن - قالت هند: ربيناهم صغارا فقتلتموهم كبارا -وكان قتل ابنها حنظلة بن أبى سفيان يوم بدر- فلما (كان)(٢) قال: ﴿ ولايأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ﴾ قالت هند: ماعلمت البهتان إلا قبيحا»(٣). ومعنى الآية: لاتلحق المرأة

---

(١) فى «الأصل، وك»: عقبة، وهو تحريف، وهى هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشية. الإصابة (٤/٤٢٥ - ٤٢٦).

(٢) كذا!وأظنها مقحمة، والحديث أورده الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣/٤٦٢) وفيه، فقالت: فقتلتموهم كبارا، فانتم وهم أعلم. وفى رواية: فانتم وهم أبصر.

(٣) ذكره الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣/٤٦١ - ٤٦٣) وقال: غريب بهذا اللفظ - وقال الحافظ ابن حجر فى تلخيصه للكشاف: لم أره بسياقه. وقد روى نحوه من حديث ابن عباس، رواه ابن جرير (٢٨/٥١)، وزاد السيوطى فى الدر (٦/٢٣٢): ابن مردويه وقال ابن كثير (٤/٣٥٤): هذا أثر غريب وفى بعضه نكاره وفى الباب أحاديث. قلت :وانظر رواية فى الدر المنثور.

وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ

بزوجها ولداً ليس منه. وقيل معناه: أن تلتقط ولداً،وتقول لزوجها: هذا ولدى منك. ومن حمل على هذا قال: هذا أولى، لأن الله تعالى قال: ﴿ولايزنين﴾ فقد تضمن اليمين عن الزنا اليمين على المعنى الأول،فلابد لهذا من معنى آخر.

وقوله: ﴿يفترينه بين أيديهن وأرجلهن﴾ قال ذلك ؛لأن الولد إذا سقط من المرأة سقط بين يديها ورجليها. وقيل: لأن الثدى بين يدين، والفرج بين الرجلين، والمرأة تضع وترضع. وقيل: إن ذكر اليدين والرجلين على طريق التأكيد، مثل قوله تعالى: ﴿ذلك بما[قدمت](١) أيديكم﴾(٢) يعنى: بما كسبتم، وذكر الأيدى على طريق التأكيد، فلما قال النبىﷺ: «ولاتعصينني فى معروف» قالت هند: ماجئناك لنعصيك. وروى أنها قالت: إنك لتأمر بمكارم الأخلاق»(٣).

وأما المعروف ففيه قولان: أحدهما: أنه جميع الطاعات، والآخر: أنه النياحة وما يفعله النساء على الموتى من شق الجيوب ،وخمش الوجوه ،وقطع الشعور،وما أشبه ذلك. وهذا القول هوالأشهر، وقد روته أم عطية مسنداً إلى النبىﷺ فسر بالنياحة(٤). وفى بعض الروايات: «ماوفت بذلك امرأة إلا أم عطية». وروى أبو عيسى الترمذى فى جامعه برواية شهر ابن حوشب عن أم سلمة الأنصارية أن امرأة من النسوة قالت: «ماهذا المعروف الذى لاينبغى لنا أن نعصيك فيه؟ قال: «لاَتُنحْنَ»(٥) فقالت: يارسول الله، إن بنى فلان قد أسعدونى على عمى ولابد من قضائهن، فعاتبته مراراً ،فأذن لى فى قضائهن، فلم أنح بعد فى قضائهن ولاغيره حتى الساعة، ولم يبق من النسوة امرأة إلا وقد ناحت غيرى». قال الشيخ الإمام: أخبرنا بذلك عبدالرحمن ابن عبدالله بن أحمد القفال، أخبرنا أبو العباس بن سراج ،أخبرنا أبو العباس المحبوبى

(١) فى «الأصل، ك»: كسبت، ولعله أراد الآية التى فى سورة الشورى ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾.

(٢) الأنفال: ٥١.

(٣) متفق عليه، رواه البخارى (٣/ ٢١٠ رقم ١٣٠٦، وطرفاه: ٤٨٩٢، ٧٢١٥)، ومسلم (٦/ ٣٣٦ - ٣٣٧ رقم ٩٣٦).

(٤) سبق فى الذى قبله.

(٥) فى «ك»: ألا تنحن.

وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ

أخبرنا أبو عيسى، أخبرنا عبد بن حميد، عن أبى نعيم ،عن يزيد بن عبد [الله][1] الشيبانى،عن شهر بن حوشب.. الحديث :قال أبو عيسى : وأم سلمة الأنصارية هى أسماء بنت يزيد السكنى[2].

وقوله : ﴿ فبايعهن واستغفر لهن الله ﴾ أى : قد غفر الله لكن.

وقوله : ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ قد بينا. وقد ثبت برواية عائشة « أن النبى ﷺ مامس بيده يدامرأة قط إلا يد امرأة يملكها »[3]. والمشهور فى بيعة النساء « أنه دعا بإناء فيه ماء وغمس فيه يده فجعل كل من بايعت غمست فيه يدها »[4] وقد قيل: « إنه أخذ بيدهن وراء الثوب »[5] والأصح هو الأول.

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتولوا قوما غضب الله عليهم ﴾ فيه رجوع إلى قصة حاطب بن أبى بلتعة،وتأكيد النهى عن موالاة الكفار. وقيل: إن الآية عامة.

وقوله : ﴿ قوما غضب الله عليهم ﴾ قيل: هم المنافقون. وقيل: هم اليهود، وعلى

---

(١) سقط من "الأصل ،وك".

(٢) رواه الترمذى (٥ / ٣٨٣ - ٣٨٤ رقم ٣٣٠٧) وحسنه، وابن ماجه (١ / ٥٠٣ رقم ٥٧٩)، وأحمد (٦ / ٣٢٠)، وابن جرير (٢٨ / ٥٢). وزاد السيوطى فى الدر (٦ / ٢٣٢) نسبته لابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه.

(٣) متفق عليه، رواه البخارى (٨ / ٥٠٤ - ٥٠٥ رقم ٤٨٩١)، ومسلم (١٣ / ١٥-١٦ رقم ١٨٦٦).

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير (١٧ / ١٤٩ رقم ٣٧٦) من حديث عروة بن مسعود الثقفى. وقال الهيثمى فى المجمع (٦ / ٤٢) : فيه عبد الله بن حكيم الداهرى، وهو ضعيف. ورواه أبو نعيم فى تاريخ أصبهان (١ / ٢٩٣) عن أسماء بنت يزيد . ورواه ابن سعد وابن مردويه كلاهما من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، كما فى تخريج الكشاف للزيلعى (٣ / ٤٦٣)، والسيوطى فى الدر (٦ / ٢٣٣).

(٥) رواه الطبرانى فى الكبير (٢٠ / ٢٠١ رقم ٤٥٤)، وفى الأوسط (١ / ٧١ رقم ٢٣ مجمع البحرين) عن معقل ابن يسار مرفوعا به. قال الهيثمى فى المجمع (٦ / ٤٢) : فيه عتاب بن حرب ،وهو ضعيف. ورواه عبد الرزاق فى مصنفه (٦ / ٩ رقم ٩٨٣٢) عن إبراهيم النخعى مرسلا. ورواه أبو داود فى المراسيل (٢٧٤ رقم ٣٧٣) عن الشعبى مرسلا.

عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾ .

القول الأول هم المشركون .

وقوله : ﴿ قد يئسوا من الآخرة ﴾ أى : يئسوا من البعث بعد الموت، وهذا فى المشركين ظاهر؛ لأنهم كانوا ينكرون البعث، وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم قالوا : ﴿ ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا إلا الدهر ﴾(١) وكذلك فى المنافقين ظاهر . وأما إذا حملنا على اليهود، فالمراد من الآية هم اليهود الذين كانوا يعرفون النبى ﷺ ،ويعلمون أنه نبى الله ،وينكرون نبوته حسداً وبغياً . ومعنى إياسهم من الآخرة هو اليأس من الثواب؛ لأنهم إذا عرفوا الحق [وأنكروه](٢) متعنتين عرفوا حقيقة أنهم فى النار فى الآخرة . وقيل : إن المعنى على هذا القول هو أن اليهود كانوا يقولون : ليس فى الجنة أكل ولاشرب ولا استمتاع ،فمعنى اليأس هو يأسهم عن هذه النعم لمكان اعتقادهم .

وقوله تعالى : ﴿ كما يئس الكفار من أصحاب القبور ﴾ فيه قولان : أحدهما : كما يئس الكفار من أصحاب القبور عن إصابتهم الثواب، ووصولهم إلى الجنة؛ لأنهم عاينوا الأمر ،وعرفوا أنهم أهل النار قطعاً .

والقول الثانى : كما يئس الكفار من أصحاب القبور أنهم لايعودون إليهم، فعلى القول الأول المراد من الكفار هم الكفار الذين ماتوا، وعلى القول الثانى المراد من الكفار هم الأحياء منهم . والله أعلم .

---

(١) الجاثية : ٢٤ .

(٢) فى « الأصل، ك » : وأنكروها .

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ

تفسير سورة الصف

وهي مدنية

قوله تعالى: ﴿سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض﴾ قد بينا معنى هذه الآية. وفي بعض الأخبار: أن أحب الكلام إلى الله تعالى سبحان الله، ولحبه هذه الكلمة ألهمها أهل السموات والأرض.

وقوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ قال ابن عباس: اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ وتذاكروا البعث وأمر الآخرة ثم قالوا: لو علمنا ما يحبه الله ففعلنا ولو نبذل نفوسنا. وفى رواية :أن عبد الله بن رواحة كان يقول لمن يلقاه: تعال نؤمن ساعة، ونذكر الله تعالى، ويقول: وددت أن لو عرفت ما يحبه الله فأفعله؛ فلما فرض الله الجهاد وأمرهم ببذل النفس والمال،وكتب عليهم القتال أحبوا الحياة وكرهوا القتال، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ وعن قتادة :أن أصحاب رسول الله ﷺ لما فروا يوم أحد إلا نفرا يسيراً منهم أنزل الله تعالى هذه الآية. والآية وإن كانت عامة فإنها فى بعض الصحابة دون البعض، فإن الله تعالى قال فى موضع آخر: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾[1] وهذا دليل ظاهر على أن الآية فى هذه السورة لم ترد فى حق جميعهم على العموم. وفي التفسير: أن عبدالله بن رواحة قال: لما نزلت آية الجهاد حبست نفسى فى سبيل الله، ثم إنه لما خرج إلى غزوة مؤتة، «وكان النبى ﷺ أمَّر زيد بن حارثة،فإن

(١) الأحزاب: ٢٣.

يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ

استشهد فجعفر بن أبي طالب، فإن استشهد فعبد الله بن رواحة [قال: فاستشهد زيد][١] بن حارثة، ثم أخذ الراية جعفر فاستشهد، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد، ثم إنه أخذ الراية خالد بن الوليد وقاتل حتى رجع بالمسلمين»[٢].

وقوله: ﴿كبر مقتا عند الله﴾ أى: بغضاً ﴿أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ والمعنى: أن الله تعالى يبغض من يقول شيئا ولا يفعل.

قوله تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ أى: ملزق بعضه ببعض. وقيل: يثبتون فى الحرب مع الكفار ثبات البنيان الذى وضع بعضه على بعض وسد بالرصاص. والعرب إذا بنت البناء بالحجارة يرصون الحجارة ثم يجعلونه فى خلال البناء، ويسمونه البناء المرصوص.

قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوننى﴾ قد بينا ما كان يؤذون به موسى - عليه السلام - فى سورة الأحزاب.

وقوله: ﴿وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم﴾ أى: وتعلمون، «وقد» صلة.

وقوله: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ أى: مالوا عن الحق[فأمال][٣] الله قلوبهم، أى: زادهم ميلا عن الحق.

وقوله: ﴿والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾ أى: الكافرين.

قوله تعالى: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعد اسمه أحمد﴾ وقد ثبت

(١) فى «الأصل، وك»: فإن استشهد فزيد، وهو تكرار، والمثبت من صحيح البخارى.

(٢) رواه البخارى (٧/٥٨٣ رقم ٤٢٦١) وغيره من حديث ابن عمر مرفوعا بنحوه.

(٣) فى «الأصل، وك» أمال.

إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الإِسْلامِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ

برواية محمد بن جبير بن مطعم ،عن أبيه، عن النبى ﷺ قال: «لى خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحى يمحو الله بى الكفر، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى، وأنا العاقب الذى لا نبى بعدى». قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو على الشافعى ،أخبرنا [ابن][1] فراس ،أخبرنا أبو جعفر الديبلى،أخبرنا سعيد بن (جبير)[2] عبد الرحمن المخزومى، عن سفيان، عن الزهرى، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه.. الحديث[3].

وقوله: ﴿فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ أى: ظاهر. وفى تفسير النقاش: أن اسم الرسول ﷺ فى الإنجيل فار قليطا، وبشر عيسى به بما أخذ عليه من العهد، والعهد المأخوذ هو فى قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه...﴾[4] الآية وأما معنى اسمه أحمد على وجهين: أحدهما: لأنه كان يحمد الله كثيرا.

والثانى: لأن الناس حمدوه فى فعاله.

قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله

(١) فى «الأصل، وك»: فراس بدون ابن، والصواب إثباتها ،وهو أحمد بن إبراهيم بن فراس أبو الحسن العبقسى كما فى ترجمته من الأنساب (٤ / ١٤٣) وهذا إسناد دائر للمصنف يروى به تفسير سفيان بن عيينة، وقد سبق التنبيه على ذلك.

(٢) كذا فى «الأصل، وك»: وهى مقحمة، وهو سعيد بن عبد الرحمن المخزومى، يروى عن ابن عيينة، كما فى ترجمتيهما من تهذيب الكمال. وعنه أبو جعفر الديبلى كما فى ترجمة الديبلى من السير (١٥ / ٩). ولعل الناسخ قد أخطأ فيه لشهرة سعيد بن جبير، فكتبه على الجادة، وهو خطأ، والله أعلم.

(٣) متفق عليه، رواه البخارى (٦ / ٦٤١ رقم ٣٥٣٢ وطرفه ٤٨٩٦)، ومسلم (١٥ / ١٥٢ - ١٥٤ رقم ٢٣٥٤).

(٤) آل عمران: ٨١.

بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ

لا يهدى القوم الظالمين ﴾ قد بينا من قبل.

قوله تعالى: ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ﴾ يقال: هو القرآن. ويقال: هو محمد ﷺ.

وقوله: ﴿ والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ أى: يتم أمر نوره ولو كره الكافرون.

قوله تعالى: ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ أى: على جميع الأديان شرقا وغربا، ومصداق هذه الآية على الكمال إنما يكون عند نزول عيسى ابن مريم حيث لا يبقى إلا دين الإسلام.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ﴾ والتجارة أن تبذل شيئا وتأخذ شيئا، فكأنه جعل بذل النفس والمال وأخذ الثواب تجارة،وهو على طريق المجاز.

قوله تعالى: ﴿ تؤمنون بالله ورسوله ﴾ فى قراءة ابن مسعود: «آمنوا بالله ورسوله» وهو معنى القراءة المعروفة،وجوابه: يغفر لكم ذنوبكم.

وقوله: ﴿ وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله: ﴿ يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴾ أى: بساتين، والأنهار هى الأنهار الأربعة تجرى من غير أخدود.

وقوله: ﴿ ومساكن طيبة فى جنات عدن ﴾ أى: يستطيبونها، والعدن موضع الإقامة،قال ابن مسعود: هو بطنان الجنة. وفى بعض الأخبار: أن الله غرس جنة عدن

الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ

بيده.

وقوله: ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ أى: النجاة العظيمة.

قوله تعالى: ﴿وأخرى تحبونها﴾ أى: تودونها.

وقوله تعالى: ﴿وأخرى﴾ أى: خصلة أخرى. وقيل: تجارة أخرى.

وقوله: ﴿نصر من الله وفتح قريب﴾ هو فتح مكة. وقيل: هو فتح فارس والروم.

وقوله: ﴿وبشر المؤمنين﴾ أى: بالنصر فى الدنيا، وبالجنة فى الآخرة.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله﴾ وقرئ: «أنصاراً لله».

وقوله: ﴿كما قال عيسى ابن مريم للحواريين﴾ الحواريون صفوة الأنبياء وخالصتهم، ومنه قول النبى ﷺ للزبير: «هو ابن عمتى وحوارى من أمتى»[(١)]. ومنه الخبز الحوارى لبياضه ونقائه. والعرب تسمى نساء الأمصار الحواريات، قال الشاعر:

فقل للحواريات يبكين غيرنا ... ولا تبكنا إلا الكلاب النوابح

وفى القصة: أن عيسى -عليه السلام -جمع الحواريين فى بيت - وهم اثنا عشر رجلا - وقال: إن أحدكم يكفر بى اليوم اثنتى عشر مرة،فكان كما قال. وقال: من يختار منكم أن يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب؟ فقام شاب منهم وقال: أنا. فقال: اقعد. ثم قال ذلك ثلاث مرات، وفى الجميع يقوم[(٢)] ذلك الشاب، فقال عيسى: أنت هو. ثم إن الله تعالى رفعه من الروزنة إلى السماء،ودخل اليهود وألقى الله تعالى شبه عيسى على ذلك الرجل فقتلوه وصلبوه.

---

(١) رواه النسائى فى الكبرى (٥/ ٦٠ رقم ٨٢١٢)، وأحمد (٣/ ٣١٤)،وابن أبى شيبة فى مصنفه (١٢/ ٩٢)، والخطيب فى تاريخه (٥/ ١٢٦) من حديث جابر مرفوعا به. وهو متفق عليه بلفظ «إن لكل نبى حوارى وحوارى الزبير» وقد تقدم فى تفسير سورة آل عمران.

(٢) فى «ك»: يقول.

قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾.

وقوله: ﴿من أنصارى إلى الله﴾ أى: مع الله. وقيل معناه: من أنصارى ينصر منه إلى: نصر أى: مضموم إليه.

وقوله: ﴿قال الحوايون نحن أنصار الله﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة﴾ فى التفسير: أن عيسى- صلوات الله عليه- لما رفعه الله تعالى إلى السماء اختلف أصحابه؛ فقال بعضهم: كان هو الله فنزل إلى الأرض ففعل ما شاء ثم ارتفع إلى السماء ،وهم النسطورية. وقال بعضهم: كان هو ابن الله أنزله إلى الأرض ثم رفعه إلى السماء ،وهم اليعقوبية. وقال بعضهم: هو ثالث ثلاثة، وثلاثة هو أب وابن وزوج،وقالوا: ثلاثة قدما أقانيم، وعيسى أحد الثلاثة،وهم الملكانية؛ وعليه أكثر النصارى. وقال قوم: هو عبد الله ورسوله فغلبت الطائفة الثلاثة هذه الطائفة قبل النبى ﷺ، فلما بعث عليه الصلاة والسلام غلبت الطائفة المؤمنة الطوائف الثلاث،فهو معنى قوله تعالى: ﴿فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم﴾ أى: نصرنا وقوينا.

وقوله: ﴿فأصبحوا ظاهرين﴾ أى: غالبين. والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ

تفسير سورة الجمعة

مدنية فى قول الجميع ،وذكر بعضهم :أنها مكية ،وليس بصحيح.

قوله تعالى: ﴿يسبح لله﴾ قد بينا معنى التسبيح، وهو تنزيه الرب عن كل ما لا يليق به. ويقال: التسبيح لله هو ذكر الله. وذكر القفال الشاشى: أن معنى تسبيح الجمادات هو ما جعل فيها من دلائل حدثها ،وأن لها صانعا وخالقا. وهذا ليس بصحيح، وقد ذكرنا من قبل ما قاله أهل السنة فيها.

وقوله: ﴿ما فى السموات وما فى الأرض الملك القدوس﴾ أى: الطاهر من كل عيب وآفة.

وقوله: ﴿العزيز الحكيم﴾ أى: الغالب فى أمره، العدل فى فعله.

قوله تعالى: ﴿هو الذى بعث فى الأميين رسولا﴾ روى منصور،عن إبراهيم :أن الأمى هو الذى لا يكتب ولا يقرأ. وروى ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا»(١). وأشار بأصابعه العشر، وحبس إبهامه فى المرة الثالثة.

ويقال: سمى الأمى أميًّا نسبة إلى ما ولدته عليه أمه. ويقال: سمى أميًّا لأنه الأصل فى جبلة الأمة، والكتابة لا تكون إلا بتعلم. وعن بعضهم: سميت قريش أميين نسبة إلى أم القرى - وهى[مكة](٢) - فإن قال قائل: لم يكن كل قريش أميا، وقد قال: ﴿فى الأميين﴾ والجواب: أن الله تعالى سماهم أميين باعتبار غالب أمرهم، وقد كانت الكتابة نادرة فيهم ، وقد كانت العرب تسمى من علم الكتابة والسباحة والرمى شاعرا الكامل. قال ابن عباس: تعلمت قريش الكتابة من أهل

ا

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى "الأصل ،وك" :مكية.

الَّذي بَعَثَ في الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ

لحيرة، وتعلمها أهل الحيرة من أهل الأنبار .

والحكمة فى كون الرسول أميًّا انتفاء التهمة عنه فى تعلم أخبار الأولين ودراستها من كتبهم .ويقال : ليكون موافقا لصفته فى كتب الأولين.

وقوله : ﴿ يتلو عليهم آياته ﴾ أى : القرآن .

وقوله : ﴿ ويعلمهم الكتاب ﴾ أى : كتاب الله . وعن ابن عباس : هوا الخط بالقلم، فإن الكتابة كثرت فى قريش وسائر العرب بعد رسول الله ﷺ، وهذا موافق لقوله تعالى : ﴿ علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾(١) .

وقوله : ﴿ والحكمة ﴾ أى : السنة . ويقال : الفقه فى الدين .

وقوله تعالى : ﴿ وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ أى : فى ضلال من الحق بيِّن .

قوله تعالى : ﴿ وآخرين منهم ﴾ قال الأزهرى : هو فى موضع الخفض يعنى : بعث فى الأميين وفى آخرين .

وقوله : ﴿ لما يلحقوا بهم ﴾ أى : لم يلحقوا بهم وسيلحقون .ويقال فى قوله : ﴿ وآخرين ﴾ أى : يعلمهم الكتاب والحكمة، ويعلم آخرين، أورده النقاش .

واختلفت الأقوال فى المراد بالآخرين مَنْ هم؟ قال عكرمة : هم التابعون . وقال سعيد بن جبير : هم العجم . (وقائل)(٢) هذا القول ما رواه أبو هريرة « أن النبى ﷺ قرأ هذه الآية وأشار إلى سلمان ،وقال : لو كان الدين معلقا بالثريا لناله رجال من قوم

(١) العلق : ٤ ــ ٥ .

(٢) كذا، وفى « ك » : وقال!ولعل الصواب :واستل من قال هذا القول بما . . .

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ

هذا»[١] أى :العجم . وقال الضحاك : هو كل من آمن وعمل صالحا إلى يوم القيامة .

وقوله تعالى : ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ قد بينا .

قوله تعالى : ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ أى : النبوة .ويقال : ما سبق ذكره من تعليم الكتاب والحكمة .

وقوله : ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ ظاهر . وقد ورد فى الخبر «أن الفقراء شكوا إلى النبى ﷺ وقالوا : ذهب أهل الدثور بالأجور ، فأرشدهم الرسول إلى التسبيح والتهليل وأنواع من الذكر؛ فسمع الأغنياء بذلك فجعلوا يقولون مثل ما يقول الفقراء؛ فجاء الفقراء إلى رسول الله ﷺ وذكروا له ذلك؛ فقرأ هذه الآية ،وهو قوله : ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ وهو خبر مشهور[٢].

قوله تعالى : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ﴾ أى : حملوا القيام بها (واستعمالها)ا[٣]، وهو من الحَمَالة وليس من الحمل أى : ضمنوا القيام بها والعمل بما فيها .

وقوله : ﴿ ثم لم يحملوها ﴾ أى : ضيعوها ولم يعملوا بما فيها ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾ قرأ ابن مسعود : «كمثل حمار يحمل أسفاراً» والأسفار جمع سِفْر، والسفر هو الكتاب ،فجعل الكفار لما ضيعوا كتاب الله ولم يعملوا بما فيه مثل الحمر تحمل الكتب ولا تدرى ما فيها .

---

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٨ / ٥١٠ رقم ٤٨٩٧ ، وطرفه ٤٨٩٨) ، ومسلم (١٦ / ١٥١ رقم ٢٥٤٦) .

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٢ / ٣٧٨ رقم ٨٤٣ وطرفه ٦٣٢٩) ، ومسلم (٥ / ١٢٩ - ١٣١ رقم ٥٩٥) . وفى الباب عن على، وأبى ذر، وأبى الدرداء، وابن عمرو، وابن عباس وغيرهم .

(٣) فى «ك» : واستعملوها .

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ

وقوله: ﴿بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله﴾ أى: بئس المثل مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله وقوله: ﴿والله لا يهدى القوم الظالمين﴾ أى: الكافرين.

قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الذين هادوا﴾ وفى بعض التفاسير: أن يهود المدينة بعثوا إلى يهود خيبر يسألونهم عن النبى ﷺ، فكتب يهود خيبر إلى يهود المدينة ،وقالوا: إنا لا نعرف نبيًّا يخرج من العرب، وإن هذا الرجل يريد أن يضعكم ويصغر شأنكم، وأنتم أولياء الله وأحباؤه فلا تتبعوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس﴾ هو ما قلنا.

وقوله: ﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ أى: صادقين أنكم أولياء الله، فإنكم إذا متم وصلتم إلى كرامة الله وجنته على زعمكم، فتمنوا لتصلوا. وفى أكثر التفاسير:أن الآية معجزة للرسول ﷺ، فإن الله كان قد قضى أنهم لو تمنوا ماتوا فى وقتهم ذلك، فلم يتمن أحد منهم، ففى صرفهم عن التمنى مع حرصهم على إظهار كذب الرسول، وفى علمهم أنهم لو تمنوا ماتوا، دليل بيِّن على صدق الرسول ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم﴾ أخبر أنهم لا يتمنون، ولم يتمن أحد منهم.

وقوله: ﴿والله عليم بالظالمين﴾ أى: بظلمهم على أنفسهم بكتمانهم وصف الرسول –عليه الصلاة والسلام– فى كتبهم.

قوله تعالى: ﴿قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾ فى الآية دليل على أنهم لو تمنوا ماتوا، وإنهم لم يتمنوا فراراً من الموت.

وقوله: ﴿فإنه ملاقيكم﴾ أى: الموت ملاقيكم.

مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ

وقوله: ﴿ ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة ﴾ أى: عالم بما ظهر وخفى.

وقوله: ﴿ فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ أى: بما عملتم.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة ﴾ أى: لصلاة الجمعة من يوم الجمعة، وسمى اليوم جمعة ؛لأنه جمع فى هذا اليوم خلق آدم. وقد روى بعضهم هذا مرفوعا إلى النبى ﷺ (١).

وقوله تعالى: ﴿ فاسعوا إلى ذكر الله ﴾ قرأ عمر وابن مسعود وابن الزبير: « فامضوا إلى ذكر الله ». قال ابن مسعود: لو قرأت: « فاسعوا إلى ذكر الله » لسعيتُ حتى يسقط ردائى. والمعروف: « فاسعوا » وقد روى عن بعض التابعين أنهم كانوا يعدون. قال ثابت البنانى: كنت عند أنس بن مالك :فنودى لصلاة الجمعة فقال: قم نسع. والصحيح أن السعى هاهنا بمعنى العمل والفعل، قاله مجاهد وغيره، وحكى ذلك عن الشافعى،واستشهد بقوله تعالى: ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾(٢) أى: إلا ما عمل، وكذلك قوله تعالى: ﴿ إن سعيكم لشتى ﴾(٣) وأمثال هذا. وقد قال الشاعر:

أسعى على جُلِّ بنى مالكٍ ... كل امرئ فى شأنه ساعى

فالسعى هاهنا بمعنى العمل والتصرف .وعن الحسن وقتادة: أن المراد من قوله: ﴿ فاسعوا ﴾ هو النية بالقلب والإرادة لها. وقال عبد الله بن الصامت: كنت أمشى مع أبى ذر إلى الجمعة فسمعنا النداء للصلاة، فرفعت فى مشى، فجذبنى جذبة، وقال:

(١) رواه أحمد (٥ / ٤٣٩)، والطبرانى فى الكبير (٦ / ٢٣٧ رقم ٦٠٨٩) ،والحاكم (١ / ٢٧٧) وصححه ،كلهم من حديث سلمان مرفوعا به. وزاد السيوطى فى الدر (٦ / ٢٣٩) نسبته لسعيد بن منصور، والنسائى، وابن أبى حاتم ،وابن مردويه.

(٢) النجم: ٣٩.

(٣) الليل: ٤.

خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا

ألسنا نسعى. وقوله: ﴿إلى ذكر الله﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الخطبة ،والآخر: أنه الصلاة. وهو الأصح.

وقوله تعالى: ﴿وذروا البيع﴾ أى: واتركوا البيع. ويقال المراد منه: إذا دخل وقت الصلاة وإن لم يؤذن لها بعد، ويقال: إنه بعد سماع النداء. والأول أحسن. ومن قال بالثاني، قال: النداء هو الآذان إذا جلس الإمام على المنبر ،وهو الذى كان فى زمان رسول الله ﷺ، وأما الآذان الأول أحدثه عثمان -رضى الله عنه- حين كثر الناس. والمراد من قوله: ﴿وذروا البيع﴾ أى: البيع والشراء وكل ما يشغل عن الجمعة. واختلف العلماء أنه لو باع هل يجوز ذلك البيع؟ فذهب أكثرهم إلى أن البيع جائز، والنهى نهى كراهة. وذهب مالك وأحمد إلى أن البيع لا يجوز أصلا. وحكى بعضهم عن مالك أنه رجع من التحريم إلى الكراهة، والقول الأول أولى؛لأن الله تعالى قال: ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ جعل ترك البيع خيرا،وهذا يشير إلى الكراهة فى الفعل دون التحريم، ولأن النهى عن العقد للاشتغال عن الجمعة لا لعين العقد.

قوله تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ أى: فرغ منها.

قوله تعالى: ﴿فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ هو أمر ندب لا أمر حتم وإيجاب، مثل قوله تعالى: ﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾(١) وعن ابن محيريز قال: يعجبنى أن يكون لى حاجة بعد الجمعة فأنصرف إليها ،وابتغى من فضل الله منها. وعن عبد الله [بن](٢) بسر: أنه كان يخرج من المسجد إذا صلى الجمعة ،ثم يعود ويجلس إلى أن يصلى العصر. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ فى معنى قوله

(١) المائدة: ٣.

(٢) من "ك".

تعالى: ﴿ فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ قال: «ليس هو طلب دنيا ،وإنما هو عيادة مريض، أو شهود جنازة، أو زيارة أخ فى الله». والخبر غريب[1].

وقوله: ﴿ واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها ﴾ سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ كان على المنبر يخطب، وقد كان أصاب أهل المدينة غلاء ومجاعة، فقدمت عِير تحمل الطعام- ويقال: كانت لدحية بن خليفة الكلبى- فنزلوا عند أحجار الزيت، وضربوا بالطبل ليعلم الناس، فسمع المسلمون ذلك فى المسجد فذهبوا إليها، وبقى النبى ﷺ مع اثنى عشر نفرا فيهم أبو بكر وعمر. وأورد البخارى خبرا فى هذا، وأورد هذا العدد[2]. وقيل: فى [ثمانية][3] رجال ، والأول أصح ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

والتجارة معلومة ،وهى التجارة فى الطعام وتحصيلها، واللهو هو الطبل،قاله مجاهد. ويقال: هو المزامير، وكان الأنصار يستعملون ذلك إذا زفوا امرأة إلى زوجها، وذلك مثل الدف والطبل وما يشبهه، فعلى هذا القول سمع المسلمون صوتها فى السوق – وكانوا يزفون امرأة – فذهبوا إليها، والأول هو المشهور، وهو الثابت.

وقوله: ﴿ وتركوك قائما ﴾ لأنه كان يخطب، وفيه دليل على أن السنة أن يخطب قائما، وأول من خطب قاعداً معاوية وتبعه على ذلك مروان. والسنة ما بينا. فإن قال قائل: كيف قال: ﴿ انفضوا إليها ﴾ وقد تقدم سببان؛التجارة واللهو،ولم يقل: «انفضوا إليهما»؟ والجواب أن معناه: وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها، وإذا رأوا لهواً انفضوا إليه، فاكتفى بأحدهما عن الآخر. وقد ذكرنا من قبل أن العرب قد تذكر شيئين وترد الكناية إلى أحدهما، والمراد كلاهما، قال الشاعر:

---

(١) رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٢٨/ ٦٧) عن أنس مرفوعاً، وعزاه السيوطى فى الدر (٦/ ٢٤٣) للطبرى فقط.

(٢) متفق عليه من حديث جابر، رواه البخارى (٢/ ٤٩٠ رقم ٩٣٦ وأطرافه: ٢٠٥٨، ٢٠٦٤، ٤٨٩٩)، ومسلم (٦/ ٢١٥ – ٢١٦ رقم ٨٦٣).

(٣) فى "الأصل ،وك" :ثمان، والمثبت هو الصواب .

إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾.

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأى مختلف

ويقال: فى الآية تقديم وتأخير ومعناه: وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهواً والانفضاض هو الذهاب بسرعة.

وقوله: ﴿قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة﴾ أى: ذكر الله تعالى والاشتغال فى الصلاة خير من اللهو والتجارة ،وقوله: ﴿والله خير الرازقين﴾ قال الزجاج معناه: أنه يرزقكم ولا يمسكه عنكم فلا تشتغلوا بطلبه عن الصلاة وعن ذكر الله. ويقال: الرزق مسجلة للبر والفاجر. وروى الحسن البصرى أن النبى ﷺ قال حين نفر الناس إلى العير وبقى فى اثنى عشر رجلا: «لو لحق آخرهم أولهم لاضطرم الوادى عليهم نارا»(١).

وقد وردت أخبار كثيرة فى فضل الجمعة وثوابها منها: ما روى سعيد بن المسيب، عن جابر ،عن عبد الله أن النبى ﷺ قال: «يا أيها الناس توبوا إلى ربكم من قبل أن تموتوا ،وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشْغلوا، وصلُوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له والصدقة فى السر والعلانية تُنصروا وتُجبروا وتُرزقوا، واعلموا أن الله تعالى قد فرض عليكم الجمعة فى مقامى هذا فى يومى هذا فى شهرى هذا فى عامى هذا إلى يوم القيامة ،فمن تركها فى حياتى أو بعد موتى وله إمام عادل أو جائر استخفافا بها وجحودا لها، ألا فلا جمع الله شَمْلَهُ، ولا بارك له فى أمره ألا لا...»(٢).

---

(١)رواه عبد حميد كما فى الدر(٦ / ٢٤٤)،وأورده شاهداً عن ابن عباس ، وعزاه لابن مردويه فى تفسيره.

(٢) رواه ابن ماجه (١ / ٣٤٣ رقم ١٠٨١)، وأبو يعلى (٣ / ٣٨١ - ٣٨٢ رقم ١٨٥٦)، وابن عدى (٤ / ١٨١)، والعقيلى (٢ / ٢٩٨)، وابن حبان فى المجروحين (٢ / ٣٠٥ - ٣٠٦) ، والبيهقى (٣ / ٩٠ ، ١٧١) وضعفه، والخطيب (٣ / ٢٦٦ - ٢٦٧) عن جابر به. وقال أبو حاتم (العلل ٢ / ١٢٨ - ١٢٩): هو حديث منكر. وفى الباب عن أبى هريرة، وأبى سعيد، وطلحة بن عبيد الله. وانظر: علل الدارقطنى (٩ / ٢١٠) وقد ذكر من حديث جابر وأبى هريرة: وقال:كلاهما غير ثابت. وابن عدى (٣ / ٤٤)، ومسند عمر بن عبد العزيز للباغندى (رقم ٨٨) والهيثمى فى المجمع (٢ / ١٧٢)،وغيرهم.

وروى مالك ،عن سمى ،عن أبى صالح ،عن أبى هريرة،أن النبى ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا [شرع][1] الإمام طويت الصحف، وحضرت الملائكة يستمعون الذكر»[2] . قال رضى الله عنه: أخبرنا بذلك أبو الحسين[3] بن النقور، أخبرنا أبو طاهر المخلص[4] أخبرنا يحيى بن محمد بن صاعد ،أخبرنا أبو مصعب عن مالك الخبر.

وورد أيضًا برواية عمران بن الحصين ،عن أبى بكر الصديق -رضى الله عنه- أن النبى ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسلت ذنوبه وخطاياه ،فإذا راح كتب الله بكل قدم عمل عشرين سنة، فإذا قضيت الصلاة أجيز بعمل مائتى سنة»[5] والخبر غريب جداً.

والخبر الثالث أن النبى ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة من الجنابة ،ولبس من صالح ثيابه ،ومس من طيب بيته ،ولم يفرق بين اثنين غفر له ما بينه وبين الجمعة

---

(١) فى «الأصل، وك»: شرح.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٢ / ٤٢٥ - ٤٢٦ رقم ٨٨١)، ومسلم (٦ / ١٩٣ رقم ٨٥٠).

(٣) فى «ك»: الحسن، خطأ. وهو أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن النقور البغدادى. تاريخ بغداد (٤ / ٣٨١ - ٣٨٢)، والسير (١٨ / ٣٧٢ - ٣٧٤) وغيرهما.

(٤) فى «الأصل»: أبو طاهر بن المخلص، وهو أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس البغدادى الذهبى، مخلص الذهب من الغش، فالمخلص لقب له لا لأبيه كما فى ترجمته من تاريخ بغداد (٢ / ٣٢٢ - ٣٢٣)، والسير (١٦ / ٤٧٨ - ٤٨٠).

(٥) رواه أبو بكر المروزى فى مسند أبى بكر الصديق (رقم ١٣١)، والطبرانى فى الكبير (١٨ / ١٣٩ - ١٤٠ رقم ٢٩٢)، وفى الأوسط (٢ / ٢١١ رقم ٩٦٥ مجمع البحرين)، والعقيلى (٢ / ٢٢٠)، وابن عدى (٤ / ٩٩)، وابن الجوزى فى العلل (١ / ٤٦٠ - ٤٦١ رقم ٧٨٧). وقال الهيثمى فى المجمع (٢ / ١٧٧): رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، وفيه الضحاك بن حمزة ضعفه ابن معين والنسائى وذكره ابن حبان فى الثقات. وذكره الدارقطنى فى العلل (١ / ٢٦٠ - ٢٦١ رقم ٥٣) وقال: والحديث غير ثابت.

الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ». ذكره البخارى فى كتابه[1].

وورد أيضا فى بعض الأخبار أن النبى ﷺ قال: « من ترك الجمعة ثلاث مرات من غير عذر طبع الله على قلبه »[2]. والله أعلم.

(١) رواه البخارى (٢ / ٤٣٠ - ٤٣١ رقم ٨٨٣ وطرفه ٩١٠)، والنسائى (٣ / ١٠٤ رقم ١٤٠٣)، وأحمد (٥ / ٤٣٨، ٤٤٠)، والدارمى (١ / ٤٣٥ رقم ١٥٤١)، وابن حبان فى صحيحه (٧ / ١٤ رقم ٢٧٧٦).

(٢) رواه أبو داود (١ / ٢٧٧ رقم ١٠٥٢)، والترمذى (٢ / ٣٧٣ رقم ٥٠٠) وحسنه، والنسائى (٣ / ٨٨ رقم ١٣٦٩)، وابن ماجه (١ / ٣٥٧ رقم ١١٢٥)، وأحمد (٣ / ٤٢٤)، والدارمى (١ / ٤٤٤ رقم ١٥٧١)، وابن خزيمة (٣ / ١٧٥ - ١٧٦ رقم ١٨٥٧، ١٨٥٨)، وابن حبان (٧ / ٢٦ رقم ٢٧٨٦)، والحاكم (١ / ٢٨٠) وصححه على شرط مسلم، والبيهقى (٣ / ١٧٢، ٢٤٧) عن أبى الجعد الضمرى.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً

تفسير سورة المنافقين

وهى مدنية فى قول الجميع. والله أعلم

قوله تعالى: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾ قال أهل التفسير: نزلت السورة فى شأن عبد الله بن أبى بن سلول وأصحابه، كانوا يأتون النبى ﷺ ويقولون: نحن مؤمنون بك، ونشهد إنك لرسول الله، وأن ما جئت به حق، ثم إذا رجعوا إلى ما بينهم أظهروا الكفر. وعن بعضهم: أن قوله تعالى: ﴿نشهد﴾ معناه: نحلف بدليل أن الله تعالى قال بعد هذه الآية: ﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾.

قال الشاعر:

وأشهد عند الله أنى أحبها فهذا لها عندى فما عندها ليا

أى: أحلف.

وقوله: ﴿والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ هو تطييب لقلب النبى ﷺ وتسلية له، ومعناه: أن علمى أنك رسول الله وشهادتى لك بذلك خير من شهادتهم.

وقوله: ﴿إنهم لكاذبون﴾ قال أبو عبيد: أى: الكافرون، يسمى الكفر باسم الكذب. وقال غيره: هو الكذب حقيقة. وسمى قولهم كذبا؛ لأنهم كذبوا على قلوبهم. وقيل: لما أظهروا بألسنتهم خلاف ما كان فى ضمائرهم سمى بذلك كذبا، كالرجل يخبر بالشىء على خلاف ما هو عليه.

قوله تعالى: ﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾ أى: سترة لما أبطنوه من الكفر. وقيل: جنة أى: يترسوا بها عن القتل، مثل المجن يتترس بها المقاتل عن سلاح العدو.

فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا

وقوله: ﴿ فصدوا عن سبيل الله ﴾ أى: منعوا الناس عن سبيل الإيمان. ومعنى صدهم الناس عن سبيل الله أنهم كانوا يقولون لضعفة المسلمين: إنا نشهد عند هذا الرجل ونظهر خلاف ما نسر، فلو كان نبيا لعلم إسرارنا، ومنعنا من المخالطة مع أصحابه.

وقوله: ﴿ إنهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ أى: بئس العمل عملهم. وقرئ فى الشاذ: «اتخذوا إيمانهم جنة» بكسر الألف، والمعروف أيمانهم بالفتح جمع اليمين.

قوله تعالى: ﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا ﴾ أى: آمنوا بألسنتهم، وكفروا بقلوبهم.

وقوله: ﴿ فطبع على قلوبهم ﴾ أى: ختم على قلوبهم فلا يدخلها الإيمان وقبول الحق.

وقوله: ﴿ فهم لا يفقهون ﴾ أى: لا يتدبرون، والفقه هو التدبر والتفهم. وقيل: فهم لا يفقهون أى: لا يعقلون، كأنهم لما لم يقبلوا الدين مع ظهور الدلائل عليه كانوا بمنزلة من لا يعقل.

قوله تعالى: ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ﴾ فى التفسير: أن عبد الله بن أبى ابن سلول كان رجل جسيماً فصيحا صبيحا ذلق اللسان. قال الزجاج: أخبر الله تعالى بصحة أجسامهم وحسن مناظرهم وفصاحة ألسنتهم. وهو فى قوله: ﴿ وإن يقولوا تسمع لقولهم ﴾ أى: للسان الذى لهم، ثم قال فى شأنهم: ﴿ كأنهم خشب مسندة ﴾ أى: هم مناظر بلا مخابر، وصور بلا معانى، وإنما مثَّلهم بالخشب؛ لأن الخشب لا قلب له ولا عقل، ولا يعى خبراً ولا يفهمه. ويقال فى العادة: فلان خشب أى: ليس له عقل ولا فهم. وقرئ: «خُشْبٌ» بسكون الشين، وكلاهما بمعنى واحد، يقال: بُدْن وبَدَنة وثُمُر وثَمرة، فالخُشُب والخُشْب جمع، والواحدة خشبة، ومثاله ما ذكرنا.

تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا

وقوله تعالى: ﴿مسندة﴾ أى: ممالة إلى الجدار. قال على بن عيسى: جعلهم كخشب نخرة، متآكلة فى الباطن، صحيحة فى الظاهر.

وقوله: ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ يعنى: إذا سمعوا نداء أو سمعوا من ينشد ضالة أو أى صوت كان، ظنوا أنهم المقصودون بذلك الصوت، وأن سرائرهم قد ظهرت للمسلمين، وهو وصف لجبنهم وخوفهم من المسلمين. وفى بعض التفاسير أن معناه: هو أن كل من سارَّ النبى ﷺ بشىء كانوا يظنون أن ذلك فى أمرهم وشأنهم. وقيل: كان كلما نزلت آية أو سورة ظنوا من الخوف أنها نزلت فيهم، قاله ابن جريج. وأنشدوا لجرير فى الجبن:

ما زلت تحسب كل شىء بعدهم ... خيلا تكر عليهم ورجالا

وقال غيره:

لقد خفت حتى لو تمر كمامةٌ ... لقلت عدوا وطليعة معشر

وقوله: ﴿هم العدو﴾ أى: الأعداء.

وقوله: ﴿فاحذرهم﴾ قال ذلك لأنهم يطلعون المشركين على أسرار المسلمين، ويجبنون ضعفاء المسلمين.

قوله: ﴿قاتلهم الله﴾ أى: أخزاهم وأهلكهم. وقيل: نزلهم منزلة من يقاتله عدو قاهر له.

وقوله: ﴿أنى يؤفكون﴾ أى: كيف يصرفون عن الحق مع ظهوره؟ وهو يتضمن تقبيح فعلهم وتعجيب رسول الله منهم.

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله﴾ كان المؤمنون يقولون للمنافقين: احضروا النبى ﷺ واعترفوا بذنوبكم يستغفر لكم، وكانوا يهزون

رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ

رءوسهم، وينظرون يمنة ويسرة استهزاء، وقيل: هذا في عبد الله بن أبى بن سلول خاصة. قال بعض الصحابة له ذلك فثنى رأسه وحركه استهزاء، فهو معنى قوله: ﴿لَوَّوْا رءوسهم﴾ ويقرأ بالتخفيف. ومعناه: ثنوا رءوسهم، ومن قرأ بالتشديد فهو تأكيد.

وقوله: ﴿ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون﴾ أى: يعرضون وهم ممتنعون عن الإيمان.

وقوله: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾ ومعناه: أن استغفارك لهم لا ينفعهم، وعندهم أن وجوده وتركه واحد. فإن قيل: كيف استغفر لهم رسول الله وقد علم أنهم منافقون؟ والجواب: أنه كان يستغفر لهم لأنهم كانوا يأتون يطلبون الاستغفار، ويسألون منه الصفح والعفو، مثل ما ذكرنا فى سورة التوبة، ولم يكن ينفعهم؛ لأنهم كانوا كفارا عند الله.

وقوله: ﴿إن الله لا يهدى القوم الفاسقين﴾ أى: المنافقين، وهم كفار وفساق ومنافقون. وحكى بعضهم عن حذيفة بن اليمان أنه قيل له: من المنافق؟ قال: الذى يصف الإيمان ولا يعمل به. وعن عمر - رضى الله عنه - قال: إنى لا أخاف عليكم مؤمنًا تبين إيمانه، ولا كافرًا تبين كفره، وإنما أخاف عليكم كل منافق عليم اللسان.

قوله تعالى: ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى يَنْفَضُّوا﴾ وقرئ فى الشاذ «حتى يَنفضُوا» من النفضِ أى: حتى ينفضوا أوعيتهم فيفتقروا ويتفرقوا.

وقوله: ﴿هم الذين يقولون﴾ يقال: الواو محذوفة، ومعناه: وهم الذين يقولون، وكذلك فى قوله: ﴿لئن رجعنا إلى المدينة﴾ أى: ويقولون، قال الشاعر:

لأمر ما تصرفت الليالي   لأمر ما تحركت النجوم

أى : ولأمر.

وقوله : ﴿لا تنفقوا على من عند رسول الله﴾ نزلت الآية على سبب، وهو ما رواه الزهرى، عن عروة، عن أسامة بن زيد أن عمر - رضى الله عنه - كان استأجر رجلا من غفار يقال له : « جَهْجَاه » ليعمل له فى بعض الغزوات، وهى غزوة « المُرَيْسِيع » فجرت بينه وبين رجل من الأنصار منازعة على رأس بئر للإسقاء[1] فقال الأنصارى : يا للأنصار، وقال جهجاه : يا للمهاجرين، فسمع النبى ﷺ ذلك فقال : « ما بال دعوى الجاهلية دعوها فإنها ميتة » . وبلغ ذلك عبد الله بن أبى بن سلول فغضب وقال : هذا مثل ما قال الأول سمن كلبك، وقال : أما إنكم لو أطعتمونى لم تنفقوا على من اجتمع عند هذا الرجل - وكان الأنصار ينفقون على المهاجرين، وكانوا ينفضون عنه - وقال : لئن رجعنا إلى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الأعز منها الأذل - وعنى بالأعز نفسه، وبالأذل محمداً ﷺ - فبلغ ذلك النبى ﷺ وقال عمر : دعنى أضرب عنق هذا المنافق. فقال عليه الصلاة والسلام : « لا يبلغ الناس أن محمدا يقتل أصحابه »[2] - أى : لا أقتله لهذا - قال رضى الله عنه : أخبرنا بذلك أبو على الشافعى بمكة، أخبرنا أبو الحسن بن فراس، أخبرنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم الديبلى، أخبرنا أبو عبد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومى، أخبرنا سفيان عن الزهرى ... الحديث.

وقد ذكر البخارى هذا الخبر فى كتابه برواية زيد بن أرقم قال : كنت مع عمر فى غزاة فسمعت عبد الله بن أبى بن سلول يقول لأصحابه : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، وقال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال فجئت إلى عمر وذكرت له ذلك، وذكر عمر ذلك لرسول الله ﷺ، فجاء ابن أبى بن سلول إلى النبى ﷺ وحلف أنه ما قاله فصدقه وكذبنى، فأصابنى من الهم ما لم يصبنى مثله قط حتى جلست فى بيتى، فأنزل الله تعالى هذه الآية والتى قبلها،

---

(١) فى « ك » للاستقاء.

(٢) ذكره الثعلبى بتمامه - تخريج الكشاف (٤ / ٣٥) - والواحدى فى أسباب النزول (٣٢١ - ٣٣٢) مختصراً كلاهما عن أصحاب السير.

﴿الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾

فدعاني رسول الله ﷺ وقال: «إن الله تعالى قد صدقك»(١).

وفي رواية سفيان عن عمرو بن دينار عن جابر «أن رجلا من المهاجرين كسع رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يالِلأنصار، وقال المهاجري: يالِلمهاجرين - وكان الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدم رسول الله ﷺ المدينة، ثم كثر المهاجرين من بعد - فلما سمع عبدالله بن أبي بن سلول ذلك قال ما ذكرناه، (وساق)(٢) الحديث قريبا من الذي ذكرناه أولا»(٣). قال رضي الله عنه: أخبرنا بذلك أبو علي الشافعي بمكة بالإسناد الذي ذكرنا عن سفيان.

وقوله: ﴿حتى ينفضوا﴾ أي: يتفرقوا.

وقوله تعالى: ﴿ولله خزائن السموات والأرض﴾ معناه: أنهم لو لم تنفقوا فلله خزائن السموات والأرض فهو يرزقكم. ويقال: خزائن السموات بالمطر، وخزائن الأرض بالنبات. وعن بعضهم: خزائن السموات ما قضاه، وخزائن الأرض ما أعطاه. وقال بعض أرباب الخواطر: خزائن السموات: الغيوب، وخزائن الأرض: القلوب. والصحيح الأول.

قوله: ﴿ولكن المنافقين لا يفقهون﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ قد ذكرنا، والأعز هو الأقدر على منع الغير، والأذل هو الأعجز عن نفع الغير. وقيل معناه: ليخرجن العزيزُ منها الذليلَ. وفي أفعل بمعنى فعيل قال الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٨/ ٥١٥ - ٥١٦ رقم ٤٩٠٢ - ٤٩٠٤)، ومسلم (١٧/ ١٧٦ - ١٧٨ رقم ٢٧٧٢).

(٢) في «ك»: وذكر.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٨/ ٥١٦ رقم ٤٩٠٥)، ومسلم (١٦/ ٢٠٧ - ٢٠٩ رقم ٢٥٨٤).

وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي

أى: عزيز طويلة.

وقوله: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ أى: الغلبة والمنعة والقوة، والعزة لله لعزة فى ذاته، والعزة لرسوله وللمؤمنين بما أعطاهم الله تعالى من الغلبة والمنعة والقوة.

وقوله: ﴿ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ أى: لا يعلمون أن العزة والغلبة لله ولرسوله وللمؤمنين.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم﴾ أى: لا تشغلكم، ومعناه: لا تشتغلوا بالقيام على أموالكم وأولادكم فيشغلكم ذلك عن ذكر الله كما شغل المنافقين. وذكر الله هو الإيمان به هاهنا.

وقوله: ﴿ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ أى: المغبونون بحظوظهم. ويقال: هم الذين غبنوا أنفسهم وخسروها فى الآخرة. وعن عطاء: أن ذكر الله هاهنا هو الصلوات الخمس. وقال الضحاك: هو جميع ما فرضه الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾ الأصح أنه الزكاة، وقيل: هو صدقة التطوع، وكل ما ندب الله تعالى إليه من النفقة فى الخيرات.

وقوله: ﴿من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى﴾ أى: هلا أخرتنى.

قوله: ﴿إلى أجل قريب﴾ أى: إلى مدة قريبة. قال ابن عباس: كل من كان له مال ولم يؤد زكاته يسأل الله الرجعة إذا حضره الموت. فقالوا له: يا ابن عباس، اتق الله، فإنما الرجعة للكافر، فقال: اتلوا هذه الآية: ﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾ الآية. وفى رواية: أن هذا فى الحج بدل الزكاة.

إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾

وقوله: ﴿ فأصدق وأكن من الصالحين ﴾ وقرئ: « وأكون »، ومن قرأ « وأكون » فهو معطوف على قوله فأصدق. وقيل لابن عمر: وكيف خالفت المصحف فى قوله: ﴿ وأكون من الصالحين ﴾؟ فقال: هو مثل قولهم فى هجاء أبجد كلمن، وهو كلمون.

وأما تقرير الآية على القراءة بدون الواو: « وإن أخرتنى أصدق وأكن من الصالحين ». وقيل: « أصدق » أى: أزكى، « وأكن من الصالحين » أى: أحج.

قوله تعالى: ﴿ ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها ﴾ أى: لا يتقدم ولا يتأخر إذا جاء الأجل.

وقوله: ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾ ظاهر المعنى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ

تفسير سورة التغابن

وهى مدنية فى قول الأكثرين. وقال الضحاك: مكية. وقال الكلبى: مكية ومدنية. ومعناه: أن بعضها مكية، وبعضها مدنية. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير﴾ قد ذكرنا معانى هذا من قبل.

قوله تعالى: ﴿هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ قال على بن أبى طلحة الوالبى: خلقكم كفارا وخلقكم مؤمنين، قاله ابن عباس، وقد أيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيداً وحصوراً﴾(١) فأخبر أن الله تعالى خلقه كذلك. وفى الخبر أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إن الله تعالى خلق يحيى سعيداً فى بطن أمه، وخلق فرعون كافرًا فى بطن أمه»(٢).

وروى سفيان عن عمرو بن دينار عن [أبى](٣) الطفيل قال: سمعت ابن مسعود - رضى الله عنه - يقول: الشقى من شقى فى بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره. فقلت: ثكلت أم الشقى من قبل أن يعمل، فلقيت حذيفة بن أسيد - وكنيته أبو شريحة الغفارى - فذكرت له ذلك فقال: ألا أخبرك بأعجب من هذا! سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا استقرت النطفة فى رحم المرأة أربعين ليلة - أو قال: خمسا

(١) آل عمران: ٣٩.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير (١٠/ ٢٢٤ رقم ١٠٥٤٣)، وابن عدى فى الكامل (١/ ٣٥٠، ٦/ ٢١٦، ٧/ ٣٣)، والآجرى فى الشريعة (١٨٥ - ١٨٦)، وأبو نعيم فى تاريخه (٢/ ١٩٠)، وابن بطة فى الإبانة (٢/ ٢/ ٣٢ - ٣٣ رقم ١٤١٥، ١٤١٦) من حديث ابن مسعود. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٩٦): رواه الطبرانى وإسناده جيد.

(٢) فى «الأصل وك»: ابن، وهو تحريف، وأبو الطفيل هو عامر بن واثلة، والحديث فى مسلم وغيره من رواية أبى الطفيل عن حذيفة بن أسيد.

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ

وأربعين ليلة - دخل عليها الملك فيقول : أى رب، شقى أو سعيد؟ فيقول الله، ويكتب الملك. فيقول : أذكر أم أنثى؟ فيقول الله، ويكتب الملك. فيقول : يارب، ما أجله؟ ما عمله؟ ما رزقه؟ ما مصيبته؟ فيقضى الله تعالى، ويكتب الملك، ثم يطوى الصحيفة، فلا يزاد ولا ينقص إلى يوم القيامة »(١).

وروى سفيان أيضا عن طلحة بن يحيى، عن عمته، عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين أن النبى ﷺ أتى بصبى من الأنصار ليصلى عليه، فقلت : طوباه عصفور من عصافير الجنة. فقال : « أو غير ذلك يا عائشة؛ إن الله تعالى خلق الجنة وخلق لها أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلا وهم فى أصلاب آبائهم »(١).

قال رضى الله عنه : أخبرنا بهذين الحديثين أبو على الشافعى بمكة، أخبرنا أبو الحسن بن فراس، أخبرنا الديبلى، أخبرنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومى، عن سفيان بن عيينة.. الخبر كما ذكرنا.

والقول الثانى فى الآية أن معناها : فمنكم كافر بأن الله خلقه، ومنكم مؤمن ومنكم فاسق. والمعروف هو القول الأول.

وقوله : ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ ظاهر.

قوله تعالى : ﴿ خلق السموات والأرض بالحق ﴾ أى : بالعدل. ويقال : بإحكام الصنعة وحسن (التقدير)(٢)، ويقال : للحق.

وقوله : ﴿ وصوركم فأحسن صوركم ﴾ قال مقاتل : خلق آدم بيده، فهو معنى قوله : ﴿ وصوركم فأحسن صوركم ﴾ وعن غيره : أنه فى معنى قوله تعالى : ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ﴾(٣) وعن بعضهم قال : خلق الإنسان فى أحسن

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى « ك » : التدبير.

(٣) التين : ٤.

صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾

صورة، ولو عرض الله عليه الصور ما اختار غير صورته.

وقوله: ﴿وإليه المصير﴾ أى: المرجع.

قوله تعالى: ﴿يعلم ما فى السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور﴾ أى: بما تكنه الصدور.

قوله تعالى: ﴿ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل﴾ هذا خطاب لمشركى قريش.

وقوله: ﴿فذاقوا وبال أمرهم﴾ أى: فى الدنيا.

وقوله: ﴿ولهم عذاب أليم﴾ أى: فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ أى: بالدلالات الواضحات.

وقوله: ﴿فقالوا أبشر يهدوننا﴾ مثل قوله تعالى: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا﴾[1].

وقوله: ﴿فكفروا وتولوا﴾ أى: جحدوا وأعرضوا.

وقوله: ﴿واستغنى الله﴾ يعنى: أن الله غنى عن طاعتهم وعبادتهم وتوحيدهم.

وقوله: ﴿والله غنى حميد﴾ أى: مستغنى عن أفعال العباد، مستحمد إلى خلقه بالإنعام عليهم. ويقال: حميد أى: مستحق للحمد. ويقال: حميد أى: يحب أن يحمد. وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: «ما أحد [أغير][2] من الله وما أحد أحب إليه

---

(١) الإسراء: ٩٤.

(٢) فى «ك»: أغنى

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ

الحمد من الله، وما أحد أحب إليه العذر من الله»(١).

وقوله تعالى: ﴿زعم الذين كفروا﴾ حكى عن مجاهد أنه كان يكره لفظة زعموا، وكذلك حكى عن ابن مسعود. وفى بعض التفاسير عن ابن عمر قال: كنية الكذب. ونحو ذلك عن شريح. فزعموا هاهنا بمعنى قالوا وأخبروا، قال الشاعر:

ألا زعمت بسباسة اليوم أننى ... كبرت وألا يحسن السر أمثالى

وقوله: ﴿أن لن يبعثوا﴾ يعنى: بعد الموت.

وقوله: ﴿قل بلى وربى لتبعثن﴾ قوله: ﴿بلى﴾ فى هذا الموضع لتكذيب القوم فيما زعموا، وهو مثل قول القائل لغيره: وقد أمرتك بكذا وكذا، فيقول الرجل: ما سمعت وما أمرتنى به، فيقول: بلى، أى: وكذبت، قد سمعت وقد أمرتك.

وقوله: ﴿ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾ أى: هين.

قوله تعالى: ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا﴾ أى: القرآن الذى أنزلناه على محمد ﴿والله بما تعملون خبير﴾ أى: عليم.

قوله تعالى: ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾ أى: يوم القيامة، وسمى يوم الجمع؛ لأنه يجتمع فيه الأولون والآخرون، ويجتمع أهل السموات وأهل الأرض.

وقوله: ﴿ذلك يوم التغابن﴾ عن ابن عباس أنه قال: هو اسم ليوم القيامة. وفى التغابن معنيان: أحدهما: أن أهل الحق يغبنون أهل الباطل، وأهل الإيمان يغبنون أهل الكفر.

---

(١) متفق عليه عن ابن مسعود، رواه البخارى (٨/١٤٦ رقم ٤٦٣٤، وأطرافه: ٤٦٣٧، ٥٢٢٠، ٧٤٠٣)، ومسلم (١٧/١٢٠ - ١٢١ رقم ٢٧٦٠).

وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن

والقول الثانى : أن الله تعالى سمى لكل أحد من خلقه منزلا فى النار ومنزلا فى الجنة، فمن كان مؤمنا يرث منزل الكافر فى الجنة، ومن كان كافراً يرث منزل المؤمن فى النار، وهو معنى التغابن يوم القيامة. وعن بعضهم : أن الغبن هو أخذ الشيء بدون قيمته، فبالتفاوت الذى يقع بين القيمة وما دونها يحصل التغابن، فالمؤمنون لما عملوا للجنة وللنعيم الباقى فقد غبنوا أهل النار، والكفار لما اختاروا النعيم المنقطع على النعيم الباقى، والدار التى تفنى على الدار التى لا تفنى؛ فقد غبنوا. قال زيد بن على : غبنوا أنفسهم. والغبن هاهنا يعنى الخسران فى (غير)[1] هذا الموضع.

وقوله تعالى : ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى : ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير﴾ أى : المرجع والمنقلب.

قوله تعالى : ﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله﴾ أى : بعلمه وقضائه وتقديره.

وقوله : ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ قال علقمة : ومن يؤمن بالله فى المصيبة أى : يعلم أنها من الله يهد قلبه للاسترجاع والتسليم لأمر الله تعالى. ومثله عن سعيد بن جبير. وعن بعضهم : يهد قلبه أى : للصبر إذا ابْتُلِى، وللشكر إذا أُنعم عليه، وللعفو إذا [ظلم][1] وقال عكرمة : يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه. وذكر الأزهرى فى كتابه أن معنى قوله : ﴿يهد قلبه﴾ أى : يجعله مهتديا، وقد أيد هذا القول ما حكى عن ابن جريج أنه قال : من عرف الله فهو مهتدى القلب.

---

(١) كذا، وأظنها مقحمة.

(٢) فى «الأصل وك» : أظلم.

يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ

وقوله: ﴿والله بكل شيء عليم﴾.

قوله تعالى: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ أى: البين.

قوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾ أى: أعداء لكم فاحذروهم. قال ابن عباس: نزلت الآية فى قوم أسلموا بمكة، وكانوا يريدون أن يهاجروا إلى المدينة فيمنعهم أولادهم وأهلوهم ويقولون: فارقتمونا بدينكم فلا تفارقونا بأنفسكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وعن مجاهد قال: نزلت الآية فى عوف بن مالك الأشجعى، وكان قد لقى جفاء من أهله وولده.

وقوله: ﴿وأن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾ قال ابن عباس: لما تخلف هؤلاء بسبب أهليهم وأولادهم ثم هاجروا من بعد فرأوا قوما قد أسلموا من قومهم، وتقدموا فى الهجرة وتفقهوا فى الدين، حزنوا لذلك حزنا شديداً، وهموا أن يعاقبوا أهليهم وبنيهم ويتركوا الإنفاق عليهم، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وأن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾.

قوله تعالى: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ أى: بلاء ومحنة، ومعنى البلاء والمحنة من الأموال والأولاد أنه يشتغل بهم عن طاعة الله تعالى، ويحمله طلب المال ورضا الأولاد على معصية الله تعالى. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «الولد مبخلة مجبنة محزنة مجهلة»(١). ومعناه: أنه يحمل على البخل والجبن والحزن

---

(١) تقدم تخريجه.

وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا

والجهل. وعن عيسى ابن مريم – عليه السلام – قال: من اتخذ أهلا ومالا وولداً كان للدنيا عبداً.

وروى عبد الله بن بريدة [عن أبيه][1] «أن النبى ﷺ كان يخطب فدخل الحسن والحسين – رضى الله عنهما – وعليهما قميصان أحمران يعثران فى ذلك، فنزل النبى ﷺ عن المنبر وحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ ثم قال: رأيت هذين الصبيين يعثران فى قميصهما، فما ملكت نفسى حتى نزلت وحملتهما»[2].

وأنشدوا فى لفظ الفتنة لبعضهم:

قد فتن الناس فى دينهم — وخلى ابن عثمان شراً طويلا

يعنى: قد ابتلى الناس.

وقوله: ﴿والله عنده أجر عظيم﴾ أى: كثير.

قوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ قال ربيع بن أنس: بجهدكم وطاقتكم. وروى معمر، عن قتادة أن هذه الآية نسخت قوله تعالى: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾[2] ومثل هذا عن جماعة من التابعين. وقال جماعة من أهل العلم: الأولى أن يقال: هذه الآية رخصة وليست بناسخة. وذكر القفال أن هذه الآية مبينة لقوله تعالى: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾[3] لأن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها. وذكر مثل ذلك على ابن عيسى وغيره.

---

(١) سقوط من «الأصل، وك»، والمثبت من كتب التخريج.

(٢) رواه أبو داود (١ / ٢٩٠ رقم ١١٠٩)، والترمذى (٥/٦١٦ – ٦١٧ رقم ٣٧٧٤) وقال: حسن غريب، والنسائى (٣/١٠٨ رقم ١٤١٣، ١٥٨٥)، وابن ماجه (٢/ ١١٩٠ رقم ٣٦٠٠)، وأحمد (٥/ ٣٥٤)، وابن أبى شيبة (١٢/ ٩٩ – ١٠٠)، وابن خزيمة (٢/ رقم ١٤٥٦، ٣/ رقم ١٨٠١، ١٨٠٢)، والطبرى (٢٨ / ٨١)، وابن حبان فى صحيحه (١٣ / ٤٠٢ – ٤٠٣ رقم ٦٠٣٨، ٦٠٣٩)، والحاكم (١ / ٢٨٧) وصححه على شرط مسلم، والبيهقى (٣/١٢١٨)، والبغوى (٤/ ٣٥٤).

لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴿١٦﴾ إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم ﴿١٧﴾

والمختار ما عليه السلف، وهو القول الأول. وقد ذكرنا عن ابن مسعود فى قوله تعالى: ﴿ اتقوا الله حق تقاته ﴾(١) هو أن يطاع فلا يعصى، ويذكر ولا ينسى، ويشكر فلا يكفر.

وقوله: ﴿ واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ﴾ نصب قوله: ﴿ خيراً ﴾ على تقدير: اتقوا فى الإنفاق خيراً. ومثله قوله تعالى: ﴿ انتهوا خيراً لكم ﴾(٢).

وقوله: ﴿ ومن يوق شح نفسه ﴾ أى: بخل نفسه، ويقال: الشح هو منع حقوق الله الواجبة. وقال سفيان بن عيينة: الشح هاهنا هو الظلم دون البخل؛ لأن الله تعالى قد قال: ﴿ ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ﴾(٣).

وقوله: ﴿ فأولئك هم المفلحون ﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ إن تقرضوا الله قرضا حسنا ﴾ قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: هو الإنفاق فى سبيل الله. ويقال: هو جميع حقوق المال، وسمى ذلك قرضا؛ لأن الله تعالى يثيبهم عليه ويعطيهم عوضه، فهو بمنزلة القرض.

وفيه قول ثالث: أن الإقراض هاهنا هو قول القائل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. وذكر القفال: أن بعض السلف كان إذا سمع سائلا يقول: من يقرض الله قرضا حسنا يقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. وأما قوله ﴿ حسنا ﴾ أى: طيبة بها أنفسكم. ويقال: من خيار المال لا من رذاله.

وقوله: ﴿ يضاعفه لكم ﴾ أى: يجعل الواحد عشرا. ويقال: يضاعف لا إلى عدد معلوم.

وقوله: ﴿ ويغفر لكم والله شكور حليم ﴾ الشكر من الله هو جزاؤه المحسنين جزاء

---

(١) آل عمران: ١٢، النساء: ١.

(٢) النساء: ١٧١.

(٣) محمد: ٣٨.

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾

من يشكرهم على إحسانهم. ويقال: الشكر من الله هو العفو عن السيئات وقبول الحسنات. ويقال: هو العفو عن الكثير وقبول القليل.

وقوله: ﴿ حليم ﴾ معناه: إمهال العباد وترك معاجلتهم بالعقوبة.

قوله تعالى: ﴿ عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ﴾ ظاهر المعنى.

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ

تفسير سورة الطلاق

وهى مدنية فى قول الجميع

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبى إذا طلقتم النساء﴾ فإن قيل: كيف خاطب النبى ﷺ وحده فى الابتداء ثم قال: ﴿إذا طلقتم النساء﴾؟ والجواب من أوجه: أحدها: أن خطاب النبى - عليه الصلاة والسلام - خطاب لأمته، مثل خطاب الرئيس يكون خطابا للأتباع وكأنه قال: ياأيها النبى والمؤمنون إذا طلقتم النساء.

والجواب الثانى أن قوله: ﴿إذا طلقتم النساء﴾ على تحويل الخطاب إلى الغير مثل قوله تعالى: ﴿حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها..﴾(١).

والجواب الثالث: أن فيه تقدير محذوف، وتقديره: ياأيها النبى قل للمؤمنين إذا طلقتم النساء. وروى قتادة عن أنس أن النبى ﷺ طلق حفصة،فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال له جبريل: يقول لك ربك : راجعها فإنها صوَّامة قوَّامة، وهى من أزواجك فى الجنة.

وقوله: ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ معناه: لزمان عدتهن وهو الطهر، وفيه دليل على أن الأقراء التى تنقض بها العدة هى الأطهار، وهذا قول أهل الحجاز. وأما من قال: إن الأقراء هى الحيض، قال معنى قوله: ﴿لعدتهن﴾ أى: ليعتددن مثل قوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا﴾(٢) أى: ليحزنوا، ذكره النحاس، وقرأ فى الشاذ: «فطلقوهن لقبل عدتهن» وقيل: إنها قراءة النبى ﷺ، فمن قال: إن الأقراء هى الحيض استدل بهذه القراءة، لأن هذه اللفظة تقتضى أن يكون زمان الطلاق قبل

(١) يونس: ٢٢.

(٢) القصص: ٨.

وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ

زمان العدة، وأن زمان العدة يتعقب زمان الطلاق.

وأما من قال: بأن الأقراء هن الأطهار، قال فمعنى قوله: «لقبل عدتهن» أى: لوجه عدتهن؛ فإن قيل: إن قُبُلَ الشيء وجهه، والمراد فى أول زمان الطهر، فإن قيل: أول زمان الطهر وآخره واحد فى الطلاق؛ فليس المعنى إلا ماذكرنا.

قلنا: ليس كذلك، بل الأولى أن يطلق فى أول زمان الطهر إذا أراد الطلاق؛ لأنه إذا أخر لم يأمن أن يجامعها ثم يطلق، فيكون قد طلق طلاق البدعة.

وقد روى عن عمر وابن مسعود وابن عباس ومجاهد وغيره من التابعين معنى قوله: ﴿لعدتهن﴾ أى: طاهرا من غير جماع. وقد ثبت هذا اللفظ عن النبى ﷺ برواية نافع عن ابن عمر أنه طلق امرأته فى حال الحيض، فقال له النبى ﷺ: «راجعها ثم أمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شئت طلقها طاهرا من غير جماع»(١). وتلك العدة التى أمر الله تعالى أن يطلق لها النساء. وفى رواية: أنه قال لعمر: «مره فليراجعها». وفى رواية «ثم إذا طهرت إن شاء طلقها طاهرا من غير جماع» ولم يذكر ثم تحيض ثم تطهر. وعن أنس[و](٢) ابن سيرين أنه قال لابن عمر: «احتسبت بتلك الطلقة؟ قال: نعم.

(وفى رواية: خمسة)(٣). وفى رواية ثالثة: قال: نعم وإن عجزت واستحمقت.

وقوله: ﴿وأحصوا العدة﴾ هذا خطاب للأزواج ،أمرهم أن يحصوا العدة ليعرفوا زمان الرجعة ومدة انقطاعها. ويقال: ليعرفوا مدة الإنفاق عليهن.

وقوله: ﴿واتقوا الله ربكم﴾ يعنى: طلقوا للسنة، ولاتطلقوا للبدعة. ويقال: اتقوا ربكم فى ترك إخراجهن من البيوت، وأما صفة طلاق السنة فهو من حيث الوقت أن

---

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٩/ ٣٥٨ رقم ٥٢٥١)، ومسلم (١٠/ ٨٨ – ١٠٢ رقم ١٤٧١).

(٢) من «ك»

(٣) كذا! وأظنها مقحمة.

يطلقها طاهراً من غير جماع، وأما من حيث العدة ،فمذهب مالك والثورى وأبى حنيفة وكثير من العلماء أنه يكره الطلاق ثلاثا جملة، والسنة أن يطلقها واحدة ويتركها حتى تنقضى عدتها، هذا هو الأولى، قاله مالك. وإن أراد أن يطلق ثلاثا فرق على الأطهار، فيطلق لكل طهر طلقة، وأما مذهب الشافعى - رحمه الله - أنه ليس فى الجمع والتفريق سنة ولا بدعة. وقد ذكر الأصحاب الأولى أن يطلق واحدة وإن لم يكره الجمع بين الثلاث، قالوا: وهو المذهب. وفى الآية دليل (الشافعى)(١) على قوله؛ لأن الله تعالى أباح الطلاق بقوله: ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ مطلقا ولم يفرق بين أن يطلق واحدة أو أكثر منها، ولأن الله تعالى بين وقت الطلاق ولم يبين عدده، والآية وردت لبيان المسنون من الطلاق، فلو كان فى عدد الطلاق سنة لم يؤخر بيانها.

وقوله: ﴿لاتخرجوهن من بيوتهن﴾ أى: فى زمان العدة، ونسب البيوت إليهن لأجل السكنى.

وقوله: ﴿ولايخرجن﴾ أى: لايخرجن بأنفسهن.

وقوله: ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ اختلف القول فى معنى الفاحشة هاهنا، فأظهر الأقاويل: أنها الزنا، وهذا قول ابن مسعود وإحدى الروايتين عن ابن عباس وهو قول الحسن والشعبى وعكرمة و(حماد بن أبى سلمة)(٢) والليث وجماعة كثيرة، والمراد من الآية على هذا إلا أن تزنى فتخرج لإقامة الحد.

والقول الثانى: أن الفاحشة هى أن تبذو(٣) على أهلها، قاله ابن عباس فى إحدى الروايتين، ويقال فى قراءة أبى بن كعب: «إلا أن يَفْحُشْنَ» وهذه القراءة تقوى هذا القول. وروى عن عائشة أنها قالت لفاطمة بنت قيس: اتقى الله فإنك تعلمين أن

(١) كذا، ولعله: للشافعى.

(٢) كذا «بالأصل وك»، وإظهر أن الصواب: حماد بن أبى سليمان الأشعرى أبو إسماعيل الكوفى الإمام الفقيه.

(٣) البذاء هو المفاحشة، وقد بذو يبذو بذاءة. النهاية (١ / ١١٠)

وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ

الرسول ﷺ أخرجك، يعنى: من بيت زوجها، وكانت تبذو بلسانها.

والقول الثالث ماروى عن ابن عمر أنه قال: الفاحشة نفس الخروج. وهو محكى عن إبراهيم النخعى. فعلى هذا تقدير الآية إلا أن يأتين بفاحشة مبينة بخروجهن.

وقال بعضهم: الفاحشة هاهنا جميع المعاصى. وأولى الأقاويل هو الأول لكثرة من قال به؛ ولأنه موافق لقوله: ﴿والاتى يأتين الفاحشة﴾(١) وأجمعوا على أن المراد به الزنا.

وقوله: ﴿وتلك حدود الله﴾ قال السدى: هى شروط الله. ويقال: شرع الله، وقيل: أمره ونهيه.

وقوله: ﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾ أى: أهلك نفسه وأوبقها.

وقوله: ﴿لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾ القول المعروف فى هذا أنه الرغبة فى المراجعة، وفيه دليل على أن المراد بقوله: ﴿فطلقوهن﴾ فى ابتداء الآية هو الطلقة والطلقتان دون الثلاثة، ويقال: إن المراد منه الواحدة والثلاث جميعا. قال فى قوله تعالى: ﴿لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾ قال: هو النسخ؛ ومعناه: لعل الله ينسخ هذا الحكم ويرفعه. وقيل: هو الرغبة فى ابتداء النكاح بعد زوج آخر.

وقوله: ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ أى: قاربن بلوغ أجلهن، وهو انقضاء العدة.

وقوله: ﴿فأمسكوهن بمعروف﴾ أى: راجعوهن بمعروف، ومعناه: على ما أمر الله تعالى. ويقال: المعروف هاهنا: هو أن يراجعها ليمسكها لا أن يراجعها فيطلقها، فيطول العدة عليها على ما كان يفعله أهل الجاهلية.

وقوله: ﴿أو فارقوهن بمعروف﴾ معناه: أن يتركها لتنقضى العدة فتقع الفرقة. والمعروف: هو ما أمر الله تعالى به من إيصال حقها إليها من السكنى والنفقة فى

(١) النساء: ١٥.

بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ

موضع الوجوب، ويقال: بمعروف أى: من غير قصد مضارة.

قوله: ﴿ وأشهدوا ذوى عدل منكم ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الإشهاد واجب فى الطلاق والرجعة بظاهر الآية.

والقول الثانى: أن الإشهاد يجب فى الرجعة ولايجب فى المفارقة وهو أحد قولى الشافعى - رضى الله عنه - وهو قول طاوس من التابعين.

والقول (الثانى)(١): أنه يندب إلى الإشهاد فى الرجعة، ولا يجب، وعليه أكثر أهل العلم، وهو قول آخر الشافعى رحمة الله عليه.

وأما العدل هو مستقيم الحال فى معاملات الشرع وأوامره. وقال منصور: سألت إبراهيم عن العدل فقال: هو الذى لم يظهر فيه ريبة.

وقوله: ﴿ وأقيموا الشهادة لله ﴾ هو خطاب للشهداء بأداء الشهادات على وجوهها.

وقوله: ﴿ ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾

وقوله: ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴾ قال ابن عباس: من كل أمر ضاق على الناس. وعنه قال: إذا اتقى الله فى الطلاق على وجه السنة بأن طلق واحدة، جعل له مخرجا منه فى جواز الرجعة - وروى أن رجلا أتاه وقال: إن عمى طلق امرأته ثلاثا فهل له مخرج؟ فقال: إن عمك عصى الله فأثم، وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجا. وفى بعض الأخبار برواية ابن عباس أن النبى ﷺ قال فى قوله: « ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴾ قال: « من غموم الدنيا وغمرات الموت وشدائد الآخرة »(٢).

وقوله ﴿ ويرزقه من حيث لايحتسب ﴾ أى: من حيث لا يرجو ولا يأمل، وقيل:

(١) كذا ! ولعله: الثالث.

(٢) عزاه الزيلعى فى تخريج الكشاف (٤ / ٥٠) للثعلبى فى تفسيره، والواحدى فى تفسيره الوسيط، وعزاه السيوطى فى الدر (٦ / ٢٥٧) لأبى يعلى، وأبى نعيم، والديلمى. ونص الزيلعى على أنه فى الحلية موقوفاً.

حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ

يقنعه بما رزقه. وفى التفسير: «أن هذه الآية نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى أسر ابنه، فجاء إلى النبى ﷺ يشكو إليه فقال: «اصبر واتق الله» فرجع، ثم إن العدو غفلوا عن ابنه، مرة ،فهرب منهم وساق مع نفسه إبلا ورجع إلى أبيه وجاء بالإبل، فأتى النبى ﷺ وأخبره بذلك، وسأله عما ساقه إليه ابنه هل يحل له ذلك؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية»(١) فالمعنى بقوله: ﴿ويرزقه من حيث لايحتسب﴾ هو ماجاء به ابن عوف ابن مالك إلى أبيه من الإبل.

وقوله تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ أى: يثق بالله ويفوض أمره إليه، ويقال: التوكل على الله هو الرضا بقضائه. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال «من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة، ومن انقطع إلى الخلق وكله إليهم»(٢).

وقوله: ﴿إن الله بالغ أمره﴾ أى: كل مايريده فى خلقه.

وقوله: ﴿قد جعل الله لكل شىء قدرا﴾ أى: مقداراً وأجلا ينتهى إليه.

قوله تعالى: ﴿واللائى يئسن من المحيض من نسائكم﴾ الآية مشكلة لقوله: ﴿إن ارتبتم﴾ واختلفت الأقوال فى قوله: ﴿إن ارتبتم﴾ أظهر الأقاويل: أن الله تعالى لما بين عدة ذوات الأقراء قال جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ قد عرفنا عدة ذوات

---

(١) رواه الحاكم (٢/٤٩٢)، والواحدى فى أسباب النزول (٣٢٤) عن جابر بن عبد الله مختصراً بنحوه، وفيه أن رجلا من أشجع هو الذى اشتكى للنبى ﷺ دون تسميته عوف بن مالك.

وقال الحاكم: صحيح. وتعقبه الذهبى بقوله: بل منكر، وعباد رافضى جبل، وعبيد متروك، قاله الأزدى.

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط (٨/٢٨٢ رقم ٥١١٦ مجمع البحرين)، وفى الصغير (١/٢٠١ رقم ٣٢١)، وابن أبى حاتم - (٤/٣٨١) تفسير ابن كثير - والخطيب فى تاريخه (٧/١٩٦)، وابن الجوزى فى العلل (٢/٨٠١ رقم ١٣٣٨) عن عمران بن حصين مرفوعا بنحوه.

وعزاه العراقى فى المغنى (٤/٢١١) للطبرانى فى الصغير ،وابن أبى الدنيا ،ومن طريقه البيهقى فى الشعب من رواية الحسن عن عمران، وقال: لم يسمع منه، وفيه إبراهيم بن الأشعث تكلم فيه أبو حاتم.

إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ

الأقراء، فكيف عدة الآيسات والصغائر وذوات الأحمال؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿إن ارتبتم﴾ خطاب لأولئك الجماعة أى: شككتم فى عدتهن فلم تعرفوها. وفى بعض التفاسير: أن معاذ بن جبل سأل رسول الله ﷺ عن ذلك. وعن بعضهم: أن أبى بن كعب سأل رسول الله ﷺ عن ذلك.

والقول الثانى: أن قوله تعالى: ﴿إن ارتبتم﴾ أى: لم تعرفوا أنها تحيض، أولا تحيض وذلك فى المرأة الشابة إذا ارتفع حيضها لعلة. قال عمر رضى الله عنه: تنتظر سبعة أشهر، فإن لم تر الحيض اعتدت بثلاثة أشهر، وهذا قول مالك، وحكى عن مجاهد نحو ما ذكرنا.

والقول الثالث أن قوله: ﴿إن ارتبتم﴾ راجع إلى قوله تعالى: ﴿لاتخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن﴾ والمعنى إن ارتبتم فى انقضاء عدتها فلا تخرجوهن من بيوتهن ولايخرجن، ذكره النحاس. وأما الآيسة فهى التى لاترى أمثالها الحيض فعدتها ثلاثة أشهر. وعلى مذهب أكثر العلماء أن الشابة وإن ارتفع حيضها لعلة لا تنقضى عدتها بالشهور مالم تيئس،قالوا: ولو شاء الله لابتلاها بأكثر من ذلك.

وقوله: ﴿واللائى لم يحضن﴾ هن الصغائر.

وقوله: ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ هذا الحكم متفق عليه فى المطلقات الحوامل، فأما المتوفى عنها زوجها اختلف الصحابة فى ذلك، فقال على وابن عباس: إن عدتها أبعد الأجلين. وقال عمر وابن مسعود وابن عمر وأبو هريرة: إن عدتها بوضع الحمل، وهذا هو القول المختار. وعن ابن مسعود أنه قال: نزلت سورة

وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن

النساء القصوى بعد قوله تعالى: ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً ﴾[1] فقد نقل ابن مسعود نسخ تلك الآية بهذه الآية. وفي رواية عنه أنه قال: هذه الآية ناسخة لتلك الآية. وروى أن أبا هريرة وابن عباس اختلفا في هذه (المسألة)[2]، فقال ابن عباس: تعتد بأبعد الأجلين، وقال أبو هريرة: تعتد بوضع الحمل؛ فبعث ابن عباس كريبا مولاه إلى أم سلمة يسألها عن ذلك، فروت أن سبيعة الأسلمية توفي عنها زوجها وهي حامل فوضعت لنصف شهر؛ فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «حللت للأزواج». وهذا خبر صحيح[3].

وقوله: ﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ﴾ أي: يتق الله في أمر الطلاق فيطلب للسنة.

وقوله: ﴿ يجعل له من أمره يسرا ﴾ أي: الرجعة (وقال بعضهم)[4]: «ومن يتق الله» أي: يحذر عن المعاصي ويعمل بالطاعات «يجعل له من أمره يسرا» أي: يوفقه ويسدده وييسر عليه الأمور.

قوله تعالى: ﴿ ذلك أمر الله أنزله إليكم ﴾ أي: ماتقدم من الأمر والنهي في الطلاق وأحكامه.

وقوله: ﴿ ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً ﴾ أي: في القيامة.

قوله تعالى: ﴿ أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ﴾ اختلف العلماء في وجوب السكنى للمبتوتة مع اتفاقهم أنها واجبة للرجعية؛ فمذهب الشافعي: أن السكنى واجبة لها دون النفقة إلا الحامل تجب لها النفقة والسكنى، وهو قول مالك.

---

(١) البقرة: ٢٣٤.

(٢) في «ك»: الآية.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٨/ ٥٢١ رقم ٤٩٠٩ وطرفه ٥٣١٨)، ومسلم (١٠/ ١٥٥ - ١٥٦ رقم ١٤٨٥).

(٤) في «ك»: وقوله.

وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُوْلَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ

ومذهب أحمد وجماعة : أن السكنى والنفقة غير واجبين للمبتوتة لحديث فاطمة بنت قيس .

ومذهب أبى حنيفة رحمه الله : أنهما واجبتان .

وقوله : ﴿ من وجدكم ﴾ أى : من سعتكم . وقال الفراء : مما تجدون . وقرأ الأعرج : « من وَجْدِكم » وهو لحن لأن الوَجْد من الجِدَة، والجد من الحزن والحث والعطف، وليس هذا موضعه .

وقال : ﴿ ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ﴾ قال منصور عن [أبى][(١)] الضحى : المضارة هو أن يراجعها حين تشرف على انقضاء العدة من غير رغبة ليطول عليها العدة . ويقال :[إن][(٢)] المراد من المضارة هاهنا هو المضارة فى المنزل والسكنى، قاله مجاهد .

وقوله : ﴿ وإن كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ﴾

من لم يوجب النفقة للمبتوتة الحامل استدل بهذه الآية وقال : إن الله تعالى : شرط فى وجوب النفقة للمبتوتات أن يكن حوامل . ومن أوجب النفقة لهن قال : قوله : ﴿ ولاتضاروهن لتضيقوا عليهن ﴾ أى : فى ترك الإنفاق على العموم فى المبتوتات .

وقوله : ﴿ وإن كن أولات حمل ﴾ تخصيص بعض ماتناوله اللفظ الأول بالذكر مثل قوله تعالى : ﴿ وجبريل وميكال ﴾[(٣)] بعد ذكر الملائكة . قال بعضهم : الآية لبيان مدة النفقة يعنى : أن النفقة تجب للحامل وإن طالت مدة حملها إلى أن تضع الحمل .

وقوله : ﴿ فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ﴾ أى : الأم إذا أرضعت بعد الطلاق

---

(١) فى« الأصل، وك» : ابن ، وهوتحريف، وهو مسلم بن صبيح أبو الضحى، من رجال التهذيب .

(٢) من « ك » .

(٣) البقرة : ٩٨ .

وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا

يؤتيها الأب أجرها.

وقوله ﴿ وأتمروا بينكم بمعروف ﴾ أى: لينفق الوالد والوالدة على ماهو الأنفع للصبى، فلا تمتنع الوالدة من الإرضاع، ولا يمتنع الأب من إعطاء الأجر. قال السدى: «وائتمروا بينكم بمعروف» أى: تشاوروا بينكم بالمعروف. وهو قول ضعيف. وقال المبرد: ليأمر بعضكم بعضا بالمعروف.

وقوله: ﴿ وإن تعاسرتم ﴾ أى: تضايقتم وتنازعتم فى الأجر.

وقوله: ﴿ فسترضع له آخرى ﴾ أى: إذا لم ترض الأم بأجر المثل وطلبت أكثر منه يسلم الولد إلى غيرها لترضع بأجر المثل.

وقوله: ﴿ فسترضع له أخرى ﴾ خبر بمعنى الأمر أى: لترضع، مثل قوله تعالى: ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن ﴾(١).

وقوله: ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ﴾ أى: بمقدار سعته، وهو حث على التوسع فى النفقة لمن وسع الله عليه.

وقوله: ﴿ ومن قدر عليه رزقه ﴾ أى: ضيق عليه رزقه، ولم يكن له إلا القوت ومايشبهه وهو قوله: ﴿ فلينفق مما آتاه الله ﴾ أى: على قدر ذلك. وعن عمر- رضى الله عنه - أنه سمع أن أبا عبيدة بن الجراح يلبس الثوب الخشن، ويأكل الطعام (الجَشْب)(٢)، فبعث إليه بألف دينار من بيت المال، وأمر الرسول أن يتعرف حاله بعد ذلك، فتوسع وأكل الطيب من الطعام، ولبس اللين من الثياب، فرجع الرسول فأخبر عمر بذلك فقال: إنه تأول قوله تعالى: ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ﴾ ذكره القفال فى تفسيره.

وقوله: ﴿ لايكلف الله نفسا إلا ما آتاها ﴾

---

(١) البقرة: ٢٣٣.

(٢) فى «ك»: الخشن.

آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ

وقوله: ﴿ سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾ أى: بعد ضيق سعة، وبعد فقر غنى. قال أهل التفسير: أراد به أصحاب رسول الله ﷺ كانوا فى ضيق، ثم وسع الله عليهم.

قوله تعالى: ﴿ وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله ﴾ أى: عتى أهلها عن أمر ربها، والعتو هو المبالغة فى العصيان. وعن ابن عباس: أن الله تعالى لم ينزل قطرة من السماء إلا بوزن معلوم إلا فى زمان نوح، ولايرسل ريحا إلا بكيل معلوم إلا فى زمان عاد، فإنها عتت على خزانها.

وقوله: ﴿ فحاسبناها حسابا شديداً ﴾ الحساب الشديد هو الذى ليس فيه عفو ولا تجاوز.

وقوله: ﴿ وعذبناها عذابا نكرا ﴾ أى: ينكر، والمنكر: الفظيع.

قوله تعالى: ﴿ فذاقت وبال أمرها ﴾ أى: عاقبة أمرها من المكروه، يقال: طعام وبيل أى: مكروه، وهو ضد الهَنِيء من الطعام. ويقول: الوبيل من الطعام: هو الذى تؤدى عاقبته إلى الهلاك.

وقوله: ﴿ وكان عاقبة أمرها خسرا ﴾ أى: هلاكا، وقيل: نقصانا.

وقوله تعالى: ﴿ أعد الله لهم عذابا شديدا ﴾ وهو النار.

وقوله: ﴿ فاتقوا الله يأولى الألباب ﴾ أى: أولى العقول الذين آمنوا، وهذا يدل على أن العقل إنما ينفع مع الإيمان، أما بدون الإيمان لاينفع.

آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ

وقوله: ﴿قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا﴾ فيه وجوه: أحدها: أنزل إليكم ذكرا أى: دليلا، وأنزل رسولا. ويقال: الذكر: القرآن، وقوله: ﴿رسولا﴾ منصوب على البدل. وقيل: «رسولا» أى: رسالة. فمعناه: أنزل قرآنا رسالة.

وقوله: ﴿يتلو﴾ يقال: هو محمد ﷺ، (ويقال)(١): هو جبريل عليه السلام.

وقوله: ﴿عليكم آيات مبينات﴾ أى: واضحات.

وقوله: ﴿ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور﴾ أى: من الكفر إلى الإيمان، ومن الباطل إلى الحق، وما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا﴾ أى: الجنة.

قوله تعالى: ﴿الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن﴾ ليس فى القرآن آية تدل على عدد الأرضين بسبع مثل عدد السموات سوى هذه الآية، وقد ثبت أيضا عن النبى ﷺ أنه قال: «من غصب شبرا من أرض طوقه الله من سبع أرضين»(٢).

وعن ابن عباس أنه قال: سبع سموات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضها تحت بعض، وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة سنة، وكذلك بين كل أرض وأرض. وعنه أنه قال: خلق السماء الدنيا من موج مكفوف، والسماء الثانية من صخرة، والسماء الثالثة من حديد، والرابعة من نحاس، والخامسة من فضة، والسادسة

---

(١) فى «ك»: وقيل.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٦/٣٣٨ رقم ٣١٩٥)، ومسلم (١١/٧١ رقم ١٦١٢). وقد رواه عدة من الصحابة، وانظر تلخيص الحبير (٣/١١٨ - ١١٩ رقم ١٢٩١).

الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

من ذهب، والسابعة من درة، وخلق الكرسى فوق السموات السبع والسموات والأرض فى جنب الكرسى كحلقة فى فلاة ويحمل الكرسى أربعة أملاك لكل ملك أربعة أوجه، وجه على صورة الآدميين يسأل الرزق للبشر، ووجه على صورة سيد السباع – وهو الأسد – يسأل الرزق للسباع، ووجه على صورة سيد الطير – وهو النسر يسأل الرزق للطيور. ووجه على صورة سيد الأنعام – وهو الثور يسأل الرزق للأنعام.

قال ابن عباس: مازالت على وجهه الذى هو على صورة الثور عمامة منذ عبد العجل من دون الله، فملكان يقولان: اللهم لك الحمد على حلمك بعد علمك، وملكان يقولان: اللهم لك الحمد على عفوك بعد قدرتك.

وعنه رضى الله عنه أنه قال: فى كل أرض آدم كآدم أبى البشر، ونوح مثل نوح، وإبراهيم كإبراهيم، وموسى كموسى، وعيسى كعيسى، ومحمد كمحمد. ذكر هذه الآثار عن ابن عباس أبو بكر محمد بن الحسن النقاش فى تفسيره. وعن قتادة قال: فى كل سماء وفى كل أرض خلق من خلقه، وأمر من أمره، وقضاء من قضائه.

وقوله تعالى: ﴿يتنزل الأمر بينهن﴾ أى: بين السموات والأرضين، وهو معنى ما بينا.

وقوله: ﴿لتعلموا أن الله على كل شىء قدير﴾ أى: قادر.

وقوله: ﴿وأن الله قد أحاط بكل شىء علما﴾ ظاهر المعنى، وهو منصوب على (التفسير)[1]، والله أعلم.

---

(١) كذا فى «الأصل وك». والنصب على المصدر المؤكد، (انظر القرطبى ١٨/ ١٧٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ ﴾

تفسير سورة التحريم

وهى مدنية

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبى لم تحرم ماأحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم﴾ فى الآية قولان معروفان: أظهر القولين: أنها نزلت فى تحريم رسول الله ﷺ على نفسه مارية القبطية، وسبب ذلك: أن النبى ﷺ خلا بها فى بيت حفصة، وكانت حفصة قد خرجت لزيارة أبيها، فلما رجعت وعرفت ذلك فوقفت على الباب، وخرج النبى ﷺ ورأى الكآبة فى وجهها. وفى رواية: أنها راجعته فى ذلك بعض المراجعة وقالت: هذا من حقارتى عندك وصغر شأنى، ولو كانت فى بيت غيرى لم تفعل ذلك، فحرم مارية على نفسه لطلب رضاها وقال لها: «لا تخبرى بذلك عائشة[1]».

والقول الثانى: «أن النبى ﷺ كان يشرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش - وفى رواية: فى بيت سودة، وفى رواية: فى بيت أم سلمة - فتواطأت عائشة وحفصة على أن النبى ﷺ إذا دخل على واحدة منهما - أيتهما كانت - قالت: إنى أجد منك[2] ريح مَغَافير»[3] وقد روى أن صفية كانت معهما فى هذه المواطأة، فدخل النبى ﷺ على عائشة فقالت له ذلك، ودخل على حفصة فقالت له ذلك، ودخل على صفية فقالت له ذلك، فكان النبى ﷺ يكره أن يوجد منه ريح لأجل الملائكة فقال: شربت عسلا عند زينب. فقلن له: جَرَسَتْ نخلةُ العُرْفُطَ - والعرفط شجرة يوجد منها ريح

---

(١) رواه ابن جرير الطبرى (٢٨ / ١٠١)، وابن سعد، وابن مردويه - كما فى الدر (٥ / ٢٦٥) عن ابن عباس بنحوه.

(٢) فى «ك»: مثل.

(٣) متفق عليه، رواه البخارى (٨ / ٥٢٤ رقم ٤٩١٢ وأطرافه: ٥٢١٦، ٥٢٦٧، ٥٤٣١، ٥٥٩٩، ٥٦١٤، ٥٦٨٢، ٦٦٩١، ٦٩٧٢)، ومسلم (١٠ / ١٠٨ - ١٠٢ رقم ١٤٧٤).

قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ

مكروه - فحرم العسل على نفسه، وقال: لا أعود إلى شربه أبدا». حكى هذا القول عبيد بن عمير عن عائشة. والأول قول عمر وابن مسعود وابن عباس وعامة المفسرين.

وعن ابن عباس في رواية: أن الآية وردت في الواهبة نفسها للنبي ﷺ، وهو قول شاذ، ومعنى الآية: هو المعاتبة مع النبي ﷺ في تحريم ما أحل الله له لطلب رضا أزواجه.

وقوله: ﴿والله غفور رحيم﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ أي: كفارة أيمانكم، والفرض هاهنا بمعنى البيان والتسمية ويقال: بمعنى التقدير؛ لأن الكفارات مقدرة معدودة، فإن قيل: أين اليمين في الآية، والله تعالى قال: ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾؟ والجواب من وجهين: أحدهما: أن النبي ﷺ كان حرم وحلف فعاتبه على التحريم، وأمره بالتكفير في اليمين، وهذا قول منقول عن جماعة من التابعين منهم مسروق والشعبي وغيرهما.

والوجه الثاني: أنه كان حرم ولم يحلف إلا أن تحريم الحلال يوجب الكفارة، وهذا قول ابن عباس وغيره.

واختلف العلماء في تحريم الحلال، فذهب ابن مسعود أنه إذا حرم حلالا أي حلال كان، فعليه الكفارة، وهذا قول جماعة من التابعين، وهو قول سفيان الثوري والكوفيين. وأما مذهب مالك والشافعي أن تحريم الحلال في النساء يوجب الكفارة، وفي غير النساء لايوجب شيئا. وذهب جماعة إلى أن تحريم الحلال ليس بشيء، قال مسروق: لاأبالي أحرمت امرأتي أو قصعة من ثريد يعني: أنه ليس بشيء. وعن بعضهم: أنه إيلاء. وعن بعضهم: أنه ظهار. وعن بعضهم: أنه يلزمه الطلاق الثلاث بتحريم الحلال في النساء. وعن بعضهم: أنه على نيته. وتحلة اليمين كفارة اليمين، وسماها تحلة؛ لأنه يتحلل بها عن اليمين أي: يخرج. وعن بعضهم: أن تحلة اليمين

وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ

هو الاستثناء؛ لأنه يخرج به عن اليمين. والأول هو المعروف. وبيان الكفارة في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾(١) الآية، فروى «أن النبيﷺ أعتق رقبة»(٢).

وقوله: ﴿والله مولاكم﴾ أى: ولى أموركم، يهديكم إلى الأرشد والأقوم والأولى.

وقوله: ﴿وهو العليم الحكيم﴾ أى: العالم بأمر خلقه، الحكيم بما يدبره لهم.

قوله تعالى: ﴿وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثا﴾ هى حفصة - رضى الله عنها - والذى أسره إليها هو تحريمه مارية. وقال ميمون بن مهران: أسر إليها هذا، وأسر إليها أن الخلافة بعده لأبى بكر، ثم لأبيها بعده، وهذا مذكور فى كثير من التفاسير عن ميمون بن مهران وغيره.

وقوله: ﴿فلما نبأت به﴾ روى أن النبىﷺ قال لحفصة: «لاتخبرى بذلك أحداً» وكانت لاتكتم شيئا عن عائشة - رضى الله عنها - فذهبت وأخبرت عائشة بذلك؛ فنزل جبريل وأخبره بما كان بينهما، وذلك قوله: ﴿وأظهره الله عليه﴾.

وقوله: ﴿عَرَّف بعضه﴾ أى: عرفها بعض ماكان بينهما، وأعرض عن البعض تكرما وصفحا، والتغافل عن كثير من الأمور من شيمة العقلاء وأهل الكرم. ويقال: العاقل هو المتغافل. والذى أظهره لها هو إخبارها بتحريم مارية، والذى أعرض عنه هو حديث أبى بكر وعمر كرامة أن يفشو ذلك بين الناس. وقرأ الكسائى: «عَرَفَ بعضه» بالتخفيف. قال الفراء: أى: جازى عليه، ومجازاته إياها أنه طلقها، ثم إنه نزل جبريل وأمره بمراجعتها، وقال: إنها صوامة قوامة. وقال الفراء: وهو مثل قول القائل لغيره: لأعرفن ماعملت أى: لأجازينك عليه. وهو أيضا مثل قوله تعالى: ﴿وأوحينا إليه

(١) المائدة: ٨٩.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر (٦/ ٢٦٥) لابن مردويه عن أنس به.

وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا

لتنبئنهم بأمرهم ﴾[1] أى: لتجازينهم.

وقوله: ﴿ وأعرض عن بعض ﴾ أى: لم يجاز عليه.

وقوله: ﴿ فلما نبأها به ﴾ أى: أخبرها.

وقوله: ﴿ قالت من أنبأك هذا ﴾ أى: من أخبرك بهذا.

وقوله: ﴿ قال نبأنى العليم الخبير ﴾ أى: الله، فإنه العليم بالأمور، الخبير بما فى الصدور.

وقوله تعالى: ﴿ إن تتوبا إلى الله ﴾ هذا خطاب لعائشة وحفصة، ومعناه: إن تتوبا فقد فعلتما ما عليكما، التوبة فى ذلك، والذى فعلنا: المظاهرة على النبى ﷺ بالمواطأة على ما بينا، وبالسرور بما يكرهه من تحريم ما أحل الله له، وبشدة الغيرة عليه وأذاه بذلك.

وقوله: ﴿ فقد صغت قلوبكما ﴾ أى: مالت قلوبكما عن الصواب. وقد روى « أنه ﷺ كان يصغى الإناء للهرة »[2] أى: يميل.

وقوله: ﴿ قلوبكما ﴾ أى: قلباكما. قال الفراء: هو مثل قول العرب: ضربت ظهوركما، وهشمت رءوسكما أى: رأسيكما وظهريكما. ويقال: إن أكثر مافى الإنسان من الجوارح اثنان اثنان، وإذا هى تذكر باسم الجمع، فما كان واحدا جرى ذلك المجرى، مثل: الرأس والقلب وغير ذلك، ذكره النقاش.

---

(١) يوسف: ١٥.

(٢) رواه الدارقطنى (١/ ٦٦ – ٦٧، ٧٠)، والطحاوى فى شرح المعانى (١/ ١٩)، وابن شاهين فى الناسخ والمنسوخ (١٠٣ – ١٠٤ رقم ١٤٦) عن عائشة مرفوعا به. وقد ضعف الحافظ ابن حجر فى تلخيص الحبير (١/ ٦٩) إسناد روايتى الدارقطنى، فقال فى الأولى: فيه عبد ربه بن سعيد، وهو متفق على ضعفه، وفى الأخرى: فيه الواقدى. وفى الباب عن جابر. وراجع تلخيص الحبير.

وإن تظاهرا عليْه فإنَّ اللَّه هُو مولْاهُ وجبْريلُ وصالحُ الْمُؤْمنين والْملائكةُ بعْد ذلك ظهيرٌ ﴿٤﴾ عسىٰ ربُّهُ إن طلَّقكُنَّ أن يُبْدلهُ أزْواجًا خيْرًا منكُنَّ

وقوله : ﴿ وإن تظاهرا عليه ﴾ ثبت أن ابن عباس سأل عمر - رضى الله عنهما - عن المرأتين اللتين تظاهرتا على النبى ﷺ أى : توافقتا على فعل مايشتد عليه ويؤذيه غيْرةً عليه، فقال : هما حفصة وعائشة .

وقوله : ﴿ فإن الله هو مولاه ﴾ أى : ناصره وحافظه ﴿ وجبريل ﴾ أى : ينصره أيضا ويحفظه .

وقوله : ﴿ وصالح المؤمنين ﴾ فيه أقوال : أحدها : قال العلاء بن زياد : هم الأنبياء، وهو قول قتادة فى إحدى الروايتين، وهو قول سفيان الثورى .

وعن قتادة فى رواية أخرى قال : هو أبو بكر وعمر، وهما أبوا المرأتين . قال سعيد بن أبى عروبة - وهو الحاكى ذلك عن قتادة - : ذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال : صدق قتادة . وروى الليث عن مجاهد أنه قال : هو علىٌّ رضى الله عنه . وعن بعضهم : هو خيار المؤمنين .

وقوله : ﴿ والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ أى : ظهراء وأعوان، واحد بمعنى الجمع، مثل قوله تعالى : ﴿ وحسن أولئك رفيقا ﴾[1] أى : رفقاء . قال الشاعر

إن العواذل ليس لى بأمير

أى : بأمراء . وروى أن عمر عاتب حفصة وقال : لو أمرنى رسول الله ﷺ أن أضرب رقبتك لضربت .

قوله تعالى : ﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيراً منكن ﴾ فإن قيل : كيف خيراً منكن ولم يكن فى ذلك الوقت أحد من النساء خيراً منهن؟ والجواب : أن معناه : إن طلقكن بإلجائكن إياه إلى الطلاق، وشدة آذاكن له، وترك التوبة فيبدله خيراً منكن أى : أطوع له منكن، ويقال : أحب له منكن .

(١) النساء : ٦٩ .

مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا

وقوله: ﴿ مسلمات ﴾ أى: خاضعات منقادات.

وقوله: ﴿ مؤمنات ﴾ أى: مصدقات.

وقوله: ﴿ قانتات ﴾ أى: مطيعات.

وقوله: ﴿ تائبات ﴾ أى: تائبات من كل الذنوب، ومن كل مايؤذى النبىﷺ.

وقوله: ﴿ عابدات ﴾ أى: متذللات أو فاعلات للطاعة كما أمرهن الله تعالى.

وقوله: ﴿ سائحات ﴾ أى: صائمات، قال ابن قتيبة: سمى الصائم سائحا؛ لأن السائح يسيح بغير زاد، فإن وجد شيئا أكل على جوع شديد. ويقال: سائحات أى: مهاجرات.

وقوله: ﴿ ثيبات وأبكارا ﴾ ظاهر المعنى. ويقال: الثيب مثل: آسية، والأبكار مثل: مريم عليهما السلام.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾ أى: بفعلكم طاعة الله، وأمركم إياهن بطاعة الله. ويقال: أدبوهن وعلموهن ودلوهن على الخير. وفى بعض الغرائب من الأخبار: «علق السوط حيث يراه أهلك»[١] يعنى: بالتأديب. وعن عمرو بن قيس الملائى قال: إن المرأة لتخاصم زوجها يوم القيامة عند الله فتقول: إنه كان لايؤدبنى، ولايعلمنى شيئا، كان يأتينى بخبز السوق. وقيل: قوا أنفسكم وأهليكم ناراً أى: قوا أنفسكم نارا، وقوا أهليكم ناراً بما ذكرنا، وهو تقدير الآية.

---

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد (ص ٣٥٨)، وعبد الرزاق (٩/ ٤٤٧ رقم ١٧٩٦٣)، والطبرانى فى الكبير (١٠/ ٢٨٤ – ٢٨٥ رقم ١٠٦٦٩ – ١٠٦٧٢)، وفى الأوسط (٥/ ٣١٣ رقم ٣١٣٠ مجمع البحرين)، وابن عدى فى الكامل (٣/ ٩٠)، والخطيب فى تاريخه (١٢/ ٢٠٣) عن ابن عباس مرفوعا. وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ١٠٩): وإسناد الطبرانى فيهما حسن. وفى الباب عن ابن عمر، وجابر، وانظر تخريج الكشاف (١/ ٣١٦).

وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

وقوله: ﴿وقودها الناس والحجارة﴾ قد بينا في سوره البقرة، وهو حجارة الكبريت.

وقوله: ﴿عليها ملائكة غلاظ شداد﴾ أي: غلاظ القلوب، شداد الأيدى. وفي التفسير: أن واحداً منهم يلقى سبعين ألفا بدفعة واحدة في النار. وفي بعض الآثار: «أن الله تعالى لم يخلق في قلوب الزبانية شيئا من الرحمة»[1]. وعن بعضهم: أنه يأخذ العبد الكافر بعنف شديد، فيقول ذلك العبد: أما ترحمني؟! فيقول: كيف أرحمك، ولم يرحمك أرحم الراحمين.

وفي بعض الآثار أيضا: أن الله تعالى يغضب على الواحد من عبيده، فيقول للملائكة: خذوه فيبتدره مائة ألف ملك، كلهم يغضبون بغضب الله تعالى، فيجرونه إلى النار، والنار أشد غضبا عليه منهم بسبعين ضعفا.

وقوله: ﴿لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم﴾ يعني: يقال لهم يوم القيامة: لاتعتذروا، أي: لاعذر لكم فتعتذروا.

وقوله: ﴿إنما تجزون ماكنتم تعملون﴾ أي: بعملكم في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ قال (الزهري)[2]: كل موضع في القرآن ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ افعلوا كذا فالنبي – عليه السلام – فيهم. وعن خيثمة قال: كل مافي القرآن ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ فهو في التوراة يا أيها المساكين. وقد ذكرنا عن ابن مسعود أنه قال: إذا سمعت الله يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فارعها سمعك، فإنه شيء تؤمر به، أو شيء تنهى عنه.

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في زوائده على الزهد عن أبي عمران الجوني قال: بلغنا... فذكره. الدر المنثور (٦ / ٢٧٠).

(٢) في «ك»: الأزهري.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ

وقوله: ﴿ توبوا إلى الله توبة نصوحا ﴾ قال عمر وابن مسعود: هو أن يتوب من الذنب ثم لايعود إليه أبدا، ويقال: نصوحًا أى: صادقة، ويقال: خالصة، وقيل: محكمة وثيقة. وهو مأخوذ من النصح وهو الخياطة، كأن التوبة ترقع خرق الذنب فيلتئم، كالخياط يخيط الشىء بالشىء فيلتئم. وقرئ: «نُصوحا» بضم النون أى: ذات نصح.

وقوله: ﴿ عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ﴾ قد بينا أن عسى من الله واجبة.

وقوله: ﴿ ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴾ أى: بساتين.

وقوله: ﴿ يوم لايخزى الله النبى ﴾ أى: لا يهينه ولا يفضحه، وهو إشارة إلى كرامة فى الآخرة؛ يعنى: يكرمه ويشرفه فى ذلك اليوم، ولا يهينه، ولايذله.

وقوله ﴿ والذين آمنوا معه ﴾ أى: كذلك يفعله بالذين آمنوا معه.

وقوله: ﴿ نورهم يسعى بين أيديهم ﴾ هو نور الإيمان يكون قدامهم على الصراط يمشون فى ضوئه. وفى التفسير: أن لأحدهم مثل الجبل، ولآخر على قدر ظفره ينطفئ مرة ويتقد أخرى.

وقوله: ﴿ وبأيمانهم ﴾ فيه قولان: أحدهما: وبأيمانهم كتبهم، والآخر: وبأيمانهم نورهم كالمصابيح.

وقوله: ﴿ يقولون ربنا أتمم لنا نورنا ﴾ وفى [التفسير][1]: أنهم يقولون ذلك حين يخمد وينطفئ نور المنافقين، فيقولون ذلك إشفاقا على نورهم.

وقوله: ﴿ واغفر لنا إنك على كل شىء قدير ﴾ أى: قادر.

---

(١) فى «الأصل، وك»: تفسير.

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا

قوله تعالى: ﴿ياأيها النبى جاهد الكفار﴾ أى: بالسيف.

وقوله: ﴿والمنافقين﴾ أى: باللسان، ويقال: بالغلظة عليهم. قال ابن مسعود: أن يلقاهم بوجه مكفهر. ويقال: بإقامة الحدود عليهم، ذكره قوم من التابعين.

وقوله: ﴿واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ أى: المنقلب.

قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط﴾ فى بعض التفاسير: أن اسم (إحديهما)[1] كانت والهة، والأخرى كانت والغة.

وقوله: ﴿كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين﴾ أى: نوح ولوط عليهما السلام.

وقوله تعالى: ﴿فخانتاهما﴾ اختلف القول فى هذا؛ فأحد الأقوال: أنه الخيانة بالكفر.

والقول الثانى: أنه الخيانة بالنفاق، كانتا تظهران الإيمان وتسران الكفر.

والقول الثالث: بالنميمة.

والقول الرابع: بالنسبة إلى الجنون لنوح، والدلالة على الأضياف للوط، فكانت امرأة نوح تقول لمن يقصد نوحا - عليه السلام - ليسمع كلامه: إنه مجنون، وامرأة لوط كانت تدل قومها على أضياف لوط لقصد الفاحشة. وفى القصة: أنها كانت بالنهار ترسل[2]، وبالليل تدخن وتوقد نارا ليعلموا. قال ابن عباس: مابغت امرأة نبى قط أى: مازنت.

وقوله: ﴿فلم يغنيا عنهما من الله شيئا﴾ أى: لم (يدفعا)[3] نوح ولوط عنهما

(١) فى «ك»: أحدهما.

(٢) فى «ك»: ترشد.

(٣) كذا، والأفصح أن يقول: لم يدفع.

وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا

أى: عن امرأتيهما. والمراد تحذير عائشة وحفصة، يعنى: أنكما إن عصيتما ربكما لم يدفع رسول الله عنكما شيئا، كما لم يدفع نوح ولوط عن امرأتيهما.

وقوله: ﴿وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ أى: قيل للمرأتين.

وقوله تعالى: ﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون﴾ وهى آسية بنت مزاحم، وكانت آمنت بالله وبموسى - عليه السلام - سرًا ثم أظهرت، فعذبها فرعون وعاقبها، وفى القصة: أنه وتدها بأربعة أوتاد من حديد، وفى القصة: أن أول من آمنت امرأة خازن فرعون، ويقال: ماشطة بنت فرعون، فعذبها فرعون فصبرت على ذلك، فأظهرت حينئذ آسية إيمانها.

وقوله: ﴿إذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة﴾ أى: داراً.

وقوله: ﴿ونجنى من فرعون وعمله﴾ فيه قولان: أحدهما: من شركه، والآخر: من المضاجعة معه. ويقال: من الجماع.

وقوله: ﴿ونجنى من القوم الظالمين﴾ أى: من قوم فرعون.

قوله تعالى: ﴿ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها﴾ أشهر القولين أنه الفرج بعينه. والعرب تقول: أحصنت فلانة فرجها إذا عفت عن الزنا.

والقول الثانى: أن الفرج هاهنا هو الجَيْب. قال الفراء: كل خرق فى درع أو غيره فهو فرج، ويقال: فى قراءة أبى بن كعب: «فنفخنا فى جيبها من روحنا»

وقوله: ﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾ فى القصة: أن جبريل - عليه السلام - نفخ فى جيب درعها فحملت بعيسى، وروى أنه دخل عليها فى صورة شاب أمرد جعد قطط، وهى فى مدرعة صوف. قال أبو معاذ النحوى: فى مدرعتها. وعلى القول الأول إذا

﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾

قلنا إنه الفرج بعينه يصير النفخ فى جيب درعها كالنفخ فى فرجها بعينه .

وقوله : ﴿ وصدقت بكلمات ربها ﴾ وقرئ : « بكلمة ربها » فمعنى الكلمات ما أخبر الله تعالى من البشارة بعيسى وصفته وكرامته على الله وغير ذلك . ويقال : بكلمات ربها أى : بآيات ربها . وأما قوله : ﴿ بكلمة ربها ﴾ هو عيسى عليه السلام .

وقوله : ﴿ وكتابه ﴾ أى : الإنجيل، وقرئ : « وكتبه » أى : التوراة والزبور والإنجيل .

وقوله : ﴿ وكانت من القانتين ﴾ فإن قيل : كيف قال ﴿ من القانتين ﴾ ولم يقل : « من القانتات »؟ قلنا : قال أبو العباس ثعلب معناه : كانت من قوم قانتين . والقنوت هو الطاعة على ما بينا . ويقال : قنوتها هاهنا هو صلاتها بين المغرب والعشاء، وهو أيضا فعل القانتين على هذا القول، والله أعلم .

تم بحمد الله تعالى

المجلد الخامس

من تفسير أبي المظفر السمعاني

ويتلوه إن شاء الله تعالى

المجلد السادس

وأوله

تفسير سورة الملك

